صحيفه

صحيفه

صحيفة

تمت فهرسة الجزء الثالث من كتاب نفح الطيب

الجزء الثاني من كتاب نفح الطيب

من غصن الاندلس الرطيب

وذكر وزيرها لسان

الدين بن الخطيب

تاليف العلامة

المقري رحمه

الله تعالى

آمين
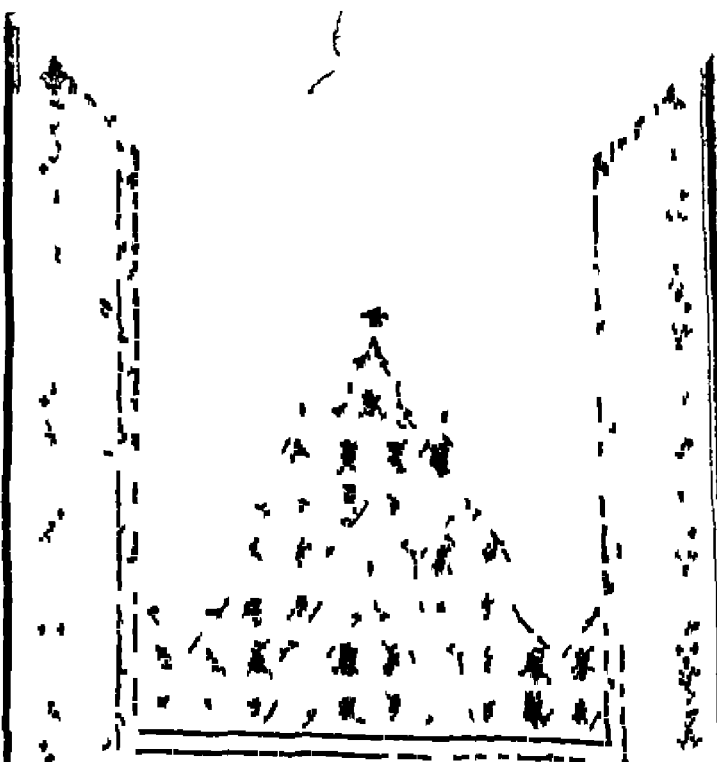
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(القسم الثاني من الكتاب)

في التعريف بلسان الدين بن الخطيب * وذكر أنبائه التي روق سماعها وشارح صدرها وطيب * وما يناسبها من أحوال العلماء الأفراد والأعلام الذين اقتضى ذكرهم شجون الكلام والاستطراد وفيه أسامي الأبواب ثمانية موصلة إلى جنات أدب قطوفها دانية وكل غصن منها رطيب *

(الباب الأول)

في أولية لسان الدين وذكر أسلافه * الذين ورث عنهم المجد وارتضع در أخلافه * وما يناسب ذلك مما لا يعدل المنصف إلى خلافه

(أقول) هو الوزير الشهير الكبير * لسان الدين الطائر الصيت في المغرب والمشرق المزري عرف الثناء عليه بالعبير والعنبر * المثل المضروب في الكتابة والشعر والطب ومعرفة العلوم على اختلاف أنواعها ومصنفاته تعبر عن ذلك ولا ينبئك مثل خبير * علم الرؤساء الأعلام * الوزير الشهير الذي خدمته السيوف والأقلام * وغني عبيره وردكر

عن

عن مسطور التعريف والاعلام * واعترف له بالفضل أصحاب العقول الراجحة والاحلام *
(قال) سليل السلاطين الامير العلامة اسمعيل بن يوسف ابن السلطان القائم بأمر الله محمد
ابن الاحمر نزيل فاس رحمه الله فى كتابه المسمى بفرائد الجمان * فيمن نظمنى واياه الزمان *
فى حق المذكور مانصه ذوالوزارتين الفقيه الكاتب أبو عبد الله محمد ابن الرئيس
الفقيه الكاتب المنترى ببلده لوشة عبد الله ابن الفقيه الكاتب القائد سعيد بن عبد الله
ابن الفقيه الصالح ولى الله الخطيب سعيد السلمانى اللوشى المعروف بابن الخطيب انتهى *
وقال القاضى ابن خلدون المغربى المالكى رحمه الله فى تاريخه الكبير عند ماجرى
ذكر لسان الدين مانصه أصل هذا الرجل من لوشة على مرحلة من غرناطة فى الشمال من
البسيط الذى فى ساحتها المسمى بالمرج وعلى وادى شنجيل ويقال شنيل المخترق فى ذلك
البسيط من الجنوب الى الشمال كان له بها سلف معدودفى وزرائها وانتقل أبوه عبد الله
الى غرناطة واستخدم لملوك بنى الاحمر واستعمل على مخازن الطعام انتهى * وقال غيره
ان بيتهم يعرف قديما ببنى الوزير وحديثا ببنى الخطيب وسعيد جده الاعلى اول من تلقب
بالخطيب وكان من أهل العلم والدين والخير وكذلك سعيد جده الاقرب كان على خلال
حميدة من خط وتلاوة وفقه وحساب وأدب خيرا صدرا توفى عام ثلاثة وثمانين وستمائة
وأبوه عبد الله كان من العلماء بالادب والطب وقرأ على أبى الحسن البلوطى وأبى جعفر
ابن الزبير وغيرهما وأجازه طائفة من أهل المشرق وتوفى بطريف عام أحد وأربعين
وسبعمائة شهيدا يوم الاثنين السابع من جمادى الاولى من العام المذكور مفقودا ثابت
الجأش شكر الله عمله * قلت وماذكره هؤلاء اكثره مأخوذ من كلامه عند تعريفه رحمه
الله بنفسه آخر الاحاطة ولنذكر ملخصه اذ صاحب البيت ادرى بالذى فيه * مع مافيه من
الزيادة على ماسبق وهى تتم للطالب أمله وتوفيه * قال رحمه الله يقول مؤلف هذا الديوان
تغمد الله خطله فى ساعات أضاعها * وشهوة من شهوات اللسان أطاعها * وأوقات
للاشتغال بالايعنيه استبدل بها اللهو لما باعها * أمابعد حمد الله الذى يعفر الخطيه *
ويحث من النفس اللجوج المطيه * فتحرك كانها البطيه * والصلاة والسلام على سيدنا
ومولانا محمد ميسر سبل الخير الوطيه * والرضا عن آله وصحبه منتهى الفضل ومناخ
الطيه * فانى لما فرغت من تأليف هذا الكتاب الذى حمل عليه فضل النشاط * مع الالتزام
لمراعاة السياسة السلطانية والارتباط * والتفت اليه فراقنى منه صوان درر *
ومطلع غرر * قد تخلدت مآثرهم مع ذهاب أعيانهم * وانتشرت مفاخرهم مع انطواء
زمانهم * نافستهم فى اقتحام تلك الابواب * ولباس تلك الاثواب * وقمعت باجتماع
الشمل بهم ولو فى الكتاب * وحرصت على أن أنال منهم قربا * وأخذت أعقابهم ادبا وحبا *
وكما قيل ساقى القوم آخرهم شربا * فأجريت نفسى مجراهم فى التعريف * وحذوت بها
حذوهم فى بابى النسب والتصريف بقصد التشريف * والله سبحانه لايعدمنى واياهم واقعا
يترحم * وركاب الاستغفار بمنكبه يرحم * عندما ارتفعت وظائف الاعمال *
وانقطعت من التكسبات حبال الآمال * ولم يبق الارحمة الله التى تنتاش النفوس

عن مسطور التعريف والاعلام * خلف والدي ناشئا في الترف تحت العليق بكنفه رعي (قال) سليل السلاطين الا واحد تحدر عليه النسيم اذا سرى فما تنه لتروه حظ كبير ابن الاحمر نزيل فاس قرأ على الخطيب أبي الحسن البلوطي والمقرئ أبي عبد الله بن في حق المدير بن الزبير خاتمة الجلة وكان يعضله وانتقل الى لوشة بلد سلفه مخصوصا التقيه الى أن قصدها السلطان أبو الوليد متخطيا الى الحضرة هاويا الى ملك البيضة امره وأدخله بلده لدواع يطول استقصاؤها ولما تم له الامر صحب ركابه الى دار ملكه وقد ثراب شقص عريض من دنياه وكان من رجال الكمال طلق الوجه مع الطرف وتضمن ذ التاج المحلى والاحاطة رائقا من شعره وفقد في الكائنة العظمى بطريف يوم الاثنين الدجمادى الاولى سنة واحد وأربعين وسبعمائة ثابت الجأش غير جزوع ولا هيابة البر الخطيب بالمسجد الجامع من غرناطة الفقيه أبو عبد الله بن اللوشي قال كنا حيث الى وقد غشي العدو وجئت الى ارداقه فانحدر اليه والدك وصرفني وقال أنا اولى به الى آخر العهد بهما انتهى * ومما رثي به والد لسان الدين وأخوه ما ذكره في الاحاطة في ترجمة أبي محمد عبد الله الاردي اذ قال ما نصه ومما كتب الي فيما أصابني بطريف

حطب ألم وأذهب الاخ والابا * رغما لانف شاء ذلك أو ابى
قدر جرى في الخلق لا يجد امرؤ * عما به جرت المقادر مهربا
اما جزعت له فعذر بين * قصت الدواهي أن تحل له الحبا
لا كان يومهما الكريه فكم وكم * فيه المحلى والمصلي قد كبا
يوم لوى ايمانه لم يبق للاسلام حد مهند الا نبا
وتجمعت فيه الضلال فقابلت * فيه الهدى فتفرقت أيدي سبا
آها لعز المهتدين صرامة * لا ذل عز المهتدين وأذهبا
دهم المصاب فعم الا أنه * فيما يخصك ما أمر وأصعبا
يا ابن الخطيب خطاب مكثرث لما * قد الم البث الالد وأوجبا
قاسمتك الشجو المقاسمة التي * صارت بخالص ما محضتك مذهبا
لم لاوات لذي سابق حلبة * ترجى عن في السابقين تأدبا
لا عاد يوم نال منك ولا أتت * سنة به ما الليل ابدى كوكبا
يهني الشهيدين الشهادة انها * سبب يريد من الاله تقربا
وردا على دار النعيم وحورها * فكلاهما برزن هما يزدن ترحبا
فاستعن بالرحمن عمن قد ثوى * من حزب خير من ارتضى ومن اجتبى

فأجبته بقولي

أهلا بمقدمك السني ومرحبا * فلقد حباني الله منك بما حبا
وافيت والدنيا علي كأنها * سم الخياط وطرف صبري قد كبا
والدهر قد كشف القناع ولم يدع * لي عدة للروع الا اذهبا
صرف العنان الي غير مدافع * عني وأثبت دون نصرتي الشبا

بالمقتبس في تاريخ الاندلس وقص امرها غير واحد كابن القرضى وابن خلدون وملخصها
أن أهل ربض قرطبة ثاروا على الامير الحكم الاموى وفيهم علماء اكابر مثل يحيى بن
يحيى الليثي صاحب امامنا مالك رضى الله عنه وغيره فكانت النصرة للحكم فلما ظفر
وقتل من شاء اجلى من بقى الى البلاد وبعضهم الى جزيرة اقريطش ببحر الاسكندرية وفى
قصتهم طول وليس هذا محلها * وقال لسان الدين رحمه الله أيضا فى حق والده ما حاصله
عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن احمد بن علي السلماني أبو محمد غرناطى الولادة
والاستيطان لوشى الاصل طليطليه قرطبيه * وقال فى الاكليل ان طال الكلام *
وجمحت الاقلام * كنت كما قيل مادح نفسه يقرئك السلام * وان اجمحت * فما أسديت
فى الثناء ولا ألحمت * واضعت الحقوق * وخفت ومعاذ الله العقوق * هذا ولو أنى زجرت
طير البيان من اوكاره * وجئت بعون الاحسان وأبكاره * لما قضيت حقه بعد * ولا قلت
الابالتى عابت سعد * فقد كان رحمه الله ذمر عزم * ورحل رخاء وأزم * تروق أنوار
خلاله الباهرة * وتضيء مجالس الملوك من صورتيه الباطنة والظاهرة * ذكاء يتوقد *
وطلاقة يحسد نورها الفرقد * وكانت له فى الادب فريضة * وفى النادرة العذبة منادح
عريضة * تكلمت يوما بين يديه فى مسائل من الطب وانشدته ابياتا من شعرى ورقاعا
من انشائى فتهلل * وما برح أن ارتجل

الطب والشعر والكتابه * سماتنا فى بنى النجابه
هن ثلاث مبلغات * مراتبا بعضها الحجابه

ووقع لى يوما بخطه على ظهر أبيات بعثتها اليه أعرض عليه عطها

وردت كما صدر النسيم بسحرة * عن روضة جاد الغمام رباها
وكانما هاروت أودع سحره * فيها وآثر بابه وحباها
مصقولة الالفاظ يبهر حسنها * فمثالها القصر المليح وباهى
فقررت عينا عند رؤية حسنها * انى أبوك وكنت أنت اباها

ومن نظمه قوله

وقالوا قد دنا فاصبر ستشفى * فترياق الهوى بعد الديار
فقلت هبوا بأن الحق هذا * بقلبى فمن وافيم اصطبارى

وقال

عليك بالصمت فكم ناطق * كلامه ادّى الى كلمه
ان لسان المرء أهدى الى * غرته والله من خصمه
يرى صغير الجرم مستضعفا * وجرمه أكبر من جرمه

وقال

انا بالدهر يا بنى خبير * فاذا شئت علمه فتعالى
كم مليك قد ارتقى منه روضا * لم يدافع عنه الردى ما ارتقى لا
كل شئ تراه يفنى ويبقى * ربنا الله ذو الجلال تعالى

ولد بغرناطة في جمادى الاولى عام ستين وسبعمائة وتولى القضاء فهي لموقعه الرنا
بغرناطة ضحى يوم الاثنين سابع جمادى الاولى عام واحد وثلاثين ورثاه ابن سيدنا
بقصيدة اولها
سهام المنايا لا تطيش ولا تخطي * وللدهر كف تسترد الذي تعطي
وانا وان كنا على بسط الدنا * فلا بد يوما ان نحل على الشط
تساوى على ورد الردى كل وارد * فلم يغن رب السيف عن ربة القرط
وسيان ذل الفقر او عز الغنى * ومن اسرع السير الحثيث ومن بطي
وهي طويلة قال وربما سمعتها او كراسا فيه قصيدة يقول فيها
اذا نام ارباب الصبر فكلهم دري * اذا ليل اسنا ناحسا نامن الشعر
ولو كان شعري لم يكن عمدته * واجرت دمعي له اعز من الجمر
لما كنت اقضي حق نجمه الى * ان سهمها عونا على نوب الدهر
رماني عبد الله يوم وداعه * بداهية دهيا فاصمت الظهر
فطعم رماني حين صح حديثه * فان يوم لي دمعي فقد ماتي صبري
وهل مؤنس كان المطلب لو حسي * اسد له همي واودعه سري
ومنها
تولى واحسان الخلائق بعده * فورحمة الاسنا طيبة النشر
رضا بها لك الصبر من بعد بعده * على قدر ماني الصبر من عظم الاجر
الى نعمة المبلد فوق جنسه * شعا شروق المجد في موقف الحشر
لسداي العطف نار منه بعزمه * ابها اسمه الحور ظاهر والسر
تطلب عروسا منه الخلد في الربى * تقول له هل الحور لاتلكم مهري
فكان من القوم الذين سادروا * الى العالم الاعلى مع الرفقة الغر
تعالوا اساسي الاباطح والربا * فطرد وجع غالبات على الدهر
الالالم عني ليكن د وجهها * فما كنت الا على الماجد الحر
ومنها
السوا ساحة واسكم حدعركم * وسيروا على سنن من الموت والورد
على سعرائهم لدار باجرت * وما الدور في الاخرى سوى جنة الطهر
وما العيش الا بعطلة مثل يومه * وما العمر الا كالخيال الذي يسري
على الحق اسم قادمون تمروا * فلمن تحدول هنالك من عذر
وهي طويلة تجاوز الله عنا وعنهم أجمعين انتهى ما لخصته من كلام لسان الدين رحمه الله ملك
على منوال كلامه في تخليد أنه البدء سيح الوزير الكاتب الشهير القاضي أبو يحيى بن عاصم
القيسي الاندلسي رحمه الله في وصف ابيه القاضي أبي بكر بن عاصم صاحب التحفة في
علم القضا وهو محمد بن محمد بن محمد بن عاصم الاندلسي الغرناطي قاضي الجماعة الى ان
أبو بكر وابن الشاح اليه في هذا المحل من كلام ولده قوله رحمه الله ان يسلك السول *

بالمقتبس في تاريخ الاندلس وفي الاوصاف * وتوخيت الاصناف * امدت الطروس * أن أهل ربض قرطبة تارة المثل من مدح العروس * وان اضربت عن ذلك صفحا فلبئسما يحيي الليث صباح أمسكت المعروف ومنعت * وكم من حقوق الابوة اضعت * ومن ثدى وقل من يثنت * ومن شيطان لعصمة الحق اطعت * ولم ارد الا الاصلاح ما استطعت * قصر توسطت واقتصرت * وأوجزت واختصرت * ولا الحق نصرت * ولا أفنان البلاغة هصرت * ولا سبيل الرشد أبصرت * ولا عن هوى الحسدة أقصرت * هذا ولو أني أجهدت ألسنة البلاغة لجهدت * وأيقظت عيون الاجادة فسهدت * واستعرت مواقف عكاظ على ما عهدت * لما قربت من الفصل الامابه الاعداء قد شهدت * ولا استقصيت من المجد الا ما اوصت به الفئة الشاتة لخلفها الابتر وعهدت * فقد كان رحمه الله علم الكمال ورجل الحقيقة ووقار الايخف راسيه * ولا يعرى كاسيه * وسكونا لا يطرق جانبه * ولا يرهب غالبه * وحلما لا ترل حصاته * ولا تهمل وصاته * وانفاصا لا يتعدى رسمه * ولا يتجاور حكمه * ونزاهة لا ترخص قيمتها * ولا تلين عزيمتها * وديانة لا تحسر أذيالها * ولا يشف سربالها * وادراكا لا يفل نصله * ولا يدرك خصله * وذهنا لا يخبو نوره * ولا يشوه مطروره * وفهما لا يخفى فلقه * ولا يهزم فيلقه * ولا يلحق بحره * ولا يعطل نحره * وتحصيلا لا يفات قنيصه * ولا يسام حريصه * بل لا يحل عقاله * ولا يصدأ صقاله * وطلبا لا تحد فنونه * ولا تنعين عيونه * بل لا تحصر معارفه * ولا تقصر مصارفه * يقوم اتم قيام على النحو على طريقة متأخرى النحاة جامعا بين القياس والسماع وتوجيه الاقوال البصرية * واستحضار الشواهد الشعرية * واستظهار اللغات والاعربة * واستبصارا في مذاهب المعربة * محليا أجياد تلك الاعاريب من على البديع والبيان بجواهر اسلاك * ومجليا في آفاق تلك الاساليب من فوائد هذين الصمين زواهر افلاك * الى ما يتعلق بذلك من قافية للعروض وميزان * وما للشعر من بحور وأوزان * نصلع بالقرا آت اكمل اضطلاع * مع التحقيق والاطلاع * فيقنع ابن الباذش من اقناعه * ويشرح لابن شريح ما اشكل من اوضاعه * ويقصر عن رتبته الداني * ويحرز صدر المنصة من حرز الاماني * ويشارك في المنطق واصول الفقه والعدد والفرائض والاحكام مشاركة حسنة ويتقدم في الادب نظما ونثرا وكتبا وشعرا الى براعة الخط وأحكام الرسم واتقان بعض الصنائع العملية كتفسير الكتب وتنزيل الذهب وغيرهما نشأ بالحضرة العلية لا يغيب عن حلقات المشيخة ولا يريم عن مظان الاستفادة ولا يفتر عن المطالعة والتقييد ولا يسأم من المناظرة والتحصيل مع المحافظة التي لا تخرم ولا تنكسر والمفاوضة في الادب ونظم التربص والفكاهة التي لا تقدح في وقار انتهى ملخصا * وقد أطال في تعريفه بأوراق عدة ثم قال مولده في الربع الثالث من يوم الخميس ثاني عشر جمادى الاولى من عام ستين وسبعمائة كما نقلته من خط ابيه ثم قال وله مسائل متعددة في فنون شتى ضمنها كل سديد من البحث وصحيح النظر * وأما كتبه فالدر النفيس والياقوت الثمين والروض الانف والزهر النضير نصاعة لفظ واصابة غرض وسهولة تركيب ومتانة اسلوب انتهى ثم ذكر

سميته والطالع مرد ما ليعه الارجوزة المسماة بتحفة الحكام والارجوزة المسماة بمهيع الوصول في علم الاصول أصول الفقه والارجوزة الصغرى المسماة بمرتقى الوصول للاصول كذلك والارجوزة المسماة بنيل المنى في اختصار الموافقات والقصيدة المسماة بايضاح المعاني في القراآت الثماني والقصيد المسماة بالامل المرقوب في قراءة يعقوب والقصيد المسماة بكنز المفاوض في علم الفرائض والارجوزة المسماة بالموجز في النحو وشاذة م ارجوزات مالك في عرض البسط له والعادا لمقصد والكتاب المسمى بالحدائق في اغراض شتى من الآداب والحكايات * توفي بين العصر والمغرب يوم الخميس حادي عشر شوال عام تسعة وعشرين وثمانمائة انتهى كلام الوزير ابن عاصم واعاد ذكره لان أهل الاندلس يقولون في شهابه ابن الخطيب الثاني ولولا خوف الاطالة لذكرت بعض انشائه ونظمه فانه في الذروة العليا وقد ذكرت جملة من ذلك في ازهار الرياض في اخبار عياض وما يناسبها مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض * ولنرجع الى الترجمة المقصودة فنقول والسلماني نسبة الى سلمان باسكان اللام على الصحيح قال ابن الاثير والمحدثون يفتحون اللام وسلمان حي من مراد من عرب اليمن القحطانية دخل الاندلس منهم جماعة من الشام ويلقب لسان الدين رحمه الله تعالى بتشبيهه كما سيأتي في كلامه وهو مشهور الى الآن بالمغرب بابن الخطيب السلماني ولذلك خاطبه شيخه الكاتب الرئيس أبو الحسن بن الجياب حين حل بمالقة بقوله

اما كان اذا ما حتت مالقة * دار المكارم من ممنى وريحان
فلا سلم على ربع لذي سلم * فها وسلم على ربع لسلمان

فاجابه لسان الدين رحمه الله تعالى الجميع بقوله

يا ليت شعري هل يقضي بالقا * ومنى السوق عن غاياته الثاني
او هل تنقض على نفسي معدها * أو هل يرى لعلي قلبي الثاني

وعلى ذكر نسبة ابن الخطيب لسلمان فقد تذكرت هنا بيتا أنشدنيه لنفسه صاحبنا الوزير الشهير الكبير البليغ صاحب القلم الاعلى سيدي ابو فارس عبد العزيز الفشتالي سقى الله تعالى عهده ساكب رحمات من قصيدة نويه مدح بها سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وتخلص الى مدح مولانا السلطان المنصور بالله أبي العباس أحمد الحسني امير المؤمنين صاحب المغرب رحمه الله تعالى وهو

اولئك حري ان شرفت على الورى * وباهر بيتي في الولاية سلمان

واراد كما اخبرني نسبة سلمان الفضيلة التي فيها لسان الله والدين بن الخطيب رحمه الله تعالى اشارا الى ولاية الكتابة للخلافة كما كان لسان الدين السلماني رحمه الله تعالى كذلك وفيه مع ذلك تورية بسلمان الفارسي رضي الله عنه وارضاه * وقد رأيت ان أسرد هاهنا القصيد الفريد * لبلاغتها الى حد سحر النفوس والخريد * ولان معنون المذهب الذي سر الفاسو ومن الى معاهدي المغربية الى اكثر المكا عليها عصر المنصور بالله الامام * سقى الله تعالى عهاده صوب الغمام * حسب الشباب عهن بالع * والمومل لم يجنه مانع *

والسلطان

والسلطان عارف بالحقوق * والزمان وهو ابو الورى لم يشب برّه بالعقوق * والليالى مسالمة غير رامية من البين بنبال * والغربة الجالبة للكربة لم تخطر ببال * ورؤساء الدولة الحسنية السنية ساعون فيما يوافق الغرض ويلائم * والايام تزورها بواسم * واوقاتها أعياد ومواسم * وأفراح وولائم * ولله فيها عيش مانسيناه * وعرطالما اقتبسنا نور الهدى من طور سيناه

مضى ما مضى من حلو عيش ومره * كأن لم يكن الا كأضغاث أحلام

وهذا نص القصيدة

هم سلبونى الصبر والصبر من شانى * وهم حرموا من لذة الغمض أجفانى
وهم أخفروا فى مهجتى ذمم الهوى * فلم يثنهم عن سفكها حبى الجانى
لئن أترعوا من قهوة البين أكؤسى * فشوقهم أضحى سميرى وندمانى
وان غادرتى بالعراء حمولهم * لقى ان قلبى جاهدا اثر أظعان
قف العيس واسأل ربعهم أية مضوا * ألجزع ساروا مدلجين ام البان
وهل باكروا بالسفح من جانب اللوى * ملاعب آرام هناك وغزلان
وأين استقلوا هل بهضب تهامة * أناخوا المطايا ام على كثب نعمان
وهل سال فى بطن المسيل تشوقا * نفوس ترامت للحمى قبل جثمان
واذ برحوها بالعشى فهل ثنى * ازمتها الحادى الى شعب بوان
وهل عرسوا فى دير عبدون ام سروا * يؤم بهم رهبانهم دير نجران
سروا والدجى صبغ المطارف فانثنى * بأحداجهم شتى صفات وألوان
وأدلج فى الاسحار بيض قبابهم * فلمن نجوما فى معارج كثبان
لك الله من ركب يرى الارض خطوة * اذا زمها بدنا نواعم ابدان
أرحها مطايا قد تمشى بها الهوى * تمشى الحميا فى مفاصل نشوان
ويمم بها الوادى المقدس بالحمى * به الماء صدّا والكلا نبت سعدان
وأهد حلول الجزع منه تحية * تفاوح عرفا ذاكى الرند والبان
لقد نفحت من شيح يثرب نفحة * فهاجت مع الاسحار شوقى وأشجانى
وقتت منها الشرق فى الغرب مسكة * سحبت بها فى ارض دارين أردانى
وأذكرنى عهدا وطيب عراره * نسيم الصبا من نحو طيبة حيانى
احن الى تلك المعاهد انها * معاهد راحاتى وروحى وريحانى
وأهفو مع الاشواق للوطن الذى * به صح لى أنسى الهنىء وسلوانى
وأصبو الى أعلام مكة شائقا * اذا لاح برق من شمام وثهلان
اهيل الحمى دينى على الدهر زورة * احث بها شوقا لكم عزمى الوانى
متى يشتفى جفنى القريح بلحظة * ترح بها فى نوركم عين انسانى
ومن لى بأن يدنو لقاكم تعطفا * ودهرى عنى دائما عطفه ثانى
سقى عهدهم بالخيف عهد تمده * سوافح دمع من شؤونى هتان

وحمل فى جيب الجنوب تحية * يفوح تسراها شذا كل نوقان
الى العمرين صاحبيك كليهما * وتلوهما فى الفضل صهرك عثمان
وحيا عليا عرفها وأريجها * ووالى على سبطيك اوفر رضوان
اليك رسول الله صممت عزمة * اذا أزمعت فالشحط والقرب سيان
وخالطت منى القلب وهو مقلب * على جمرة الاشواق فيك واشجان
فياليت شعرى هل ارى قلائصى * اليك بدارا أو أقاتل كيرانى
وأطوى اديم الارض حولك راحلا * نواجى المهارى فى صحاصح قيعان
يرحها ورط الحسين الى الحى * اذا غرد الحادى بهن وغنانى
وهل تمحون عنى خطايا اقترفتها * خطالى فى تلك البقاع وأوطان
وما ذا عسى يثنى عنانى وان لى * بآلاك جاها صهوة العز أمطانى
اذا ما عن رتك المأس والعبا * تحودانك المنصور أحمد أغنانى
عمادى الذى أوطا السماكين اخمصا * وأوفى على السبع الطباق فأدنانى
متوج املاك الزمان وان سطا * احل سيوفا فى معاقد تيجان
وقارى اسود الغاب بالصيد مثلها * اذا اضطرب الخطى من فوق حدران
هزبر اذا زار البلاد زئيره * تصاءل فى اخيابها اسد خفان
وان اطلعت غيم القتام جيوشه * وأرزم فى مركومه رعد نيران
صببن على ارض العداة صواعقا * اسلى عليهم بحر حتف ورجفان
كتائب لو يعلون رضوى لصدعت * صفاه الجياد الجرد تعدو بعقبان
عديد الحصا من كل أروع معلم * وكل كمى بالردينى طعان
اذا جن ليل الحرب عنهم طلى العدا * هدتهم الى أوداجها شهب خرصان
من اللاء جز عن العدا غصص الردى * وعمرن فى وجه الثرى وجه بستان
وفتحن أقطار البلاد فأصبحت * تؤدى الجراح الجزل أملاك سودان
امام البرايا من على نجاره * ومن عترة سادوا الورى آل زيدان
دعائم ايمان وأركان سودد * ذووهم قد عرست فوق كيوان
هم العلويون الذين وجوههم * بدور اذا ما احلكت شهب ازمان
وهم آل بيت شيد الله سمكه * على هضبة العلياء ثابت اركان
وفيهم فشا الذكر الحكيم وصرحت * بفضلهم آيات ذكر وفرقان
فروع ابن عم المصطفى ووصيه * فناهيك من حرين قربى وقربان
ودوحة مجد معشب الروض بالعلا * يجود بأمواه الرسالة ريان
بمحتدهم الاعلى الصريح تشرفت * معد على العرباء عاد وقحطان
اولئك حرى ان حرت على الورى * ونافس يبقى فى الولايت سلمان
اذا اقتسم المداح فضل فخارهم * فقسمى بالمنصور طاهر رجحان
امام له فى جبهة الدهر ميسم * ومن غره فى مفرق الملك تاجان

وقد وقفت بالشام وقفة حامل * نوافح مسك من ظباء خراسان
لترتاض في تلك الرياض هنيأة * وتزداد من أزهارها طيب أردان
وما غربت حتى تضاعف نشرها * بواسطتي روح هنالك وريحان
فكم نحوكم حملتها من رسالة * مدونة في شرح حالي ووجداني
وناشدتها بالله الا توصلت * بتبليغ احبابي السلام وجيراني
تحية مشتاق الى ذلك الحمى * وسكانه والنازحين باظعان
سقى الله هاتيك الديار وأهلها * سحائب تحكي صوب مدمعي القاني
وحيا ربوع الحي من خير بلدة * تحيرها قدما افاضل يونان
هي الحضرة العليا مدينة تونس * انيسة انسان رآها بانسان
لها الفخر والفضل المبين بما حوت * من الانس والحسن المنوط باحسان
لقد حل منها آل حفص ملوكها * مراتب تسمو فوق هامة كيوان
وسادوا بها كل الملوك وشيدوا * بها من مباني العز أفخر بنيان
وكان لهم فيها بهاء وبهجة * وحسن نظام لا يعاب بنقصان
وكان لهم فيها عساكر جمة * تصول بأسياف وتسطو بمران
جيوش وفرسان يضيق بها الفضا * وتحجم عنها الفرس من آل ساسان
وكان لاهليها المفاخر والعلا * وكان بها حصنا امان وايمان
وكان على الدنيا جمال بحسنها * وحسن بها من ملوك وأعيان
وكانت لطلاب المعارف قبلة * لما في حماها من ائمة عرفان
وكان لاهل العلم فيها وجاهة * وجاه وعز مجده ليس بالفاني
وكان بواديها المقدس فتية * تقدس باريها بذكر وقرآن
ومن ادباء النظم والنثر معشر * تفوق ناديها بلاغة سحبان
وكانت على الاعداء في حومة الوغى * تطول بأبطال وتسطو بشجعان
ومابرحت فيها محاسن جمة * وفي كل نوع اهل حذق واتقان
الى أن رمتها الحادثات بأسهم * وسلت عليها سيف بغي وعدوان
فبادت تلك المحاسن أن عفت * وأقفر ربع الانس من بعد سكان
وشتت ذاك الشمل من بعد جمعه * كما انتثرت يوما قلائد عقيان
فأعظم برزء خص خير مدينة * وخير أناس بين عجم وعربان
لعمري لقد كادت عليها قلوبنا * تضرم من خطب عراها بنيران
وقد عم غما عظم مصابها * وان خص منه المصر جثماني
وما بقيت فيها علماء بلدة * من الشرق الا ألبست ثوب أحزان
فصبرا أخي صبرا على المحنة التي * رمتك بها الاقدار مابين اخوان
فما الدهر الا هكذا فاصطبر له * رزية مال او تفرق خلان
أحبابنا ان فرق الدهر بيننا * وطال مغيبي عنكم مدى أزمان

وقد وقفت بالشام بق سبة * ولو خفقت فيها طوالع بلدان
لترناص في تالا في كالك شانها * وحوب اذا حصت سوالك بامكان
وما غزمن ملك الجود بالبحر والحيا * فقد قاس عمويها قياس سفسطاني
وطاعتك العظمى بشارة رحمة * وعصيانك الحجود ونزعة شيطان
وحبك عنوان السعادة والرضا * ويعرف مقدار الكتاب بعنوان
ودين الهدى جسم وذاتك روحه * وكم وصلة مابين روح وجثمان
تضئ بك الدنيا ويحرسك العلا * كانك مما بين لحظ وأجفان
بنيت على آساس أسلافك العلا * فلا هدم المبنى ولا عدم البانى
وصاحت بك العليا فلم تك غافلا * ونادت بك الدنيا فلم تك بالوانى
ولم تك فى خوض البحار بهائب * ولم تك فى نيل الفخار بكسلان
لقد هزمنك العزم لما انتضيته * دوائب رضوى أو مناكب ثهلان
ولله عينا من رآها محلة * هى الحشر لا تحصى لعد وحسبان
وثور عزم فارق اثر دعوة * بعم الاقاصى والادانى بطوفان
عجائب أقطار ومألف شارد * وأفلاد آفاق وموعد ركبان
اذا ما سرحت اللحظ فى عرصاتها * تلاه منك الذهن فى العالم الثانى
جناحان والنصر العزيز اهتصاره * اذا انتظمت بالقلب منها جناحان
فى سحب لاحتيها شهب القنا * ومن كتب بيض بدت فوق كثبان
مضارب فى البطحاء بيض قبابها * كما قلبت للعين ازهار سوسان
وما ان رأى الراءون فى الدهر قبلها * قرارة عز فى مدينة كتان
تعوت التفات الطرف حال اقتبالها * كانك قد سخرت جن سليمان
فقد أطرقت من خوفها كل بيعة * وطأطأ من اجلالها كل ايوان
وقد دعرت حولان بين بيوتها * عداة بدت منها البيوت بحولان
فلو رميت مصر بها وصعيدها * لاضحت خلاء بلقعا بعد عمران
ولو يممت سيف بن ذى يزن لما * تقرر ذاك السيف فى غمد غمدان
تراع بها الاوثان فى ارض رومة * اذا خيمت شرقا على طرق اوثان
وتجفل اجفال النعام ببرقة * ليوث الشرى ما بين ترك وعربان
وعرضا كيوم العرض أذهل هوله * عيانى وأعيانى تعدد أعيان
وجيشا كقطع الليل للخيل تحته * اذا صهلت مقتنة رجع ألحان
فيومض من بيض الظبا ببوارق * ويقذف من سمر الرماح بشهبان
ويمطر من ودق السهام بحاصب * سحائبه من كل عوجاء مرنان
وجردا اذا ما ضمرت يوم غاية * تحث من ريح تشاد بأرسان
تسابق ظلمان الفلاة عثلها * وتذعر غزلان الرمال بغزلان
ودون مهب العزم منك قواصب * أبى النصر يوما أن تلم بأجفان

بلادى التى فيها عقدت تمائمى * وجم بها وفرى وجل بها شانى
تحدثنى عنها الشمال فتنثنى * وقد عرفت منى شمائل نشوان
وآمل أن لا استفيق من الكرا * اذا الحلم اوطانى بها ترب اوطانى
تلون اخوانى على وقد جنت * على خطوب جمة ذات ألوان
وما كنت أدرى قبل أن يتنكروا * بأن خوانى كان مجمع خوانى
وكانت وقد حم القضاء صنائعى * على غير ما الاارتنى شر أعوانى
فلولاك بعد الله يا ملك العلا * وقدفت ما ألفيت من يتلافانى
تداركت منى بالشفاعة معصما * رياً رماه الدهر فى موقف الجانى
فان عرف الاقوام حقك وفقوا * وان جهلوا اباءوا بصفقة خسران
وان خاطرا عرفا شكر وقصروا * وزنت بقسطاس قويم وميزان
وحرمة هذا اللحد يأبى كمالها * هضيمة رد أوحطيطة نقصان
وقد عمت عن امرى ربهت همة * تحدق من علوالى صرح هامان
اذا دانت الله النفوس وامّلت * اقالة ذنب او انالة عفران
فولاك يامولاى قبلة وجهتى * وعهدة أسرارى وجهة اعلانى
وقفت على مثواه نفسى قائما * بترديد ذكر أوتلاوة قرآن
ولو كنت ادرى فوق هامى وسيلة * الى ملك الارضى لشمرت أردانى
وأبلغت نفسى جهدها غير أننى * طلابى ما بعد النهاية أعيانى
قرأت كتاب الحمد فيك لعاصم * فصح أدائى واقتدائى واتقانى
فدونكها من بحر فكرى لؤلؤا * يفصل من حسن النظام بمرجان
وكان رسول الله بالشعر يعتنى * وكم حجة فى شعر كعب وحسان
ووالله ما وفيت قدرك حقه * ولكنه وسعى ومبلغ امكانى

وكتب لسان الدين رحمه الله قبل هذه القصيدة نثرا من انشائه يخاطب به السلطان أبا سالم المذكور وذلك أنه ورد على لسان الدين وهو بشالة سلا كتاب السلطان المذكور بفتح تلمسان وكان وروده يوم الخميس سابع عشر شعبان عام واحد وستين وسبعمائة ونص ما كتب به لسان الدين مولاى فتاح الاقطار والامصار فائدة الزمان والاعصار أثير هبات الله الآمنة من الاعتصار قدوة أولى الايدى والابصار ناصر الحق عند قعود الانصار مستصرخ الملك الغريب من وراء البحار مصداق دعاء الاب المولى فى الاصائل والاسحار ابقاكم الله سبحانه لا تقف ايالتكم عند حد ولا تحصى فتوحات الله تعالى عليكم بعد ولا تفيق أعداؤكم من كد ميسرا على مقامكم ما عسر على كل أب كريم وجد عبدكم الذى خلص ابريز عبوديته لملك ملككم المنصور المعترف لادنى رحمة من رحماتكم بالعجز عن شكرها والقصور الداعى الى الله سبحانه أن يقصر عليكم سعادة العصور ويذلل لعز طاعتكم أنف الاسد الهصور ويبقى الملك فى عقبكم وعقب عقبكم الى يوم ينفخ فى الصور فلان من الضريح المقدس بشالة وهو الذى تعددت

على المسامع بدوره وسطع نور وبلا لا سروره وأمحت الدنيا لما ذهب فروعه
ووجب عروته وعظم شوبكم جراحا وفي المسلمة جرت دموعه حسب الجليل قد
رست هضابه والملك قد كسب بأستار الكعبة الشريفة قبابه والبيت العتيق قد أخلص
الشرف الامامية ابوابه والقرآن العزيز نزل احزابه والعمل الصالح رفع الى الله
ثوابه والمنبر عني بالهيبة سؤاله فجهر نعير الفرحوابه ونفد بما من اوراق
الذكر الحكيم حديد به وجلة امته وخط بعودى الجود بما فى طوفان البحر
عرشه والتحف بردف الهيبة التى لا يهتدى النفس فيها الا بهداية الله تعالى طريقه ٭
واعتريه الله وقد توسط حسن الحرمة المرعية حقيقته اذ جعل المولى المقدس المرحوم
ابا الحسن مقدمة وابا وجد وسعه برى ركم بد السعد الكريم وقد طب عليه من الرضا
بسطاطا واعلى به يد العناية المرعية احساما واعساطا وضمن لحسن العقبى الرابطا
واسراطا وقد عقد النصر نار بيه وجهكم المنتظر المرسة وبدا الدالى لطالب
سماعكم الى سكمل به فى المال كما كمل نعم الرؤية وسرع فى المراح عدان نعممكم
بعد اقتحام هذه العقبة لما سبق ان الذين السرى التى لم يوطأ الا هج ما وصدح
ولا سهاب دجمه الاقدس في نورها واصدح ولا صدرا الا انسرح ولا عصن علف
الا سرح بسرى الفتح القريب وحمل النصر الصحيح الحسن الغريب فح بلسان الذى
حلله المبارك وداد الابتهاج ووهب الاسلام منحة النصر عنه عن الابتهاج وأطلق
الحلق طلا بمدودا وفتح باب الحج وكان مسدودا وافرعوا اولياء الله الذين يذكرون الله
قياما وقعودا واسرع نسف الخوف حماها البيه وحدودا وملككم حق أسكم الذى
اهاب عليه الاموال وخاض من دونه الاهوال واخلص عنه الضراعة والسؤال من
غير كد نعمر عطف المنى ولا يجهد بكدر صفو النعم الثر ولا حصر حضرته المحسن
دوامه ويظهر شكرا الركوع امامه فالحمد لله الذى اقال العثار وطهر وسكم
الامصار وجعل ملككم يجدد الآثار ويأخذ الثار والعبد يهنى مولانا بما انعم
الله تعالى به عليه وأولا فاذا الحال العبد فداح السرور فالعبد الى والرضى واذا
اسهموا حظوظ الجذل في النسيم الزاهر والعشب واذا اقتسموا فرصة شكر الله
فلى الحظ والعصب لما عى اسباب المودة حلى ورادف النعم التى جرعها ولى
وعلى ومباصرى اسعا مكافاتها وجدى وان تطاول املى بعاملكم المقام الذى بين
الكربة وآنس الغربة ورعى الوسيلة والقربة وانعش الارماق وفك الوثاق وأعز
الارزاق واخذ على الدهر بالاستقالة العهد والميثاق وان لم يباشر العبد البد العالية
بهذا الهنا وعمل بين يدى الخلافة العظيمة السنا والسنا وعقد سبب البد الى بلك
السما فقد باشرته البد التى عين مولاى لذكر فضلها وتكمل دروس اجدى بوصفه
حقوقها الاوليه وتكملها ووهب بين يدى ملك الملوك الذى أحال عليها النداح
وومل فى طلب وصالها بالمساع الصباح وكان تحته اباها اعدره الافساح وقد بهمل
يامولاى ردما لك المشروعة وحمر المطلب المعرفة المشهورة وردائك المودودة

فقد استحقتها وارثك الارضى وسميك الامضى وقاضى دينك وقرة عينك مستنقذ دارك من يد غاصبها ورادّ رتبتك الى ناصبها وعامر المثوى الكريم وساتر الاهل والحريم مولاى هذه تلمسان قد طاعت وأخبار الفتح على ولدك الحبيب اليك قد شاعت والامم الى هنائه قد تداعت وعدوك وعدوه قد شرّدته المخافه وانصاف الى عرب الصحراء خصته الاصافه وعن قريب تحكم فيه يد احتكامه وتسلمه السلامة الى حمامه فلتطب يا مولاى نفسك وليستبشر رمسك فقد تمت بركتك ورك كاعرسك نسأل الله أن يورد على ضريحك من أنباء نصره ما تفتح له أبواب السماء قبولا ويترادف اليك مددا موصولا وعددا آخرته خير لك من الاولى ويعرّفه بركة رضاك طعما وحلولا ويضفى عليك منه سترا مسدولا ولم يقنع العبد بخدمة النثر حتى اجهد القريحة التى ركضها الدهر فأنضاها واستنبهها الحادث الجلل فقتضاها فلفق من خدمة المنظوم ما يغمد حلمكم تقصيره ويكون اعضاؤكم ادالتى مزة العتب وليه ونصيره واحالة مولاى على الله فى سنى جبرها ووسيلة عرفها مجددها ابكرها وحرمة تصريح مولاى والده شكرها وطلع العبد منه على كمال امله وتجح عمله وتسويغ مقترحه وتتميم بذله اطاع لسانى فى مدحك احسانى الى آخر القصيدة التى تقدمت وحيث اقتضت المناسبة جلب هذه النونيات فلنضف اليها قصيدة اديب الاندلس الفقيه عمر صاحب الارجال اذ هو من فرسان هذا المجال وقد وطأ لها بنثر وجعل الجميع مقامة ساسانية سماها تسريح النصال الى مقاتل الفصال ونصها يا عماد السالكين ومحط المستفيدين والمتبركين وثمال الضعفاء والمساكين المتروكين فى طريقك يتنافس المتنافس وعلى أعطافك تزهى العباآت وتروق الدلافس وكتابك تمحى حواسد الاوهام وعندك تشرد ذئاب الاوهام وفى رسيلك يدس التالد والطارف وتصال يهش على بدائع المعارف الله الله فى سالك ضاقت عليه المسالك وشاد رمى بابعاد أدركته متاعب الحرفه واقيم من صف اهل الصفه فلا يجد نشاطا على ما يتعاطى ولا يأتى اغتباطا ان حل زاوية اورباطا اقصى عن اهل القرب والتخصيص وانى عثل حالة برصيص فاحيل عليك وتوقعت اقالته على توبه بين يديك فكاتبك استدعاء واستوهب منك هداية ودعاء ليسير على ما سويت ويتحمل عنك أشتات ما رويت فيلقى الاكفاء الظرفاء عزيزا ويباهى بك كل من حاطك مستجيرا فاصرف الى نحا الرضا وعد من ايناسك للعهد الذى مضى ولا تلقنى معرضا ولا معترضا وأصخ لى سمعك كما قدر الله تعالى وقضى

تعال نجددها طريقة ساسان * نقص عليها ما نوالى الجديدان
ونصرف اليها من مشار عزائم * ونحلف عليها من مؤكد أيمان
ونعقد على حكم الوفاء هواءنا * لنأمن من اقوال زور وبهتان
ونقسم على أن لانصدق واشيا * يروح ويغدو بين اثم وعدوان
يطوف حوالينا ليفسد بيننا * بمنطق انسان وخدعة شيطان

وتا ليعما فيها لقبض اتاوة * واغرام مسنون وقسمة حلوان
وقد جلس الطرقون بالمعد مطرقا * يقول نصيبى اوأبوح بكتمان
عريفى يلحانى اذا ما اتيته * ولم انصرف عنكم بواحب ألحان
وقد جمعت تلك الطريقة عندنا * ائمة حساب وأعلام كهان
اذا استنزلوا الارواح باسم تبادرت * طوائف ميمون وأشياع رقان
وان بحروا عند الحلول تأرجت * مباخرهم عن زعفران ولوبان
وان فحوا الدارات فى رد آبق * نثت عرمه اوهام حوف وحدلان
فيحسب أن الارض حيث ارتمت به * ركائبه سرعان رحل وركبان
وقد عاشرتنا اسرة كموية * اقامت لدينا فى مكان وامكان
ولله من اعيان قوم تألفوا * على عقد سحر أو على قلب اعيان
ونحن على مايعمر الله اعما * نروح ونعدو من رباط الى خان
مع الصبح نصعيها عباءة صمة * وبالليل نلويها رباسير رهبان
اتذكر فى سفح العقاب مبيتكم * ثمانين شخصا من اناث وذكران
لديكم من الالوان مالم يجئ به * طهوراس دون ولا عرس بوران
وكم شائق منكم الى عقد تكة * وكم هائم فيكم على حل همیان
فأطفأت قنديل المكان تعمدا * وأومأت فانقضوا كأمثال عقبان
وناديت فى القوم الركوب فأسرعوا * فريق لنسوان وقوم لذكران
فأقسم بالايمان لولا تعففى * عن السوء لانحلت عقيدة ايمانى
وعد للذى كنا عليه فان لى * على العيران صاحبته حقد غيران
من يوم اذ صيرت ودى جانبا * واعرضت عنى ماتناطح عيران
ولاروت الكتاب بعد نعاربا * مجاورة من ثعلبان اسرحان
وماهو قصدى منك الا اجارة * تحولنى التعميل مابين حلانى
واتك ان سخرت لى وأجرتنى * لمع ولى صان ودى وجارانى
ولم لاتروينى وأنت اجل من * سقانى من قبل الرحيق فروانى
ألا فأجزنى ياامام بكل ما * رويت لمدعليس اولابن قرمان
ولاتنس للدباغ نظما عرفته * فانكما فى ذلك النظم سيان
ومزدوجات ينسبون نظامها * الى ابن شجاع فى مديح ابن بطان
وألمم بشئ من خرافات عنتر * وألمع ببعض من حكايات سوسان
وان كنت طالعت اليتيمة واسنى * بلامية فى الفحش من نظم واسانى
أبحرنى بكشف الدك ارضى وسيلة * وخير جليس فى بساط ودكان
وناولنى المصباح فهو لغربتى * ميسر اعراضى ورائد سلوانى
وألحق به شمس المعارف اى * اسائل عن اسناده كل انسان
وقد كنت قبل اليوم عرفتنى به * ولكننى انسيته بعد عرفان

ومازلت ارعى العهد فيمن يضيعه * وأذكر الفى ماحييت ويسانى
فلا تنكرا ماسامنى مضض الهوى * من قبل ماأودى بقيس وغيلان
لى الله امّا ومض البرق فى الدجى * اقلب تحت الليل أجفان وسنان
وان سلّ من غمد الغمام حسامه * برى كبدى الشوق الملمّ وأصمانى
تراءى بأعلام الثنية باسما * فأذكرنى العهد القديم وأبكانى
اسامر نجم الافق حتى كأننا * وقد سدل الليل الرواق حليفان
ومما شجى الافق اعديه بالجوى * فأرعى له سرح النجوم ويرعانى
ويرسل صوب القطر من فيض ادمعى * ويقدح زند البرق من نار أشجانى
وضاعف وجدى رسم دار عهدتها * مطالع شهب او مراتع غزلان
على حين شرب الوصل غير مصرّد * وصفو الليالى لم يكدر بهجران
لئن انكرت عينى الطلول فانها * تمت الى قلبى بذكر وعرفان
ولم ار مثل الدمع فى عرصاتها * سقى تربها حين استهلّ وأظمانى
ومما شجانى أن سرى الركب موهنا * تقاد به هوج الرياح بارسان
غوارب فى بحر السراب تخالها * وقد سبحت فيه مواخر غربان
على كل نضو مثله وكأنما * رمى منهما صدر المفارة سهمان
ومن زاجر كوماء مخطفة الحشا * توسدمنها فوق عوجاء مرنان
نشاوى غرام يستميل رؤسهم * من النوم والشوق المبرح سكران
أجابوا نداء البين طوع عزامهم * وقد تابع الاوطار فرقة أوطان
يؤمّون من قبر الشفيع مثابة * تطلع منها جنة ذات أفنان
اذا نزلوا من طيبة بجواره * فاكرم مولى ضم أكرم ضيفان
بحيث علا الايمان وامتدّ ظله * وزان حلى التوحيد تعطيل اوثان
مطالع آيات مثابة رحمة * معاهد أملاك مظاهر ايمان
هنالك تصفو للقبول موارد * يسقون منها فضل عفو وغفران
هنالك تؤدّى للسلام امانة * يحييهم عنها بروح وريحان
يناجون عن قرب شفيعهم الذى * يؤمله القاصى من الخلق والدانى
لئن بلغوا دونى وخلفت انه * قضاء جرى من مالك الارض ديان
وكم عزمة مليت نفسى صدقها * وقد عرفت منى مواعد ليان
الى الله نشكو هاهوسا أبية * تحيد عن الساقى وتغترّ بالفانى
ألا ليت شعرى هل تساعدنى المنى * فاترك أهلى فى رضاه وجيرانى
وأقضى لبانات الفؤاد بأن أرى * اعفر خدّى فى ثراه وأجفانى
اليك رسول الله دعوة نازح * حفوق الحشا رهن المطامع هيمان
غريب بأقصى الغرب قيد خطوه * شباب تقضى فى مراح وخسران
يجدّ اشتياقا للعقيق وبانه * ويصبو اليها ما استجدّ الجديدان

ومارات ارى العيون بلاد وأهلها * مبلغ أوطار ممهد أوطان
فلا تنكر اماسرار ترجمة يأتى بها فى هذا التأليف ان شاء الله تعالى فى محلها وهو من لى الله الدين ومن عداد خدامه خبى نيابة الزمان * وتعوض الخوف بعد الامان * احد الساعين فى قتله كما سنذكره * وصرح بذمه وهجوه بعد أن كان ممن يشكره * وهكذا عادة بنى الدنيا يدورون معها حيث دارت * ويسيرون حيث سارت ويشربون من الكأس التى ادارت * وقد تولى المذكور الوزارة عوضا عن ابن الخطيب * وصدح طير عزه بعده على فنن من الاقبال رطيب * ثم آل الامر به الى القتل كما سعى فى قتل لسان الدين * وكان الجزاء له من جنس عمله والمرء يدان بما كان به يدين * وعفو الله سبحانه مرجو للجميع فى الآخره * وهو سبحانه وتعالى المسؤل أن ينيلنا واياهم المراتب الفاخره * فانه لا يتعاظمه ذنب * وليس للكل غيره من رب * (رجع الى ما كنا بسبيله) * وأما الوشة التى ينسب اليها لسان الدين فقد تقدم من كلام ابن خلدون أنها على مرحلة من حضرة غرناطة فى الشمال من البسيط الذى فى ساحتها المسمى بالمرج وقد أجرى ذكرها لسان الدين فى الاحاطة وقال انها بنت الحضرة يعنى غرناطة وقال ذلك فى ترجمة ابن مرج الكحل ولنذكر الترجمة بكمالها تتميما للغرض فنقول قال رحمه الله مانصه محمد بن ادريس بن على ابن ابراهيم بن القاسم من اهل جزيرة شقر يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن مرج الكحل كان شاعرا مفلقا غزلا بارع التوليد رقيق الغزل وقال الاستاذ أبو جعفر شاعر مطبوع حسن الكتابة ذاكر للادب متصرف فيه قال ابن عبد الملك وكانت بينه وبين طائفة من ادباء عصره مخاطبات ظهرت فيها اجادته وكان مبتذل اللباس على هيئة اهل البادية ويقال انه كان اميا *(من احذ عنه)* روى عنه ابو جعفر بن عثمان الوراد وابو الربيع بن سالم وأبو عبد الله بن الابار وابن عسكر وابن أبى البقاء وأبو محمد بن عبد الرحمن بن برطله وأبو الحسن الرعينى *(شعره ودخوله غرناطة)* قال فى عشية بنهر الغنداق من خارج بلدنا الوشة بنت الحضرة والمحسوب من دخلها أنه دخل البيرة وقد قيل ان نهر الغنداق من احواز برجة وهذا الخلاف داع لذكره

عرج بمنعرج الكثيب الاعفر * بين الفرات وبين شط الكوثر
ولتغتبقها قهوة ذهبيـــة * من راحتى احوى المراشف احور
وعشية كم كنت أرقب وقتها * سمحت بها الايام بعد تعذر
فلنا بهذا مالنا فى روضة * تهدى لناشقها شميم العنبر
والدهر من ندم يسفه رأيه * فيما مضى فيه بغير تكدر
والورق تشدو والاراكة تنثنى * والشمس ترفل فى قميص اصفر
والروض بين مفضض ومذهب * والزهر بين مدرهم ومدنر
والنهر مرقوم الاباطح والربا * بمصندل من زهره ومعصفر
وكأنه وكأن خضرة شطه * سيف يسل على بساط أخضر
وكأنما ذاك الحباب فرنده * مهما طفا فى صفحة كالجوهر

اباعمرو متى تقضى الليالى * بلقيا كم وهن قصص ريشى
ايت نفسى هوى الاشبيليا * وبابعد الجزيرة من شريش

وله من قصيدة

طفل المساء وللنسيم تضوع * والانس يجمع شملنا ويجمع
والزهر يضحك من بكاء غمامة * ريعت لشيم سيوف برق تلمع
والنهر من طرب يصفق موجه * والغصن يرقص والحمامة تسجع
فانعم أباعمران واله بروضة * حسن المصيف بها وطاب المربع
ياشادن البان الذى دون النقا * حيث التقى وادى الحمى والاجرع
الشمس يغرب نورها ولربما * كسفت ونورك كل حين يسطع
ان غاب نور الشمس لسماتقى * بسنائك ليل تفرق يتطلع
اولت فمات سنائك عن اشراقها * وجلا من الظلماء ماتيوقع
فأسفت ياموسى الغروب ولم اقل * فوددت ياموسى لوانك يوشع

وقال

ألا بشروا بالصبح منى باكيا * اضربه الليل الطويل مع البكا
فنى الصبح للصب المتيم راحة * اذا الليل أجرى دمعه واذا شكا
ولا عجب أن يمسك الصبح عبرتى * فلم يزل الكافور للدم ممسكا

ومن بديع مقطوعاته قوله

مثل الرزق الذى تطلبه * مثل الطل الذى يمشى معك
انت لاتدركه متبعا * واذا وليت عنه تبعك

وقال

دخلتم فأفسدتم قلوبا بملكها * وأنتم على ماجاء فى سورة النمل
وبالجود والاحسان لم تتخلقوا * فأنتم على ماجاء فى سورة النحل

وقال أبو بكر محمد بن محمد بن جهور رأيت لابن مرج الكحل مرجا جرى قد أجهد نفسه فى خدمته فلم ينجب فقلت

يامرج كحل ومن هذى المروج له * ماكان احوج هذا المرج للكحل
ماجرة الارض من طيب ومن كرم * فلا تكن طمعا فى رزقها العجل
فان من شانها اخلاف آملها * فما تفارقها كيفية الخجل

فقال مجيبا

يافائلا اذرأى مرجى وجرته * ماكان احوج هذا المرج للكحل
هو اجرارد ماء الروم سيلها * بالبيض من مرمى آباءى الاول
أحسبته أن حكى من قد فتنت به * فى حمرة الخد او اخلافه املى

(وفاته) توفى ببلده يوم الاثنين للملتين خلتا من شهر ربيع الاول عام أربعة وثلاثين وستمائة ودفن فى اليوم بعده انتهى ما فى الاحاطة فى شأن ابن مرج الكحل * وكتب

أولها

مامثل موضعك ابن رزق موضع * زهر يرف وجدول يتدفع

ومنها

وعشية لبست ثياب شحوبها * والجو بالغيم الرقيق مقنع
بلغت بنا امد السرور تألفا * والليل نحو فراقنا يتطلع
فابلل بها ريق الغبوق فقد أتى * من دون قرص الشمس ما يتوقع
سقطت ولم يملك نديمك ردها * فوددت ياموسى لو أنك يوشع انتهى

(قلت) ومن نثر ابن مرج الكحل المذكور ما كتبه الى أديب الاندلس أبي بحر صفوان ابن ادريس مراجعا له بعد نظم ونص الجميع

يامن تبوأ فى العلياء منزلة * بجدها قد أسساها أى تأسيس
لم يترك الى العلا خطا الملتمس * سيان هذا وهذا الثاني ابن ادريس
وافى كتابكم فارتد لى جذلى * واعتضت من فرط أشواقى بتأنيس
وللنوى لوعة تطفو ويطفئها * مسك المداد وكافور القراطيس

حرس الله سناءك وسناءك * وأطهر عنانك عنانك * وذى الاسلم كما تعلم * وعهدى الاقدم لم تزل له قدم * وأنا دام عزكم ان أتفق معكم انتسابا لم أتفق فى شأو الادب باعا * ولا قاربتكم طباعا وانطباعا * بل بذلك الاتفاق تشرفت * وسموت الى ذروة العلا واشتشرفت * واقررت بذلك الفضل واعترفت * وكرعت فى مناهله واغترفت * واقد وافى كتابكم فقات وقد نثر الدر فيه من فيه * وبلغ نفسى ما كانت تنويه من التنويه

حديث لو أن الميت نودى ببعضه * لاصبح حيا بعد ما ضمه القبر

ولولا ما طالعنى وجه من رضاكم وسيم * وسقانى من اهتبالكم ما أروى به وأسيم * وحيانى منكم روض ونسيم * لما ساعدنى الفكر بقسيم * لازلتم فى ظل من العيش وارف * مرتدين رداء المعارف * والسلام انتهى

وكانت مخاطبة صفوان له التى اجاب عنها ما نصه

ياقاطع البيد يطويها وينشرها * الى الجزيرة ينضى بدن العيس
الثم بها عن أخى حب وذى كلف * يد العلا والقوافى وابن ادريس

وأبلغها اليه تحية كالمسك صدرا وورودا * وكالماء الزلال عذوبة وبردا * يسرى بها الى دار ابن نسيم * ويسفر منها بجزيرة شقر وجه وسيم * وهى وان كانت تذيب المسك خجلا * وتستقر بصوتها وجلا * فما هى الاخائفة تترقب * وسافرة تكاد تتنقب * تمشى على استحياء * وتعثر من التقصير فى ذيل اعياء * هذا لانها بلغت الى هجر تمرا * والى شبام وبيت رأس خمرا * ولكن على المجد أن يبدى فى قبول عذرها ويعيد * لعلمه أنه يتيم من لم يجد الا الصعيد * فله الفضل أن لا يلمحها بناظر النقد * ولا يعرضها على ماهنالك من الحل والعقد * والله يبقى ذكره فى مقلة الادب نورا * وفى قلب الحسود ثبورا * وبديهه والقوافى طوع قريحته * والاغراض الجليلة ملء تعريضه وتصريحته * وزهر البيان

طالع في سما جنابه * وزهر البيان يونع في ابدا جنابه وعذر الله فاني حكيت
والخامل عند زمانه * ويلتمس في الندا امامه * والسلام انتهى
ومن انشا صفوان خطبة نكاح نصها الحمد لله الذي تطول بالاحسان من غير جزا
ولا ثواب * والبس المخلوقات من فواضله سوابغ المطارف وكواسي الاثواب * وشا ان تبقى
ادوام الرجا الى مجال يواذ فوحد وجامعه لهم الاتواب * وتالو كمانه [illegible] فكان
النقل بدل الدول والاسعاف بدل الجواب * جلى البريه من غير افتقار ولا اضطرار *
ونقلهم من الطفولة الى عز اهل البدر من التمام الى السرار * وشرف هذه الطبقة
الانسانيه * فزينها الادراكات العقليه * والافاضات النفسانيه * فشرف سرادق اعتنائه
عليها * وانشاها من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها * ودفع صنعه
الزوجين منهم اللطف * وشرفه الخاف بارشادهم المطلف * ورزقهم احسن الصور الحوا سه
واخلاقها * واباح لهم انعام اقسام الاغتنا واكملها * وبعث اليهم الرسل صلوات الله
عليهم صفاتهم لا * وربا للصنعه لديهم وتكملا * فبشروا وانذروا * وامروا
وحذروا * وبينوا الحرام والحلال * صيانة لدر النصر من الكدر والزلال *
ودلوا على النهج الاهدى * ونصبوا اعلام التوفيق والهدى * ولم يدعوا شيئا
سدى * بل بوا بهم مصادر الاقوال والاعمال * وكانت انوارهم عال الهداية
رأى عال * فاتت كل سعى الى الارشاط * وسد كل موفق على الاعلاق عالهم
بدالاعتباط * فصلوات الله الزاكية عليهم * ونوافح رحمته النامية تغدو وتروح اليهم *
واتم الصلاة والسلام * على علم اولئك الاعلام * الداعي على بصيرة الى دار السلام *
السراج المنير * البشير النذير * محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه * صلاة توصلهم
الى فسيح رضوانه ورحمته * بعثه الله رحمة للعالمين عامة * وارسله نعمة للناس موفورة
تامة * فاحدث مصدقته عن الهاب في مداحض الاقدام * والتابع في مزلات
الخوا على العصيان والاقدام * فاقام الحجة * واوضح المحجة * ودل على المقامات الى
تعص الاوليا * وافصح عن الكرامات الى سيد الانبيا * وقال واملائه من قال
تناكحوا فاني مكاثر بكم الانبيا * فرضاه صلوات الله عليه على الزياد في اهل الاسلام
والنما * ودفعا في صدر الباطل بواضح الحق الصادع عن الطلبا * وحض على ذات
الدين المصان * واغرى بالاعتصام والاحصان * ونصب اعلام النكاح مشيدة المباني *
وما ناسبه عذبة الجنى * وقال من تزوج فقد كمل نصف دينه فليتق الله في النصف
الثاني * وامر بالنكاح الذي نوافقه الطبيعة والشريعة * واثنبه المهور ومن
شريعه * واحصن به ربو التناسل ذي فروعه مريعه * وصد به عن اتباع الهوى
وارتكاب المحارم الذريعه * وحفظ به الانسال والانساب * وفاض به نهر الالتئام
السلسال المنساب * اذ لا نسل لا من سعى بذاته * من كان اسيرها وهوا و ولذاته *
واعطا الافراد والاستغنا * الا لله الكمال والغنى * ولا غرو ان تعالت عليه الآبا
لا اله الا هو له الثنا والسنا * وان ولد بالملا رشد همه الى اتباع الصالحات ومن *

ووسمه

وو سمته الحماية من أعلامها اللائحة عما وسمت * رأى أن الاعتصام بالنكاح اولى ما حمى به دينه ووقاه * وأهم ما دفع اليه اعتناءه ورقاه * خطب الى فلان ابنته فلانة خطبة تطاول بها اليمن والقبول * وهبت بها شمال من الحمد المصمم وقبول * وارتقى بها الى اللوح المحفوظ والديوان المكنون عمل مقبول * فتلقى فلان خطبته بالاجابه * لما توسم فيه من مخايل النجابه * حرصا منه على المساعدة والعون * واعتباطا بمعاشرة أهل الرشد والصون * وانعقد النكاح بينهما على بركة الله التي تضاعف بها العدد القليل ويتزيد * ونعمه الذي ينهض به من اعتمده ويتأيد * وحسن توفيقه الذي يرتبط به من أخلص تدبيره ويتقيد * على أن أصدقها كذا تزوجها بكلمة الله التي علت الكلمات وبهرتها * وعلى سنة نبيه التي احيت الحنيفية وأظهرتها * وأنقذ الله من أرجاس الجاهلية وطهرتها * وهداية مهديه التي علت الاباطيل وقهرتها * ولتكون عنده بأمانة الله التي هي جنة واعتصام * وعهدته للزوجات على أرواحهن التي ليس لعروتها انفصام * وعلى امساك بمعروف او تسريح باحسان * وتسلسل في ميدان التناصف وارسان * وله عليها من حسن العشرة التي هي بتحقيق الاتفاق عائده * مثل ذلك ودرجة زائده * والله تعالى يمهد لهما مهاد نعمته الوثير * ويخلف منهما الطيب الكثير * ويرزقهما التوفيق الباعث لطول المرافقة المثير * بمنه ونعمته انتهى

وله رحمه الله من رسالة عتاب ادام الله سبحانه مدة الاخ الذي أستديم اخاءه * وان واجهني زعازعه أرتقب رخاءه * وتجاوزت عن يوم لا مسه * وأغضيت عن ظلامه لشمسه * أبى واعتبا * وامدارا واعدارا * ورحم الله من اعتمد على الاوهام * وعصى اوامر الاوهام * ورأى الحليفة في المعقول * لا في المختلف المقول * وبعد فانه وصل كلامك بل ملامك * وكتابك بل عتابك * ورسالتك بل بسالتك * اسمعتني بألفاظك العذاب * سوء العذاب * وأريتني لمعان الحسام من فقرك الوسام * (وقال) صفوان رحمه الله اجتمعت مع ابن مرج الكحل يوما فاشتكى الى ما يجد لفراقي * وأطال عتب الزمان في اشآمه واعراقي * فقلت اذا تفرقنا والنفوس مجتمعه * فما يضر أن الجسوم للرحيل مزمعة * ثم قلت له

انت مع العين والفؤاد * دنوت أو كنت ذا ابعاد

فقال وهو من بارع الاجازة

وأنت في القلب في السويدا * وانت في العين في السواد انتهى

والحرى ذكر صفوان فلا حرج أن نترجمه فنقول

قال في الاحاطة ما ملخصه صفوان بن ادريس بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى بن ادريس التجيبي المرسي أبو بحر كان أديبا حسيبا ممتع الطرف ريان من الادب حافظا سريع البديهة ترف النشأة على تصاون وعفاف جميلا سريا ممن تساوى حظه في النظم والنثر على تباين الناس في ذلك روى عن أبيه وخاله ابن عم أبيه القاضي أبي القاسم بن ادريس وابي بكر بن مغاور وأبي رجال بن غلبون وابي العباس بن مضاء مع

وان لاح فيها البدر شبهت منه * بشط لجين ضم من ذهب عشرا
وفي جرى روض هناك تجافيا * نهر يود الافق لو زاره خرا
كأنهما خلا صفاء تعاتبا * وقد بكيا من رقة ذلك النهرا
وكم لي بأبيات الحديد عشية * من الانس ما فيه سوى أنه مرّا
عشيات كان الدهر غصا بحسنها * فأجلت بساط البرق افراسها شقرا
عليهن أجري خيل دمعي بوجنتي * اذا ركبت حمرا ميادينها الصفرا
اعهدي بالعرس المنيع دوحه * سقتك دموعي انها منة شكرا
فكم فيك من يوم أغر محجل * تقضت اما نيه فخلدتها ذكرا
على مذهب كالبحر من فرط حسنه * تود الثريا أن يكون لها نحرا
سقت أدمعي والقطر ايهما انبرى * نقا الرملة البيضاء فالنهر فالجسرا
واخوان صدق لو قضيت حقوقهم * لما فارقت عيني وجوههم الزهرا
ولو كنت اقضي حق نفسي ولم اكن * لما بت أستحلى فراقهم المرّا
وما اخترت هذا البعد الا ضرورة * وهل تستجير العين أن تفقد الشفرا
قضى الله أن تنأى بي الدار عنهم * اراد بذلك الله أن اعتب الدهرا
ووالله لو نلت المنى ما حمدتها * وما عادة المشعوف أن يحمد الهجرا
أيأنس باللذات قلبي ودونهم * مرام يجد الكرب في طيها نهرا
ويصحب هادي الليل راء وحرفه * وصادا ونونا قد تقدس واصفرّا
فديتهم بانوا وضنوا بكتبهم * فلا خبرا منهم لقيت ولا خبرا
ولولا علا همماتهم لعتبتهم * ولكن عراب الخيل لا تحمل الزجرا
ضربت غبارا البيد في مهرق السرى * بحيث جعلت الليل في ضربه حبرا
وحققت ذاك الضرب جمعا وعدة * وطرحا وتجميلا فأخرج لي صفرا
كأن زماني حاسب متعسف * يطارحني كسرا وما يحسن الجبرا
فكم عارف بي وهو يحسن رتبتي * فيمدحني سرا ويشتمني جهرا
لذلك ما اعطيت نفسي حقها * وقلت لسرب الشعر لا ترم الذكرا
فغارست فكري عذارى قصائدي * ومن خلق العذراء أن تألف الخدرا
ولست وان طاشت سهامي بآيس * فان مع العسر الذي يتقي يسرا

وقال يراجع أبا الربيع بن سالم عن ابيات مثلها

سقى مضرب الخيمات من علمي نجد * اجم غمامي ادمعي والحيا الرغد
وقد كان في دمعي كفاء وانما * يحمهما ما بالضلوع من الوقد
فان فترت نار الضلوع هنيهة * فسوف ترى تعبيره للحيا العد
وان ضن صوب المزن يوما فأدمعي * تنوب كما ناب الجميع عن الفرد
وان هطلا يوما بساحتها معا * فأرواهما ما صاب من منتهى الود
أرى زفرتي تذكي ودمعي ينهمي * نقيضين قاما بالصلاء وبالورد

وان لاح فيها البدر شيبي مدى خطئى * ولم أزل في تجربى ساهى
وفي جرفي روض نشيا ترجوا النجاة به * فقلت اعددت رحمة الله

وكتب الى الجماعة أبا القاسم بن بقى برسالة منها لان محله دام عمره * وامتثل وكمل بأمره * أعلى رتبة وأكرم محلا * من أن يتحلى بخطة هى به تتحلى * كيف عشيانه سماع دعاوى الباطل * والمعاناة لانصاف المطول من الماطل * والتعب فى عليه بين ذوى المجادلة * أما أولو العلم المتشوفون الى خطة الاحكام * المستشرفون الى من التبسط والاحتكام * ما يجب لها من اللوازم * والشروط الجوازم * كبسط الكف * ورفع الجنف * والمساواة بين العدو وذى الذنب * والصاحب بالجنب * وتقديم ابن السبيل * على ذى الرحم والقبيل * وايثار الغريب * على القريب * والتوسع فى الاخلاق * حتى لمن ليس له من خلاق * الى غير ذلك مما علم قاضى الجماعة احصاه * واستعمل خلقه الفاضل ادناه وأقصاه * بجعلوا اخوانهم * ما مولهم * وأضربوا عن ظهورهم * فنبذوه وراء ظهورهم * اللهم الامن اوتى بسطة فى العلم * ورسا طودا فى ساحة الحلم * وتساوى ميزانه فى الحرب والسلم * وكان كمولانا فى المماثلة بين اجناس الناس فقصاراه أن يتقلد الاحكام للاجر * لا للتعنيف والزجر * ويتولاها للثواب * لا للعاطفة فى رد الجواب * ويأخذها لحسن الجزاء * لا لقبح الاستهزاء * ويلتزمها لجزيل الذخر * لا للازدراء والسخر * فاذا كان كذلك * وسلك المتولى هذه المسالك * وكان مثل قاضى الجماعة ولا مثل له * ونفع الحق به علله ونقع علله * فيومئذ تهنى به خطة القضاء * وتعرف ماقه تعالى عليها من اليد البيضاء * انتهت

(ورحل) الى مراكش فى جهاز بنت بلغت التزويج وقصد دار الخلافة مادحا فما تيسر له شئ من امله ففكر فى خيبة قصده وقال لو كنت املت الله سبحانه ومدحت نبيه صلى الله عليه وسلم وآل بيته الطاهرين لبلغت املى * بمحمود عملى * ثم استغفر الله تعالى من اعتماده فى توجهه الاول * وعلم أن ليس على غير الثانى معول * فلم يك الا أن صوب نحو هذا المقصد سهمه * وأمضى فيه عزمه * واذا به قد وجه عنه فأدخل على الخليفة فسأله عن مقصده فأخبره بصحابه فأنفذه وزاده عليه وأخبره أن ذلك لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم يأمر بقضاء حاجته فاتصل مو فى الاغراض واستمر فى مدح اهل البيت عليهم السلام حتى اشتهر بذلك * وتوفى سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وسنه دون الاربعين وصلى عليه أبوه فانه كان بمكان من الفضل والدين رحم الله تعالى الجميع انتهى كلام ابن الخطيب فى حق المذكور ملخصا * ولا بأس أن نزيد عليه ما حضر فنقول قال ابن سعيد وغيره ولد صفوان سنة ستين وخمسمائة او فى التى بعدها قال وديوان شعره مشهور بالمغرب انتهى ومن نظمه قوله

اومض ببرق الاضلع * واسكب غمام الادمع
واحزن طويلا واجزع * فهو مكان الجزع
وانثر دماء المقلتين * تألما على الحسين

قالوا وقد طال ملت شجيرا نصراء تفسح بانع الزهر
اعددت مالم تذوها يده * من طول ما سكنت على الصدر
(وكتب) يهنئ قاضي الوزير الكاتب أبا محمد بن حامد يوما فاتفق أن قال لأمر تذكره نهيه الشرعي وأم الكئيب ومنبت السدر * ديم غدا مثواه في صدري
يوما بالقعود له المعادلة
لو شاحبه قلم بلا ألم * ولقرطه خفق بلا ذعر
مالها لو كنت قد أنصفت مقلته * برأت هاروتا من السحر
او كنت أقصى حق مرشفه * اعرضت لا ورعا عن الخمر
وناولته يوما وردة مغلقة فقال
ومحمرة تختال في ثوب سندس * كوجنة محبوب اطل عذاره
فقلت اجيزه
كتطريف كف قد أحاطت بنانها * بقلب محب ليس يخبو أواره
وقال رآني الوزير أبو اسحق وأنا أقيد أشعارا من ظهر دفتر فقال
ماذا الذي يكتب الوزير فقلت بدائع مالها نظير
فقال در ولكنه نظيم * من خير أسلاكه السطور
فقلت من اطهر الكتب أقتنيها * وحلي ما تحتوي البحور
تلك زهو الصور لكن * هذه تزدهي الصدور
ولكن الانصاف واجب هو قال المعنى الاخير شرا وأنا سكنته نظما وقال جلسنا بعض العشايا بالولجة خارج مرسية والنسيم يهب على النهر فقال أبو محمد بن حامد
هب النسيم وماء النهر يطرد فقلت على جهة المداعبة لا الاجازة
ونار شوقي في الاحشاء تتقد
فقال أبو محمد ما الذي يجمع بين هذا العجز وذا الصدر فقلت أنا اجمع بينهما ثم قلت
فصاغ من مائه درعا مفضضة * وزاد قلبي وقد الذي يجد
واعاشب احشاءي لحاجته * اذ ليس دون لهيب يصنع الزرد
وخطرنا بغصنة على ثمرة تهزها الريح فقال أبو محمد
وسرحة كاللواء تهفو * يعطفها همة الرياح
فقلت كأن اعطافها سقتها * كف الندامى كؤس راح
فقال اذا انتضاها النسيم هزت * أعطافها هزة السماح
فقلت كأن أغصانها كرام * تقابل الضيف بارتياح
ولصفوان رحمه الله
تحية الله وطيب السلام * على رسول الله خير الانام
على الذي فتح باب الهدى * وقال للناس ادخلوا بالسلام
بدر الهدى غيم الندى والسدى * وما عسى أن يتناهى الكلام

عف ولده حظوتي وأعلى مجلسي وقصر المشورة على نصحي الى أن كانت عليه الكائنة ... أخوه المتغلب على الامر به فسجل الاختصاص وعقد القلادة ثم حمله أهل الشحناء من أعوان ثورته على القبض علي فكان ذلك وقبض علي ونكث ما برم من اماني واعتقلت بحال ترفيه وبعد أن كبست المنازل والدور واستكثر من الحرس وختم على الاغلاق وارد الى ماناء واستوصلت نعمة لم تكن بالاندلس من ذوات النظائر ولاربات الامثال في تبحر الغلة وفراهة الحيوان وغبطة العقار ونظافة الآلات ورفعة الثياب واستجادة العدة ووفور الكتب الى الآنية والفرش والماعون والزجاج والطيب والذخيرة والمضارب والابنية واكتسحت السائمة وثيران الحرث وظهر الحولة وقوام الفلاحة والخيل فأحدد ذلك البيع وشاهبتها الاسواق وصاحبها البخس وررأتها الحونة وشمل الخاصة والاقارب الطلب واستخلصت القرى وأعملت الحيل وطوقت الدنوب أمد الله تعالى بالعون وأنزل السكينة وانصرف اللسان الى ذكر الله تعالى وتعلقت الآمال به وطرقت نكبة مصحفية مطلوبها الذات وسببها المال حسبما قلت عند اقالة العثرة والخلاص من الهوة

تخلصت منها نكبة مصحفية * لعقداني المنصور من آل عامر

ووصلت الشفاعة في مكتتبة بخط ملك المغرب وجعل خلاصي شرطا في العقدة ومسالمة الدولة فانتقلت صحبة سلطاني المكفور الحق الى المغرب وبالغ ملكه في برّي منزلا رحبا وعيشا خفضا واقطاعا جما وجراية ماوراءها مرمى وجعلني بمجلسه صدرا ثم اسعف قصدي في تبوؤ الخلوة بمدينة سلا منوه الصكوك مهنأ القرار متفقدا بالالهاء والخلع محوّل العقار موفور الحاشية مخلي بيني وبين اصلاح معادي الى أن ردّ الله تعالى على السلطان أمير المسلمين أبي عبد الله ابن أمير المسلمين أبي الحجاج ملكه وصير اليه حقه فطالبني بوعد ضربته وعمل في القدوم عليه بولده احكمته ولم يوسعني عذرا ولا فسح في الترك مجالا فقدمت عليه بولده وقد ساءه بامساكه رهينة ضده ونغص مسرة الفتح بعده على حال من التقشف والزهد فيما بيده وعزف عن الطمع في ملكه وزهد في رفده حسبما قلت من بعض المقطوعات

قالوا الخدمته دعاك محمد * فأبيتها وزهدت في التسويه

فأجبتهم انا والمهيمن كاره * في خدمة المولى محب فيه

عاهدت الله تعالى على ذلك وشرحت صدري للوفاء به وجنحت الى الانصال لبيت الله الحرام نشيدة املي ومرمى نيتي وعملي فعلقني بي وخرج لي عن الضرورة وأراني أن موازرته ابرّ القرب وراكنني الى عهد بخطه فسح لعامين امد الثواء واقتدى بشعيب صلوات الله عليه في طلب الزيادة على تلك النسمة وأشهد من حضر من العلية ثم رمى الي بعد ذلك عقال الرد رأيه وحكم عقلي في اختيارات عقله وغطى من جفاءي بحلمه وحماني وجوه شهواته تراب رجري ووقف القبول على وعظي وصرف هواي في التحول ثانيا وقصدي واعترف بقبول نصحي فاستعنت الله تعالى وعاملت وجهه فيه من غير تلبس بجراية ولا تشبث بولاية ... اعلى الكفاية حذرا من النقد خامل المركب معتمدا على المسأة مستمتعا بخلق

النقل وإصابة غير السنة من الوقت شيئاً من وأدهشه الغرور فأخرج الزخرف صادعاً بالهوى في أسواق الباطل كالقاعي السحال راس السباع ثم صرف الفكر إلى بناء الزاوية والمدرسة والتربة بكر الحسنات مهد الخطة بالحرير فيما سلف من المدة فأي عمة الله تعالى في صلاح السلطان وعفاف الخاصة والأمن وردوم الثغور وتثمير الجباية وإنصاف الجند والمقاتلة ومهادنة الملوك المجاورين في أسباب المصلحة الدينية والصدع بالحق في المجامع حتى أقر الله عين السلطان بتلافي ثم الدور واصلاح بواطن الخاصة والعامة بما الله تعالى المجازي عليه والمعوض بحمده من خلعه على أعطافه وحظر أقحمه من أجله لا للمزيد الأغمر ولا للعز الذي في الارتياش ولا للذة البدل للأكياد بهو والذي لا يضيع عمل من ذكر أو أنثى سبحانه وتعالى ومع ذلك فلم أعدم الاستهداف للشرور والاستعراض للمحذور والنظر الشزر المنبعث من حزر العيون شيمة من ابتلاه الله تعالى بسياسة الدهماء ورعاية حفظه أزراق السماء ومطاولة الأهواء وعند الأهواء من لا يجعل لله تعالى أراد بإزاء ولا شبه بشأنه ولا يقبل عذر ولا يحمل في الطالب ولا يلبس مع الله أدب * رباً لا أسقط عليه الدنيا ولا رحماً وأحال إلى هذا العهد وهو منصرف عام خمسة وستين وستمائة لي ما ذكره أدام الله حال السلامة ونصا العافية والتمتع بالسداد وزيد تحلو ما سباً وعمار * في إلى أن أشتى ولست على إدراك الصباح * ولله سبحانه فيما علم غيب حقائق أيام الله تطلب التقوى وختم لنا بالسعادة وجعلنا في الآخر من الفائزين * شغف عن شرا وعن غي لطيرته المهلك فصدى وبذل مكتني على عهدي أسوى وجد بلذته * وكان رحمه الله تعالى عارفاً بأحوال الملوك سريع الجواب حاضر الذهن حاد النادرة (ومن حكاياته في حضور الجواب ما حكاه عن نفسه) قال حضرت يوماً بين يدي السلطان أبي عنان في بعض وفاداتي عليه لعرض الرسالة وجرى ذكر بعض أعدائه فقلت ما اعتمد في اطراء ذلك العدو وما عرفته من فضله فأنكر علي بعض الحاضرين من لا يحط إلا في حبل السلطان فصرفت وجهي وقلت أيدكم الله تعمر عدو السلطان بيده ليس من السياسة في شيء بل غيره ذلك أحق وأولى فإن كان السلطان غالب عدو كان قد غلب غير حقير وهو الأولى بفخره وجلالة قدره وإن غلبه العدو لم يغلبه حقير فيكون أشد للعمر وآكد للفضيحة فوافق رحمه الله تعالى على ذلك واستحسنه وشكر عليه وخجل المعترض انتهى (وكان) رحمه الله تعالى مبتلى بداء الأرق لا ينام من الليل إلا النزر اليسير جداً وقد قال في كتابه الوصول لحفظ الصحة في الفصول العجب مني مع تأليفي لهذا الكتاب الذي لم يؤلف مثله في الطب وعلى ذلك لا أقدر على مداواة داء الأرق الذي بي أو كما قال ولذا يقال له ذو العمرين لأن الناس ينامون في الليل وهو ساهر فيه ومؤلفاته ما كان يصنف غالبها إلا بالليل وقد نعت بالمغرب بعض الرؤساء بقول لسان الدين ذو الوزارتين وذو العمرين وذو الميتين وذو القبرين انتهى وسيأتي ما يعلم منه معنى الأخيرين وقد عرف رحمه الله تعالى بالسلطان أبي الحجاج في الإحاطة فقال ما حاصله يوسف بن إسمعيل بن فرج بن إسمعيل بن يوسف بن نصر الأنصاري الخزرجي أمير المسلمين

بالاندلس أبو الحجاج تولى الملك بعد أخيه بوادي السقائين من ظاهر الحمراء ضحوة يوم الاربعاء ثالث عشر ذي الحجة عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة وسنه خمسة عشر عاما وثمانية اشهر واتمه ام ولد وكان له ثلاثة أولاد كبيرهم محمد أمير المسلمين من بعده وتلوه أخوه اسمعيل محجوره وثالثهم قيس شقيق اسمعيل وذكر لسان الدين أنه وزر له بعد شيخه ابن الجياب وتولى كتابة سره مضافة الى الوزارة في اخريات شوال عام تسعة وأربعين وسبعمائة انتهى وقد علم أنه وزر بعده لابنه محمد كما تقدم ويأتي وأما اسمعيل بن أبي الحجاج فهو الذي تغلب على الامر وانتهز الفرصة في ملك أخيه محمد كما تقدم وفيه وفي أخيه قيس حين قتلا يقول لسان الدين باسمعيل ثم أخيه قيس البيتين (وقد ذكرا أيضا) رحمه الله تعالى حكاية وفاة السلطان أبي الحجاج ما محصله أنه هجم عليه رجل من عداد الممرورين وهو في الركعة الاخيرة من صلاة عيد الفطر عام خمسة وخمسين وسبعمائة فطعنه بخنجر وقبض عليه واستفهم فتكلم بكلام مخلط واحتمل الى منزله على دور ولم يستقر به الا وقد قضى وأخرج قاتله الى الناس فقتل لحينه وأحرق بالنار ودفن عشية اليوم المذكور في مقبرة قصره ضجيع والده وولي امره ولده محمد ورثيته في غرض ناء عن الجزالة مختار ولده

العمر يوم والمنى أحلام * ماذا عسى أن يستمر مقام
واذا تحققنا لشئ بدأة * فله بما تقضي العقول تمام
والنفس تجمع في مدى آمالها * ركضا وتأبى ذلك الايام
من لم يصب في نفسه فمصابه * بحبيبه نفذت بذا الاحكام
بعد الشبيبة كبرة ووراءها * هرم ومن بعد الحياة حمام
ولحكمة ما اشرقت شهب الدجى * وتعاقب الاصباح والاظلام
دنياك يا هذا محلة نقلة * ومناخ ركب مالديه مقام
هذا أمير المسلمين ومن به * وجد السماح وأعدم الاعدام
سر الامانة والخلافة يوسف * غيث الملوك وليثها الضرغام
قصدته عادية الزمان فأقصدت * والعز سام والخميس لهام
فجعت به الدنيا وكدر شربها * وشكا العراق مصابه والشام
اسفا على الخلق الجميل كانما * بدر الدجنة قد جلاه تمام
اسفا على العمر الجديد كانه * زهر الحديقة زهره بسام
اسفا على الخلق الرضي كأنه * زهر الرياض همى عليه غمام
اسفا على الوجه الذي مهما بدا * طاشت لنور جماله الافهام
يا ناصر الثغر الغريب وأهله * والارض ترجف والسماء قتام
يا صاحب الصدقات في جنح الدجى * والناس في فرش النعيم نيام
يا حافظ الحرم الذي بظلاله * ستر الارامل واكتسى الايتام
مولاي هل لك للقصور زيارة * بعد انتزاح الدار اوالمام
مولاي هل لك للعبيد تذكر * حاشاك أن ينسى لديك ذمام

يا واحد الآحاد والعلم الذى * ضحكت لمرآه مصر الاعلام
واقاك امر الله حين مكا لك * فلك المهى والجود والاقدام
ورحلت عنا الركب خير رحلته * اين عليك الله والاسلام
نعم الطريق سلكت كان رفيقه * والزاد فيه تهجد وصيام
وكفت باسمى الخاص فحو * فاليوم ليل والصباح ظلام
ومضالك عند العظم كاس جهاد * فهناك الاجل الوحى هدام
وحمت عزك بالصلاح تحدثا * عمل تشكر ثم سعيه وحسام
مولاى كم هذا الرقاد الى متى * بين الصفائح والتراب تنام
أعد التحية واحسنها فربه * ان كان عقلك العدا كذم
تبكى عليك مصانع شيدتها * بحص كما تبكى الهديل حمام
تبكى عليك مساجد عمرتها * فالناس فيها مجد ومسام
تبكى عليك جحافل أمنتها * بالسلم وهى كانها انعام
عاملك وحى الله فيما رمته * منها فلم يبعد عليك مرام
لو كنت تفدى اوفارس الردى * فدتك نفوس من لديك كرام
لو كنت تمنع بالصوارم والقنا * ما كان ركبك بالعدات يرام
لكنه امر الاله وما لنا * الا الرضا بالحكم واستسلام
والله قد كتب الفنا على الورى * وبقاؤه حقت به الاقلام
نم فى جوار الله مسرورا بما * قدمت يوم تزلزل الاقدام
واعلم بان سليل ملكك قد غدا * فى مستقر علاك وهو امام
ستر تكشف عنه من خلفه * ظل ظليل فهو ليس يضام
كنت الحسام وصرت فى غمد الثرى * ولنصر ملكك سل منه حسام
خلفت امة أحمد لمحمد * فقضت بسعد الامة الاحكام
فهو الخليفة للورى فى عهده * رعى العهود وتوصل الارحام
ابقى رسوما كلها مخروطه * لم يتغير منها عليك نظام
العدل والشيم الكريمة والتقى * والدار والالطاف والخدام
حسبى بان اعنى بتربك لاثما * والقول والدمع السفوح سجام
يا مدنى النعمى ويا منوى الهدى * منى عليك تحية وسلام
إحسب من جرى عليك وفى الحشا * نار لها بين الضلوع ضرام
ولو آنى ادرب حقك لم يكن * لى بعد فقدك فى الوجود مقام
واذا المنى ادى الذى فى وسعه * وأبى تجهد ما عليه ملام

ال لسان الدين وكتب فى بعض معاهده

عيب فلا عين ولا خبر * ولا انتظار ولا مرتقب
يا يوسف أسف لبا يوسف * وكلنا فى الحزن يعقوب

انتهى ورحم الله تعالى الجميع عنه وقد قدمنا ما كتبه لسان الدين على لسان سلطانه الى السلطان ابى عنان فى شأن قتل السلطان ابى الحجاج فى الباب الثامن من القسم الاول (وقال لسان الدين فى كتابه اللمحة البدرية فى الدولة النصرية فى ذكر ما يتعلق بخلع سلطانه وقيام أخيه عليه فى خلال ذلك ما نصه كان السلطان ابو عبد الله محمد تصير الامر اليه قد ألزم أخاه اسمعيل قصرا من قصور أبيه بجوار داره من فها عليه نعمة وطائفة له وأسكن معه أمه وأخواته منها وقد استأثرت يوم وفاة والده بمال جم من خزائنه الكائنة فى بيتها دوجدت السبيل الى السعى لولدها فجعلت تواصل زيارة ابنتها التى عقد لها والدمع ابن عمه الرئيس ابى عبد الله ابن الرئيس ابى الوليد ابن الرئيس ابى عبد الله المبايع له بأندرش ابن الرئيس ابى سعيد جده الذى تجمعهم جرثومته وشمر الصهر المذكور عن ساعد عزمه وجده وهو على ما هو من الاقدام ومداخلة ذؤبان الرجال واستعان عن اسفته الدولة وهفت به الاطماع فتألف منهم زهاء مائة قصدوا جهة من جهات القلعة متسنمين شقى صعب المرتقى واتخذوا آلة تدولك ذروته لقعود بنية كانت به عن التمام وكبسوا حرسها بأعلاه بما اقتضى حماته فاستووا به ونزلوا الى القلعة سحر الليلة الثامنة والعشرين من شهر رمضان عام ستين وسبعمائة فاستظهروا بالمشاعل والصراخ وعالجوا دار الحاجب رضوان فغضوا أغلاقها ودخلوها فقتلوه بين اهله وولده وانتهبوا ما اشتملت عليه داره وأسرعت طائفة مع الرئيس فاستخرجت الامير المعتقل اسمعيل وأركبته وقرعت الطبول ونودى بدعوته وقد كان اخوه السلطان متحولا بولده الى سكنى الجنة المنسوبة للعريف لصق داره وهى المثل المضروب فى الظل الممدود والماء المسكوب والنسيم العليل يفصل بينها وبين معقل الملك السور المنيع والخندق المصنوع فاراعه الا النداء والعجيج وأصوات الطبول وهب الى الدخول الى القلعة فألفاها قد أخذت دونه شعابها كلها ونقابها وقدمته الحراب ورشقته السهام فرجع أدراجه وسدده الله تعالى فى محل الحيرة ودس له عرق الفحول من قومه فامتطى صهوة فرس كان من تطاعنده وصار لوجهه وأعيا المتبع وصبح مدينة وادى آش ولم يشعر حافظ قصبتها الا به وقد تولج عليها فالتمت به أهلها وأعطوه صفقتهم بالذب عنه فكان املك بها وتجهزت الحشود الى منازلته وقد بدأ أخوه المتغلب على ملكه عقد السلم مع طاغية قشتالة باحتياجه الى سلم المسلمين لجراء فتنة بينه وبين البرجلونيين من امته واغتبط به اهل المدينة فذبوا عنه ورضوا بهلاك نعمتهم دونه واستمرت الحال الى يوم عيد النحر من عام التاريخ ووصله رسول صاحب المغرب مستنزلا عنها ومستدعيا الى حضرته لما عجز عن امساكها وراسل ملك الروم فلم يجد عنده من معول فانصرف ثانى يوم عيد النحر المذكور وتبعه الجم الوافر من اهل المدينة خيلا ورجلا الى مربلة من ساحل اجازته وكان وصوله الى مدينة فاس مصحوبا من البر والكرامة بما لا مزيد عليه فى السادس من شهر محرم فاتح عام أحد وستين وسبعمائة وركب السلطان للقائه ونزل اليه عند ما سلم عليه وبالغ فى الحفاية به وكنت قد ألحقت به مفلتا من شرك النكبة التى استأصلت المال وأوهمت سوء الحال بشفاعة السلطان

فاصبح ثغر الثغر يبسم ضاحكا * وقد كان مما نابه ليس يفتر
وأمنت بالسلم البلاد وأهلها * فلا لطمة تعرى ولا روعة تعرو
وقد كان مولانا ابوك مصرّحا * بأنك فى ابنائه الولد البرّ
وكنت حقيقا بالخلافة بعده * على الفور لكن كل شئ له قدر
وأوحشت من دار الخلافة هالة * أقامت زمانا لا يلوح بها البدر
فرد عليك الله حقك اذ قضى * بأن تشمل النعمى وينسدل الستر
وقاد اليك الملك رفقا بخلقه * وقد عدموا ركن الامامة واضطروا
وزادك بالتمحيص عزا ورفعة * وأجرا ولولا السبك ما عرف التبر
وانت الذى تدعى اذا دهم الردى * وانت الذى ترجى اذا اخلف القطر
وانت اذا جار الزمان محكم * لك النقض والابرام والنهى والامر
وهذا ابن نصر قد أتى وجناحه * مهيض ومن علياك يلتمس الجبر
غريب يرجى منك ما انت اهله * فان كنت تبغى الفخر قد جاءك الفخر
ففز يا أمير المسلمين ببيعة * موثقة قد حل عروتها الغدر
ومثلك من يرعى الدخيل ومن دعا * بيا لمرين جاءه العز والنصر
وخذ يا امام الحق بالحق ثأره * ففى ضمن ما تأتى به العز والاجر
وأنت لها يا ناصر الحق فلتقم * بحق فما زيد يرجى ولا عمرو
فان قيل مال فالملك الدثر وافر * وان قيل جيش عندك العسكر المجر
يكف بك العادى ويحيا بك الهدى * ويبنى بك الاسلام ما هدم الكفر
اعده الى اوطانه عنك راضيا * وطوقه نعماك التى ما لها حصر
وعاجل قلوب الناس فيه بجبرها * فقد صدّهم عنه التغلب والقهر
وهم يرقبون الفعل منك وصفقة * تحاولها يمناك ما بعدها خسر
مرامك سهل لا يؤود لك كلفة * سوى عرض ما ان له فى العلا خطر
وما العمر الا زينة مستعارة * ترد ولكن الثناء هو العمر
ومن باع ما يفنى بباق مخلد * فقد أنجح المسعى وقد ربح التجر
ومن دون ما تبغيه يا ملك الهدى * جياد المذاكى والمحجلة الغر
وراد وشقر واضحات شياتها * فأجسامها تبر وأرجلها درّ
وشهب اذا ما ضمرت يوم غارة * مطهمة غارت بها الانجم الزهر
وأسد رجال من مرين مخيفة * عمائمها بيض وآسالها سمر
عليها من الماذى كل مفاضة * تدافع فى أعطافها اللجج الخضر
هم القوم ان هبوا الكشف ملمة * فلا الملتقى صعب ولا المرتقى وعر
اذا سئلوا أعطوا وان نوزعوا سطوا * وان واعدوا وفوا وان عاهدوا برّوا
وان مدحوا اهتزوا ارتياحا كأنهم * نشاوى تمشت فى معاطفهم خمر
وان سمعوا العوراء فروا بأنفس * حرام على هاماتها فى الوغى الفر

* ومعروف الدهر لا يؤمن أن يعود نكرا * وشر الوجود معاقب بخيره * والسعيد
من اتعظ بغيره * والحزم أفضل ما اليه يتسبب * وعقل التجربة بالمرانة يكتسب * وهو
أن يعتمد من نسب الينا بوشائج الاعراق * لا بمكارم الاخلاق * ومت الينا بالقرابة
البعيدة * لا بالصحبة السعيدة * ممن كفلناه يتيما * وصمادميا شنيما * وبوأناه
مبوأ كريما * بعد أن نشأ حرة وشادهما * وملعوبا لئيما * وتوهمنا من حوله بالولاية *
ونسخنا حكم نسخه بآية العناية * داخل أخاه لما ألزمناه الاقتصار على قصره *
ولم نجعل أداة تدل على حصره * وسامحناه في كثير من أمره * ولم نرتب بيده ولا عمره *
واغتررنا برماد علا على جمره * فاستدعى له من الصعاليك شيعة كل درب بفك
الاغلاق * وتسرب أنفاق النفاق * وخارق للاجماع والاصفاق * وخبير بمكان
الدراب ومذاهب السراق * وتسور بهم القلعة من ثلم شرع في سده بعد هده * ولم تكمل
الاقدار المسيرة في ليلة آثرنا مبيتنا ببعض البساتين خارج قصورنا * واستبنا من
يطلع بأمورنا * فاستتمت الحيلة التي شرعها * واقتحم القلعة وافترعها * وجدل
حرس الدوبة وصرعها * وكبس محل النائب عنا وجدله * ولم يشب أن جدله *
واستخرج الاخ البائس فنصبه * وشد به تاج الولاية وعصبه * وانتزأمرنا وغصبه *
وتوهم الناس أن الحادثة على ذاتنا قد تمت * والدائرة بنا قد ألمت والقد همت * فخذل
الناصر * وانقطعت الاواصر * وأقدم المتقاصر * واقتحمت الاسماء والمقاصر * وتفرقت
الاجزاء وتحللت العناصر * وفقد من عين الاعيان النور الباصر * فأعطوه طاعة معروفة *
وأصبحت الوجوه اليه مصروفة * وركضنا وسرعان الخيل تقفو اثرنا محاشيا والظلام
يخفيها * وتكفي علينا السماء والله يكفيها * الى أن خلصنا الى مدينة وادي آش خلوص
التسمر من السرار * لا نملك الا نفسا مسلمة لحكم الاقدار * ملقية لله مقادة الاختيار *
مساوية بموجب الاستقرار * وناصحنا اهل تلك المدينة فعملوا على الحصار * واستبصروا
في الدفاع عنا أتم الاستبصار * ورضوا ببيوتهم المصحرة * وبساتينهم المستبحرة * بفساد
الحديد وعيث النار * ولم يرضوا لجوارهم بالاخفار * ولا لنفوسهم بالعار * الى أن كان
الخروج عن الوطن بعد خطوب تسح فيها الاقلام سجلا طويلا * وتوسعها الشجون شرحا
وتأويلا * وتلقى القصص منها على الآذان قولا ثقيلا * وجزنا البحر وضلوع موجه اشفاقا
علينا تخفق * وأكف رياحه حسرة تصفق * ووردنا من جناب سلطان بني مرين على المثوى
الذي رحب ذرعه * ودل على كرم الاصول فرعه * والكريم الذي وهب وأجزل *
ونزل لنا عن الصهوة وترجل * وخير وحكم * ورد على الدهر الذي تهكم * واستعبر وتبسم *
ووالى وأقسم * وبسمل وقدم * واستركب لنا واستخدم * وأمد الملوك وراءنا سيئات
ما كسبوا * وحققوا ما حسبوا * وطفا الغثاء ورسبوا * ولم ينشب الشقي الجري
أن قتل البائس الذي موه به * وطوقه بسيفه * ودل ركب الحاقة على خيفه * اذا من
المصعوق من كيده * وجعل ضرغامه بازيا لصيده * واستقل على اريكته * استقلال
الظليم على تريكته * جاسر الهامة * مستخفا بالشجاعة والشهامة * مستظهرا بأولى

على الغائب * وبلادكم ينبوع الخير وأهله * ورواق الاسلام الذى يأوى قريبه وبعيده الى ظله * ومطلع نور الرسالة * وأفق الرحمة المنثالة * منه تقدم علينا الكواكب تضرب آباط افلاكها * وتخال مداريها المذهبة غدائر أحلاكها * وتستعلى الدور * ثم يدعوها الى المغرب الحدور * وتطلع الشمس متجردة من كمائم ليالها * متهادية فى دركات ميلها * ثم تسحب الى الغروب فضل ذيلها * ومن تلقائكم ورد العلم والعمل * وأرجى الامل * فنحن نستوهب من مظان الاجابة لديكم دعاء يقوم لنا مقام المدد * ويعدل منه الشئ بالمال والعدد * فى دعاء المؤمن بظهر الغيب مافيه مما ورد * واياه سبحانه نسأل أن يدفع عنا وعنكم دواعى الدنى * وعوائل المحن * ويحملنا على سنن السنن * ويلبسنا من تقواه اوقى الجنن * وهو سبحانه يصل لابوتكم ما تستقل لدى قاضى القضاة رسومه * وتكتب حقوقه وتكبت خصومه * ولا تكفه الايام ولا تسومه * بفضل الله وعزته * وكرمه ومنته * والسلام الكريم الطيب المبارك بدءا بعد عود * وجودا اثر جود * ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى * وللسان الدين بن الخطيب رحمه الله عن سلطانه المذكور كتاب آخر فى هذه المكاتبة الى كبير الموحدين أبى محمد عبد الله بن تفراجين ولعلنا نذكره ان شاء الله تعالى فى الباب الخامس من هذا القسم عند تعرضنا لبعض نثر لسان الدين رحمه الله تعالى * وقد ساق هذه القضية قاضى القضاة الشهير الكبير ولى الدين عبد الرحمن بن خلدون الحضرمى رحمه الله تعالى فى تاريخه الكبير فى ترجمة السلطان الشهير أبى سالم ابن السلطان أبى الحسن المرينى صاحب المغرب ما نصه * الخبر عن خلع ابن الاحمر صاحب غرناطة ومقتل رضوان ومقدمه على السلطان لما هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين وسبعمائة ونصب ابنه محمد للامر واستبد عليه رضوان مولى أبيه وكان قد رشح ابنه الاصغر اسمعيل بما ألقى عليه وعلى امه من محبته فلما عدلوا بالامر عنه حجبوه ببعض قصورهم وكان له صهر من ابن عمه محمد بن اسمعيل ابن ابن الرئيس أبى سعيد فكان يدعوه سرا الى القيام بأمره حتى امكنته فرصة فى الدولة بخروج السلطان الى بعض منترهاته برياضه فصعد سور الحمراء ليلة سبع وعشرين لرمضان من سنة ستين فى أوشاب جمعهم من الطعام لثورته وعمد الى دار الحاجب رضوان فاقتحم عليه الدار وقتله بين حرمه وبناته وقربوا الى اسمعيل فرسه وركب فأدخلوه القصر وأعلنوا ببيعته وقرعوا طبولهم بسور الحمراء وفر السلطان من مكانه بمنترهه فلحق بوادى آش وغدا الخاصة والعامة على اسمعيل فبايعوه واستبد عليه هذا الرئيس ابن عمه فخلعه لاشهر من بيعته واستقل بسلطان الاندلس ولما لحق السلطان أبو عبد الله محمد بوادى آش بعد مقتل حاجبه رضوان واتصل الخبر بالمولى السلطان أبى سالم امتعض لهلاك رضوان وخلع السلطان رعيا لما سلف له فى جوارهم وارعى لجنسه أبا القاسم الشريف من اهل مجلسه لاستقدامه فوصل الى الاندلس وعقد مع أهل الدولة على اجازة المخلوع من وادى آش الى المغرب وأطلق من اعتقالهم الوزير الكاتب أبا عبد الله بن الخطيب كانوا اعتقلوه لاول امرهم لما كان رديفا للحاجب رضوان وركنا لدولة المخلوع وأوصى المولى أبو سالم اليهم باطلاقه فأطلقوه ولحق مع الرسول أبى القاسم

الشرف بسلطانه المخلوع بوادي آش الاخبار الى المغرب واجاز لذي القعدة من سنته
وقدم على السلطان بفاس واحتفل بقدومه وركب للقائه ودخل به الى مجلس ملكه وقد
احتفل زينة وغص بالمشيخة والعلية ووقف وزيره ابن الخطيب فانشد السلطان قصيدته
الرائية يستصرخه لسلطانه ويستحثه لمظاهرته على امره واستعطف واسترحم بما ابكى
الناس شفقة له ورحمة ثم سرد ابن خلدون القصيدة وقد قدمت (ثم قال بعدما صورته) ثم
انفض المجلس وانصرف ابن الاحمر الى نزله وقد فرشت له القصور وقربت الجياد بالمراكب
الذهبية وبعث اليه بالكسا الفاخر ورتبت الجرايات له ولمواليه من المعلوجي وبطانته من
الصنائع وحفظ عليه رسم سلطانه في الراكب والراجل ولم يفقد من ألقاب ملكه الا الآلة
ادبا مع السلطان واستقر في جملته الى ان كان من لحاقه بالاندلس وارتجاعه لكرسيه بثلاث
وستين ما نحن نذكر انتهى المقصود منه من كلام ابن خلدون في هذه الواقعة وفيه بعض
مخالفة لكلام لسان الدين السابق في اللمحة البدرية اذ قال فيها ان الثورة عليهم كانت ليلة
ثمان وعشرين من رمضان وابن خلدون جعلها ليلة سبع وعشرين منه والخطب سهل
وقال في اللمحة ان انصراف السلطان من وادي آش كان ثاني يوم النحر وقال ابن خلدون
في ذي القعدة ولعله غلط من الكاتب حيث جعل مكان الحجة القعدة ورائية ابن الخطيب
التي ذكرناها من غرر كلامه وغرر شعره على انه كله غرر اذ جمع فيها المطلوب في ذلك الوقت
بابدع لفظ واحسن عبارة في ذلك المحفل العظيم ولم يزل يسمع في المذاكرات بالمغرب انه
لما انتهى فيها الى قوله فقد اضحى المنى وقد رجع الثمر قال له بعض من حضر ولعله اراد
الغض منه احسنت ان رددتها قلت وفي وصف الحال والسلطان غرناطة بني عثمان وهو
ذكر انه السلطان مولى الساكن مرين وهم بنو مرين ولا يخفى الكرب عنهم فارتجل ابن
الخطيب حسبة قوله ومن دون ما يبغيه الى آخر حتى يخلص لمدح بني مرين اقارب السلطان
فالامر في ورا ثم قال بعد ذلك معتذرا أمولاي غاضت فكرتي الى آخر وهذا ان صح
اشبه بما وقع لابي تمام في سينيته حيث قال لا تنكروا ضربي له المثل لان ابا تمام ارتجل
بيتين فقط ولسان الدين ارتجل سبعة عشر بيتا مع ما قدر عليه من الخروج عن الوطن
وذهاب الجاه والمال وأين الحال من الحال وقد ذكر ابن خلدون في
تاريخه قصة اعتقال لسان الدين وخلع سلطانه في موضع آخر ولنذكر وان تسبب
لاشتماله على مبادئ لسان الدين وجملة من احواله الى قربه من مهلكه فنقول قال
رحمه الله تعالى بعد ذكر عبدالله والد لسان الدين وأنه انتقل من لوشة الى غرناطة واستخدم
للملوك بني الاحمر واستعمل على مخازن الطعام ما نصه ونشأ ابنه محمد هذا يعني لسان
الدين بن الخطيب بغرناطة وقرأ وتأدب على مشيختها واختص بصحبة الحكيم المشهور يحيى
ابن هذيل واخذ عنه العلوم الفلسفية وبرز في الطب وانتحل الادب وأخذ عن اشياخه
وامتلأ من حوك اللسان نظمه ونثره مع انتقاء الجيد منه ونبغ في الشعر والترسل بحيث
لا يجارى فيهما وامتدح السلطان أبا الحجاج من ملوك بني الاحمر لعصره وملأ الدنيا بمدائحه
وانتشرت في الآفاق فرقاه السلطان الى خدمته وأثبته في ديوان الكتاب ببابه مرؤوسا

بأبى الحسن بن الجياب شيخ العدوتين فى النظم والنثر وسائر العلوم الادبية وكاتب السلطان بغرناطة من لدن ايام محمد المخلوع من سلفه عند ما قتل وزيره محمد بن الحكيم المستبد عليه فاستبد ابن الخطيب برياسة الكتاب سابه مثناة بالوزارة ولقبه بها فاستقل بذلك وصدرت عنه غرائب من الترسيل فى مكاتبات جيرانهم من ملوك العدوة ثم داخله السلطان فى تولية العمال على يده بالمشارطات فجمع له بها اموالا وبلغ به فى المخالصة الى حيث لم يبلغ باحد ممن قبله وسفر عنه الى السلطان ابن عثمان ملك بنى مرين بالعدوة معزيا بابيه السلطان ابى الحسن فجلى فى أعراض سفارته ثم هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين وسبعمائة عدا عليه بعض الرعاف فى سجوده للصلاة وطعنه فأشواه وفاظ لوقته وتعاورت سيوف الموالى المعلوجى هذا القاتل فزقوه أشلاء وبويع ابنه محمد لوقته وقام بامره مولاهم رضوان الراسخ القدم فى قيادة عساكرهم وكفالة الاصاغر من ملوكهم واستبد بالدولة وافرد ابن الخطيب بوزارته كما كان لابيه وجعل ابن الخطيب رديفا لرضوان فى امره ومشاركا فى استبداده معه فجرت الدولة على احسن حال وأقوم طريقة ثم بعثوا الوزير ابن الخطيب سفيرا الى السلطان أبى عنان مستمدين منه على عدوهم الطاغية على عادتهم مع سلفه فلما قدم على السلطان ومثل بين يديه تقدم الوفد الذين معه من وزراء الاندلس وفقهائها واستأذنه فى انشاد شعر قدمه بين يدى نجواه فاذن له وأنشد وهو قائم

خليفة الله ساعد القدر * علاك مالاح فى الدجى قمر

ودافعت عنك كف قدرته * ماليس يستطيع دفعه البشر

وجهك فى النائبات بدر دجى * لنا وفى المحل كفك المطر

والناس طرا بارض اندلس * لولاك ماوطنوا ولا عمروا

وجملة الامر انه وطن * فى غير عليائك ماله وطر

ومن به مذ وصلت حبلهم * ماجحدوا نعمة ولا كفروا

وقد أهمتهم بأنفسهم * فوجهوني اليك وانتظروا

فاهتز السلطان لهذه الابيات وأذن له فى الجلوس وقال له قبل أن يجلس ماترجع اليهم الا بجميع طلباتهم ثم أثقل كاهلهم بالاحسان وردهم بجميع ماطلبوه وقال شيخنا القاضى أبو القاسم الشريف وكان معه فى ذلك الوفد لم نسمع بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان الاهذا ومكثت دولتهم هذه بالاندلس خمس سنين ثم ثار بهم محمد الرئيس ابن عم السلطان شركه فى جده الرئيس أبى سعيد وتحين خروج السلطان الى منتزهه خارج الحمراء وتسور دار الملك المعروفة بالحمراء وكبس رضوان فى بيته فقتله ونصب للملك اسمعيل ابن السلطان أبى الحجاج بما كان صهره على شقيقته وكان معتقلا بالحمراء فأخرجه وبايع له وقام بأمره مستبدا عليه وأحس السلطان محمد بقرع الطبول وهو بالبستان فركب ناجيا الى وادى آش وضبطها وبعث بالخبر الى السلطان أبى سالم اثر ما استولى على ملك آبائه بالمغرب وقد كان مثواه ايام أخيه أبى عنان عندهم بالاندلس واعتقل الرئيس القائم بالدولة هذا

قوله ناجيا اى بعيدا مسرعا وان كان فى وصف البعير به خلاف انظر القاموس اهـ مصححه

للوزير ابن الخطيب وصنع عليه في شعره وكتابته وبين الخطيب ابن مرزوق مودة
استحكمت أيام مقامه بالأندلس وكان عاطفاً على دولة السلطان أبي سالم فزين له التمسك بدعا
هذا السلطان المخلوع من وادي آش بعد ربوا على أهل الأندلس وكف به عادية المرابة
المرجحين هنالك من طمعوا إلى ملك المغرب فبعث بذلك به وخاطب أهل الأندلس في تسهيل
طريقه من وادي آش إليه وبعث من أجل شغله الشريف أبا القاسم التلمساني وحمل مع
ذلك الشفاعة في ابن الخطيب وحل معتقله فانطلق وصحب الشريف أبا القاسم إلى وادي
آش وسار في ركاب سلطانه وقدموا على السلطان أبي سالم فاهتز لقدوم ابن الأحمر وركب
في الموكب لتلقيه وأجلسه إزاء كرسيه وأنشد ابن الخطيب قصيدته يستصرخ السلطان
لنصرته فوعد وكان يوماً مشهوداً ثم أكرم مثواه وأرغد نزله ووفر أرزاق الشاذين معه ركائبه
وأرغد عيش ابن الخطيب في الجراية والإقطاع ثم استأذن واستأذن السلطان في التجوال
بجهات مراكش والوقوف على آثار الملك بها فأذن له وكتب إلى العمال بإتحافه فتباروا
في ذلك وحصل منه على حظ وعندما مر بسلا أرضه ولاية سفر دخل مقبر الملوك بشالة
ووقف على قبر السلطان أبي الحسن وأنشد قصيدة على روي الراء يرثيه ويستجيره في
استرجاع ضياعه بغرناطة مطلعها

إن بان منزله وشطت داره * قامت مقام عيانه أخباره

قسم زمانك عبرة أو عبرة * هذي ثراه وهذه آثاره

فكتب السلطان أبو سالم في ذلك إلى أهل الأندلس بالشفاعة فشفعوا واستقر هو بسلا منتبذاً
عن سلطانه طول مقامه بالعدوة ثم عاد السلطان محمد المخلوع إلى ملكه بالأندلس سنة ثلاث
وستين وسبعمائة وبعث عن مخلفه بفاس من الأهل والولد والقائم بالدولة يومئذ الوزير عمر بن
عبد الله بن علي فاستقدم ابن الخطيب من سلا وبعثهم لنظر قيم السلطان لقدومه ورده
إلى منزلته كما كان مع رضوان كافله وكان عثمان بن يحيى بن عمر شيخ الغزاة وابن أشياخهم
قد لحق بالطاغية ملك النصارى في ركاب أبيه عندما أحس بالشر من الرئيس صاحب
غرناطة وأجاز يحيى من هنالك إلى العدوة وأقام عثمان بدار الحرب فصحب السلطان في مثوى
اغترابه هنالك وسلك في مذاهب خدمته وأغرى الطاغية عندما يئسوا من الفتح على
يد مخلوعه إلى ثغور بلادهم وخاطبوا الوزير عمر بن عبد الله في أن يمكنهم من إحدى
الثغور الغربية إلى لطاعتهم بالأندلس يرتقبون منها الفتح وخاطبني السلطان المخلوع في ذلك
وكانت بيني وبين عمر بن عبد الله ذمة مرعية وخالصة مما كد فوفيت السلطان بذلك من عمر
ابن عبد الله وحملته على أن يرد عليه مدينة رندة إذ هي من تراث سلفه فقبل إشارتي في ذلك
وسوغها السلطان المخلوع ونزل بها وعثمان بن يحيى في جملته وهو المقدم في بطانته ثم غزوا
منها مالقة وكانت ركاب الفتح وملكها السلطان واستولى بعدها على دار ملكه بغرناطة
وعثمان بن يحيى متقدم القدم في الدولة عريق في المخالصة وله على السلطان دالة واستبداد
على هوا فلما وصل ابن الخطيب بأهل السلطان وولده وعاد إلى مكانه في الدولة من علو يده
وقبول إشارته أدركته الغيرة من عثمان ونكر على السلطان الاستكفاء به وأراه التخوف من

دولا

قوله ربوا أي حرابة [illegible] وهو [illegible] الربو [illegible] الدفع كما يوجد من القاموس اه مصححه

هؤلاء الاعياص على ملكه فحذره السلطان وأخذ فى التدبير عليه حتى نكبه وأباه واخوته
فى رمضان سنة اربع وستين وسبعمائة وأودعهم المطبق ثم غربهم بعد ذلك وخلا لابن
الخطيب الجو وغلب على هوى السلطان ودفع اليه تدبير الدولة وخلط بنيه بندمائه وأهل
خلوته وانفرد ابن الخطيب بالحل والعقد وانصرفت اليه الوجوه وعلقت به الآمال وغشى
بابه الخاصة والكافة وغصت به بطانة السلطان وحاشيته فتمسوا فى السعايات فيه وقد صم
السلطان عن قبولها ونمى الخبر بذلك الى ابن الخطيب فشمر عن ساعده فى التقويض واستخدم
للسلطان عبد العزيز ابن السلطان أبى الحسن ملك العدوة يومئذ فى القبض على ابن عمه عبد
الرحمن بن أبى يفلوسن ابن السلطان أبى على ابن السلطان أبى سعيد ابن السلطان يعقوب بن
عبد الحق كانوا قد نصبوه شيخا على الغزاة بالاندلس لما اجاز من العدوة بعدما جاس خلالها
لطلب الملك وأضرم بها نار الفتنة فى كل ناحية وأحسن دفاعه الوزير عمر بن عبد الله القائم
حينئذ بدولة بنى مرين فاضطر الى الاجازة الى الاندلس فأجاز هو ووزيره مسعود بن ماساى
ونزلوا على السلطان المخلوع اعوام سبعة وستين وسبعمائة فاكرم نزلهم وتوفى على بن بدر
الدين شيخ الغزاة فقدم عبد الرحمن مكانه وكان السلطان عبد العزيز قد استبد على ملكه بعد
مقتل الوزير عمر بن عبد الله فغص بما فعله السلطان المخلوع من ذلك وتوقع انتقاض امره
منهم ووقف على مخاطبات من عبد الرحمن يسر بها فى بنى مرين فخرج لذلك وداخله ابن
الخطيب فى اعتقال ابن أبى يفلوسن وابن ماساى واراحة نفسه من شغبهم على أن يكون له
المكان من دولته متى نزع اليه فأجابه الى ذلك وكتب له العهد بخطه على يد سفيره الى
الاندلس وكاتبه أبى يحيى بن أبى مدين وأغرى ابن الخطيب سلطانه بالقبض على ابن أبى
يفلوسن وابن ماساى فقبض عليهما واعتقلهما وفى خلال ذلك استحكمت نفرة ابن
الخطيب لما بلغه عن البطانة من القدح فيه والسعاية وربما تخيل أن السلطان مال الى
قبولها وأنهم قد أحفظوه عليه فأجمع التحول عن الاندلس الى المغرب واستأذن السلطان
فى تفقد الثغور وسار اليها فى لمة من فرسانه وكان معه ابنه على الذى كان خالصة للسلطان
وذهب لطيته فلما حاذى جبل الفتح فرضة المجاز الى العدوة مال اليه وسرح اذنه بين يديه
فخرج قائد الجبل لتلقيه وقد كان السلطان عبد العزيز اوعز اليه بذلك وجهز له الاسطول
من حينه فأجاز الى سبتة وتلقاه ولاتها بانواع التكرمة وامتثال المراسم ثم سار لقصد
السلطان فقدم عليه سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بمقامه من تلمسان فاهتزت له الدولة
وأركب السلطان خاصته لتلقيه وأحله من مجلسه بمحل الامن والغبطة ومن دولته بمكان
التنويه والعزة وأخرج لوقته كاتبه أبا يحيى بن أبى مدين سفيرا الى صاحب الاندلس فى طلب
اهله وولده فجاء بهم على اكمل حالات الامن والتكرمة ثم اكثر المنافسون له فى شأنه وأغروا
سلطانه بتتبع عثراته وابداء ما كان كامنا فى نفسه من سقطاته واحصاء معايبه وشاع على
ألسنة أعدائه كلمات منسوبة الى الزندقة أحصوها عليه ونسبوها ورفعت الى قاضى
الحضرة أبى الحسن بن الحسن فاسترعاها وسجل عليه بالزندقة وراجع صاحب الاندلس رأيه
فيه وبعث القاضى ابن الحسن الى السلطان عبد العزيز فى الانتقام منه بتلك السجلات

وانما يحكم الله فيه فيصمم على ذلك وأبى السلطان لأن يخفر ولوائه أن يرد وقال لهم هلا
انتقمتم منه وهو عندكم وأنتم عالمون بما كان عليه وأما أنا فلا يخلص اليه بذلك أحد ما كان
في جواري ثم وفر الجرايات والاقطاع له ولبنيه ولمن جاء من أهل الأندلس في جملته فلما هلك
السلطان عبد العزيز سنة أربع وسبعين وسبعمائة ورجع بنو مرين إلى المغرب وتركوا
تلمسان سار هو في ركاب الوزير أبي بكر بن غازي القائم بالدولة فنزل بفاس واستكثر من
شراء الضياع وتأنق في بناء المساكن واغتراس الجنان وحفظ عليه القائم بالدولة الرسوم
التي رسمها له السلطان المتوفى واتصلت حاله على ذلك إلى أن كان ما نذكر انتهى (وقال)
ابن خلدون في تاريخه ما صورته كان محمد بن الأحمر المخلوع قد رجع من رندة إلى ملكه
بغرناطة في جمادى سنة ثلاث وستين وقد حملت له الطاعة عدو الرئيس المنتزي على ملكهم
حتى هرب من غرناطة اليه وقتله بعهد المخلوع واستوى على كرسيه واستقل بملكه وكان له
كاتبه وكاتب أبيه محمد بن الخطيب فاستخلصه وعقد له على وزارته وفوض اليه في القيام
بملكه فاستولى عليه وملك هواه وكانت عينه ممتدة إلى المغرب وسكناه إلى أن نزلت به آفة
في رياسته فكان لذلك يقدم السوابق والوسائل عند ملوكه وكان لابناء السلطان أبي الحسن
كافلهم عبر بن ولد عمهم السلطان أبي علي ويخصومهم على أمرهم ولما لحق الأمير عبد الرحمن
ابن أبي يفلوسن بالأندلس اصطفاه ابن الخطيب واستخلصه لنجوا ووقع في الدولة رتبة
وأعلى منزلة وحمل السلطان على أن عقد له على الغزاة المجاهدين من زناتة مكان بني عمه من
الأعياص فكانت له آثار في الاضطلاع بها ولما استبد السلطان عبد العزيز بأمره
واستقل بملكه كان ابن الخطيب ساعيا في مرضاته عند سلطانه فدس اليه باعتقال
عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ووزيره مسعود بن ماساي وأدار ابن الخطيب في ذلك مكره وحمل
السلطان عليهما إلى أن سطا بهما ابن الأحمر واعتقلهما وفاء بذمام السلطان عبد العزيز
ونفر المولى ابن الأحمر ووزيره ابن الخطيب واطلع وسكر له فنزع عنه إلى عبد العزيز سلطان
المغرب سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة لما قدم من الوسائل ومهد من السوابق فتقبله
السلطان وأحله من مجلسه محل الاصطفاء والقرب وخاطب ابن الأحمر في أهله وولده فبعثهم
اليه واستقر في جملة السلطان ثم أكذب العداوة بينه وبين ابن الأحمر ورغب السلطان
عبد العزيز في ملك الأندلس وحمله عليه وتواعدوا لذلك عند رجوعه من تلمسان إلى المغرب
ونمى ذلك إلى ابن الأحمر فبعث إلى السلطان عبد العزيز بهدية لم يسمع بمثلها انتقى فيها من
متاع الأندلس وماعونها وبغالها الفارهة ومعلوجي السبي وجواريه وأوفد بها رسله
يطلب إسلام وزيره ابن الخطيب اليه فأبى السلطان من ذلك ونكر ولما هلك السلطان
واستبد الوزير ابن غازي بالأمر بعده اليه ابن الخطيب وداخله وخاطبه ابن الأحمر فيه
بمثل ما خاطب السلطان عبد العزيز فلج واستكف عن ذلك وافحم الرد وانصرف رسوله
اليه وقد رهب سطوته فأطلق ابن الأحمر لحينه عبد الرحمن بن أبي يفلوسن وأركبه الأسطول
وقذف به إلى ساحل بطوية ومعه الوزير مسعود بن ماساي ونهض بعين ابن الأحمر إلى جبل
الفتح فنازله بعساكر ونزل عبد الرحمن بطوية ثم ذكر ابن خلدون كلاما كثيرا تركته اختصارا

وملخصه

وملخصه ان الوزير أبابكر بن غازي الذي كان تحيز اليه ابن الخطيب ولى ابن عمه محمد بن عثمان مدينة سبتة خوفا عليها من ابن الاحمر ونهض هو أعنى الوزير الى منازلة عبد الرحمن بن أبي يفلوسن بطوية اذ كانوا قد بايعوه فامتنع عليه وقاتله اياما ثم رجع الى تازا ثم الى فاس واستولى عبد الرحمن على تازا وبينما الوزير أبو بكر بفاس يدبر الرأى اذ وصله الخبر بأن ابن عمه محمد بن عثمان بايع السلطان أحمد بن أبي سالم وهو المعروف بذي الدولتين وهذه هي دولته الاولى وذلك أن ابن عم الوزير وهو محمد بن عثمان لما تولى سبتة كان ابن الاحمر قد طاول حصار جبل الفتح وأخذ بمخنقه وتكررت المراسلة بينه وبين محمد ابن عثمان والعتاب فاستعتب له وقبح ما جاء به ابن عمه الوزير أبو بكر بن غازي من الاستعلاط له في شأن ابن الخطيب وغيره فوجد ابن الاحمر في ذلك السبيل الى غرضه وداخله في البيعة لابن السلطان أبي سالم من الابناء الذين كانوا بطنجة تحت الحوطة والرقبة وأن يقيمه للمسلمين سلطانا ولا يتركهم فوضى وهم ملا تحت ولاية الصبي الذي لم يبلغ ولا تصح ولايته شرعا وهو السعيد بن أبي فارس الذي بايعه الوزير أبو بكر بن غازي بتلمسان حين مات أبوه واستبد عليه واختص ابن الاحمر أحمد بن أبي سالم من بين أولئك الابناء لما سبق بينه وبين أبيه أبي سالم من المواتاة وكان ابن الاحمر اشترط على محمد بن عثمان وحزبه شروطا منها أن ينزلوا له عن جبل الفتح الذي هو محاصر له وأن يبعثوا اليه جميع أبناء الملوك من بني مرين ليكونوا تحت حوطته وأن يبعثوا اليه بالوزير ابن الخطيب متى قدروا عليه فانعقد أمرهم على ذلك وتقبل محمد بن عثمان شروطه وركب من سبتة الى طنجة واستدعى أبا العباس احمد من مكان اعتقاله فبايعه وحمل الناس على طاعته واستقدم اهل سبتة للبيعة وكانتها فقدموا وبايعوا وخاطب اهل جبل الفتح فبايعوا وأفرج ابن الاحمر عنهم وبعث اليه محمد بن عثمان عن سلطانه بالنزول له عن جبل الفتح وخاطب اهله بالرجوع الى طاعته فارتحل ابن الاحمر من مالقة اليه ودخله ومحا دولة بني مرين مما وراء البحر وأهدى للسلطان أبي العباس وأمده بعسكر من غزاة الاندلس وحمل اليه مالا للاعانة على امره ولما وصل الخبر بهذا كله الى الوزير أبي بكر بن غازي قامت عليه القيامة وكان ابن عمه محمد بن عثمان كتب اليه يموهه بأن هذا عن امره فتبرأ من ذلك ولاطف ابن عمه أن ينقض ذلك الامر فاعتل له بانعقاد البيعة لابي العباس وبينما الوزير أبو بكر ينتظر اجابة ابن عمه الى مارامه منه بلغه الخبر بأنه اشخص الابناء المعتقلين كلهم للاندلس وحصلوا تحت كفالة ابن الاحمر فوجم وأعرض عن ابن عمه ونهض الى تازا لمحاصرة عبد الرحمن بن أبي يفلوسن فاشتغل في غيبته ابن عمه محمد بن عثمان بملك المغرب ووصله مدد السلطان ابن الاحمر من رجال الاندلس الناشبة نحو ستمائة وعسكر آخر من الغزاة وبعث ابن الاحمر رسله الى الامير عبد الرحمن بالتصال المدمع ابن عمه السلطان احمد ومظاهرته واجتماعهما على ملك فاس وعقد بينهما الاتفاق على أن يختص عبد الرحمن بملك سلفه فتراضيا وزحف محمد بن عثمان وسلطانه الى فاس وبلغ الخبر الى الوزير أبي بكر بمكانه من تازا فانفض معسكره ورجع الى فاس ونزل بكدية العرائس وانتهى السلطان أبو العباس

وقوله فى اجابة السفهاء من الهاتفين بالسور صوطا مجبا رحمة الله تعالى عليه

وذموا وما يعنون الا مذمما * وأنت بحمد الله تدعى محمدا

وقول حامل اللواء الآتى ذكره فى تضاعيف الاسماء

أمامر امل فى عراض البيد * فبلغ ماشئت من مقصود

والهجران ألفته ألسنة العدا * يأبا دفضل مقامك المحمود

سحقا لهم سفهاء كل قبيلة * شذت مقالتهم عن المعهود

قد ضلت الاحلام منهم رشدها * هدا ومنك الحلم غير بعيد

مع عزمة لو شئت هدت كل ما * قد أحكموا من معلم ومشيد

الى أن قال الخبر عن اجتماع الاميرين أبى العباس وأبى زيد متصاحبين ومترافقين على استخلاص مدينة فاس من يد الوزير أبى بكر بن غازى بن الكاس وكتب الرئيس أبو عبد الله بن زمرك فى مخلص هذه الكاسة تحت الوزير محمد بن عثمان السيرفى وسط عام خمسة وسبعين وسبعمائة وتلاقى بسلطانه أبى العباس مع الامير أبى زيد عبد الرحمن واستقلا بالطائلة وحصلا من التضييق على السعيد الطفل الصغير وعلى وزيره أبى بكر بن غازى فى متسع الخطة ورحيب ذرع الخلافة وتصالحا عن رضا وتسليم منهما ومن أشياعهما على تسليم السعيد الى اللحاق بمن كان فى طنجة من الامراء واتصل السلطان عبد الرحمن بمراكش فكان مالكها وجابى اموالها وتملك السلطان أبو العباس مدينة فاس وما والى البلاد الساحلية وسواها مما يحتوى عليه ملك المدينة البيضاء برا وبحرا وعبر كاتب الدولة عن المدينة وعن الطفل متملكها بقوله والى هذا فقد ارتفع الالتباس واطرد القياس وغير خفى عن ذى عقل سليم وذى تفويض للحق وتسليم أن دار الملك المرينى كامة بلا زهر ورياض بلا نهر ان لم يقتعد كرسيها من يزين جيدها ويجيد حليها وان اوان البشرى لمن يتعصب للدين والآن قلادة التقوى معوطة بقلم أعلام الملوك المهتدين ثم ذكر ما يطول من فصول وربما اشتملت على فصول وملخصه مثل ما ذكر ابن خلدون* ثم ساق قاضى القضاة ابن خلدون بعد ما تقدم جمله من تاريخه الكلام على محنة لسان الدين بن الخطيب ووفاته مقتولا رحمه الله تعالى (فقال ما صورته) ولما استولى السلطان أبو العباس على البلد الجديد دار ملكه فاتح ست وسبعين استقل بسلطانه والوزير محمد بن عثمان مستبد عليه وسليمان بن داود بن اعراب كبير بنى عسكر رديفه وقد كان الشرط وقع بينه وبين السلطان ابن الاحمر عند ما بويع بطنجة على نكبة الوزير ابن الخطيب واسلامه اليه لما نمى اليه عنه أنه كان يغرى السلطان عبد العزيز بملك الاندلس فلما زحف السلطان أبو العباس من طنجة ولقيه أبو بكر بن غازى بساحة البلد الجديد فهزمه السلطان ولازمه بالحصار أوى معه ابن الخطيب الى البلد الجديد خوفا على نفسه فلما استولى السلطان على البلد أقام اياما ثم اغراه سليمان بن داود بالقبض على ابن الخطيب فقبضوا عليه وأودعوه السجن وطيروا بالخبر الى السلطان ابن الاحمر وكان سليمان بن داود شديد العداوة لابن الخطيب لما كان سليمان قد بايعه السلطان ابن الاحمر على مشيخة الغزاة بالاندلس متى اعاده الله تعالى

الى ملكه فلما استقر السلطان في سلطانه أجاز اليه سليمان سفيرا عن الوزير عمر بن عبد الله ومقتضيا عهده من السلطان بمدد الوزير ابن الخطيب عن ذلك محتجا بأن تلك الزمامة انما هي لأعياص الملك من بني عبد الحق لأنهم يعسوب زناتة فرجع سليمان وأثار حسد ذلك لابن الخطيب ثم سافر الى الأندلس لحمل أمانة من حمل الفتح فكانت بين نفسه وبين ابن الخطيب مكاشفات بين كل واحد منهما لصاحبه بما يحفظه مما كمن في صدورهما وحين تم حجر الفتح على ابن الخطيب الى السلطان ابن الأحمر بعث بكتابه ووزير بعد ابن الخطيب وهو أبو عبد الله بن زمرك فقدم على السلطان أبي العباس وأحضر ابن الخطيب بالمشور في مجلس الخاصة وعرض عليه بعض كلمات وقعت له في كتابه في المحبة فعظم النكير فيها فوبخ ونكل وامتحن بالعذاب بمشهد ذلك الملا ثم تل الى محبسه واشتوروا في قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه وأفتى بعض الفقهاء فيه ودس سليمان بن داود لبعض الأوغاد من حاشيته بقتله فطرقوا السجن ليلا ومعهم زعانفة جاؤا في لفيف الخدم مع سفراء السلطان ابن الأحمر وقتلوه خنقا في محبسه وأخرج شلوه من الغد فدفن في مقبرة باب المحروق ثم أصبح من الغد على سافة قبره طريحا وقد جمعت له أعواد وأضرمت عليه نارا فاحترق شعره واسود بشره فأعيد الى حفرته وكان في ذلك انتهاء محنته وعجب الناس من هذه السفاهة التي جاء بها سليمان واعتدوها من هناته وعظم النكير فيها عليه وعلى قومه وأهل دولته والله الفعال لما يريد وكان عفا الله تعالى عنه أيام امتحانه بالسجن يتوقع مصيبة الموت فتجيش هواتفه بالشعر يبكي نفسه ومما قال في ذلك رحمه الله تعالى

بعدنا وإن جاورتنا البيوت * وجئنا بوعظ ونحن صموت
وأنفاسنا سكنت دفعة * كجهر الصلاة تلاه القنوت
وكنا عظاما فصرنا عظاما * وكنا نقوت فها نحن قوت
وكنا شموس سماء العلا * غربن فناحت علينا السموت
فكم جدلت ذا الحسام الظبا * وذو البخت كم جدلته البخوت
وكم سيق للقبر في خرقة * فتى ملئت من كساه التخوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيب * وفات ومن ذا الذي لا يفوت
ومن كان يفرح منهم له * فقل يفرح اليوم من لا يموت

انتهى كلام ابن خلدون في ديوان العبر * وقال الحافظ ابن حجر في أنباء الغمر بعد أن ذكر ما قدمنا على سبيل الاختصار ما نصه واشتهر أنه نعى لسان الدين نفسه حين قدم للقتل الأبيات المشهورة التي يقول فيها

وقل للعدا مضى ابن الخطيب * وفات فسبحان من لا يفوت
فمن كان يشمت منكم به * فقل يشمت اليوم من لا يموت

والصحيح في ذلك ما ذكر صديقنا شيخنا ولي الدين بن خلدون أنه نظم الأبيات المذكورة وهو في السجن لما كان يستشعر من التشديد انتهى ثم حكى ابن حجر عن بعض الأعيان أن ابن الأحمر وجهه الى ملك الافرنج في رسالة فلما أراد الرجوع أخرج له رسالة لابن الخطيب

تشتمل على نظم ونثر فلما قرأها قال له مثل هذا كان ينبغي أن يقتل ثم بكى حتى بل ثيابه انتهى كلام الحافظ وبعضه بالمعنى فانظر سدك الله تعالى بكاء العدو الكافر على هذا العلامة وقتل اخوانه فى الاسلام له على حظ نفسانى ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم لا رب غيره (قلت) ورأيت بحضرة فاس حاطها الله تعالى تخميسا لهذه الابيات بديعا منسوبا الى بعض بنى الصباغ وزاد فى الاصل بعض أبيات على ما ذكره ابن خلدون من هذه القطعة والمزيد يشبه نفس لسان الدين بن الخطيب فلعل ابن خلدون اختصر منها ولم يقف على الزائد ولنثبت جملته تتميما للمقصود فنقول قال رحمه الله تعالى

ايا جاهلا غره ما يفوت * وألهاه حال قليل الثبوت
تأمل لنا بعد أنس يفوت * بعدنا وان جاورتنا البيوت
وجئنا بوعظ ونحن صموت

لقد نلت من دهرنا رفعة * تقضت كبرق مضى سرعة
فهيهات نرجو لها رجعة * وأصواتنا سكنت دفعة
كجهر الصلاة تلاه القنوت

بدا لى من العروجه شباب * يؤمل سيبى وبأسى يهاب
فسرعان مرق ذاك الاهاب * ومدت وقد أبكرتنا الثياب
علينا انسا نجها العنكبوت

فآها لعز تقضى مناما * منحنا به الجاه قوما كراما
وكنا نسوس أمورا عظاما * وكنا عظاما فصرنا عظاما
وكنا نقوت فها نحن قوت

وكالذى الملك حلى الطلى * فآها عليه زمانا خلا
نعوض من جدة بالبلى * وكنا شموس سماء العلا
غربنا فناحت علينا السموت

تعودت بالرغم صرف الليالى * وحملت نفسى فوق احتمالى
وأيقنت أن سوف يأتى ارتحالى * ومن كان منتظرا للزوال
فكيف يؤمل منه الثبوت

هو الموت يا ماله من نبا * يجوز الحجاب الى من أبى
ويألف اخذنى الحبا * فكم اسلمت ذا الحسام الظبا
وذا البخت كم جدلته البخوت

هو الموت افصح عن عجمة * وأيقظ بالوعظ من خفقة
وسلى عن الحزن ذا حرقة * وكم سيق للقبر فى خرقة
فتى ملئت من كساه التخوت

تقضى زمانى بعيش خصيب * وعندى لذنبى انكسار المنيب
وها الموت قد صبت منه نصيبى * فقل للعدا ذهب ابن الخطيب

وفات ومن ذا الذي لا يفوت

يفنى ابن المطلب كل حيله * ويزيد يفنى سبيله

وهذا الردى نار جثله * من كان يفرح منهم له

فبل فرح اليوم من لا يفوت

هو الموت عم فلا العدا * يسرون في حين ذوق الردى

ومن فاته اليوم يأتي غدا * سبيل الجديد اذا ما المدى

تتابع آحاد والسبوت

أخي نوح طرق الفنا * وقدم لنفسك قبل الممات

ويشر عند المات آت * ولا تغتر بسراب الفنا

فإنك عما قريب تموت   انتهى

وقد ذكرني قوله رحمه الله الى من كان يفرح منهم له الى آخر قول بعض العلماء الناسي

يا صاحبا كان من اسمعيل عمار * تشوره عن ذلك العمر

لا فارس عمرو دهما بعقبي * كسرى ولا للروم خلد قيصر

خذ من عاد عليه وجرهم * وبلا كهلان وعقب حمير

وسطا بغسان الملوك وكندة * فلهاذ ما عند لا نار

لعب بهم فكأنهم لم يخلدوا * وبوالهما فكأنهم لم يذكروا

وما احسن قول أبي الخطاب بن دحية الحافظ بعد كلام ما صورته وأحدث من طريق خرسان الى طريق حلوان * وقاسيت من الغربة اصناف الالوان * ومررت على مدائن كسرى انوشروان * ووردت بها قبر صاحب النبي صلى الله عليه وسلم الزاهد العابد المعمر سلمان * واعلمت بها السير والاعداد * الى مدينة بغداد * فطرقت الجامعات وربوعا * واقمت بها زمانا من اسبوعا واسبوعا * وانا اندى في ندائهم واعيد * والترب قد علا على منازلهم والصعيد * واسأل عن الملما الماضين واشد * ولسان الحال يجاوبني وينشد

يا سائلي الدارعن اناس * ليس لهم نحوها معاد

رب كان مرت الليالي * اين جديس واين عاد

بل اين ابو البشر آدم الذي خلقه بيده الكبير المتعال * اين الانبياء من ولده والارسال * اهل النبوة والرسالة * والوحي من الله ذي الجلالة * اين سيدهم محمد الذي فضله عليهم ذو العز والجلال * وجعله شفيعهم مع امته والناس في شدائد الاهوال * اين القرون الماضية والاجيال * اين التبابعة والاقيال * اين ملوك همدان * اين اولو الارض المرداء وغمدان * اين اولو المجان والاكاليل * اين الصيد والبهاليل * بل اين الجبابرة واكبرهم نمرود راجم الخليل * اين الفراعنة ومن هو بالسحر عليم * الذين منهم فرعون موسى الكليم * اين ملك الهند باسره هندي بن مدد الكردي * الذي لم يكن غدر عنده ولا تعدي * وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يأخذ كل سفينة غصبا * وزعم

المؤلفون أنه كان أيضا يلأ القلوب رعبا * ويسوم اصحابه قتلا وصلبا * مع التسمع فى المال * وعدم التطرق عقبى المآل * ابن الفرس وملوكها * وعدلها وعدوانها * ابن دارا ابن دارا بن بهمان * ابن اسكندر بن فلبس اليونانى الذى غلبه وملك البلاده فى ذلك الزمان * وأطاعه جميع ملوك الاقاليم * وقدر الله به امتحان الخلق ذلك تقدير العزيز العليم * ابن كسرى وقيصر * عليهما من الموت الاسد القسور * بعد أن أخرجهما من بلادهما أمير المؤمنين أبو حفص عمر * لما ظهرت الملة الحنيفية كما ظهرت الشمس وبدا القمر * ابن اولاد جفنة وملوك غسان * ابن ممادح زياد وحسان * ابن هرم بن سنان * ابن الملاعب بالسنان * ابن اولاد مضر من نزار بن معد بن عدنان * ابن بنو عبد المدان * أين ارباب العواصم * ابن قيس بن عاصم * ابن العرب العرباء الامة الفاضلة * والجماعة المناضلة * أين أولو الباس والحفاظ * وذووا الجمة والاحفاظ * حيث الوفاء والعهد * والحباء والرفد * الى علو الهمم * والوفاء بالذمم * والعطاء الجزل * والصيف والنزل * وشمة الاقبال والبذل * وانها لا تدين عزا ولا تنقاد * ولا ترام اهانة ولا تقاد * ابن قريش المعروفة فى الجاهلية بالحى اللقاح * والشعب الرقاح * ابن الماضون من ملوك بنى أمية * ذووا الالسن الذلق والاوجه الطلق والجمة * ابن خلفاء بنى العباس بن عبد المطلب * الذين شرفهم بالاصالة وليس اليهم بالمجلب * ذووا الشرف الشامخ * والفخر البادخ * والخلافة السنية الرضية * والمملكة العامة المرضية * بلغنا والله وفاتهم * ولم يبق الا ذكرهم وصفاتهم * قبض ملك الموت أرواحهم قبضا * ولم يترك لهم حراكا ولا نبضا * ومزق الدود لحومهم قددا * ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا * الا ما كان من أجساد الانبياء عليهم أفضل الصلاة والتسليم * فان الله تعالى حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء وقد تكلمت على هذا الحديث وأثبت أنه من الصحيح لا السقيم * وخرجت طرقه فى كتابى العلم المشهور بعون من العزيز الرحيم * فما بعد المرء عن رشده وما اقصاه * كم وعظه الدهر وكم وصاه * يخلط الحقيقة بالمحال * والعاطل بالحال * ولا توبة حتى يشيب الغراب * ويألف الدم التراب * فيالهفى لبعد الدار * وانقضاض الجدار * وأنت هائمة ليل ونهار * وقاعد من عمرك على شفى جرف هار * تقرأ العلم وتدعيه * ولا تفهمه ولا تعيه * فهو عليك لا لك * فاولى لك ثم اولى لك * أما آن للليل الغى أن تنجلى أحلاكه * ولنظام الغى أن تنتثر أسلاكه * وأن يستطع الجانى جناه * ويأسف على ما اقترفه وجناه * وأن يلبس عهاده ثيابا * ويطلق الدنيا ثلاثا * ويعزم مها فرار الاسد * ويتيقن أنه لا بد من مفارقة الروح الجسد * بهما الله تعالى من سنات غفلاتنا * وحسن ما ساء من صفاتنا الدمية وسلاتنا * وجعل التقوى أحصن عددنا وأوثق آلاتنا * اللهم اليك المآب * وبيدك المتاب * قد واقعنا الخطايا * وركبنا الاجرام رواحل ومطايا * فتب علينا أجمعين * وأدخلنا برحمتك فى عبادك الصالحين الطائعين * وصلى الله على سيد ولد آدم محمد شفيعنا يوم القيامة * وصاحب الحوض المورود والمقام المحمود والكرامة * وعلى آله الطاهرين * وأصحابه أهل الرضوان المنتخبين * وسلام الله عليه وعليهم الى

يوم الدين * انتهى * وهو آخر كتابه السراج * في تاريخ بني العباس * وذكرته بطوله
لمناسبته (قلت) وقد سلك هذا المنحى بعينه في خطبة هذا الكتاب كما مر * وللسان
الدين رحمه الله تعالى كلام قريب من هذا سيأتي في نثره إن شاء الله تعالى * وأقول إني
قد تذكرت هنا قول القائل

تطوي سنونا وآحادا ونشرها * ونحن في الطي بين السبت والاحد
فعد ما شئت من سبت ومن أحد * لا بد أن يدخل المطويّ في العدد

وقول الآخر

ألم تر أن الدهر يوم وليلة * يكران من سبت عليك الى سبت
فقل لجديد العيش لا بد من بلى * وقل لاجتماع الشمل لا بد من شت

واعلم أن لسان الدين لما كانت الايام له مسالمة * لم يعدم أحدا يوجه عليه دسائس معاتبه
أو يلتمس معايبه * فلما قلبت الايام له ظهر مجنها * وعاملته بعينها بعد محوها ومنها * أكثر
أعداؤه في شأنه الكلام * ونسبوه الى الزندقة والانحلال من ربقة الاسلام * وتنقيص النبي
عليه أفضل الصلاة والسلام * والقول بالحلول والاتحاد * والانخراط في سلك أهل
الالحاد * وسلوك مذاهب الفلاسفة في الاعتقاد * وغير ذلك مما أثار الحقد والعداوة
والانتقاد * فالله يسمح لهم الخارجة عن السنن السويّ * وكلها كذبوا فيها وتقولوا
عليه الزور * ولا بدع فيها وهو الا المثال الغويّ * والظن أن منامه رحمه الله تعالى من
التهاري * وحمايته سامحه الله تعالى عن لسان اعتري * وكان الذي تولى كبر محنته
وقتله * تلميذه أبو عبد الله بن زمرك الذي لم يزل ينتمي الى حمله * فلقد وقف على خطأ ابن
لسان الدين لي أنه نسب في نقل لسان الدين آيه وسماه الالماع والالمام بابن زمرك
المذكور فلا بد لسان الدين مع أنه أعطى لسان الدين حلة في الاحاطة أحسن الحلى *
ووصفه بما يتحلى من أوصاف العلا * وقد سبق في كلام ولي الدين بن خلدون أنه وفد
على السلطان أبي العباس أحمد المريني في شأن الوزير ابن الخطيب وأخرج الى مجلس
الخاصة * وأهل الشورى والمجالس بالاعيان عامة * ولا حول ولا قوة الا بالله * ومن أعدائه
الذين تأمروا بعد أن كانوا يسعون في مرضاته شيخ القضاة أبو الحسن ابن الحسن
النباهي فكم بذل بعد جاهد بعد اتصال الحال وجد في أمره مع ابن زمرك حتى قتل
لسان الدين وانصب دولته فسبحان من لا يحول ملكه ولا يبيد * وقد سبق فيما جلبنا
من كلام ابن خلدون أن القاضي ابن الحسن قدم على السلطان عبد العزيز في شأن لسان
الدين والاتهام منه بسبب تلك الخطط وأمضى حكم الله فيه فصاحبها أبى السلطان
من ذلك وقال هلا فعلتم انتم ذلك حين كان عندكم وامتنع لذمته أن يغير فلما أراد الله
نفوذ الامر * وعدم نفع زيد وعمرو * توفي السلطان عبد العزيز واختلفت الاحوال *
واضطربت بالمغرب نيران الاهوال * وقدم في شأنه الوزير الكاتب ابن زمرك خادمه
الذي رباه وصنيعته فكان ما كان مما سبق به الالمام * وقد ذكرنا في الباب الاول قول
لسان الدين رحمه الله تعالى في قصيدته النونية

تلون اخوانى علىّ وقد جنت * على خطوب جمة ذات ألوان
وما كنت ادرى قبل أن يتنكروا * بأن خوانى كان مجمع خوانى
وكانت وقد حم القضاء صنائعى * على بما لا ارتضى شرّ أعوان

ولقد صدق رحمه الله تعالى على أنه قال هذه القصيدة فى النكبة الاولى التى انتقل فيها مع سلطانه الى المغرب كما مرّ مفصلا وكأنه عبر عن هذه المحنة الاخيرة التى ذهبت فيها نفسه على يد صنائعه الكاتب ابن زمرك والقاضى ابن الحسن سامح الله الجميع ويرحم الله أبا اسحق التلمسانى صاحب الرجز فى الفرائض حيث يقول

العذر فى الناس شيمة سلفت * قد طال بين الورى تصرفها
ما كل من قد سرت له نعم * منك يرى قدرها ويعرفها
بل ربما اعقب الجزاء بها * مضرة عن عملك مصرفها
أما ترى الشمس كيف تعطف بالنور على البدر وهو يكسفها

وقال لسان الدين بعد ذكره أن ملك النصارى دن جانجه بن دن الفنش استنصر على أبيه بالسلطان المجاهد أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق المرينى ولاذبه ورهن عنده تاجه ذخيرة النصارى ولقيه بصخرة عباد من أحواز رندة فسلم عليه ويقال ان أمير المسلمين لما فرغ من ذلك طلب بلسان رئاسة الماء ليغسل يده به من قبلة الفنش او مصافحته مانصه والشئ بالشئ يذكر وأثبت حكاية اتفقت لى بسبب ذلك أستدعى بها الدعاء ممن يحسن عنده موقعها وهى أن اليهودى الحكيم ابن زرزار على عهد ملك النصارى حفيد هذا الفنش المذكور وصل الينا بغرناطة فى بعض حوائجه ودخل الىّ بدار سكناى مجاور القصر السلطانى بحمراء غرناطة وعندى القاضى اليوم بغرناطة وغيره من اهل الدولة وبيده كتاب من سلطان المغرب محمد بن أبى عبد الرحمن ابن السلطان الكبير المولى ابى الحسن وكان محمد هذا قد فرّ الى صاحب قشتالة واستدعى من قبله الى الملك فسهل له ذلك وشرط عليه ماشاء وربما وصله خطابه بما لم يقنعه فى اطرائه فقال لى مولاى السلطان دن بطره يسلم عليك ويقول لك انظر مخاطبة هذا الشخص وكان بالامس كلبا من كلاب بابه حتى ترى خسارة الكرامة فيه فأخذت الكتاب من يده وقرأته وقلت له أبلغه عنى أن هذا الكلام ماجرّك اليه الا حلو بابك من الشيوخ الذين يعرفونك بالكلاب وبالاسود ومن تغسل الايدى منهم اذ اقبلوها فتعلم من الكتاب الذى تغسل اليد منه ومن لا وان جدّ هذا الولد هو الذى قبل جدك يده واستدعى الماء لغسل يده منه بمحضر النصارى والمسلمين ونسبة الجد الى الجد كنسبة الحفيد للحفيد وكونه لجأ الى بلادك ليس بعار عليه وانت معرض الى اللجا اليه فيكافئك بأضعاف ما عاملته به فقام ابو الحسن المستقصى يبكى ويقبل يدى ويصفق بولى الله وكذلك من حضرنى وتوجه الى المغرب رسولا فقص على بنى مرين خبر ما شاهده منى وسمعه وبالحضرة اليوم ممن تلقى منه ذلك كثير جعل الله تعالى ذلك خالصا لوجهه انتهى * وقد أثنى لسان الدين فى الاحاطة على القاضى ابن الحسن المذكور كما سيأتى وقال فى ترجمة السلطان ابن الاحمر مانصه ثم قدم للقضاء الفقيه الحسيب ابا الحسن وهو عين الاعيان بمالقة

المغموس من رسم النحلة والقيام بالعقد والحل فقيد وفارق وحل الكل وأحسن مصاحبة
الخطبة والخطة وأكرم المشيخة مع النزاهة ولم يبق في حسن الثناء على غاية فاستوى على
رماحه ولم يبق في السمع عند غاية انتهى * وحسن إطلاق الحر بيته ومن لسان الدين ذكر في
الكتيبة الكامنة غاية بيان ما ستروى ولقبه بالمغموس ولم يمنعه ذلك حتى ألف فيه جامع
الرسم في وصف القاضي ابن الحسن وقد وقف شاعر الحضرة على كتاب مطول كتبه
ابن الحسن للسان الدين بعد تحوله عن الأندلس وفيه ما تعلق به الغرض هنا فنرجع
في السرا * ونسيء النسا * ونركم الأسعد إذ لها دم اللذات * هيهات هيهات *
تبنون ما لا تسكنون * وتدخرون ما لا تأكلون * وتؤملون ما لا تدركون * أفما تكونوا
يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة فأين المهرب مما هو كائن ونحن إنما نتقلب في
قدر الطالب سرتم أو عرّيتم * والأيام تقاضي الدين * وتنادي بالنفس الفرار الفرار
إلى أين * ونزل الكلام مع النائد فيما ارتكبه من تركه سنة وعلى ما جلبه من متابعة
ما بعد أما هذه من قيد لسانه جنسه أبدراجه في غط من قال فيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم إن من شر الناس من تركه الناس اتقاء فحشه ولا عصمة من الحق بلسان
الخنا عن وجهه ورجعه على ما بدا أو أهدى من العيوب التي بها الإحنة واستراح
على قوله تمامه وذكر على طريقة تقية الدين بالحديث الثابت في الصحيح عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له
ولا متاع فقال إن المفلس من أمتي من أتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم
هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من
حسناته فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه
ثم طرح في النار ويعلم الله أن معنى هذا الحديث الثابت عن الصدر الصادق هو الذي
جاء على قبحكم ومراجعكم في كثير من الأمور منها الإصرار عليكم بإذهاب عن
ما كنتم به في التاريخ وأمثاله فإنكم تنعم ما أوعيتم فيه من الغيبة المحرمة أحيا وأمواتا
لعدي حصل بيدكم وتمزيرهم نصكم بما رسم لهم من المطالبات نص الكتاب والسنة
فيلكم والرضا بهذه الصفقة الخاسرة أمر بعيد من الدين والعقل وقد ملكم عرمرم
عن أطرافكم المسرود مما دعوتم السنة من البدعة والتلاعب بالشريعة إن حقها التحريق
والتمزيق وإن من أطرافكم لكم تخدع نفسه وتخدعكم والله الشهيد بأني نصحتكم
وما غششتكم وليس هذا القول وإن كان ثقيلا عليكم بمخالف كل المخالفة لما تقدم
به من قدم المواجهة بالملاطفة والمعاملة بالمكارمة فليست المداراة بقادحة في الدين بل
هي محمودة في بعض الأحوال مستحسنة على ألسنة العلماء إذ هي بارزة في الكلام أو معاملة
بأسباب الدنيا لصلاحها وإصلاح الدين وأما المداهنة فهي بذل الدين لمجرد الدنيا
والمنافعة بتحصيل لها ومن ساقط للسرور بلكم ورأيه بأخلاقه ونحمده مخاطبة ومكاتبة
واستدل له بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على صحة مقالة فقد سلم
والحمد لله من مداهنة وقام لله تعالى بما يجب عليه في حقكم من التحذير والإنكار مع

قوله بالمغموس هو بتقديم الميم
المقصورة الاسم كذا في القاموس
اه مصححه

الإشفاق

الاشفاق والوجل واكثرتم فى كتابكم من المن بما ذكرتم أنكم صنعتم وعلى تقدير المواخذة لكم ليتكم ما فعلتم فبالتماس المعذرة وسلمتم وجل القائل سبحانه قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم وقلما شاركتم أنتم فى شئ الا باغراض حاصلة فى يدكم ولاغراض دنيوية خاصة بكم فالملام اذن فى الحقيقة انما هو متوجه اليكم وأما ما أظهرتموه فى حركتكم وكلامكم من التندم على فراق محلكم والتعلل بأخبار قطركم وأهلكم فمناقض منكم وان كنتم فيه بغدركم

أتبكى على ليلى وأنت تركتها * وكنت كآت غيه وهو طائع
وما كل ما منتك نفسك مخليا * تلاقى ولا كل له أنت تابع
فلا تبكين فى اثر شئ ندامة * اذا نزعته من يديك النوازع

وعلى أن تأسفكم لما وقعتم فيه من العذر لسلطانكم والخروج لا لضرورة غالبة عن أوطانكم من الواجب بكل اعتبار عليكم سيما وقد مددتم الى القتح بغيرها عينكم ولو لم يكن بهذه الجزيرة الغريبة من الفضيلة الا ما خصت به من بركة الرباط ورحمة الجهاد لكفاها فخرا على ما يجاورها من سائر البلاد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رباط يوم فى سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه وقال عليه الصلاة والسلام الروحة يروحها العبد فى سبيل الله والغدوة خير من الدنيا وما فيها وعلى كل تقدير فاذا لم يكن يا أخى فراركم من الاندلس الى الله وحده بالتوبة المكملة والاستغفار مع الانقطاع فى أحد المواطن المكرمة المعظمة بالاجماع وهى طيبة او مكة او بيت المقدس فقد خسرتم صفقة رحلتكم وتبين أن لغير وجه الله العظيم كانت نية هجرتكم اللهم الا ان كنتم قد لاحظتم مسئلة الرجل الذى قتل مائة نفس وسأل اعلم أهل الارض فأشار عليه بعد ازماع التوبة بمفارقة المواطن التى ارتكب فيها الذنوب واكتسب بها العيوب فأمر آخر مع أن كلام العلماء فى هذا الحديث معروف ويقال لكم من الجواب الخاص بكم فعليكم اذ ابتركت القيل والقال وكسر حربة الجدال والقتال وقصر ما بقى من مدة العمر على الاشتغال بصالح الاعمال ووقعت فى مكتوبكم كلمات اوردتها النقد فى قالب الاستهزاء والازدراء والجهالة بمقادير الاشياء منها ريح صرصر وهو لغة القرآن وقاع قرقر وهو لفظ سيد العرب والعجم محمد صلى الله عليه وسلم ثبت فى الصحيح فى باب التغليظ فيمن لا يؤدى زكاة ماله قيل يا رسول الله والبقر والغنم قال ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيأ تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها الحديث الشهير قال صاحب المعلم بطح لها بقاع قرقر أى ألقى على وجهه والقاع المستوى من الارض والقرقر كذلك هذا ما حضر من الجواب وبقى فى مكتوبكم حشو كثير من كلام اقذاع وفحش بعيد من الشيمة والحياء رأيت من الصواب الاعراض عن ذكره وصون المدعى عن الاستعمال فيه والظاهر أنه انما صدر منكم وأنتم بحال مرض فلا حرج فيه عليكم أنسأ الله تعالى اجلكم ومكن املكم وسكن وجلكم ومنه جل اسمه نسأل لى ولكم حسن الخاتمة والفوز بالسعادة الدائمة والسلام الاتم يعتمدكم والرحمات والبركات * من كاتبه على بن

عبد الله بن الحسين رحمه الله وذلك تاريخ آخر بات جمادى الاولى من عام ثلاثة وسبعين
وسبعمائة وقد رسمه الله تعالى في مدرج طي هذا الكتاب ما نصه * يا اخي اصلحني الله
واياكم بتوفيق من الحديث في الصواب الخروج عنه لكم اذ هذا اوانه وبا حد الشأن عن
وقت الحاجة فيه ما فيه ولتكون النيابة ان كان على اصل صحيح يقول الله وحاصله انكم
عندهم ما سار كتبكم فيه بحسب الاوقات وقطعتم بتسمية الامور كلها الى انفسكم وانما
انما صدرت عن امركم وبادتكم بن عمر مسار لذلك من تهما لكم ثم منع منها الى الفتح
المطل لعمل ركم لي بقدر التسليم في فعله لكم ورسم عدكم بالمقصر في حالة كله طريقه
ب نشر الندى في عن احسنه وسع المدح في عنسه وادعى ما نسي لاجمة انا م كوكم
بالاندلس بملك كافة قضا الجماعة وما كان الا انا ولبها بعهما الله وقدره وقد تبين لكل ذي
عقل سليم انه لا موجد الا الله وانه اذا كان كذلك كان الخير والشر والطاعة والمعصية
حاصلا بايجاد من الله وتخليقه وتكوينه من غير عاضد له في تحصيل مراد ولا معين ولكنه
جلت قدرته وعد فاعل الخير بالثواب فضلا منه واوعد فاعل الشر بالعقاب عدلا منه
وكأني بكم تنكرون من نثر رفد البعد به وما احوجكم الى تأملها تعين المعنى فكان دين
أيام تلك الولاية الكذ من الشكاية باستجداركم للقضايا الشرعية وتوليكم بالامور الدينية
ما تعظم الله به الاجر وذلك في جملة مسائل منها مسألة ابن الزبير المقتول على الردة بعد
سعي رحمانه على كرمكم ومنها مسألة ابن ابي العيش المعتقل في السجن على آرائه
المملة التي كان جاد حوله على روحه ان يطلقه اباها بالذنب وزعمه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم امر ... بالاستماع منه الحلم احدنا بكم ساول اخراجه من
النفاق من غيرما الا بأحد ومنها ان احد النسان المعلس بكم يوجب عليه المطالبة بدم
قتيل ونسي المدعى عليه للذبح امر بسكن جاو سعي عه ... الدين الاحسنة على ما حكمته
السنة فانهم لذلك وتحكم الطالب ولي الدم وسرحتم الذي المطلوب على الا وراي عند ذلك
بما لا يسع الوقت شرحه ولا ... لي ولا بكم ذكر والمسألة الاخرى انتم تولتم كبرها حتى
جرى فيها المقدور بجري به من الانفصال والحمد لله على كل حال واما الرمي بكذا وكذا
بما لا علم لنا بنسبته ولا عذر لكم من الماوي في التكلم به فيه فانا مع ... من البهتان بمن
كان يرجو لقاء ربه وكلامكم في المدح والهجو هو عندي من قبيل اللغو الذي غيره
كراما والحمد لله تكرروا او ... من اي نوع ... وما رضوه لنفسكم وما ذهب لكم
بما ذهب من الكلام الاعلى جهة الاعلام ... على جهة الامتثال لما صدر او يصدر
عنكم من الاقوال والافعال حدذي عن مد شكم وعندي ما ليس عندكم وكذلك
رأيتكم تنكرون في مخاطبتكم بلفظ الرد في رض الانكار لوجود بعضها والرى
بالمقصد والحق لبعملها ولو كنتم قد نظرتم في ... كتب السنة وسير الائمة المتلبة
نظر مصدق لما وسعكم انكار ما انكرتم وكتبه شط يدكم ... قادح كم في ... مد دستكم
... نشأ بالاجماع في سورة القلم انها خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وانه المراد بها هو
وآحاد امته وفي امهات الاسلام الخمس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى

رقاه جبريل فقال بسم الله يبريك ومن كل داء يشفيك ومن شر حاسد اذا حسد ومن شر كل ذي عين وفي الصحيح أيضا ان ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا في سفر فمروا بحي من أحياء العرب فاستضافوهم فلم يضيفوهم فقالوا هل فيكم راق فان سيد الحي لديغ أو مصاب فقال رجل من القوم نعم فأتاه فرقاه بفاتحة الكتاب فبرئ الرجل فأعطي قطيعا من غنم الحديث الشهير قال أهل العلم فيه دليل على جواز أخذ الاجرة على الرقية والطب وتعليم القرآن وهو قول مالك وأحمد والشافعي وأبي ثور وجماعة من السلف وفيه جواز المقارضة وان كان ضد ذلك أحسن وفي هذا القدر كفاية وما رقيت قط أحدا على الوجه الذي ذكرتم ولا استرقيت والحمد لله وما حملني على تبيين ما بينته الآن لكم في المسئلة الا ارادة الخير التام لجهتكم والطمع في اصلاح باطنكم وظاهركم فاني أخاف عليكم من الافصاح بالطعن في الشريعة ورمي علمائها بالمنقصة على عادتكم وعادة المستخف ابن هذيل شيخكم منكر علم الجزئيات القائل بعدم قدرة الرب جل اسمه على جميع الممكنات وانتم قد انتقلتم الى جوار أناس أعلام قلما تجوز عليهم حفظهم الله المغالطات فتأسركم شهادة العدول التي لا مدفع لكم فيها وتقع الفضيحة والدين النصيحة اعاذنا الله من درك الشقاء وشماتة الاعداء وجهد البلاء وكذلك احذركم من الوقوع عما لا ينبغي في الجناب الرفيع جناب سيد المرسلين وقائد الغر المحجلين صلوات الله وسلامه عليه فانه نقل عنكم في هذا الباب أشياء منكرة يكبر في النفوس التكلم بها انتم تعلمونها وهي التي زرعت في القلوب ما زرعت من بغضكم وايثار بعدكم مع استشعار الشفقة والوجل من وجه آخر عليكم ولولا انكم سافرتم قبل تقلص ظل السلطنة عنكم لكانت الامة المسلمة استعاضت الدنيا ودينا ها قد برزت بهذه الجهات لطالب الحق منكم فليس يعلم أنه صدر عن مثلكم من خدام الدول ما صدر عنكم من العبث في الابشار والاموال وهتك الاعراض وافشاء الاسرار وكشف الاستار واستعمال المكر والحيل والغدر في غالب الاحوال للشريف والمشروف والخادم والمخدوم ولو لم يكن في الوجود من الدلائل على صحة ما رضيتم به لنفسكم من الاتسام بسوء العهد والتجاوز المحض وكفران النعم والركون الى ما تحصل من الحطام الزائل الا عملكم مع سلطانكم مولاكم وابن مولاكم أيده الله بنصره وما نالت من مقالاتكم السيئة فيه وفي الكثير من اهل قطره لكفاكم وصمة لا يغسل دنسها البحر ولا ينسى عارها الدهر فانكم تركتموه أولا بالمغرب عند تلون الزمان وذهبتم للمكدية والاخذ بمقتضى المقامة الساسانية الى أن استدعاه الملك وتخلصت له بعد الجهد الاندلس فسقطتم عليه سقوط الذباب على الحلواء وضربتم وجوه رجاله بعضا ببعض حتى خلا لكم الجو وتمكن الامر والنهي فهمزتم ولمزتم وجمعتم من المال ما جمعتم ثم وريتم بتفقد ثغر الجزيرة الخضراء مكرا منكم فلما بلغتم أرض الجبل انحرفتم عن الجادة وهربتم بأثقالكم الهروب الذي انكره عليكم من بلغه حديثكم او يبلغه الى آخر الدهر في العدوتين من مؤمن وكافر وبر وفاجر فكيف يستقيم لكم بعد المعرفة تصرفاتكم حازم او يثق بكم في قول أو فعل صالح أو طالح ولو كان قد بقي لكم من العقل ما تفكرون به في الكيفية التي ختمتم بها عملكم

المسامحة لكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره
حرام دمه وماله وعرضه * ونرجع الى طريقة أخرى فنقول من كان يا فلان من قومكم في
عمود نسبكم نبيهامشهورا او كاتبا قبلكم معروفا او شاعرا مطبوعا او رجلا نبيها مذكورا
ولو كان بالوشي وكان المكان من الواجب الرجوع الى التناصف والتواصل والتواضع
وترك التحاسد والتباغض والتقاطع ان الله لا ينظر الى صوركم وابدانكم ولكن ينظر الى
قلوبكم وأعمالكم وكذلك العجب كل العجب من تسميتكم الخربات التي شرعتم في بنائها بدار
السلامة وهيهات هيهات المعروف من الدنيا أنها دار بلاء وجلاء وعناء وفناء ولو لم يكن
من الموعظة الواقعة بتلك الدار في الوقت الا موت سعيدكم عند دخولها لا غناكم عن العلم
اليقين بما لها وأظهرتم سرورا كثيرا بما قلتم انكم نلتم حيث انتم من الشهوات التي ذكرتم
ان منها الاكثار من الاكل والخرق والقعود بازاء جارية الماء على نطع الجلد والامساك
اولى بالجواب على هذا الفصل فلا خفاء بما فيه من الخسة والخساسة والخبث وبالجملة
فسرور العاقل انما ينبغي أن يكون بما يجمل تقدمه من زاد التقوى للدار الباقية فما العيش
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عيش الآخرة فقدموا ان قلتم وصاة الحبيب
او البغض بعضا عسى أن يكون لكم ولا تخالفوا كالا يكون عليكم هذا الذي قلته لكم
وان كان لدى من يقف عليه من نمط الكثير فهو باعتبار المكان وما مر من الزمان في حيز
اليسير وهو في نفسه قول حق وصدق ومستندا كثره كتاب الله وسنة محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعلى سائر أنبيائه فاحمدوا الله العلي العظيم على تذكيركم به اذ هو
جار مجرى النصيحة الصريحة يسرني الله واياكم لليسرى وجعلنا ممن ذكر فانتفع بالذكرى
والسلام * انتهى كلام القاضي ابن الحسن النباهي في كتابه الذي خاطب به لسان الدين
رحمه الله تعالى * واين هذا الكلام الذي صدر من ابن الحسن في حقه من انشاء لسان الدين
رحمه الله تعالى في تولي ابن الحسن المذكور القضاء وهو هذا ظهير كريم انتج مطلوب
الاختيار قياسه * ودل على ما يرضي الله عز وجل التماسه * وأطلع نور العناية الذي
يجلو الظلام نبراسه * واعتمد بمثابة العدل من عرف باقتراع هضبتها ناسه * وألقى بيد المعتمد
به زمام الاعتقاد الجميل تروق أنواعه وأجناسه * وشيد مبنى العز الرفيع في قنة
الحسب المنيع وكيف لا والله بانيه والمجد أساسه * امر به * وأمضى العمل بمقتضاه
وحسبه * امير المسلمين عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج ابن مولانا أمير
المسلمين أبي الوليد اسمعيل بن فرج بن نصر أيد الله اوامره * وخلد مآثره * لقاضي
حضرته العلية * وخطيب حمرائه السنية * المخصوص لديه بترفيع المزية * المصروف
اليه خطاب القضاة بايالته النصرية * قاضي الجماعة * ومصرف الاحكام الشرعية
المطاعة * الشيخ الكذا ابي الحسن ابن الشيخ الكذا ابي محمد بن الحسن وصل الله
سعادته * وحرس مجادته * وسنى من فضله ارادته * عصب منه جبين المجد بتاج الولاية *
وأجال قداح الاختيار حتى بلغ الغاية وتجاوز النهاية * ما ألقى منه بيمين عرابة الراية *
وأحله منه محل اللفظ من المعنى والاعجاز من الآية * وحشر الى مدعاة ترفيعه وجوه

البر واعيان الدولة * واطلق بفضله السنة اهل حضرته من الافصاح والكتابة * ولما كان المجلس الاصيل الذي شهدت به رتبة الدواوين * والاصالة التي قامت عليها فصاح البراهين * والآثار الذي اعتمد بها قواعد الدين * ونطق بفاضل الحكم نسق الحق المبين * واردان تمالئه وزرائهم السلاطين * بين فارس حكم او حكم بديه * وفاصل في الامور الشرعية ووزير * او جامع بينهما جمع سلامة لا جمع تكسير * تعدد ذلك واطرد * ووجد من شرع الحد عذبا فورد * وصرف النظر عن هذا فاسرد * ورقى المرقى في الشرع فاسمه السمع البرد * وما في اعمامهم غيبا المدارس * فماحق ودرس * حايبا المائدر السلف المبارك واعرس * طاهر النسا وحورها * محمود السمة مشكورها * محليا بالسكينة * حالا من الزاهدة بالمكانة المكينة * ساحبا اذيال الصون * بعيدا عن الاتصاف بالفساد من لدن الكون * خطيبه الخطط العلية * واعطيته الجياد الاولية * واستعملته دولته التي زادها اهل الفضائل للزينة * واستظهرت على المناصب بانسا النبي والحسب * والفضل والجد والادب * ممن جمع من الطارف والتالد والارث والمكتسب * فكان معدودا من عدول قضاتها وصدور رئاساتها * واعيان وزرائها واولي آرائها * فلما اراد الله تعالى حلا رتبته بالتخصيص المنجلي من التخصيص * وخلص ملكه الاصيل كالذهب الابريز بعد التخليص * كان من صحب ركابه الطالب للحق الحق * وسلك في مظاهرته اوضح الطرق * وجادل من حاد بامضى من الحداد الدلق * واشتهر حسن وفائه في الغرب والشرق * وصلي به صلا السفر والحضر * والامن والحذر * وخطب به في الاماكن التي تعدد ذكر الله عهدها * وخاطب عنه ايده الله تعالى المخاطبات التي حمد قصدها * حتى استقل ملكه فوق سرير * واشتهر به الاسلام بامير وابن امير * ونزل السر على العباد والبلاد بركة ايالته وحسن تدبيره * وكان الجليس المقرب المحل * والحاكي المشاور في العقد والحل * والرسول المؤتمن على الاسرار * والامين على الوظائف الكبار * قرين المجلس السلطاني بالوقار * وصحب الملك بعرس الاحرار * وخطيب منبر المعالي في الجماعات * وقاري الحديث لديه في الجمعات * فرأى ايده الله تعالى أن يشرك رعيته في نعمه * ويصرف عوامل الخطوة على من يدرمه * ويجلسه مجلس الشارع صلوات الله عليه لافصاح شرعه * واصل الوشيج وفرعه * وقدمه اعلى الله تعالى قدمه * وشكر آلاء ونعمه * قاضيا في الامور الشرعية * وفاصلا في القضايا الدينية * مقصر عن باطله العلية * مقدم الاحبار والاعيان * وابقى لهذا السلف على الخلف والله سبحانه عنه يطول البقا * فليتول ذلك عادلا في الحكم * مهتديا بنور العلم * مسويا بين الخصوم حتى في لحظه والفاظه * مقتفيا في الحلم باصل قضاته * مهتديا الدين * ورونا الموقنين * مجلا في الاحكام * مجتهدا في الفصل بامضى حسام * مراقبا الله عز وجل في النقض والابرام * واوصاه بالمشورة التي تقدح زناد التوفيق * والتثبت حتى يتبع قياس التحقيق * بارا باهل الموثق * عادلا الى سعة الاموال عند المتقين * سالكا من سنن المذهب على اهدى طريق * وصيته امده ماله

مصدر

مصدر الذكرى التي تمع * ويعلى الله بها الدرجات ويرفع * والافهو عن الوصاة غنى *
وقصده قصد سنى * والله عز وجل ولى اعانته * والحارس من التبعات اكناف ديانته *
والكفيل بحفظه من الشبهات وصيانته * وأمر أيده الله تعالى أن ينظر في الاحباس على
اختلافها * والاوقاف على شتى أصنافها * واليتامى التى انسدلت كفالة القضاة على
أصعافها * فيذود عنها طوارق الخلل * ويجرى امورها بما يتكفل لها بالامل * ولنعلم
أن الله عز وجل يراه * وأن فلتات الحكم تعاوده المراجعة فى اخراه * فيدرع جنة
تقواه * وسبحان من يقول ان الهدى هدى الله * فعلى من يقف عليه أن يعرف امر هذا
الاجلال * صانا منصبه من الاحلال * مبادرا امره الواجب بالامتثال * بحول
الله * وكتب فى الثالث من شهر الله المحرم فاتح عام اربعة وستين وسبعمائة عرف الله
سبحانه فيه هذا المقام العلى عوارف النصر المبين والفتح القريب بمنه وكرمه فهو المستعان
لارب غيره انتهى * ونظير هذا ما أنشأه لسان الدين على لسان سلطانه للكاتب أبى عبد الله بن
زمرك حين تولى كتابة السر * ونصه * هذا ظهير كريم نصب المعتمد به للامانة الكبرى ببابه
فرفعه * وأفرد له متلو العز وجمعه * وأوتره وشفعه * وقربه فى بساط الملك تقريبا فتح له باب
السعادة وشرعه * وأعطاه لواء القلم الاعلى فوجب على من دون رتبته من أولى صنعته
أن يتبعه * ورعى له وسيلة السابقة عند استخلاص الملك لما انتزعه الله من يد العاصب
وانتزعه * وحسبك من زمام لا يحتاج الى شئ معه * امر به أمير المسلمين محمد للكذا الكذا
فلان وصل الله سعادته * وحرس مجادته * اطلع الله تعالى وجه العناية انهى من الصبح
الوسيم * وأقطعه جناب الانعام الجسيم * وأنشقه أرواح الحظوة عاطرة النسيم * ونقله من
كرسى التدريس والتعليم * الى مرقى التنويه والتكريم * والرتبة التى لا يلقاها الا ذو حظ
عظيم * وجعل أقلامه جياد الاجالة امره العلى * وخطابه السنى * فى ميدان الاقاليم *
ووضع فى يده امانة القلم الاعلى جاريا من الطريقة المثلى على المنهج القويم * واختصه
بمزية التفوق على كتاب بابه والتقديم * لما كان ناهض الفكر فى طلبة حضرته زمن
البداية * ولم تزل تظهر عليه لاولى التمييز مخايل هذه العناية * فان حضر فى حلق العلم جلى فى
حلبة الحفاظ الى الغاية * وان نظم او نثر أتى بالقصائد المصقولة * والمخاطبات المنقولة *
فاشتهر فى بلده وغير بلده * وصارت أزمة العناية طوع يده * بما وجب له المزية فى يومه
وغده * وحين رد الله عليه ملكه الذى جبر به جناح الاسلام * وزين وجوه الليالى والايام *
وأدال الضياء من الظلام * كان ممن وسمه الوفاء وشهره * وعجم الملك عود خلوصه وخبره *
فحمد أثره * وشكر ظاهره ومضمره * واستصحب على ركابه الذى صحب اليمن سفره *
وأخلصت الحقيقة نفره * وكمل الله ورده وصدره * ميمون النقيبة * حسن الضريبة *
صادقا فى الاحوال المريبة * ناطقا عن مقامه بالمخاطبات العجيبة * واصلا الى المعانى البعيدة
بالعبارة القريبة * مبرزا فى الخدم الغريبة * حتى استقام العماد * ونطق بصدق الطاعة
الحى والجماد * ودخلت فى دين الله افواجا العباد والبلاد * لله الحمد على نعمه الثرة
العهاد * وآلائه المتوالية الترداد * رعى له ايده الله هذه الوسائل وهو أحق من رعاها *

بالمآثر العلية فى الحسن والاحسان * وتصدر لقضاء الجماعة تصدرت عنه الاحكام الراجحة الميزان * والانظار الحسنة الاثر والعيان * والمقاصد التى وفت بالغاية التى لا تستطاع فى هذا الميدان * فكم من قضية جلا عوارفه مشكلها * ونازلة مبهمة فتح بادراكه مقفلها * ومسألة عرف نكرتها وقرر مهملها * حتى قرت بعدله وجزالته العيون * وصدقت فيه الآمال الناجحة والظنون * وكان فى تصديره لهذه الولاية العظمى من الخير والخيرة ما عسى أن يكون * كان احق بالتشيع لولاياته وأولى * وأجدر بمتابعة النعم التى لاتزال تترادف على قدره الاعلى * فلذلك اصدر له أيده الله هذا الظهير الكريم مشيدا بالترفيع والتنويه * ومؤكدا للاحتفاء الوجيه * وقدمه * اعلى الله قدمه * وشكر نعمه * خطيبا بالجامع الاعظم من حضرته * مضافا ذلك الى ولايته ورفيع منزلته * مرافقا لمن بالجامع الاعظم عمره الله بذكره من علية الخطباء * وكبار العلماء وخيار النبهاء الصلحاء * فليتداول ذلك فى جمعاته * مظهرا فى الخطة اثر بركاته وحسناته * عاملا على ما يقربه عند الله من مرضاته * ويظهره بجزيل مثوباته * بحول الله وقوته انتهى

فهذا ثناء لسان الدين المرحوم على القاضى ابن الحسن واشادته بذكره وباشارته وتدبيره ولى قضاء القضاة وخطابة الجامع الاعظم بغرناطة وهذان المنصبان لم يكن فى الاندلس فى ذلك الزمان من المناصب الدينية اجل منهما * ولما حصل للسان الدين رحمه الله تعالى ماحصل من النفرة عن الاندلس واعمال الحيلة فى الانفصال عنها لعلمه أن سعايات ابن زمرك وابن الحسن ومن يعضدهما تمكنت فيه عند سلطانه خلص منها على الوجه الذى قدمناه وشمر القاضى ابن الحسن عن ساعد اذايته والتسجيل عليه بما يوجب الزندقة كما سبق جميعه مفصلا فحينئذ أطلق لسان الدين عنان قلمه فى سب المذكور وثلبه وأورد فى كتابه الكتيبة الكامنة فى أبناء المائة الثامنة من مثالبه ما انسى ما سطره صاحب القلائد فى ابن باجة المعروف بابن الصائغ حسبما نقلنا ذلك اعنى كلام الفتح فى غير هذا الموضع ولم يقنع بذلك حتى ألف الكتاب الذى سماه بخلع الرسن كما لمعنا به فيما سبق والله سبحانه يتجاوز عن الجميع بمنه وكرمه * واعلم أن للسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى الغاية فى المدح والقدح فتارة على طريق الترسل وطورا على غيرها وقد أقذع وبالغ رحمه الله تعالى فى هجو أعدائه بما لا تحتمله الجبال * وهو أشد من وقع النبال * ومنه ما وصف به الوزير الذى كان استوزره السلطان اسمعيل بن الاحمر الثائر على سلطان ابن الخطيب حسبما سبق الالمام بذلك والوزير هو ابراهيم بن أبى الفتح الاصلع الغوى اذ قال فى المذكور وفى ابن عمه محمد بن ابراهيم بن أبى الفتح العقرب الردى بعد كلام * ما صورته * وما ظنك برجل مجهول الجد موصوم الابوة الى أن قال تنور خبز وبركة مرقة وثعبان حلواء وفاكهة مغى فى شح النفس متهالك فى مستر ذل الطمع عليه العذيوط الغبى ابن عمه بسذاجة زعموا مع كونه قبيح الشكل بشيع الطلعة الى أن قال وفى العشر الاول من رمضان عام واحد وستين وسبعمائة تقبض على الوزير المشؤم وابن عمه الغوى العشوم وولد الغوى مرسل الطفيرة أبعد الناس فى مهوى الاغترار يختال فى السرف والحلية سم من سم القوارير وابتلاء من الله لذوى

ياعدل سرح يادق مقتعد * ملآن من ريبة ومن قذر
يا واصلا للعشاء ناشئة الـ * ـليل ورب الصراط فى السحر
من غير آب ولا مراقبة * لله فى مورد ولا صدر
يا خاملا جاهه الفروج يرى * صهر أولى الجاه خير مفتخر
كانوا ابيطا فى الاصل او حبشا * ما عنده عثرة عثر
يا ناقص الدين والمروءة والـ * ـعقل ومجرى اللسان بالهذر
يا ولد السحق غير مكتتم * حديثه يا ابن فاسد الدبر
يا بغل طاحونة يدور بها * مجتهد السير مغمض البصر
فى اشهر عشرة طحنتهم * فيارحى الشوم والبوادر
والله ما كنت يا مشوم ولا * انت سوى عرة من العرر
ومن ابو الفتح فى الكلاب وهل * لجاهل فى الانام من خطر
قد ستر الدهر منك عورته * وكان لليوم غير مستتر
حانوت ريمى على فرش * وثور عرس يختال فى حبر
لا منة تقى لمعترك * ولا لسان يبين عن خبر
ولا يد تنتمى الى كرم * ولا صفاء يريح من كدر
عهدى بذاك الجبين قد ملئت * غضونه العبر بالدم الهدر
عهدى بذاك القفا العليط وقد * مد لوقع المهند الذكر
اهدتك للبحر كف منتقم * ألقتك للحوت كف مقتدر
يا يتم اولادك الصغار ويا * حيرتهم بعد ذاك فى الكبر
يا ثكل تلك الصماء أمهم * وطاعن الموت غير منتظر
والله لا نال من تخلفه * من أمل بعدها ولا وطر
والله لا مصحقان لا انتقلت * رجلاك منها الا الى سقر
ألحفك الله بالهوان ولا * رعاك فيمن تركت من عرر
ما عوقب الليل بالصباح وما * تقدم البرق عارض المطر انتهى

وقال مورّيا بدم الاخوين فى شان سلطان تلك الدولة الذى اضحى أثرا بعد عين

باسمعيل ثم أخيه قيس * تأذن ليل همى بانبلاج
دم الاخوين داوى جرح قلبى * وعالجنى وحسبك من علاج

وهذه تورية بديعة لان الاطباء يقولون ان من خاصية دم الاخوين المنع من الجراح
وقال رحمه الله تعالى قلت فى رأس الغادر بالدولة حين عرض على

فى غير حفظ الله من هامة * هام بها الشيطان فى كل واد
ما تركت جدا ولا رجحة * فى فم انسان ولا فى فؤاد

وقال أيضا فى تلك الدولة بعد كلام ما نصه واستدب قاضيهم الشيخ المتراخى الدين والفك
المنحل العصب والعقيدة المعرق فى العمومية المشهور بقبول الرشوة أبو فلان فلان بن

بذي العرف الجسيم والولاء ومعه سهم بمقدن الربا والهواد والبعد عن القصص والحسد والميل في العمى والطرف في النهاب على المظالم فلان السابق المحرى سبابا المهر المستقدم في دارابه اخيرا مختصا بالطف مما بقي رمق العيشة وحصل به دليل على الخنا وفصل في السر فلقموا بن خوط العاتك سهاب بعلدوا ما أحل العقد الموثق وقدمهم في معارضة طلب الله بالآثار الحسنة بحكم الوهاج منهم في الحكم الذي نزل به سيد البشر على الذي لا ينطق عن الهوى بحسب ما وقعه بحكمه في عزل أمه اسار اللعاجل واسرائه بالوعد فسخوا النكاح وحللوا المحرم المنع للداخل وقد بأذن الله بمنحه وأجرى دمه بذا فصل دفع وقد سبحانه حكم الحكام وماهر الظلام وما مسحه السر بلعنة الله وسوء الاحدوثة ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا انتهى * (ومن كلامه في مناصحة الجراب وقد ذكر وزير المغرب محمد بن علي بن مسعود ما نصه وانه محسون احول العين وحسن الشطر نطق به العصب في حال الرضا ضج به المزار فمكن رمانا حلف كله مزيد بدخل الدوعا الجاحد خرفاس اصعار الى نصا مرله ونوحه من أهله وولد الى أن نصب سور المر فيصامن فدنا ن روحه مع أصحاب رواق السنة ونودي داعية العنلة بخلف خبر الوسواس السوداوي يندفع بالله شر بلائه فاستعاذ مسرور به رأى الفضل بن سهل ويحيى بن خالد وأمثالهما تدارك الله ر بي الاسلام بلطفه انتهى * ولما دخل لسان الدين رحمه الله تعالى مدينة مكناسة الزيتون بأخر فاضها الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي رمانة عن لقائه يوم وصوله فكتب اليه عاتبه

حنانا بن أبي رمانة وجه مقدمي * ونكب عن مغر صاوة الماني
وحجب عني حبه غير جاهل * بأني صميم والمعز بن ساني
ولكن رأى مغر ساحقا * وأن طعامي لم يكن حب رمان

وبار الماضي اصلحه الله لملي من لا يعاينه ولا يرجوه * عجب من وجو * اولها كوني ضيفا * من لا بعد على الاحسان رسا * ولا يحترم وانسته محدا * بصلاح عن أن سرع رمحا او وصل سيفا * وثانيها أني امت اليه من الطلب بنسب * من موروث ومكتسب * ورابع الفضل بدعر هما الحق وأصلها * والرحم كما علم بدعو لمن وصلها * وثالثها المدأبي هذا العرض * ولكن الواو لاريب الا بالعرض * وهو اقتضا من المولى ايده الله في ماسي * وصمة اباى عمر بي ونحسي * وراتبها وعد كسبي * وهزرجسي * وفاته عيسي * ومام بلوى وتلبسي * مود ر بس هذا السمت العلي ور سي * فليت شعري ما الذي عارض هذه الاصول الاربعة * ورجح مذاهبها المتبعة * الا أن يكون عمل أهل المدينة سابقا * فهذا عيب النفس ونكصها * وان يعذر لقيا او استدعا * وعدم طعام او وعا * ولم يمنع نكاح ولا اسرعا * فلم يعذر عذر بنصبه الكريم * والمنصب المحرم * فالجلد الى الماضي الجدد ان اشتاق * والعرف بين الله والناس باق * والعمر على لسان ملة معروضة * والاعمال معروضة * والله لا يستحيي أن يضرب ملامة وحده * وان كان لدى الماضي في ذلك عذر فليقده * وأولى الاعذار به أنه لم يقصده * والسلام

انتهى * ويعنى بالمولى السلطان أبا سالم ابن السلطان أبى الحسن المرينى وبرئيس هذا الصنف العلامة الخطيب أبا عبد الله بن مرزوق رحم الله الجميع * (ومن كلام لسان الدين رحمه الله تعالى) رسالة فى أحوال خدمة الدولة ومصايرهم * وتنبيههم على النظر فى عواقب الرياسة بعيون بصائرهم * عبر بها عن ذوق ووجدان * وليس الخبر كالعيان * وخاطب بها الامام الخطيب عين الاعيان * سيدى أبا عبد الله بن مرزوق وكأنه أعنى لسان الدين أشار ببعض فصولها الى نفسه * ونطق بالعيب فى نكبته التى قادته الى رمسه * وكان ذلك منه عندما اراد التخلى عن خدمة الملوك * والتحلى بزينة أهل التصوف والسلوك * فلم يرد الله أن تكون مهجته نائية عن ساحة الظلمة خارجة * واراد سامحه الله وغفر له غيرا واراد الله خارجة * وصورة ما قال رحمه الله تعالى وأحسبه يعنى ابن مرزوق فى بعض كتبه الواردة الى صاغية الى الدنيا وحبنا الما بلاء من غرورها حملنى الطور الذى ارتكبته فى هذه الايام بتوفيق الله على أن اخاطبه بهذه الرسالة وحقها أن يجعلها خدمة الملوك ممن ينسب الى نبل ويلم بمعرفة مصحفا يدرسه وشعارا يلتزمه وهى سيدى الذى يده البيضاء لم تذهب بشهرتها المكافآت * ولم تختلف فى مدحها الافعال ولا تعارضت الصفات * ولا تزال تعترف بها العظام الرفات * اطلقك الله من اسر كل الكون كما اطلقك من اسر بعضه * وزهدك فى سمائه الفانية وفى ارضه * وحقر الحظ فى عين بصيرتك بما يحملك على رفضه * اتصل بى الخبر السار من تركك لشانك * واجناء الله تعالى اياك ثمرة احسانك * وانجياب ظلام الشدة الحالك عن افق حالك وكبرت * وفى الفرج من بعد الشدة اعتبرت * لا يسوى ذلك من رضا مخلوق يؤمر فيأتمر * ويدعوه القضاء فيبتدر * انما هو فىء * وظل ليس له من الامر شىء * ونسأل الله جل وعلا أن يجعلها آخر عهدك بالدنيا وبنيها * وأول معارج نفسك التى تقربها من الحق وتدنيها * وكأنى والله احس بثقل هذه الدعوة على سمعك * ومضادتها ولا حول ولا قوة الا بالله لطبعك * وأنا بأفرك الى العقل الذى هو قسطاس الله تعالى فى عالم الانسان * والآلة لبث العدل والاحسان * والملك الذى يبين عنه ترجمان اللسان * فأقول ليت شعرى ما الذى غبط سيدى بالدنيا * وان بلغ من زبرجدها الرتبة العليا * وتفرض المثال بحال اقبالها * ووصل حبالها * وخشوع جبالها * وضراعة سبالها * ألتوقع المكروه صباحا ومساء * وارتقاب الحوالة التى تديل من النعيم البأساء * ولزوم المنافسة التى تعادى الاشراف والرؤساء * ألترتب العتب * على التقصير فى الكتب * وضغينة جار الجنب * وولوع الصديق باحصاء الذنب * ألنسبة وقائع الدولة اليك وأنت برى * وتطويقك الموبقات وأنت منها عرى * ألاستهدافك للمضار التى تنتجها غيرة المروج * والاحقاد التى تضطلها ركبة السروج * وسرحة المروج * ونجوم السماء ذات البروج * ألتقليدك التقصير فيما ضاقت عنه طاقتك * وصحت اليه فاقتك * من حاجة لا يقتضى قضاءها الوجود * ولا يكفيها الركوع للملك والسجود * ألقطع الزمان بين سلطان يعبد * وسهام للغيوب تكبد * وعجاجة شر تلبد * وأقبوحة تخلد وتؤبد * ألوزير يصانع ويدارى * وذى حجة صحيحة يجادل فى مرضاة

المعترسات * وأين الدخائر المختارات * وأين الودائع المؤملة * وأين الامانات المحملة * تأذن الله بتبديرها * وادناء ماراتبارمن دنانيرها * فقلماتلقى أعقابهم الاعراء الطهور * مترمقين بحريات الشهور * متعللين بالهباء المشور * يطردون من الابواب التى حجب عنها آباؤهم * وعرف منها اباؤهم * وشم من مقاصيرها عنبرهم وكباؤهم * ولم تسامحهم الايام الالى ارث محرّر * اوحلال مقرّر * ورعامحقه الحرام * وتعدرمنه المرام * هذه اعزك الله حال قدواهامع الترفيه * ومالها المرغوب فيه * وعلى فرض أن يستوفى العمرفى العرمستوفيه * وأماضده من عدو يحكم وينتقم * وحوت بغى يبتلع ويلتقم * ومطبق يحجب الهواء * وبطيل فى التراب الثواء * ونعبان قيديعص الساق * وشؤبوب عذاب يمرق الابشار الرقاق * وغيلة يهديها الواقب العاسق * ويجرعها العدو الفاسق * فصرف السوق * وسلعته المعتادة الطروق * مع الافول والشروق * فهل فى شئ من هدا مغتبط لنفس حرّة * اومايساوى جرعة حال مرّة * واحسرتا للاحلام ضلت * وللاقدام زلت * ويالها مصيبة حلت * ولسيدى أن يقول حكمت باستثقال الموعظة واستحمائها * ومراودة الدنيا بين خلائها او كمائها * وتناسى عدم وفائها * فأقول الطبيب بالعلل ادرى * والشفيق بسوء الظن مغرى * وكيف لا واناأقف على السحاآت بخط يدسيدى من مطارح الاعتقال * ومثاقف النوب الثقال * وخطوات الاستعداد * للقاء الخطوب الشداد * ونوش الاسنة الحداد * وحيث يجمل به أن لايصرف فى غير الخضوع لله تعالى بنانا * ولايثنى لمخلوق عنانا * واتعرف أنها قدملأت الجوّ والدوّ * وقصدت الجماد والنوّ * تقتحم اكف اولى الشمات * وحطة المدمّات * واعوان النوب الملمات * زيادة فى الشقاء * وقصدا بريأ من الاختيار والانتقاء * مشتملة من التجاوز على اغرب من العنقاء * ومن النفاق على اشهر من الملقاء * فهذا يوصف بالامامة * وهذا يجعل من أهل الكرامة * وهذا يكلف الدعاء وليس من اهله * وهذا يطلب منه لقاء الصالحين وليسوا من شكله * الى ما احفظنى والله من البحث عن السموم * وكتب النجوم * والمذموم من العلوم * هلا كان من ينظر فى ذلك قدقوطع شانا * واعتقد أن الله قدجعل لزمان الخير والشرّ ميقاتا * وأنالا نملك موتا ولانشورا ولاحياتا * وأن اللوح قدحصر الاشياء محوا واثباتا * فكيف يرجو لما منع منالا اونستطيع مماقدرافلاتا * افيدونا مايرجح العقيدة المتقررة فنتحول اليه * وبينوا لنا الحق نعول عليه * الله الله ياسيدى فى النفس المرشحة * والذات المحلاة بالفضائل الموشحة * والسلف الشهير الخير * والعمر المشرف على الرحلة بعد حث السير * ودع الدنيا لاهلها اوكس حظوظهم * وأخس لحوظهم * وأقل متاعهم * وأعجل اسراعهم * واكثرعناهم * واقصر آناءهم

ماثمّ الا ما رأيت وربما تعيى السلامه
والناس امّاجائر * اوحائر يشكو ظلامه
واذا اردت العز لا * ترز أى الدنيا قلامه

الذى لاعار عند الحاجة بعزته * السؤال والله اقوم طريقا * واكرم رفيقا * من يد تمتد الى
حرام * لايقوم بمرام * ولايؤمن من ضرام * احرقت فيه الحالى * وقامت الاديان
والملل * وضربت الابشار * ونحرت العشار * ولم يصل منه على يدى واسطة السوء
المعشار * ثم طلب عند الشدة فصح * وبان شؤمه ووضح * اللهم طهر منها ايدينا
وقلوبنا * وبلغنا من الانصراف اليك مطلوبنا * وعرفنا بمن لايعرف غيرك * ولايسترفد
الاخيرك * بالله وحقيق على الفضلاء ان جنح سيدى منها الى اشاره * اواعمل فى احتلابها
أضباره * اولبس منها شاره * اوتشوف لخدمة اماره * أن لايحسنوا ظنونهم بعدها بابن
ناس * ولايعتروا بسمة ولاخلق ولالباس * فاعدا عما بدا تقضى العمر فى محن وقيد *
وعمرو وزيد * وضر وكيد * وطراد صيد * وسعد وسعيد * وعبد وعبيد * فتى تظهر
الافكار * ويقر القرار * وتلازم الاذكار * وتشام الانوار * وتتجلى الاسرار *
ثم يقع الشهود الذى يذهب معه الاخبار * ثم يحق الوصول الذى اليه من كل ماسواه
الفرار * وعليه المدار * وحق الحق الذى ماسواه باطل * والفيض الرحمانى الذى ربابه
الابد هاطل * ماشابت مخاطبتى لك شائبة تريب * ولقد محضت لك مايمحضه الحبيب
للحبيب * فتحمل جفاءى الذى حملت عليه الغيره * ولاتطن بى غيره * وان لم تعذرنى
مكاشفة سيادتك بهذا النث * فى الاسلوب الرث * فالحق اقدم * وبناؤه لايهدم *
وشانى معروف فى مواجهة الجبابرة على حين يدى الى رفدهم ممدودة * ونفسى فى النفوس
المتهافتة عليهم معدودة * وشبابى فاحم * وعلى الشهوات مزاحم * فكيف بى اليوم
مع الشيب * ونصح الجيب واستكشاف العيب * انما انا اليوم على كل من عرفنى كل
ثقيل * وسيف العذل فى كفى صقيل * اعذل اهل الهوى * وليست النفوس فى القبول
سوا * ولالكل مرض دوا * وقد شفيت صدرى * وان جهلت قدرى * فاحملنى حملك الله
تعالى على الجادة الواضحة * وسحب عليك ستر الابوة الصالحة * والسلام * انتهت
الرسالة البديعة فى بابها * الآتية من الموعظة بلبابها * ذات النصيحة الصريحة التى
يتعين على كل عاقل خصوصا من يريد خدمة الملوك التمسك بأسبابها * قلت وقد رأيت بخط
الامام العلامة الخطيب ابن مرزوق على هامش قول لسان الدين اول الكلام
وأحسست منه فى بعض كتبه الى آخره ماصورته توهم مالايقع بل لما تجافت عن سحب
السكينة والامتحان جرمت بالرحلة * وعزمت على النقله * ونفرت عن خدمة السلطان *
وملازمة الاوطان * قال ابن مرزوق والعجب كل العجب أن جميع ماخاطبنى به ابقاه
الله تعالى تحلى به أجمع وابتلى بما منه حذر فكانه خاطب نفسه وأنذرها بما وقع له فالله
تعالى يحسن له الخاتمة والخلاص انتهى * وكتب تحت كلام ابن مرزوق هذا بخطه ابن
لسان الدين على ماصورته صدق والله سيدى أبو عبد الله بن مرزوق كان الله تعالى له قاله
ولده ابن المؤلف انتهى * قلت وهذا الذى قاله ابن مرزوق كان فى حياة ابن الخطيب ولذلك
دعا له بالبقاء وبحسن الخاتمة والخلاص وقد أسفر الغيب عن محنته ثم قتله على الوجه الذى
وصفه أثناء هذه الرسالة اذ قال واما مقدم من عدو يتحكم وينتقم * وحوت بغى يبتلع

وبلتثم * و طوى بجسب الهوا * وبطل فى البراب الدوا * وبعان فبد بعض البان * وبعوب عذاب عرى الاسار الرواى * وعلا بهذبها الواعب الغاسى * وبحرعها العذو الفاسى * بصرف السوى * وسلمه المماد الطرو * مع الاوول والسروى * فانه رحمه الله بعالى حصل له مادكر م اعباله لاوحمه فى بحمسه عدو الناس سلمان بن داود كما بعدمت الاشار الى ذلك فالله بعالى سمهد الشهاد * ووبد ذكرت هسامى سه ابيات المصنى وهى

هل لمن يرتجى البقا خلود * وسوى الله كل شى يبيد
والذى كان من تراب وان عا * ش طويلا الى التراب يعود
بصير الانام طرا الى ما * صارت آبائهم والجدود
اين حوا ام ابن آدم اذ ها * ...هما الملك والثوا والخلود
اين هابيل اين قابيل اذ هذا لهذا معاند وحسود
اين نوح ومن نجا معه بالفلك والعالمون طرا فقيد
اسلمته الايام كالطفل للمو * ت ولم يغن عمره الممدود
اين عاد بل اين جنة عاد * ارم اين صالح وثمود
اين ابراهيم الذى شاد بيت الله فهو المعظم المقصود
اين اسحق اين يعقوب ام اين بنوه وعدهم والعديد
حسدوا يوسفا اخاهم فكادوه * ومات الحساد والمحسود
وسليمان فى النبوة والملك قضى مثل ما قضى داود
فغدا بعد ما اطاع له الخلق وهذا له الحديد
وابن عمران بعد آياته التسع وشق الخضم فهو صعيد
والمسيح ابن مريم وهو روح الله كادت تقضى عليه اليهود
وقضى سيد النبيين والها * دى الى الحق احمد المحمود
وبنوه وآله الطاهرون الغر هم صلى عليهم المعبود
ونجوم السما منتثرات * بعد حين وللهواء ركود
ولنار الدنيا التى توقد الصخر خمود وللسما جمود
وكذا للثرى غدا ثم الشامخات منها زلزال وهمود
هذه الامهات نار وترب * وهوا رطب وماء برود
سوف يفنى كما فنينا فلا يبقى من الخلق والد ووليد
لا الشقى الغوى من نوب الايام ينجو ولا السعيد الرشيد
ومتى سلت المنايا سيوفا * فالموالى حصيدها والعبيد

واما قصيدة ابن عبدون الاندلسى التى رثى بها بنى الافطس وذكر فيها كثيرا من الملوك الذين ابادهم الدهر وطحنهم برحاه وصيرهم اثرا بعد عين فصبيها ما يوقظ النوام واولها
الدهر يفجع بعد العين بالاثر * فما البكا على الاشباح والصور

وبالجملة فالامر كما قال ابن الهبارية

الموت لا يبقى أحدُ * لا والدا ولا ولد

مات لبيد ولبد * وخلد الفرد الصمد

كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام اللهم اختم لنا بالحسنى وردّنا اليك ردا جميلا * وتذكرت هنا أيضا مرثية على روى مرثية المجيبي السابقة منها

اين أهل الديار من قوم نوح * ثم عاد من بعدهم وثمود

بينما هم على الاسرة والانـ ـماط افضت الى التراب الخدود

ثم لم ينقض الحديث ولكن * بعد ذا الوعد كله والوعيد

وأطباء بعدهم لحقوهم * ضل عنهم سعوطهم واللدود

وصحيح اضحى يعود مريضا * وهو أدنى للموت ممن يعود

وما احكم قول السلطان أبي علي ابن السلطان أبي سعيد المريني يخاطب أخاه السلطان أبا الحسن وقد حصره بسجلماسة حتى اخذه قسرا

ولا يغرنك الدهر الخؤون فكم * اباد من كان قبلي يا أبا الحسن

الدهر مذ كان لا يبقى على صفة * لابد من فرح فيه ومن حزن

ابن الملوك التي كانت تهابهم * اسد العرين ثووا في اللحد والكفن

بعد الاسرة والتيجان قد محيت * رسومها وعفت عن كل ذي حسن

فاعمل لاخرى وكن بالله مؤتمرا * واستغن بالله في سر وفي علن

واختر لنفسك أمرا انت آمره * كأنني لم اكن يوما ولم تكن

ودخل السلطان أبو الحسن سجلماسة عنوة على أخيه السلطان أبي علي عمر سنة ٧٣٤ وجاء به في الكبل الى فاس ثم قتله بالفصد والخنق في ربيع الاول من السنة وكان القبض عليه في المحرم رحمه الله تعالى * ومما وجد مكتوبا على قصر بعض السلاطين

قد كان صاحب هذا القصر مغتبطا * في ظل عيش يخاف الناس من باسه

فبينما هو مسـ ـرور بلذته * في مجلس اللهو معفوط بجلاسه

اذ جاءه بغتـ ـة ما لا مرد له * فخر ميتا وزال التاج عن راسه

(رجع الى أخبار لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى) قلت وقد زرت قبره مرارا رحمه الله تعالى بفاس المحروسة فوق باب المدينة الذي يقال له باب الشريعة وهو يسمى الآن باب المحروق وشاهدت موضع دفنه غير مستوٍ مع الارض بل ينزل اليه بانحدار كثير ويزعم الجل من عوام فاس أن الباب المذكور انما سمي باب المحروق لاجل ما وقع من حرق لسان الدين به حين اخرجه بعض أعدائه من حفرته كما مرّ وليس كذلك وانما سمي باب المحروق من دولة الموحدين قبل أن يوجد لسان الدين ولا أبوه بسبب ثائر ثار على الدولة فأمسك وأحرق في ذلك المحل والله غالب على امره وحصل لي من الخشوع والحزن عند زيارة قبره رحمه الله تعالى ما لا مزيد عليه جعل الله له تلك المحن كفارة وطهرة * فانه كان آية الله علما وجلالة وحكمة وشهرة * وقد تذكرت عند كتبي هذا المحل رسالة كتبها بعض أئمة المغرب

في عزا الوزير الشهير أبي … من نثر الأندلسي رحمه الله تعالى الى سه وهي مما يطول أن
ومن عائها لسان الدين رحمه الله تعالى وقد هاجرا عن شيء • وسمها • عزا بأكرم كف
الهدى • في ندركم الذي عممه الردى • وتجمع به الفضل والندى • فللشمس أن تكدر
على دراته • وللصبح أن يعمر نوراسراته • وللريح أن تعرف صدارا • وللأهلة أن لا تعرف
ابدارا • وللنيل أن يسمل حجمه الخرب • وللسما أن تسكب بأدمع المزن • وللرعد أن تتصب
لوفاته • وللبرق أن يحكي رحمة الله عليه • وللثريا أن تنثر سوارها • وللشمس أن
تكسف أنوارها • وللبدر أن تتركوا كبها • وللجوزا أن تنقض مناكبها • وللعراب
أن يرقص مواكبها • وللراع ان يبيت اعزلا • وللبدر أن لا يألف منزلا • وللنسر أن
نقض قوادمها • وللعصا أن نطرد نكارحا وسمرها • وللرويس ان تعارق امر اعه •
وللأورق أن يهتف عارا عه • وللعصون ان تهتصر اهبه • وشقه قت اسعا على حسبه •
لكن هو الحمام يحتل ويشتر • ولا يحول عن نزر • تعدم ما أوجد الكون • وبدل من
أكنته الصون • وإن ساعى مكافح لا اسا له • ورام أروا حسامها له • لأنه ناصر •
وعزمه باصر للمناصر • وعسه كاسر للأكاسر • لم يبق من رسم لطيم ولا من
احسان لعان • ولا من أباد لأباد ولا في سلطان لسلطان • ولا من عيش لعيش
ولا من برق صحم للم • لم يكن له عن العيس اقصار • ويمم الانصار • وهم أسماع
للنبي وأنصار • وعدا المصابيح في مصر بطهما • هذا والوحي ينزل فيها • ولم يجنح
في الصديق الى الصديق • راعي الفاروق ردا • وحكم فيه أبا لؤلؤ وقد •
وأمكن صرف الاقدار • من شهيد الدار • ولم يرع من على بالسالة • والدين العالة •
ولا أبي سبطه وقد نفاث عمما حسه الرسالة • واذهب الزبير حواري الرسول •
وحمالة وهو بأيدي الملائكة مغسول • وأفات ابن عباد ولم يحدل هوبة • على انه
اهتز العرش لموته • واردى عمر ومعده من السو • فمعدالانو • وسقى من عمار
صدور الاسل • واردى مالكا سريه من عسل • ولم يعا أعصا عمرو • ولا علم معاوية
ودها عمرو • فماله من حطب • وقد يكل يابس ورطب • شرب ما الاعمار •
وتعمل الاحداث منازل الاسار • ولولا السوقة والاملاك • ولا يبالي أنه لا لك •
لا يسل منعا • ولا يغادر محطا ولا رفعا • هاهو اعمد نور على وكسفه • وطود حلم
نسفه • واعلى الحدق حاله • وأحمد الفضل بـ اله • وخرج كتابه • فمهم لم بدل مثله في
كتابه • فما طار والأعين لمدنوب بالعيس الاعلاق • وبانا عمه لقد نعت بأنس الأخلاق •
رود الساك • عمن لم تصع لديه وسائلك • ان سماحه وطلاقته • ان كلمه بالجد
وعلاقته • ما الذي بني عطفه عن الارتياح • ام ان عاقه من ذلك الامتياح • ام من
دولة امسه كالسحب ايدي الرياح • فماله الحد اطوى عن ذلك ما سر •
وباريه الحد انصرى طرفك فاتعس • وبا مسرعا به • كم حسم وقد علم بوفاته •
وبادمرأماله • صفرت اندكم من اماله • وبالحار صحابه • ان مواقع سحابه • وبأي
ولايته • من نوا مقام علايه • وباما نسي سمه • من تعود حل دعه • وبا مارعي كرمه •

من يطيف المعتفين بمثل حرمه * ويا حاسدي همه * من له كخاطه وذممه * سيدي لقد أصابت مساعيك وأشرقت * وأغصت الحاسدين طرا وأشرقت * وحسبهم أن لم ينتهوا الاداءات * ولا نطقوا الاحيرت * وليهن ملائك وصحك * أن احيتك صنائعك وقد قضيت نحبك * وان حتم دنا ولك * فقد أبقى الحياة الخالدة شاولك

ردت صنائعه عليه حياته * فكأنه من نشرها منشور

والناس مأتمهم عليه واحد * في كل دار أنة وزفير

سيدي أما تجيب صرخة لهفان * ام عدا عن الجواب أنك فان * سيدي من لآملك * بسط اماملك * من للمرملات الصرائك * بارشادك وآرائك * من لاقربائك * بصلتك وحبائك * من لاخيك * عوائق أواحيك * من لابنائك * بلطف احنائك * انفض شملهم وكان جميعا * ويادوك أولادوا مملك سميعا * هذا كبيرهم يدعوك فلا تجيبه * وقد دت الاصلاع وجيبه * يبكي عند تلك الرجام * بأدمع سجام * وقد ألهبت الزفرات حشاه * وألح الدمع بجمعة حتى اعشاه * والاصاغر مالهم بعدك مفزع * ورضيعهم تسلب به الانفس رحمة وتنزع * لايدري ما جزع * عليك فيجزع * لشدما اذابتهم وقدة الاوار * حين عدموا منك كرم النجوى والجوار * اف لدهر رماهم بالاجوار * وتركهم انجما مسلوبة الانوار * لاجرم أن يحزنوا عليك ويكترثوا * فلقد تسلوا عنك بعض ما ورثوا * وما ورثتهم غير الحزن والبث * وأمل في الحياة كالهباء المنبث * كما تلى محاسنك وأسمع * طفقت عليك شؤون عيني تدمع * ايا ضريحه * كيف وجدت ريحه * لقد أرج بك ذلك العفر * حتى ما يناشه المسك الاذفر * وكما طورت بوجوده * جد كل قبر بجوده * فمنه سماء ثرة وغمام * ونور انضم عليه منك كمام * ولو علمت من بين جنبيك راقد * لعاودت حتى تلوح في ذراك الفراقد * ويا دافنيه كيف هلتم عليه الرغام * أولم تنكروا على الشمس أن تغام * هيهات لقد سحتم باقار * عف الشمائل طيب الاحجار * والحاد * من لا راع في وصله ولا الحاد * اي نفس تخذتم له التراب مستودعا * فأضحى عرين المكارم مجدعا

فتى مثل نصل السيف من حيث جئته * امانه نابتك وهو مصارب

فتى همه حمد على الناي رابح * وان بات عنه ماله وهو عازب

اما وان ازدجت بمهلكه الاوصاب * ووضح الرزء وحل المصاب * حتى لا نألف الناسا * فلقد سر الموت من حيث سا * فلقد جله ابد هر ما فيه غير مصائب * ولا يبالي من اقصد سهمه الصائب * ويا فقيد السدي ما كان اجدرك بالخلود وأحقك * ويا جواد عمره ما كان اقصر طلقك * نوى * حين استوى * وتوارى * اذ ملأ الافق أنوارا * وكسف حين بلغ الكمال * فكان كالغصن عندما اعتدل مال * أو كالشهاب عندما استقام حار * وكذا عمر كواكب الاسحار * هذه البراعة انحفت بعده الصبي * والصحف تطوى على جهالة وتحي * وعهدي به ان امتطى راحته اليراع راع * أو دبج الاوراق راق * او استدر طبعه السلسال سال * واي روض اراد راد * ومتى اراع الانشاء * احسن

الركب بلد الاقامة قبل حثوا المطى * وقال فى الذين عبدوا العجل لوأن الله خارلهم ماخارلهم * وقال يوما وقد طرب أهل المجلس فهمتم فهمتم * وقال فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه بعد أن ذكر أحاديث تدل على خلافته كقوله صلى الله عليه وسلم مروا أبابكر فليصل بالناس وغيره مامأثورته فهذه أحاديث تجرى مجرى النص فهمها الخصوص غير أن الرافضة فى اخفائها كاللصوص فقال السائل لماقال اقبلونى ما سمعنا مثل جواب على رضى الله عنه والله لانقيلك فقال لما غاب على عن البيعة فى الاول أخلف مافات بالمدح فى المستقبل ليعلم السامع والرائى أن بيعة أبى بكر وان كانت من وراءى فهى رأيى ومثل ذلك الصدر لايرائى * وقال فى قول فرعون أليس لى ملك مصر يفتخر بما اجراه ما أجراه * وتواجد رجل فى مجلسه فقال عجبا كلنا فى انشاد الضالة سوا فلم وجدت وحدك ألم الجوى وأنشد

قد كتمت الحب حتى شفنى * واذا ماكتم الداء قتل

بين عينيك علالات الكرا * فدع النوم لربات الحجل

ونظر يوما الى أقوام يبكون فى مجلسه ويتواجدون فأنشد

ولولم يهجنى الظاعنون لهاجنى * حمائم ورق فى الديار وقوع

تداعين فاستبكين من كان ذاهوى * نوائح لم يقطرلهن دموع

وكيف اطيق العاذلين ودكرهم * يؤرقنى والعادلون هجوع

وقام رجل وتواجد فأنشد

ومازال يشكو الشوق حتى كانما * تنفس من أحشائه وتكلما

ويبكى فأبكى رحمة لبكائه * اذا مابكى دمعابكيت له دما

وأعجبه يوما كلامه فأنشد

تزدحم الالفاظ والمعانى * على فؤادى وعلى لسانى

تجرى بى الافكار فى ميدان * ازاحم النجم على مكان

ووعظ المستضئ يوما فقال ياأمير المؤمنين ان تكلمت خفت منك وان سكت خفت عليك فأنا اقدم خوفى عليك على خوفى منك لمحبتى لدوام أيامك ان قول القائل اتق الله خيرمن قول القائل انتم أهل بيت مغفور لكم وقال الحسن البصرى لأن تصحب اقواما يخوفونك حتى تبلغ المأمن خيرلك من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى تبلغ المخاوف وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول اذا بلغنى عن عامل ظالم أنه قد ظلم الرعية ولم اغيره فأنا الظالم ياأمير المؤمنين كان يوسف عليه السلام لايشبع فى زمان القحط لئلا ينسى الجياع وكان عمر رضى الله عنه يصر بطنه عام الرمادة فيقول قرقرى ان شئت اولاتقرقرى فوالله لاشبعت والمسلمون جياع فتصدق الخليفة المستضئ بصدقات كثيرة وأطلق من فى السجن وقال رحمه الله تعالى لبعض الولاة اذكرعدل الله فيك وعند العقوبة قدرة الله عليك واياك أن تشفى غيظك بسقم دينك * وقال الطاعة تبسط اللسان والمعاصى تذل الانسان * وقال له قائل ماتت البارحة من شوق الى المجلس فقال نعم لانك تريد أن تتفرج وانما ينبغى

اقمنا برهـــة ثم ارتحلنا * كذاك الدهر حال بعد حال

وكل بداية فالى انتهاء * وكل اقامة فالى ارتحال

ومن سام الزمان دوام حال * فقد وقف الرجاء على المحال انتهى

وحكى لسان الدين فى الاحاطة عن نفسه أنه خطط هذه الابيات فى مرحلة نزلها رحمه الله تعالى حسبما يأتى ذلك فى شعره وما أحسن قوله رحمه الله تعالى

لبسنا فلم نبل الزمان وأبلانا * يتابع أخرانا على الغى اولانا

ونغتر بالآمال والعمر ينقضى * فما كان بالرجعى الى الله اولانا

وماذا عسى أن ينظر الدهر من عسا * فما انقاد للزجر الحثيث ولالانا

جرينا صبيح الله شر جرائه * فلم نرع ما من سابق الفضل اولانا

فيارب عاملنا بما انت اهـــله * من العفو واجبر صدعنا انت مولانا

وقد حكى غير واحد أنه رحمه الله تعالى رئى بعد موته فى المنام فقال له الرائى ما فعل الله بك فقال غفر لى ببيتين قلتهما وهما

يا مصطفى من قبل نشأة آدم * والكون لم تفتح له أغلاق

ايروم مخلوق ثناءك بعدما * أثنى على أخلاقك الخلاق

وقد كررحمه الله تعالى هذا المعنى فى قصيدة فى حقه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم وبارك وأنعم وهو قوله

مدحتك آيات الكتاب فما عسى * يثنى على علياك نظم مديحى

واذا كتاب الله اثنى مفصحا * كان القصور قصار كل فصيح

وسيأتى هذه القصيدة فى نظمه ان شاء الله تعالى وقد رأيت بالمغرب تخميس البيتين الاولين منسوبا للاديب الشهير الذكر بالمغرب أبى عبد الله محمد بن جابر الغسانى المكناسى رحمه الله تعالى ولا بأس أن نورده هنا وهو قوله رحمه الله تعالى

ياسائلا لضريح خير العالم * ينهى اليه مقام صب هائم

بالله ناد وقل مقالة عالم * يا مصطفى من قبل نشأة آدم

والكون لم تفتح له أغلاق

يثناك قد شهدت ملائكة السما * والله قد صلى عليك وسلما

يا مجتبى ومعظما ومكرما * أيروم مخلوق ثناءك بعدما

أثنى على أخلاقك الخلاق

وما احسن قول لسان الدين رحمه الله تعالى بعد ما عرف بنفسه وسلفه وكأنى بالحى ممن ذكر قد التحق بالميت وبالقبر قد استبدل بالبيت وقال رحمه الله تعالى بعد ايراد جملة من نظمه ما صورته وقلت والبقاء لله وحده وبه يختم الهذر

عهدى عن كيت وكيت * ما علينا غير ميت

كيف ترجى حالة البقــ*ـيا لمصباح وزيت

وسيأتى ذلك والله صدق رحمه الله تعالى ورقى درجته فى الجنة * وأما البيتان الشائعان

على ألسنة أهل المشرق والمغرب وأنهما قيلا في لسان الدين رحمه الله تعالى وبعضهم نسبهما لنفسه والصحيح خلاف ذلك كما سيأتي وهما

قف كي ترى مغرب شمس الضحى * بين صلاة العصر والمغرب
واسترحم الله قتيلها * كان إمام العصر في المغرب

وشرح بعضهم البيتين فقال ان قوله قتيلها من باب الاستخدام أي قتيل شمس الضحى التي هي المتغزل فيها • وقد رأيت وأنا بالمغرب بخط الشيخ الاغصاوي أنهما لم يعين فيهما قائلهما لسان الدين بن الخطيب وانما هما مقولان في غيره ونسيت ما وقع الآن ذلك لطول العهد والله أعلم ويدل على ذلك أنه رحمه الله تعالى لم يقتل بين صلاة العصر والمغرب وانما قتل في جوف الليل كما علم في محله على انه يمكن تكلف تأويل ذلك بانه قصد قائلهما ترجيه على انه تقدر الموت في ذلك الوقت وهذا لو ثبت أنهما قيلا فيه وقد علمت أن الاغصاوي نفى ذلك فالله أعلم بحقيقة الامر في ذلك ثم رأيت في كتاب اسمعيل بن الاحمر رحمه بعض العلماء ما نصه في دولة زين الامراء بالمغرب وقد قتل رميه بين صلاة العصر والمغرب

قف كي ترى مغرب شمس العلا * بين صلاة العصر والمغرب
واسترحم الله دفينانه * كان مليك العصر في المغرب

وهذا أشبه من نسبتهما للسان الدين من وجوه لا تخفى على المتأمل منها قوله كان مليك العصر فان لسان الدين لم يكن كذلك وقد تقدم آنفا كان إمام العصر في المغرب وهو أحسن لما فيه من التورية البديعة والله أعلم • رجع الى أخبار لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى وقد عرض عدوه الرئيس ابن زمرك في بعض قصائده التي مدح بها سلطانه الغني بالله أبا عبد الله بن نصر على ما حكى له من التكلم بابن الخطيب ومن جاء معه وهو الوزير الكاتب على يد من عينه لملك المغرب وأعانه بعده وعضده كما تقدم وهو السلطان أحمد المريني فقال من قصيدة

هني زمانك أعياد مجددة * من الفتوح مع الايام تغتنما
غضبت للدين والدنيا غضبتهما * يا حبذا غضب في الله أرضا
فوقت للغرب سهما راشه قدر * وسدد الله للاعداء مرما
سهم أصاب وراميه بذي سلم * لمن بري العرض الاقصى فأصما
من كان بدلك يا مولاي يقدمه * فليس يخلفه فتح ر جا
من كان جندك جند الله ينصره * أناله الله ما يرجو وشاه
ملكت عزا به خافت من ملك * للغرب والشرق سمعا ما عصا
وسام أعداء له الاسى ما كسوا * ومن يردي ردا الغدر أرداه
قل للذي رمدت جهلا بصيرته * فلم ير الشمس شمس الهدى عيناه
غطى الهوى عقله حتى اذا ظهرت * له المراشد أعشاه وأعماه
هل عند ودوس الغدر يوهمه * أن الذي قد كساه العز أعراه
لو كان يشكر ما أوليت من نعم * ما زال ملتحفا الاحمى ومغناه

سل السعود وحل البيض مغمدة * فالسيف مهما مضى فالسعد أمضاه
واشرع من البرق نصلا راع مصلته * وارفع من الصبح بندا راق مجلاه
فالعدوتان لما قد ضم ملكهما * انصار ملكك صان الله علياه
لا اوحش الله قطرا انت مالكه * وآنس الله بالالطاف مغناه
لا اطلع الله افقا انت بدره * لا اهمل الله سرحا انت ترعاه
واهنأ بشهر صيام جاء زائره * مستنزلا من اله العرش رحماه
اهل بالسعد فانهلت به منن * وأوسع الصنع اجمالا ووفاه
أما ترى بركات الارض شاملة * وأنعم الله قد عمت براياه
وعادك العيد تستحلي موارده * ويجزل الاجر والرحمى مصلاه
جهزت جيش دعاء فيه ترفعه * لدى المعارج والاخلاص رقاه
افضت فيه من النعماء أجزلها * وأشرف البر بالاحسان زكاه
واليت للخلق ما اوليت من نعم * والى لك الله ما أولى ووالاه

واول هذه القصيدة

هدى العوالم لفظات معناه * كل يقول اذا استنطقته الله
بحر الوجود وفلك الكون جارية * وباسمك الله مجراه ومرساه
من نور وجهك ضاء الكون اجمعه * حتى تشيد بالافلاك مبناه
عرش وفرش وأملاك مسخرة * وكلها ساجد لله مولاه
سبحان من أوجد الاشياء من عدم * وأوسع الكون قبل الكون نعماه
من ينسب النور للافلاك قلت له * من أين أطلعت الانوار لولاه
مولاي مولاي بحر الجود أغرقني * والخلق اجمع في ذا البحر قد تاهوا
فالفلك تجري كما الافلاك جارية * بحر السماء وبحر الارض أشباه
وكلهم نعم للخلق جارية * تبارك الله لا تحصى عطاياه
يا فاتق الرتق من هذا الوجود كما * في سابق العلم قد خطت قضاياه
كن لي كما كنت لي اذ كنت لا عمل * ارجو ولا ذنب قد أدنت اخشاه
وأنت في حضرات القدس تنقلني * حتى استقر بهذا الكون مثواه
ما اقبح العبد أن ينسى وتذكره * وأنت باللطف والاحسان ترعاه
غفرانك الله من جهل بليت به * من افاد وجودي كيف انساه
مني علي حجاب لست ارفعه * الا بتوفيق هدى منك ترضاه
فعد علي بما عودت من كرم * وأنت أكرم من اقلت رحماه
ثم الصلاة صلاة الله دائمة * على الذي باسمه في الذكر سماه
المجتبى وزناد النور ما قدحت * ولاذ كامن نسيم الروض مسراه
والمصطفى وكمام الكون ما انفتقت * عن زهر زهر يروق العين مرآه
ولا تفجر نهر للنهار على * در الدراري فغطاه وأخفاه

مثل الجياد تدافعت وتسابقت * من طافح الامواج فى مضمار
لله منها فى البحار سوابح * وقفت عليك الفخر وهى جوارى
لما قصدت بها مرامى سبتة * عطفت على الاسوار عطف سوار
لما رأت من صبح عزمك غرة * محفوفة بأشعة الانوار
ورأت جبينا دونه شمس الضحى * لبتك بالاجلال والاكبار
فأفضت فيها من نداك مواهبا * حسنت مواقعها على التكرار
وأريت اهل الغرب عزم مغرب * قد ساعدته غرائب الاقدار
وخطمت من فاس الجديد عقيلة * لبتك طوع تسرع وبدار
ما صدقوا متن الحديث بفتحها * حتى رأوه فى متون شفار
وتسمعوا الاخبار باستفتاحها * والخبر قد يغنى عن الاخبار
قولوا الفرد فى الوزارة غرّه * حلم منت به على مقدار
اسكنته من فاس جنة ملكها * متعما منها بدار قرار
حتى اذا كفر الصنيعة وازدرى * بحقوقها ألحقته بالنار
جرعت نجل الكاس كاسا مرة * دست اليه الحتف فى الاسكار
كفر الذى أوليته من نعمة * لا تأنس النعماء بالكفار
فطرحته طرح النواة فلم يفر * من عر مغربه بغير فرار
لم يتفق لخليفة مثل الذى * اعطى الاله خليفة الانصار
لم ادر والايام ذات عجائب * ترداده يحلو على التذكار
ألواء صبح فى ثنية مشرق * ام راية فى جحفل جرار
وشهاب افق ام سنان لامع * ينقض نجما فى سماء غبار
ومناقب المولى الامام محمد * قد أشرقت ام هن زهر درارى
فاق الملوك مهمة علوية * من دونها نجم السماء السارى
لو صافح الكف الخصيب بكفه * خرت بنهر للمعجزة جارى
والشهب تطمع فى مطالع افقها * لو أحرزت منه منيع جوار
سل بالمشارق صبحها عن وجهه * يفتر منه عن جبين نهار
سل بالغمائم صوبها عن كفه * تنبيك عن بحر بها زخار
سل بالبروق صفاحها عن عزمه * تخبرك عن امضى شبا وغرار
قد أحرز الشيم الخطيرة عندما * امضى العزائم صهوة الاخطار
ان يلق ذو الاجرام صفحة صفحه * فسح القبول له خطا الاعمار
يا من اذا هبت نواسم حمده * اربت بعرف الروضة المعطار
يا من اذا افترت مباسم بشره * وهب النفوس وعاث فى الاقتار
يا من اذا طلعت شموس سعوده * تعشى اشعتها قوى الابصار
قسما بوجهك فى الضياء فانه * شمس تمد الشمس بالانوار

لاغروان فقت الملوك سيادة * اذ كان جدك سيد الانصار
السابقون الاولون الى الهدى * والمصطفون لنصرة المختار
متهللون اذا النزيل عراهم * سفروا له عن اوجه الاقمار
من كل وضاح الجبين اذا احتبى * تلقاه معصوبا بتاج فخار
قد لاث صبحا فوق بدر بعدما * لبس المكارم وارتدى بوقار
فاسأل بسعد عن مواقف بأسهم * فهم تلافوا امره بسدار
لهم العوالى عن معالى فخرها * نقل الرواة عوالى الاخبار
واذا كتاب الله يتلو حمدهم * اودى القصور بنسبة الاشعار
يا ابن الذين اذا تذوكر فخرهم * فخروا بطيب ارومة ونجار
حقا لقد أوضحت من آثارهم * لما اخذت لدينهم بالثار
اصبحت وارث مجدهم وفخارهم * ومشرف الاعصار والامصار
ياصادرا فى الفتح عن ورد المنى * رد ناجح الايراد والاصدار
واهنأ بفتح جاء يشتمل الرضا * جذلان يرفل فى حلى استبشار
واليكها ملء العيون وسامة * حيتك بالابكار من أفكارى
تجرى حداة العيس طيب حديثها * يتعللون به على الاكوار
ان مسهم لفح الهجير أظلهم * منه نسيم شمائل المعطار
وقيل من اصغى لها فكانني * عاطيته منها كؤس عقار
قذفت بحور الفكر منها جوهرا * لما وصفت انا ملا ببحار
لازلت للاسلام سترا كلما * ام الحجيج البيت ذا الاستار
وبقيت يا بدر الهدى تجرى بما * شاءت علاك سوابق الاقدار انتهت

ولابن زمرك السابق قصيدة أخرى قالها بعد موت لسان الدين بن الخطيب وخلع السلطان أبى العباس أحمد بن أبى سالم الذى قتل ابن الخطيب فى دولته وكان سلطان الاندلس مولانا السلطان أحمد المذكور ولذلك امتعض لرده لملكه فقال ابن زمرك وزير صاحب الاندلس بعد ابن الخطيب هذه القصيدة يمدح بها سلطانه أثناء وجهته لتجديد الدولة الاحمدية المذكورة صدر عام تسعة وثمانين وسبعمائة

هب النسيم على الرياض مع السحر * فاستيقظت فى الدوح أجفان الزهر
ورمى القضيب دراهما من نوره * فاعتاض من طل الغمام بها درر
نثر الازاهر بعد ما نظم الندى * ياحسن ما نظم النسيم وما نثر
قم هاتها والجو أزهر باسم * شمسا تحل من الزجاجة فى قمر
ان شجها بالماء كف مديرها * ترميه من شهب الحباب بها شرر
نارية نورية من ضوئها * قدح السراج لنا اذا الليل اعتكر
لم يبق منها الدهر الا صبغة * قد أرعشت فى الكاس من ضعف الكبر
من عهد كسرى لم يفض ختامها * اذ كان يذخر كنزها فيما ذخر

بلغته و الله أكبر شاهد * ماشاء من وطن يعز ومن وطر
حتى اذا جحد الذى اوليته * لم تبق منه الحادثات ولم تذر
فى حاله والله اعظم عبرة * لله عبد فى القضاء قد اعتبر
فاصبر تنل أمثالها فى مثله * ان العواقب فى الامور لمن صبر
ردحيث شئت مسوّغا وردالمنى * فالله حسبك فى الورود وفى الصدر
لازلت محروسا بعين كلاءة * مادام عين الشمس تعشى من نظر

ومنها وقد أضاف اليه من التغزل طوع بداره وحجة اقتداره فقال

والعود فى كف النديم بسرّما * تلقى لنامنه الانامل قدجهر
غنى عليه الطير وهو بدوحه * والآن غنى فوقه ظبي اغر
عود ثوى حجرالقضيب رثى له * ايام كانا فى الرياض مع الشجر
لاسيما لما رأى من ثغره * زهرا وأين الزهرمن تلك الدرر
ويظن ان عذاره من آسه * ويظن تفاح الخدود من الثمر
يسبى القلوب بلفظه وبلحظه * واحتثى بين التكلم والنظر
قدقيدته لانسنا اوتاره * كالظبى قيد فى الكناس اذا نفر
لم يبل قلبى قبل سمع غنائه * يعذر سلب العقول وما اعتذر
جس القلوب بجسه اوتاره * حتى كانّ قلوبنا بين الوتر
غنت لنا ألحانه بجميع ما * قد أودعت فيه القلوب من الفكر
ياصامتا والعود تحت بنانه * يعنيك نطق الخبرفيه عن الخبر
اغنى غناؤك عن مدامك يا ترى * هل من لحاظك ام بنانك ذا السكر
باحت انامل الدان بكل ما * كان المتيم فى هواه قدستر
ومقاتل ماسلّ غيرلحاظه * والرمح هز من القوام اذا خطر
دانت له منا القلوب بطاعة * والسيف يملك ربه مهما قهر انتهى

وسنلم ان شاء الله تعالى بترجمة ابن زمرك هذا فى باب التلامذة ونشير هنالك الى كثير من أحواله وكيفية قتله * مع اولاده وخدمه بمرأى ومسمع من اهله * فكان الجزاء من جنس العمل * وخاب منه الامل * اذ لسان الدين قتل غيلة بليل غاسق * على يد مختلس فى السجن فاسق * وأمّا ابن زمرك فقتل بالسيف جهارا * وتناوشته سيوف مخدومه بين بناته ابداء للتشفى واظهارا * وقتل معه من وجد من خدمه وأبنائه * وابعده الدهر وطالما ادناه * وهكذا الحال فى خدام الدول وذوى الملك * انهم اقرب شئ من الهلك * ويرحم الله من قال * اياك وخدمة الملوك فانهم يستقلون فى العقاب ضرب الرقاب * ويستكثرون فى الثواب ردّ الجواب * انتهى * (رجع الى ما كنا فيه من أحوال لسان الدين بن الخطيب) وكان رحمه الله تعالى قبيل موته لما توفى السلطان أبو فارس عبد العزيز ابن السلطان أبى الحسن المرينى بتلسان وتغلب على الامر الوزير أبو بكر بن غازى بن الكاس مبايعا لابن صغير السن من أولاد السلطان عبد العزيز ألف كتابه المسمى باعلام الاعلام * عن بويع

من ملوك الإسلام قبل الإسلام • ومراد بذلك سيف الدولة الوزير الذي أبى أن يخفر
عهده وذمته وامتنع أن تمكن منه أهل الأندلس فأكثروا المقالة في الوزير بسبب ما نسبه
للمتنبي وسوا ظاهر الأمر على أن ذلك لا يجوز بالشرع وأبدوا وأعادوا في ذلك وأسرّوا ن
كان أمرهم جنوا أي أربعا • ومن جملة كلام لسان الدين بن الخطيب في ذلك الكتاب
دولة بني من أهل الأندلس بانكار معه من تصغير • أو بيانه صاحب أو وزير • فقد عمروا
وعمروا • وخطروا ربع الأنصاف فأعرضوا وما ألووا • وعاشوا لعزهم دثروا • انتهى •
(وكان رحمه الله تعالى ألف للسلطان عبد العزيز بن أبي الحسن اختياره المفاخر الطيبة
في المآثر الخطيبية يذكر فيه مآثر سلفه وما لهم من المجد وقصد الرد على أهل الأندلس
الجاهرين له بالعداوة الساعين في حرسلفه ثم ألف للسلطان المذكور كتاب خلع الرسن في
التعريف بأحوال ابن الحسن لكونه تولى كبر المطالبة والسعي في هلكه كما مر • وقال
في حق هذا الكتاب إنه لم يؤلف في الظرف والاستطراف مثل الكتاب رحمه الله
تعالى انتهى ومع هذا كله لما انتسب المتنبي طمعا في ... مما كتب تهمة • وقال ما أمل
فيه أهل البلاد والنميمة • ويحملوا عليه المالات الذميمة • وقد صار الجميع إلى حكم
عدل قادر يجزي بالعظيم رحمه • وينصف المظلوم من الظالم • ويجازي الجاهل والعالم •
ويساوي بين المأمور والآمر والشريف والمشروف • والحقير والخطير والمنكر
والمعروف • وهو سبحانه موصل بعد • وقد لا يخلف الوعد • ومن يحسن له الغاية •
لم يضره الجناية • وقد كان لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى يحاول العذر حتى إنه كان
إذا جرى لديه ذكر عقوبة الملوك لأبنائهم يتبرم من ذلك ويقول ما معناه ما ضرهم
لو عفوا ورأيت له رحمه الله تعالى في بعض مؤلفاته وقد أجرى ذكر استعطاف
ذي الوزارتين أبي بكر بن عمار السلطان المعتمد بن عباد حين قبض عليه بقوله

سجاياك إن عافيت أندى وأسجح • وعذرك إن عاقبت أجلى وأوضح
وإن كان بين الخطتين مزية • فأنت إلى الأدنى من الله أجنح
وماذا عسى الأعداء أن يتزيدوا • سوى أن ذنبي ثابت ومصحح
وإن رجائي أن عندك غير ما • يخوض عدوي اليوم فيه ويمرح
أقلني بما بيني وبينك من رضا • له نحو روح الله باب مفتح
ولا تلتفت قول الوشاة وزورهم • فكل إناء بالذي فيه يرشح
وقالوا سيجزيه فلان بذنبه • فقلت وقد يعفو فلان ويصفح
ألا إن بطشا للمؤيد يرتجى • ولكن حلما للمؤيد أرجح
وبين ضلوعي من هواه تميمة • ستنفع لو أن الحمام يجلح
سلام عليه كيف دار به الهوى • إلي فيدنو أو علي فينزح
ويهنيه إن مت السلو فإنني • أموت ولي شوق إليه مبرح

ما نصه
ولابن عمار كلمات شهيرة تتنافح أزاهرها أرواح القلوب • وتنهى على حصبات الذنوب •
لولا ما فرغ عنه من المقدر المكتوب والأجل المحسوب • إلى أن قال وما كان أمل

بالمعتمد أن يبقى على جان من عبيده قد مكنه الله من عنقه لا يؤمل الحصول على امره ولا يحذر تعصب قبيله ولا يريده العفو عنه الا ترفعا وعزة وجلالة وهمة ود كرا جميلا وأجرا جزيلا * ولا شئ امحى للسيئة من الحسنة ولا اقتل للشر من الخير ورحم الله الشاعر اذ يقول

وطعنتهم بالمكرمات وباللها * فى حيث لو طعن القنا لتكسرا انتهى

وقد تذكرت هنا قول الاديب أبى عبد الله محمد بن احمد التجانى رحمه الله تعالى ورضى عنه

أتعجب ان حطت يد الدهر فاضلا * عن الرتبة العلياء فاصبح تحتها
أما هذه الاشجار تحمل اكلها * وتسقط منه كل ما طاب وانتهى

(وحكى غير واحد من مؤرخى الاندلس) أن الكاتب الشهير الوزير أبا جعفر بن عطية القضاعى لما تغير له عبد المؤمن وتذاكر مع بعض من أهل العلم ابيات ابن عمار السابقة قال ما كان المعتمد الا قاسى القلب حيث لم تعطفه هذه الابيات الى العفو ووقع لابن عطية المذكور مثل قضية ابن عمار واستعطف فما نفع ذلك وقتل رحمه الله تعالى ولنلم بذلك فنقول كان أبو جعفر هذا من أهل مراكش وأصله القديم من طرطوشة ثم بعد من دانية وهو ممن كتب عن على بن يوسف بن تاشفين أمير لمتونة وعن ابنيه تاشفين واسحق ثم استخلصه لنفسه سالب ملكهم عبد المؤمن بن على وأسند اليه وزارته فنهض بأعبائها وتحبب الى الناس باجمال السعى والاحسان فعمت صنائعه وفشا معروفه وكان محمود السيرة منجح المحاولات ناجح المساعى سعيد المآخذ ميسر المآرب وكانت وزارته زينا للوقت وكمالا للدولة * وفى ايام توجهه للاندلس وجد حساده السبيل الى التدبير عليه والسعى به حتى اوغروا صدر الخليفة عبد المؤمن عليه فاستوزر عبد السلام بن محمد الكومى وانبرى لاطالة ابن عطية وجد فى التماس عوراته وتشنيع سقطاته وطرحت بمجلس السلطان ابيات منها

قل للامام اطال الله مدته * قولا تبين لذى لب حقائقه
ان الزراجين قوم قد وترتهمو * وطالب الثار لم تؤمن بوائقه
وللوزير الى آرائهم ميل * لذاك ما كثرت فيهم علائقه
فبادر الحزم فى اطفاء نارهم * فربما عاق عن امر عوائقه
هم العدو ومن والاهم كهم * فاحذر عدوك واحذر من يصادقه
الله يعلم أنى ناصح لكم * والحق أبلج لا تخفى طرائقه

قالوا ولما وقف عبد المؤمن على هذه الابيات البليغة فى معناها اوغر صدره على وزيره أبى جعفر وأسر له فى نفسه تغيرا فكان من اقوى اسباب نكبته * وقيل افضى اليه بسر فأفشاه وانتهى ذلك كله الى أبى جعفر وهو بالاندلس فقلق وعجل الانصراف الى مراكش فحجب عند قدومه ثم قيد الى المسجد فى اليوم بعده حاسر العمامة واستحضر الناس على طبقاتهم وقرروا على ما يعلمون من امره وما صار اليه منهم فأجاب كل بما اقتضاه هواه وأمر بسجنه

ولف معه آخر أبو عسل عطيه ويوجهه في اثر ذلك عبد المؤمن الى زيارة تربة المهدي محمد ابن تومرت واستخصهما لمثال مفاتح وصدرت عن أبي جعفر في هذه الحركة من لطائف الادب نظما ونثرا في سبيل التوسل بتربة امامهم المهدي عتاب لم يعد سامع بوده قدر الله تعالى فيه • ولما انصرف من وجهه اعادهما معه قافلا الى مراكش فلما دنا من الحضرة امر الامر بتلقيهما بالبشرا المتصلة بالعفو على معرته من المرحمة بمثالها البلسم السلهما رحمهما الله تعالى • ومما خاطب به الخليفة عبد المؤمن مستعطفا لهم من رسالة تعالى فيه بعالته المسه • ولم يل الامسه • وقد سبه الله تعالى فمن لم يحرم حسابات الارومه • ولم يحرس لسانه من الوقوع فيما يخدش في وجه تفضل الاصفيا على غيرهم وعمهم وله سامحه الله بانه لو أحاط في كل خطبه • ولم تتملك نفسي عن الهوان نفسه • حتى حرف عن في الوجود • وانفس لآدم من السجود • وقد ان الله تعالى لم يوح • في الفلك لنوح • ورب لغدارة دليلا • وأبرب سلطت نار الخليل حملا • وحططت عن يونس سير المعطى • وابونب مع هامان على الطين • ونصب نفسه من ابن الرسول بسدتها • وابدر على العذرا البتول بعديها • وكتب صحيفه القطيعه بدار الندو • وظاهر الاحزاب بالعصوى من العدو • ودمعت كل دمي • واكرمت لاهل وحيي كل حدي • وقد ان بعه السفيه • لا يوجب امامه الخلفه • وحدث شعر علام المعر بن سبه • واعلنت بحصار الدار وفتل اصطاعها سعيه • وقلت ساتلوا رعيه في الاسس والاصفر • وسفكوا الدما على البرد الاعفر • وغادرت الوجه من الهامه خصيبا • وتاولت من ورع من الحسين نصيبا • ثم انت سسر المعلوم لابدا • ونصر الامام المهدي عائدا • لقد آن لمثالي أن يسمع • وتعرف لي هذه الطبات اجمع • مع اني معترف • وبالذنب معترف

فعفوا امير المؤمنين فمن لنا • بحمل قلوب هدها الخفقان

وكتب مع ابن له شعرا آخر

عطفا علينا أمير المؤمنين فقد • بان العزا لفرط البث والحزن
قد أعرقتنا ذنوب كلها لجج • وعطفه منكم انجى من السفن
وصادفتنا سهام كلها غرض • ورحمة منكم اوقى من الجنن
هيهات للخطب ان يسطو وحادثه • من اشاره رجاكم من المحن
من جا عندكم يسعى على ثقه • بنصر لم يخف بطشا من الزمن
فالثوب يطهر عند الغسل من درن • والطرف ينهض بعد الركض في سنن
انتم بذلتم حياة الخلق كلهم • من دون من عليهم لا ولا ثمن
ونحن من بعض من احيت مكارمكم • كلتا الحياتين من نفس ومن بدن
وصبية كفراخ الورق من صغر • لم يألفوا النوح في فرع ولا فنن
قد أوجدتهم ايادٍ منك سابقة • والكل لولاك لم يوجد ولم يكن

فوقع عبد المؤمن على هذه القصيدة الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين • ومما

كتب به من السجن

انوح على نفسى أم أنتظر الصفحا * فقد آن أن تنسى الذنوب وأن تمحى

فها أنا فى ليل من السخط حائر * ولا أهتدى حتى ارى للرضا صبحا

وامتحن عبد المؤمن الشعراء بهجو ابن عطية فلما سمعوه ما قالوا اعرض عنهم وقال ذهب ابن عطية وذهب الادب معه وكان لابى جعفر أخ اسمه عطية قتل معه ولعطية هذا ابن أديب كاتب وهو أبو طالب عقيل بن عطية ومن نظمه فى رجل تعشق قينة كانت ورثت من مولاها مالا فكانت تنفق عليه منه فلما فرغ المال ملها

لا تلمه ان مل من حبها * فلم يكن ذلك من ود

لما رآها قد صفا مالها * قال صفا الوجه مع الوجد

وكان أبو جعفر بن عطية من ابلغ اهل زمانه وقد حكى أنه مر مع الخليفة عبد المؤمن ببعض طرق مراكش فأطلت من شباك جارية بارعة الجمال فقال عبد المؤمن

قدت فؤادى من الشباك اذ نظرت

فقال الوزير ابن عطية مجيزا له حوراء ترنو الى العشاق بالمقل

فقال عبد المؤمن كأنما لحظها فى قلب عاشقها

فقال ابن عطية سيف المؤيد عبد المؤمن بن على

ولا خفاء أن هذه طبقة عالية (ومن فصول رسالته التى كتب بها عن أبى حفص وهى التى اورثته الرتبة العلية السنيه * والوزارة الموحدية المؤمنيه * قوله كتابنا هذا من وادى ماسه بعد ما تجدد من امر الله الكريم * ونصر الله تعالى المعهود المعلوم وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم * فتح بهر الانوار اشراقا * وأحدق بنفوس المؤمنين احداقا * ونبه للامانى النائمة جفونا وأحداقا * واستغرق غاية الشكر استغراقا * فلا تطيق الالسن لكنه وصفه ادراكا ولا لحاقا * جمع أشتات الطلب والارب * وتقلب فى النعم اكرم منقلب * وملأ دلاء الامل الى عقد الكرب

فتح تفتح أبواب السماء له * وتبرز الارض فى أثوابها القشب

وتقدمت بشارتنا به جمله * حين لم نعط الحال بشرحه مهله * كان اولئك الضالون قد بطروا عدوانا وظلما * واقتطعوا الكفر معنى واسما * وأملى لهم الله تعالى ليزدادوا اثما * وكان مقدمهم الشقى قد استمال النفوس بزخرف ابلائه * واستهوى القلوب بهولائه * ونصب له الشيطان من حبالاته * وأتته المخاطبات من بعد وكثب * ونسلت اليه الرسل من كل حدب * واعتقدته الخواطر أعجب عجب * وكان الذى قادهم الى ذلك * وأوردهم تلك المهالك * وصول من كان بتلك السواحل ممن ارتسم برسم الانقطاع عن الناس فيما سلف من الاعوام * واشتغل على زعمه بالقيام والصيام * آناء الليالى والايام * لبسوا الناموس أثوابا * وتدرعوا الرياء جلبابا * فلم يفتح الله تعالى لهم للتوفيق بابا * (ومنها فى ذكر صاحبهم الماسى المدعى للهداية فصرع بحمد الله تعالى لجبينه * وبادرت اليه بوادر منونه * وأتته وافدات الخطيات عن يساره ويمينه * وقد كان يدعى أنه بشر

فسر بعد ذلك على معنى أدبر وأقبل قال والعرب تقدم فى كلامها ألفاظا على ألفاظ أخر وتلتزمه فى بعض المواضع كقولهم قام وقعد ولا تقول قعد وقام وكذلك أكل وشرب ودخل وخرج وعلى هذا النمط كلام العرب فتكون هذه المسئلة من هذا قال ويؤيد ما قلناه وهو موضع النكتة تفسيره لاقبل وأدبر فى باقى الحديث على معنى ادبر ثم أقبل ولو كان اللفظ على ظاهره لم يحتج الى تفسير انتهى * وحدث رحمه الله تعالى عن جده لامه قال كنت بالمشرق فدخلت على بعض التراثين فألفيت الطلبة يعربون عليه قول امرئ القيس

كان أبانا فى أفانين ودقه * كبير أناس فى بجاد مزمل

فأنشد ولا أدرى هل هى له أو لغيره

اذا ما اللئالى جاورتك بساقط * وقدرك مرفوع فعنه ترحل

ألم تر ما الاقاه فى جنب جاره * كبير أناس فى بجاد مزمل

وكان بعض الناس ينشد فى هذا المقصد قول الآخر

عليك بأرباب الصدور فمن غدا * مضافا لارباب الصدور تصدرا

واياك أن ترضى بصحبة ساقط * فتنحط قدرا من علاك وتحقرا

فرفع ابو من ثم خفض مزمل * يبين قولى مغريا ومحذرا

وهذا معنى قول الشاعر

اذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم * ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى انتهى

وما احسن قول أبى بحر صفوان بن ادريس المرسى رحمه الله تعالى

انا الى الله من أناس * قد خلعوا لبسة الوقار

جاورتهم فانخفضت هونا * يارب خفض على الجوار

من نظم الشريف رحمه الله تعالى

وأحور زان خديه عذار * سبى الالباب منظره العجاب

اقول لهم وقد عابوا غرامى * به اذلاح للدمع انسكاب

ابعد كتاب عارضه يرجى * خلاص لى وقد سبق الكتاب

ومن الغريب فى توارد الخواطر ما وجد بخط الاديب البارع المحدث الكاتب أبى عبد الله محمد ابن الشيخ الكبير أبى القاسم بن جزى الكلبى رحمهما الله تعالى وسيأتى ان ما معناه قلت هذه القطعة

ومعسول اللمى عادت عذابا * على قلبى ثناياه العذاب

وقد كتب العذار بوجنتيه * كتابا خط قارئه اكتئاب

وقالوا السلو فقلت حيرا * وأنى لى وقد سبق الكتاب

ثم عرضتها على شيخنا القاضى أبى القاسم الشريف بعد نظمها بمدة يسيرة فقال لى قد نظمت هذا المعنى بالعروض والقافية فى هذه الايام اليسيرة وأنشدنى * وأحور زان خديه عذار * الابيات السابقة وهذا يقع كثيرا * ومنه ما وقع لابن الرقام حيث قال من شعر عمى

قوله كان ... فى شرح الشطر كان ... اه

قوله

حل في البلاد بلا عز وتكرمة * في أي أرض فكن باغ فما لهما
حل الفوائد بالأسفار مكتسب * والله قد قال فامشوا في مناكبها

فقال له الفقيه ابن حزم مثل هذا وقع لأبي حيان إذ قال

يا مقيس ما لك دون الإقامة في * أرض بعيد تذكر كل من ما لها
أما تلوت وغير الله يعصمه * في محكم الوحي فامشوا في مناكبها

فخجل المحب من هذا الإنشاد الغريب * وقال ابن الصباغ الفقيه محمد بن علي بن الصباغ العقيلي ما صورته كان الشريف الغرناطي رحمه الله تعالى آية زمانه وإمام البيان طوع لسانه له شرح المقصورة القرطاجنية أغرب ما تحلى به الآداب وأبدع ما شرح له الجنان إلى العقل الذي لا يدرك والفضل الذي جدد معالم الهدى نادر حزنه ومن ولاية الوالد من أنه من طلبة الأندلس وأعلامها قال دخل والدي يوما إلى دار القاضي عشية فوجد بين يديه جماعة من القراء يريدون شهادة فجمع القاضي بينهم وقال لهم هل ثم من يعرفكم فقالوا ثم يعرفنا علي الصباغ فقال القاضي أتعرفهم يا أبا الحسن فقال له نعم يا سيدي معرفة محمد بن يزيد فما أنكر عليه شيئا بل قال لهم عرف العدالة أبو الحسن ما عنده فانظروا من يعرف غيره حالكم فانصرفوا وانصرف ولم يزل والدي في شيء من حالهم ولا كشف القاضي لهم سر القصة قال محمد بن علي ابن الصباغ أما قول والدي معرفة محمد بن يزيد فأشار إلى قول الشاعر

أسائل عن ثمالة كل حي * فكلهم يقول وما ثماله
فقلت محمد بن يزيد منهم * فقالوا الآن زدت بهم جهاله

وفطن القاضي رحمه الله تعالى لجودة ذكائه إلى أنه لم يزك شيئا من غير معرفتهم فتغافل عن إظهار ذلك بفطنة الشريف فكفى واكتفى بذكاء القاضي الفهم رحمهما الله تعالى انتهى *
ومن فوائد الشريف ما حكاه عنه تلميذه الإمام النظار أبو إسحاق الشاطبي رحمه الله تعالى ونصه قال لي الشيخ القاضي الكبير الشهير أبو القاسم الحسني يوما وقد جرى ذكر حتى التي للابتداء وإن معناها التي يقع بعدها الكلام سواء كان ذلك مستقلا غاية ما يلزم ثم دونه أولا بل لا يكون الأمر إلا كذلك قال وقد حدثني بعض الأصحاب أنه سمع رجلا يصلي إماما فصار يقرأ من سورة الكهف إلى قوله تعالى ثم أتبع سببا ووقف هنالك وركع وسجد قال فقلت أنه نسي ما بعد ثم ركع وسجد حتى يذكر بعد ذلك ويبتدئ أول الكلام فلما قام من السجود ابتدأ القراءة بقوله حتى إذا بلغ فلما أتم الصلاة قلت له في ذلك فقال الشيخ حتى الابتدائية قال القاضي الشريف المذكور فحقيق أن يسمى بالاصطلاح في حتى وفي غيرها من حروف الابتداء ما ذكرناه * وقال الشاطبي أنشدني أبو محمد بن حزم لنفسه

بان الخليط في أعقابهم قلبي * وحالي ثم في الباب أعقبها
قد كنت أنعم من ربع السرور بلا * بان فقطعني أشواق قد دها

والآن أرسل دمعي اثرها ديما * فتلتظى نار وجدى حين اسكبها
فاعجب لنار اشتياق فى الحشا وقفت * الريح يذهبها والماء يلهبها

ثم قال الشاطبي ما نصه أخذ هذا المعنى فتممه من قطعة انشدناها شيخنا القاضى أبو القاسم الشريف رحمة الله تعالى عليه اذ كرالآن آخر بيت منها وهو

يامن رأى النارين تطمأ مخالفة * فالرياح وان توقد بالماء انتهى

وأخذ عن الشريف المذكور رحمه الله تعالى جماعة غير لسان الدين من اشهرهم العلامة النظار أبو اسحق الشاطبي والوزير الكاتب أبو عبد الله بن زمرك قال حفيد السلطان الغنى بالله ابن الاحمر رحمه الله تعالى فى حق ابن زمرك انه كان يتردد الاعوام العديدة الى قاضى الجماعة أبى القاسم الشريف فأحسن الاصغاء وبذ الائمة البلغاء بما اوجب أن رثاه عند الوقوف على قبره بالقصيدة الفريدة التى اولها اغرى سراة الحى بالاطراق * وقال فى موضع آخر ومما ندبه يعنى ابن زمرك سقيا وتمريرا * وعرضه على نقدة البيان فرأيت منه كل مدهشة حلت ابريزا * مرثيته للقاضى المعظم الشريف أبى القاسم الحسنى من شيوخه وهى

اغرى سراة الحى بالاطراق * بنأ اصم مسامع الآفاق
امسى به ليل الحوادث داجيا * والصبح أصبح كاسف الاشراق
جمع الجميع بواحد جمعت له * شتى العلا ومكارم الاخلاق
هو الحكم الرصين فانه * صرف القضاء فماله من واقى
نفس الزمان بصرفه فى صعقه * كل اجتماع مؤذن بفراق
ماذا ترجى من زمانك بعد ما * علق الفناء بأنفس الاعلاق
من تحسد السبع الطباق علاءه * عالوا عليه من الثرى بطباق
ان المنايا للبرايا غاية * سبق الكرام لحصلها استباق
لما حسبنا أن تحول اوسا * كشفت عوان حروبها عن ساق
ما كان الا البدر طال سراره * حتى رمته يد الردى بمحاق
أنف المقام مع الفناء زاهدة * فنوى الرحيل الى مقام باقى
عدم الموافق فى مرافقة الدنى * فمضى الركاب الى الرفيق الباقى
اسفا على ذاك الجلال تقلصت * أفياؤه وعهدن خير رواق
يا آمرى بالصبر عيل تصبرى * دعنى عدتك لواعج الاشواق
وذرا اليراع تشى بدمع مدادها * وشى القريض بروق فى الاوراق
واحسرتا للعلم اقفر ربعه * والعدل جرد أجمل الاطواق
ركدت رياح المعلوات لفقدها * كسدت به الآداب بعد نفاق
كم من غوامض قد صدعت بفهمها * خفيت مداركها على الحذاق
كم قاعد فى البيد بعد قعوده * قعدت به الآمال دون لحاق
لمن الركائب بعد بعدك تنتضى * ما بين شام ترتمى وعراق

ان جن ليل جنّ من فرط الاسى * وسوى كلامك ماله من راقى
فابعث خيالك فى الكرى يعث به * ميت السرور لنا كل مشتاق
اعلمت بارد التصبر مثل ما * ارسلت در الدمع فى الآماق
ان يخلف الارض الغمام فانى * أسقى الصريح بدمعى المهراق

وكانت وفاة الشريف المذكور سنة احدى وستين وسبعمائة قال ابن الخطيب القسمطينى فى وفياته وفى هذه السنة يعنى سنة ٧٦١ توفى شيخنا قاضى الجماعة بغرناطة رحمه الله تعالى أبو القاسم محمد بن أحمد الشريف الحسنى وكتب لى بالاجازة العامة بعد التمتع بمجلسه وله شعر مدون سماه جهد المقل وله الشرح على الخزرجية فى العروض وأقدم عليها بعد أن عز الناس عن فكها وكان اماما فى الحديث والفقه والنحو وهو على الجملة ممن يحصل العصر بلقائه ولم يكن أحد بعده مثله بالاندلس انتهى * وقال فى الاحاطة ان مولد الشريف كان سنة سبع وتسعين وستمائة وان وفاته سنة ستين وسبعمائة وفى وفاته مخالفة لما تقدم والله أعلم وما أحسن قول الشريف أبى القاسم المترجم به

حدائق ابنت بها العوادى * ضروب النور رائقة البهاء
فما يبدو بها النعمان الا * نسبناه الى ماء السماء

وكان للشريف أبى القاسم المذكور ابنان نجيبان أحدهما قاضى الجماعة أبو المعالى والآخر أبو العباس احمد قال الراعى فى كتابه الفتح المنير فى بعض ما يحتاج اليه الفقير ما نصه حكاية تتعلق بالانقطاع نسأل الله تعالى العافية * وقع للسيد الشريف قاضى الجماعة بغرناطة أبى المعالى ابن السيد الشريف أبى القاسم الحسنى شارح الخزرجية ومقصورة حازم نفع الله تعالى بسلفهم الكريم وكانت ام السيد أبى المعالى حسينية فكان شريف الجهتين أنه كان قد ترك كبار الوظائف والرياسات وتجرد للعبادة ولبس المرقعة وسلك طريق القوم وكان من الدين والعلم والتعظيم فى قلوب أهل الدنيا وأهل الآخرة على جانب عظيم يشار اليه بالاصابع وكان أخوه شيخى واستاذى أبو العباس احمد قاضيا بشرقى الاندلس فكان أخوه أبو المعالى المذكور لا يأكل فى بيت شقيقه شيئاً لاجل ذلك واعيشه من خدم السلطان وكان اذا احتاج الى الطعام وهو فى بيت أخيه أعطانى درهما من عنده أشترى له به ما يأكل وأقام على هذه الحالة الحسنة سنين كثيرة ثم انه دخل يوما على الفقراء بزاوية المحروق من ظاهر غرناطة وكان شيخ الفقراء بها فى ذلك الوقت الشيخ أبا جعفر أحمد المحدود فقال لهم يا سادتى انه كان معى قنديل استضىء به ففقدته فى هذه الايام وما بقيت ابصر شيأ فقال له شيخهم المذكور يا شريف اول رجل يدخل علينا فى هذا المجلس يجيبك عن مسئلتك فدخل عليهم رجل من خيارهم من أهل البادية فسلم وجلس فقال له الشيخ ان الشريف يسأل الجماعة فقلت له أول رجل يدخل علينا يجيبك ووفقت انت فأجبه عن مسئلته فقال له ماسؤالك يا شريف فقال انه كان لى قنديل استضىء به ففقدته وما بقيت ابصر شيأ فقال له الفقير هذا لا يصدر الا عن سوء أدب أخبرنا بما وقع منك فقال له الشريف ما أعلم أنه وقع منى شئ غير أن المباشر فلانا طلبه السلطان للمصادرة فاستخفى منه فمررت ببابه يوما فنادانى من

منه الثياب يا سيدي اجعل خاطرك مع الله تعالى فقلت له اذكر الذكر الفلاني* فقلت وانا اظن
انه امر مذكرا اسمه تعالى اللطيف فانه سريع الاجابة في تفريج الشدائد والكرب نص
عليه البوني في مصنفه وهو مجرب في ذلك وقد رووا لي عن بعض ساكنيه السيد الشريف
احمد أخو فقال له الفقير هل كان اذن لك في تلقينه قال لا قال له الفقير لا تعود الى ذلك وترك
انه الآن قد أساء الادب فكان كما قال فانقطع وولي بعد قضيا الجماعة وعزل عن سخط
وخدم الملوك وأكل طعامهم وخالفه اولا وآخرا عزوبة تعريا طه فنسأل الله تعالى ان
لا يجعلنا من المطرودين عن بابه بمنه وكرمه انتهى كلام الراعي رحمه الله تعالى * رجع
الى مشايخ لسان الدين رحمه الله تعالى ورضي عنه وسامحه فنقول * ومن مشايخ لسان
الدين الامام الرحال شمس الدين ابو عبد الله محمد بن جابر الوادي آشي نزيل تونس وهو محمد
ابن الامام المحدث شمس الدين جابر بن محمد بن قاسم بن احمد القيسي شيخ جمع نبل رحال
له من قال الخطيب بن مرزوق وعاشرته كثيرا سفرا وحضرا وسمعت بقراءته وسمع بقراءتي
وقرأت عليه الكثير وحدثني بفوائد وأنشدني الكثير * فاول ما قرأت عليه بالقاهرة
وقرأت عليه بمدينة فاس وبظاهر تلمسان وبمدينة بجاية وبظاهر المهدية وبغيرها من
تلمسان وقرأت عليه احاديث عوالي من تخريج الدمياطي ومنها الحديث المسلسل بالاولية
وسلسلة عنه من غير رواية الدمياطي بشرطه ثم قرأت عليه اكثر كتاب الموطأ رواية يحيى
واكملت الموطأ قراءة عليه في غير القاهرة وحدثني به عن جماعة منهم وقرأه على الشيخ
قاضي القضاة أبي العباس بن الغماز الخزرجي وهو أحمد بن محمد بن حسن والشيخ ابي
محمد بن هرون وهو عبد الله بن محمد القرطبي الطائي الكاتب المعمر الاديب بحق سماعه
لاكثر على الاول وقراءته بجميعه على الثاني * قال الاول اخبرنا أبو الربيع بن سالم بجميع
طرقه فيها عن ابن زرقون وابي عبد الله بن ابي عبد الله الخولاني عن ابي عمرو عثمان بن
احمد المعافري عن أبي عيسى بسنده * وقال الثاني اخبرنا ابو القاسم بن بقي بقراءته اخبرنا
ابو عبد الله محمد بن عبد الحق عن محمد بن فرج مولى الطلاع عن يونس بتمام سنده *
قال شيخنا وفي هذا السند غريبتان احداهما انه ليس فيه اخبار والثانية ان شيوخه
كلهم قرطبيون قال ابن مرزوق قلت ولا غرابة في اتصال سماع الموطأ وقراءته فقد وقع لي
على تلك التحصيل متصلا من طرق ولله الحمد وقد رويته عن قرطبي وهو ابو العباس بن الغماز
ثم قرأت عليه كتاب الشفا للقاضي وحدثني به عن ابي القاسم عن أبي عبد الله بن
أبي القاسم الانصاري المالقي نزيل سبتة وهو رجلها ابن حكم وابن اخت ابي صالح عن
أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الخزرجي عن أبي جعفر احمد بن حكم عن
المؤلف وحدثني به أيضا عن قاضي الجماعة ابن ابي الربيع بن سالم عن ابي جعفر بن حكم
ثم قال ابن مرزوق بعد كلام ما صورته ورويت عنه وأنشدني لابي محمد بن هرون

لا تلمه ان في جمع آلاته * سر رزق بل الدمع عند الآكل
اذ مرزوق لابن ما علمه * بالآل من اهل كل الآكل

ولابن هرون المذكور

(شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن جابر الوادي آشي)

أقل زيارة الاحبا * بـ تزدد عندهم قربا
فان المصطفى قد قا * ل زرغبا تزد حبا

ولابن هرون أيضا

رمانى بالنوى دهرى * فشمل الانس مفترق
وليلى كله فكر * فقلبى منه محترق
وللآداب أبناء * ببحر الفقر قد غرقوا
وكل منهم وجل * مما يلقاه اوفرق
يغص بريقه منه * وفى الطوق اوشرق
وقد صفرت أكفهم * فلا ورق ولا ورق
ولطف الله مرتقب * به العادات تخرق

قال ابن مرزوق وشعره الفائق لا يحصر وهو عندى فى مجلد كبير * وولد ابن جابر سنة ٦٧ وسمع بمصر على جماعة وكتب بخطه كثيرا وله معرفة بالحديث والنحو واللغة والشعر وله نظم حسن * وتوفى بتونس سنة ٧٧٩ وأخذ القرآت عن ابن الزيات وغيره وترجمة الحافظ ابن جابر رحمه الله تعالى واسعة مشهورة وقد ذكرناه فى غير هذا الكتاب بما جمعناه * ومما أنشده لسان الدين رحمه الله تعالى لبعض المتصوفة من شيوخه ولم يسمه قوله

قوله سنة ٦٧ لم يتعرض لبيان المآت ولعل الاصل سنة ٦٧٠ وليحرر اه مصححه

هل تعلمون مصارع العشاق * عند الوداع بلوعة الاشواق
والبين يكتب من نجيع دمائهم * ان الشهيد لمن توى بفراق
لو كنت شاهد حالهم يوم النوى * لرأيت ما يلقون غير مطاق
منهم كئيب لا يمل بكاءه * قد أحرقته مدامع الآماق
ومحرق الاحشاء اشعل نارها * طول الوجيب بقلبه الخفاق
ومولّه لا يستطيع كلامه * مما يقاسى فى الهوى ويلاقى
خرس اللسان فما يطيق عبارة * ألم ألم وماله من راق
ما للمحب من المنون وقاية * ان لم يجد محبوبه بتلاق
مولاى عبدك ذاهب بغرامه * أدرك بفضلك من دماه الباقى
انى اليك بذاتى متوسل * فاعطف بلطف منك او اشفاق

وهذه الابيات اوردها رحمه الله تعالى فى الروضة فى العشق بعد أن حده وتكلم عليه ثم اورد عدة مقطوعات ثم ذكر بعدها هذه الابيات كما ذكر * وأنشد لسان الدين رحمه الله تعالى لبعض أشياخه وسماه وأنسيته انا الآن

بما بيننا من خلوة معنوية * أرق من النجوى وأحلى من السلوى
قفى ساعة فى ساحة الدار وانظرى * الى عاشق لا يستفيق من البلوى
وكم قد سألت الريح شوقا اليكم * فما حن مسراها على ولا ألوى

وقوله

انست بوحدتى حتى لو انى * اتانى الانس لاستوحشت منه

ولم يدع التجارب لي صديقا * أميل اليه الا ملت عنه

وقوله رحمه الله تعالى

عليك بالعزلة ان العنا * من طلب الخلطة في العزلة

لا ترج عزلة رأس ولا * تخش من الذلة في العزلة

وذكر شيخ ابن الخطيب رحمه الله تعالى جدي الامام العلامة قاضي القضاة بمدينة

الخلافة فاس المحروسة أبو عبد الله قال في الاحاطة محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى

ابن عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي القرشي المقري يكنى أبا عبد الله قاضي الجماعة

بفاس تلمساني أوليته نقلت من خطه قال وكان الذي اتخذها من سلفنا قرارا بعد أن كانت

لمن قبله مزارا عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي المقري صاحب الشيخ أبي مدين الذي دعا له

ولذريته بما ظهر فيهم قبوله وتبين وهو أبي الخامس فأنا محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن

يحيى بن عبد الرحمن وكان هذا الشيخ يعرف بالصلاح حتى انه ربما امتحن بمن يتبعه فلم يؤنس

منه الثبات ولا استفز منه سقوط ويقال ان هذا التمور ربما ادركه من مقامات شيخه

ابي مدين انتهى * وكتب بعض المغاربة على هامش هذا المحل من الاحاطة ما صورته

الا يحيى وهم انتهى * وكتب عليه الشيخ الامام ابو الفضل ابن الامام التلمساني رحمه

الله تعالى ما نصه بل صحيح لثبوته بالنسب والمكاتبات والاشارات واعترف عنه الحلال

الكريم عند الاثبات البالغة بأنه سيدي أبا عبد الله والمناقشة بمحل الترجمة في امام المغرب

ابي عبد الله المقري وهما والحمد لله انتهى * قلت وممن صرح بالترجمة في حق الجد

المذكور ابن خلدون في تاريخه وابن الاحمر في نثر الجمان وفي شرح البردة عند قوله

الى رحمة ربي حتى تشرفا والشيخ ابن غازي والولي الصالح سيدي احمد زروق والشيخ

العلامة سيدي احمد الونشريسي وغير واحد وكفى بلسان الدين شاهدا مزكى *

وهذه الصحة عالم الدنيا ابن مرزوق بالمقاسرة في الترجمة عن مولاي الجد مما النور

البدري في التعريف بالفقيه المقري وهذا انبه على مذهبه انه فتح الميم وسكون

القاف كما صرح بذلك في شرح الالفية عند قوله وضعوا لبعض الاجناس علم وضبط

غيره وهم الاكثرون بفتح الميم وتشديد القاف وعلى ذلك عول اكثر المتأخرين وهما لغتان

في البلد التي تنسب اليها وهي قرية من قرى زاب افريقية وانتقل منها جده الى تلمسان بصحبة

شيخه ولي الله سيدي ابي مدين رضي الله عنه * رجع الى تكملة كلام مولاي الجد

في حق اوليته قال رحمه الله تعالى بعد الكلام السابق في حق جده عبد الرحمن ما صورته

ثم اشتهرت ذريته على ما ذكر من طبقاتهم بالتجارة فمهدوا طريق الصحرا بحفر الآبار

وتأمين التجار واتخذوا طبلا للرحيل وراية تقدم عند المسير وكان ولد يحيى الذي احدهم

ابو بكر خمسة رجال فعقدوا الشركة بينهم في جميع ما ملكوا او يملكونه على السوا بينهم

والاعتدال فكان ابو بكر ومحمد وهما اروما نسبي من جميع جهات امي وابي بتلمسان

وعبد الرحمن وهو شقيقهما الاكبر بسجلماسة وعبد الواحد وعلي وهما شقيقاهم الصغيران

بأيولاتن فاتخذوا بهذه الاقطار الحوائط والديار وتزوجوا النسا واستولدوا الاما وكان

ترجمة المؤلف المقري

التلمساني يبعث الى الصحراوي بما يرسم له من السلع ويبعث اليه الصحراوي بالجلد والعاج والجوز والتبر والسجلماسي كلسان الميزان يعرفهما بقدر الخسران والرجحان ويكاتبهما بأحوال التجار وأخبار البلدان حتى اتسعت اموالهم وارتفعت في الضخامة أحوالهم ولما افتتح التكرور كورة ايوالاتن وأعمالها أصيبت اموالهم فيما اصيب من اموالها بعد أن جمع من كان فيها منهم الى نفسه الرجال ونصب دونها ودون مالهم القتال ثم اتصل بملكهم فاكرم مثواه ومكنه من التجارة بجميع بلاده وخاطبه بالصديق الاحب والخلاصة الاقرب ثم صار يكاتب من تلمسان يستقضي منهم مآربه فيخاطبه بمثل تلك المخاطبة وعندي من كتبه وكتب ملوك المغرب ما ينبئ عن ذلك فلما استوثقوا من الملوك تذللت لهم الارض للسلوك فخرجت اموالهم عن الحد وكادت تفوت الحصر والعد لان بلاد الصحراء قبل أن يدخلها أهل مصر كان يجلب اليها من المغرب مالا بال له من السلع فتعاوض عنه بماله بال من الثمن (اى مدبر يسام جسا ابى حمو وشمل ثوباه كان يقول لولا الشناعة لم ازل في بلادي تاجرا من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بخبيث السلع ويأتون بالتبر الذي كل امر الدنيا له تبع ومن سواهم يحمل منها الذهب ويأتي اليها بما يضمحل عن قريب ويذهب ومنه ما يغير من العوائد ويجر السفهاء الى المفاسد) ولما درج هؤلاء الاشياخ جعل ابناؤهم ينفقون مما تركوا لهم ولم يقوموا بأمر التثمير قيامهم وصادفوا توالي الفتن ولم يسلموا من جور السلاطين فلم يزل حالهم في نقصان الى هذا الزمن فها أنا لم ادرك من ذلك الا اثر نعمة اتخذنا فصوله عيشا واصوله حرمة ومن جملة ذلك خزانة كبيرة من الكتب واسباب كثيرة تعين على الطلب فتفرغت بحول الله عز وجل للقراءة فاستوعبت اهل البلد لقاء وأخذت عن بعضهم عرضا والقاء سواء المقيم القاطن والوارد والظاعن انتهى كلامه في أوليته * وقد نقله لسان الدين في الاحاطة * وقال مولاي الجد رحمه الله تعالى كان مولدي بتلمسان أيام ابى حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن ابن زيان وقد وقفت على تاريخ ذلك ولكني رأيت الصفح عنه لان أبا الحسن بن مؤمن سأل أبا طاهر السلفي عن سنه فقال أقبل على شانك فاني سألت أبا الفتح بن زيان عن سنه فقال أقبل على شانك فاني سألت على بن محمد اللبان عن سنه فقال أقبل على شانك فاني سألت حمزة بن يوسف السهمي عن سنه فقال أقبل على شانك فاني سألت أبا بكر محمد بن عدي المنقري عن سنه فقال أقبل على شانك فاني سألت أبا اسمعيل الترمذي عن سنه فقال أقبل على شانك فاني سألت بعض اصحاب الشافعي عن سنه فقال أقبل على شانك فاني سألت الشافعي عن سنه فقال أقبل على شانك فاني سألت مالك بن انس عن سنه فقال أقبل على شانك ليس من المروءة للرجل أن يخبر بسنه انتهى * قلت ولما تذاكرت مع مولاي العم الامام صب الله تعالى على مضجعه من الرحمة الغمام هذا المعنى الذي ساقه مولاي الجد رحمه الله تعالى أنشدني لبعضهم

احفظ لسانك لا تبح بثلاثة * سن ومال ما استطعت ومذهب

فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثة * بمكفر وبحاسد ومكذب

قوله اي مدبر الخ هكذا هذه العبارة في الاصل الذي بيدي ولينظر ما معناها ويحرر اه مصححه

العقوبة او الاشادة بسبب اجارته بالقطيعة والمنابذة وقد كان المترجم به لحق بغرناطة فتذمم بمشهدها وجاربالانقطاع الى الله وتوعد من يخفره بنكير من يجير ولا يجار عليه سبحانه فأهم امره وشغلت القلوب أذيته وأمسك الرسل بخلال ما صدرت شفاعة اقتضى له فيها رفع التبعة وتركه الى تلك الوجهة والتحصل لما تيسر من ذلك انصرف مصحوبا الى القطر قاضى الجماعة أبى القاسم الحسنى المذكور قبله والشيخ الخطيب أبى البركات بن الحاج مسلين لوروده مشافهين بالشفاعة فى غرضه فاقشعت الغمة وتنسمت الكربة واستحبا من المخاطبة السلطانية فى امره من املاءى ما يذكر حسبما ثبت فى الكتاب المسمى بكناسة الدكان بعد انتقال السكان المجموع بسلا ماصورته * المقام الذى يحب الشفاعة ويرعى الوسيله * وينجز العدة ويتمم الفضيله * ويضفى مجده المال الجزيله * ويعى حمده المدائح العريضة الطويله * مقام محل والدنا الذى كرم مجده * ووضح سعده * وصح فى الله تعالى عقده * وخلص فى الاعمال الصالحة قصده * وأعمل الالسنة حمده * السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابقاه الله سبحانه لوسيلة يرعاها * وشفاعة يكرم مسعاها * وأخلاق جميلة تجيب دعوة الطبع الكريم اذا دعاها * معظم سلطانه الكبير * وممجد مقامه الشهير * المتشيع لابوته الرفيعة قولا باللسان واعتقادا بالضمير * المعتمد منه بعد الله على الملجا الاحمى والولى النصير * فلان سلام كريم * طيب برعميم * يخص مقامكم الاعلى * وأبوتكم الفضلى * ورحمة الله وبركاته * أما بعد حمد الله الذى جعل الخلق الحميدة دليلا على عنايته بمن حلاه حلاها * وميز النفوس النفيسة التى اختصها بكرامته وتولاها * بحمد ايكون كفوا النعم التى اولاها وأعادها ووالاها * والصلاة على سيدنا ومولانا محمد عبده ورسوله المترقى من درجات الاختصاص ارفعها وأعلاها * الممتاز من أنوار الهداية بأوضحها وأجلاها * مطلع آيات السعادة بروق مجتلاها * والرضا عن آله وصحبه الذين خبر صدق ضمائرهم لما ابتلاها * وعسل ذكرهم فى الافواه فما أعذب اوصافهم على الالسن وأحلاها * والدعاء لمقام ابوتكم حرس الله تعالى علاها * بالسعادة التى يقول الفتح انا طلاع الثنايا وابن جلاها * والصنائع التى تخترق المفاوز كأنها المبشرات فتدلى فلاها * فانا كتبنا اليكم كتب الله تعالى لكم عزة مشيدة البناء * وحشد على أعلام صنائعكم الكرام جيوش الثناء * وقلدكم من قلائد مكارم الاخلاق ما يشهد لذاتكم منه بسابقة الاعتناء * من حمراء غرناطة حرسها الله والود باهر السنا طاهر السناء * مجد على الاناء والتشيع رحب الدسيعة والفناء * والى هذا وصل الله تعالى سعدكم * وحرس مجدكم * فاننا خاطبنا مقامكم الكريم فى شأن الشيخ الفقيه الحافظ الصالح أبى عبد الله المقرى خار الله تعالى لنا وله * وبلغ الجميع من فضله العميم امله * جوابا عما صدر عن مثابتكم فيه من الاشارة الممتثله * والمآرب المعمله * والقضايا غير المهمله * نصادركم بالشفاعة التى مثلها بأبوتكم لا يرد * وظماها عن منهل قبولكم لا تحلى ولا تصد * حسبما اسسه الاب الكريم والجد * والقبيل الذى وضح منه فى المكارم الرسم والحد * ولم نصدر الخطاب حتى ظهر لنا من أحواله صدق المخيله *

وبلغ صحيح الزهاد والفضلة * ووجد النفس المحجمة بأرض الأدنى الأصلة * وظهر
تخليه عن هذه الدار * واختلاطه بالصف والعمار * وإقباله على ما يعني مثل بن صلة
الأوراد ومداومة الاستغفار * وكان لما نزل بنا انا سمعنا مقالة ابن هذا الغرض الذي
بهر * والأصل الذي ابرز للعيان واظهر * امرنا أن نعنى باحواله * ونعان على فراغ
باله * ونجري عليه شيئا من ديوان الأعشار الشرعية وصريح ماله * وقلنا أنا بالمن عن
مسئله مسند صحيح لاستدلاله * نعرض ما لفه على ما تعرفنا هذا السبب * وبعد
عصر باستعمور المبني والمنشئ * وسكن بالمدرسة بعض الأماكن التي لسكنى
المتميز بالخير والمجربين من جماعة الطلب * فسلم [illegible] ورود ووصوله الأمن لأبويه
بعربه * ولم تجد فوائد وأصوله له بمرتبه * ثم بلغنا أن رسالكم الجليلة توجب
شيئا بالسماعة * وعرضت على سوق الحلم والفضل من الاستلطاف والاستعطاف
البضاعة * وقدرنا ما عملناه من أمر * واستماعه عن زيد الحلو وعمر * واستمالة
الوجوه إلى بر وجوه مطرها فقد أرابدا * وبيان عنها ما اع الداعد بال وصل
كبيرا وخيرا كثيرا * وسألنا منكم أن نحو ذلك الغرض الذي رما نرمه * ونصر عليه
أمنى همه * فما أحلى منا كم أن نورمه طالب الدنيا سنيه * ويحصل منه طالب
الآخر على حظه الباقي ونعمه * ويسل الزاهد زهده والعالم نعله * ويعول البرى
على فضله وبنى المذنب شمله * ووصل الجواب الكريم بعدد الأمان وهوارب من آراب *
وفائد من جواب * ووجه بن وجوه أعراب * فرأينا أن المثال لا بد منها * والاعتاد
أمر يعلمها حقا * ولحدكم عما عماه وفا * وبادرنا الآن إلى العزم عليه في ارتحاله *
وأن تكون الانتقال عن رضا نفس صفة حاله * وأن سمى له عز المامد * ويبلغ طيه
الاستعاف في الطريق ان قصد * إذ كان الأمان لمله عن دلو حساب الله بن مسلكم
حاملا * والذي المستغنى بنفسه وبن المجاهدة فاضلا * وطالب كما السند باغيا بكم
واصلا * ولما ذنب الذي يسوغ حاله هذه بكم علما أذا تعرض * وعليكم بصريح عربيها
ولا تعرض * فكملوا أما كم الله ما لم يسعافه ساحة الكتاب * وألحقوا بالأصل
حديث هذه الإمامة وهو أصح حديث في الباب * ووراء غرضنا من تحدكم وسلوا بيه وبين
مراد بن رك الأسباب * وقصد عاورالدب وقال الذنب بإخلاص المتاب * والتسمر
ليوم العرض وموقف الحساب * وإظهار إعلاء عنايه الجناب * الذي يعلو به أعلى الله
به بذكم بن حساب * ومعاذ الله أن يعود منا عسى لديكم عن كمال الآراب * وقد
تعاملن ونبعث إلى مساويكم ثم الحمد المآب * وبين حلرضها الرغبة لا بالغلب *
وهما قلت رملان * ولولا الأعذار لكان في هذا الغرض إعمال الركاب بسمو أعلام
الكتاب * وإنهم يولون هذا القصد من مكارمكم ما يوفر السنا الجميل * ويربي على
التأميل * ويكتب على الود الصريح العقد ومعه التفضيل * وهو سبحانه يحفظكم لتأييد
المجد الأثيل * وإنالة الرفد الجزيل * والسلام الكريم يختص مقامكم الأعلى * ومثابتكم
المعلى * ورحمة الله تعالى وبركاته * في الحادي والعشرين لجمادى الآخر بن عام سبعة

وحسان

وخمسين وسبعمائة انتهى كلام ابن الخطيب فى الاحاطة * (وذكر فى الريحانة) أنه كتب فى هذا الغرض مانصه والى هذا فاننا وقفنا على كتابكم الكريم فى شان الشيخ الصالح الفقيه الفاضل أبى عبد الله المقرى وفقنا الله واياه لما يزلف لديه * وهذا ما ما يقرب اليه * وما بلغكم من تقاعده عما لقة وما اشرتم به فى امره * فاستوفينا جميع ما قررتم * واستوعبنا ما اجملتم فى ذلك وفسرتم * واعلموا ابا محل والدنا أمتعنا الله بقائكم الذى فى ضمنه اتصال السعادة * وتعرف النعم المعاده * أننا لما انصرف عن بابنا هو ومن رافقه عن انشراح صدور * وتكييف جذل عما تفصلتم به وسرور * تعرفنا أنه تقاعد عالقة عن صحبه * وأظهر الاشتغال عما يخلصه عند ربه * وصرف الوجه الى التخلى مشفقا من ذنبه * واحتج أن قصده ليس له سبب * ولا تعين له فى الدنيا أرب * وأنه عرض عليكم أن تسعوا له فيما ذهب اليه * وتقروه عليه * فيحل المدار * ويمهد تحت ايالتكم القرار * فلما بلغنا هذا الخبر * لم يحلق الله عندنا به مبالاة تعتبر * ولا اعددناه فيما يذكر * فكيف فيما ينكر * وقطعنا أن الامر فيه هين * وأن مثل هذا الغرض لا تلتفت اليه عين * فان بابكم غنى من طبقات اولى الكمال * ملى بتسويغ الآمال * موفور الرجال * معمور بالفقهاء العارفين بأحكام الحرام والحلال * والصلحاء اولى المقامات والاحوال * والادباء فرسان الروية والارتجال * ولم ينقص بفقدان الحصى أعداد الرمال * ولا يستكثر بالقطرة جيش العارض المنثال * مع ما علم من اعانتكم على مثل هذه الاعمال * واستمساككم باسعاف غرض من صرف وجهه الى ذى الجلال * ولو علمنا أن شيأ يحبس فى الخاطر من امر مقامه * لقابلناه بعلاج سقامه * ثم لم ينشب أن تلاحق بحضرتنا بادرا فى طور التقال والتخفيف * خالطا نفسه باللفيف * قد صار نكرة بعد العلمية والتعريف * وسكن بعض مواضع المدرسة منقبضا عن الناس لا يظهر الا اصلاة يشهد جماعتها * ودعوة للعباد يخاف اضاعتها * ثم تلاحق ارسالكم الجلة * الذين تحق لمثلهم التجلة * فحضروا لدينا * وأدوا المخاطبة الكريمة كما ذكرالينا * وتكلمنا معهم فى القضيه * وتحلينا الوجوه المرضيه * فلم نجد وجها أخلص من هذا الغرض * ولا علاجا يتكفل ببرء المرض * من أن كلمناهم الاقامة التى يتبرك بين جوارها * ويعمل على ايثارها * بجلال ما نخاطب مقامكم بهذا الكتاب الذى مضمونه شفاعة يصح من حباكم احتسابها * ويرعى انتماءها الى الخلوص وانتسابها * ويعيدها قد اعملت الخطوة أنوابها * ونقصدكم ومثلكم من يقصد فى المهمه * فانتم المثل الدائع فى عموم الحلم وعلو الهمه * فى أن تصدروا له مكتوبا مكمل الفصول مقرر الاصول * يذهب الوجل * ويرفع الخجل * ويسوغ من مآربه لديكم الامل * ويخلص النية ويرتب العمل * حتى يظهر ما الناعمد أبو تكم من تكميل المقاصد * جريا على ما بذلتم من جميل العوائد * واذا تحصل ذلك كان بفضل الله ايابه * وانا خت بعقوة وعدكم الوفى ركابه * ويحصل لمقامكم عزه ومجده وثوابه * وأنتم من يرعى امور المجد حق الرعايه * ويجرى فى معاملة الله تعالى على ما اسس من فضله المدايه * وتحقق الظنون فيما لديه من المدافعة عن حوزة الاسلام والحمايه * هذا ما عندنا عجلنا به الاعلام * وأعملنا فيه الاقلام * بعد أن

أيضا جلال الدين القزويني صاحب البيان وسمعا صحيح البخاري على الحجار وقد سمعته انا على سماه باطراقي الدين بن تيمية وظهرا عليه وكان ذلك من أسباب محنته وكانت له مقالات فيما ذكر وكان شديد الانكار على الامام فخر الدين حدثني شيخي العلامة أبو عبد الله الابلي أن عبد الله بن ابراهيم الزموري اخبره أنه سمع ابن تيمية ينشد لنفسه

محصل في اصول الدين حاصله * من بعد تحصيله علم بلا دين

اصل الضلالة والافك المبين فما * فيه فاكثره وحي الشياطين

قال وكان في يده قضيب فقال والله لو رأيته لضربته بهذا القضيب هكذا ثم رفعه ووضعه وحسبك بما طار لهذين الرجلين من الصيت بالمشرق أني لما حللت بيت المقدس وعرف به مكاني من الطلب وذلك أني قصدت قاضيه شمس الدين بن سالم ليضع لي يده على رسم أستوجب به هنالك حقا فلما أطلت عليه عرفه بي بعض من معه فقام الي حتى جلست ثم سألني بعض الطلبة بحضرته فقال لي انكم معشر المالكية تبيحون للشامي يمر بالمدينة أن يتعدى ميقاتها الى الجحفة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن عين المواقيت لاهل الآفاق هن لهن ولمن مر عليهن من غير أهلهن وهذا قد مر على ذي الحليفة وليس من اهله فيكون له فقلت له ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من غير أهلهن اي من غير أهل المواقيت وهذا سلب كلي وانه غير صادق على هذا الفرد ضرورة صدق نقيضه وهو الايجاب الجزئي عليه لانه من بعض اهل المواقيت قطعا فلما لم يتناوله النص رجعنا الى القياس ولا شك أنه لا يلزم احدا أن يحرم قبل ميقاته وهو يمر به لكن من ليس من اهل الجحفة لا يمر بميقاته اذا مر بالمدينة فوجب عليه الاحرام من ميقاتها بخلاف اهل الجحفة فانها بين ايديهم وهم يمرون عليها فوقعت من نفوس اهل البلد بسبب ذلك فلما عرفت اتاني آت من اهل المغرب فقال لي نعلم أن مكانك في نفوس اهل هذا البلد مكين وقدرك عندهم رفيع وأنا اعلم انقباضك عن ابني الامام فان سئلت فانتسب لهما فقد سمعت منهما وأخذت عنهما ولا تظهر العدول عنهما الى غيرهما فتضع من قدرك فانا انت عند هؤلاء الناس خليفتهما ووارث علمهما وأن لا احد فوقهما * وليس لما تبني يد الله هادم * وشهدت مجلسا بين يدي السلطان أبي تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو ذكر فيه أبو زيد بن الامام أن ابن القاسم مقلد مقيد النظر بأصول مالك ونازعه أبو موسى عمران بن موسى المشذالي وادعى أنه مطلق الاجتهاد واحتج له بمخالفته لبعض ما يرويه ويبلغه عنه لما ليس من قوله وأتى من ذلك بنظائر كثيرة قال فلو تقيد بمذهبه لم يخالفه لغيره فاستظهر أبو زيد بنص لشرف الدين التلمساني مثل فيه الاجتهاد المخصوص باجتهاد ابن القاسم بالنظر الى مذهب مالك والمزني الى الشافعي فقال عمران هذا مثال والمثال لا تلزم صحته فصاح به أبو موسى بن الامام وقال لابي عبد الله بن أبي عمرو تكلم فقال لا اعرف ما قال هذا الفقيه الذي اذكره من كلام اهل العلم أنه لا يلزم من فساد المثال فساد الممثل فقال أبو موسى للسلطان هذا كلام اصولي محقق فقلت لهما وأنا يومئذ حديث السن ما انصفتما الرجل فان المثل كما تؤخذ على جهة التحقيق كذلك تؤخذ على جهة التقريب ومن ثم جاء ما قاله هذا الشيخ اعني

وغررتني وزعمت انك لابن بالصيف تامر

فقال انت في تعجبك اشعر من الحطيئة اوكما حكى عمن صلى بالخليفة في رمضان ولم يكن يومئذ يحفظ القرآن فكان ينظر في المصحف فصحف آيات صبغة الله * اصيب بها من اساء * انما المشركون نجس * وعدها أباه * تقية الله خير لكم * هذا ان دعوا للرحمن ولدا * لكل امرئ منهم يومئذ شان يعنيه * سمعت ابا زيد يقول ان ابا العباس العماري التونسي اول من ادخل معالم الامام فخر الدين للمغرب وسبب ما فعل به من الفوائد رحل أبو القاسم بن زيتون * وسمعته يقول ان ابن الحاجب ألف كتابه الفقهي من ستين ديوانا * ووجدت من وجادة أنه ذكر عند أبي عبد الله بن قطرال المراكشي أن ابن الحاجب اختصر الجواهر فقال ذكر هذا لابي عمرو حين فرغ منه فقال لي ابن شاس اختصر كتابي قال ابن قطرال وهو أعلم بصناعة التاليف من ابن شاس والانصاف أنه لايخرج عنه وعن ابن بشير * الا في الشئ اليسير * فهما اصلاه ومعتمداه * ولاشك أن له زيادات وتصرفات تنبئ عن رسوخ قدمه وبعد مداه * وكان أبو زيد من العلماء الذين يخشون الله حدثني أمير المؤمنين المتوكل ابن عثمان أن والده أمير المسلمين أبا الحسن ندب الناس الى الاعانة بأموالهم على الجهاد فقال له أبو زيد لا يصح لك هذا حتى تكنس بيت المال وتصلي ركعتين كما فعل علي بن أبي طالب وسأله أبو الفضل بن أبي مدين الكاتب ذات يوم عن حاله وهو قاعد ينتظر خروج السلطان فقال له أما الآن وأنا مشرك فقال اعيذك من ذلك فقال لم أرد الشرك في التوحيد لكن في التعظيم والمراقبة والافأى شئ جلوسي ههنا والشئ بالشئ يذكر وقفت ذات يوم على باب السلطان بمراكش فيمن ينتظر خروجه فقام الى جانبي شيخ من الطلبة وأنشدني لابي بكر ابن خطاب رحمه الله تعالى

ابصرت ابواب الملوك تغص بالـ * ـراجين ادراك العلا والجاه
متزاحمين لها فهما فتحت * خزوا الاذقان لهم وجباه
فأنفت من ذاك الزحام وأشفقت * نفسي على انضاء حسمي الواهي
ورأيت باب الله ليس عليه من * متزاحم فقصدت باب الله
وجعلته من دونهم لي عدة * وأنفت من غيي وطول سهاهي

يقول جامع هذا المؤلف رأيت بخط عالم الدنيا ابن مرزوق على هذا المحل من كلام مولاي الجد مقابل قوله ورأيت باب الله ماصورته قلت ذلك لسعته أولقلة اهله

ان الكرام كثير في البلاد وان * قلوا كما غيرهم قل وان كثروا

قل لا يستوي الخبيث والطيب الآية انتهى * رجع الى كلام مولاي الجد قال رحمه الله تعالى ورضي عنه * وحدثني شيخ من اهل تلمسان أنه كان عند أبي زيد مرة فذكر القيامة وأهوالها فبكى فقلت لا باس علينا وأنتم أمامنا فصاح صيحة واسود وجهه وكاد يتفجر دما فلما سري عنه رفع يديه وطرفه الى السماء وقال اللهم لا تفضحنا مع هذا الرجل وأخباره كثيرة * وأما شقيقه أبو موسى فسمعت عليه كتاب مسلم واستفدت منه كثيرا مما سألته عنه قول ابن الحاجب في الاستلحاق واذا استلحق مجهول النسب الى قوله أو الشرع بشهرة

نسبه كيف امتزج هذا القسم مع فرضه شمول النفي فقال يمكن أن يكون شمول النفي
في حال الاستغراق ثم تغير بعد ذلك فبطل الاستغراق فكأنه يقول أخفه أبدا ودواما
لم يكد به أحد دهره في احدى الحالتين الا أن هذا انما يتوجه في الدوام فقط * ومما سألته عنه
ان الموثقين يكتبون الصحة والجوار والطوع على ما يوهم القطع وكثيرا ما ينكشف الامر
عن خلافه ولو كتبوا استظهارا الصحة والجوار والطوع لتبرؤوا من ذلك فقال لي لما كان مبنى
الشهادة وأصلها العلم لم يحتمل ذكر الظن ولا ما في معناه احتمالا فاذا امكن العلم لم يجز لهم غير
أن يحمل على غيره فاذا تعذر كانت في باطن أمرها على غاية ما يسعه فيه الامكان عادة
وأجرى ظاهرها على ما ينافي أصلها صيانة لرونقها ورعاية لما كان ينبغي أن يكون عليه لولا
الضرورة ولذلك عدلوا عن التصريح بغير عمود الحواجز الى ما يوهم العلم بالقدر مع أن
ذلك اعتماد قول على غالب الظن في الحزر والتخمين وكانا معاهدين الى الاحساد ورتبة
المقلد * ومن أخذت عنه أنه اضطلع بها وبذر بينها ومعهما أبو موسى عمران بن موسى بن
يوسف المشدالي صهر شيخ المدرسين أبي علي ناصر الدين على ابنته وكان قد فر من حصار
بجاية ونزل الجزائر فنقله أبو تاشفين * وأنزله من التقريب والاحسان بالمحل المكين *
ودرس بتلمسان الحديث والفقه والاصلين والنحو والمنطق والجدل والفرائض وكان كثير
الاتساع في الفقه والجدل مديد الباع فيما سواهما فاذكر أني سألته عن قول ابن الحاجب
في النحو وان لحال الاعتراض فقال نعم فقال معنا فان احال غير أنه معترض بحذف
الله قول الجوار واقامة المصدر مقام المفعول كما زعم فمثله ما في معنا ن أراد قال
الله تعالى ألم أحسب الناس أن يتركوا قال وأقوى من هذا أن يكون المصدر هو
المفعول الثاني وحذف الثالث اختصارا للدلالة التي عليه أي فان احال الاعتراض كائنا
كما قالوا خلاف ذلك وقد أعرب الآية بالوجهين وهذا عندي أقرب ومن هذا الباب
ما يكتب به الفقهاء من قولهم أعلم باستنزاله فلان أي أعلم فلان من تشفع عليه بأن الرسم
سبقهم فحذفوا الاول وصاغوا ما بعده المصدر * قال عمران رواية عنه ثم اصطلح من
السلطان بالدم فكاتب حزبه منه فقال يقبل فان لم يخرج شيء من ذلك في الماء فهو طاهر لأن
المغلوب على هذا القدر ليس الاول الغاصب واذا اغتسل فيه بالماء فهو عفو والاوجب
غسله الى أن لا يخرج منه شيء وفي البخاري قال معمر رأيت الزهري يصلي فيما صبغ
بالبول من ثياب اليمن ويقتصر على ما ذكر عمران وكان قد صاهر لقاضي الجماعة أبي
عبد الله بن هدية على ابنته فلم يزل عنده الى أن توفي عنها * ومنهم مشكاة الانوار الذي
يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار الاستاذ أبو اسحق ابراهيم بن حكم السلوي رحمه الله
تعالى ورد تلمسان بعد العشرين ثم لم يزل بها الى أن قتل يوم دخل على بني عبد الواد وذلك
في الثامن والعشرين من شهر رمضان عام سبعة وثلاثين وسبعمائة قال لي الشيخ ابن
مرزوق ابتدأ أمر بني عبد الواد سلهم لابي الحسن السعيد وكان اغرام ولد يحيى العسر
وحكم بقتل أبي الحسن بن عثمان اياهم وهو بعينه المذكور حذو النعل بالنعل فسبحان
من ذهب حكمه في كل شيء ولما توفي الزيمان أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري

(أبو موسى المشدالي)

(أبو اسحق بن حكم السلوي)

وقد

ومحمد بن عبد الرحمن بن الحكيم الرندى في رحلتهما على قبر السعيد بعباد تلمسان تساول ابن الحكيم شقة ثم كتب بها على جدار هنالك

انظر فتى السلك اليوم معتبر * ان كنت من بعين الفكر قد لحظا
بالامس أدعى سعيدا والورى خولى * واليوم يدعى سعيدا من بى اتعظا

قال ابن حكم كان اول اتصالى بالاستاذ أبى عبد الله بن آجروم أنى دخلت عليه وقد حفظت بعض كتاب المفصل فوجدت الطلبة يعربون بين يديه هذا البيت

عهدى به الحى الجميع وفيهم * قبل التفرق ميسر وندام

وقد عمى عليهم خبر عهدى فقلت له قد سدت الحال وهى الجملة بعده مسده فقال لى بعض الطلبة وهل يكون هذا فى الجملة كما كان فى قولك ضربى زيدا قائما فقلت له نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ذكر أبو زيد بن الامام يوما فى مجلسه أنه سئل بالمشرق عن هاتين الشرطيتين ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون فانهما يستلزمان بحكم الانتاج لو علم الله فيهم خيرا لتولوا وهو محال ثم اراد أن يرى ما عند الحاضرين فقال ابن حكم قال الخونجى والاهمال باطلاق لفظ لو وان فى المتصلة فهاتان القضيتان على هذا مهملتان والمهملة فى قوة الجزئية ولا قياس عن جزئيتين فلما اجتمعت ببجاية بأبى على حسين بن حسين وأخبرته بهذا وبما اجاب به الزمخشرى وغيره مما يرجع الى انتفاء تكرر الوسط قال لى الجوابان فى المعنى سواء لان القياس على الجزئيتين انما امتنع لانتفاء امر تكرر الوسط فأخبرت بذلك شيخنا الابلى فقال انما يقوم القياس على الوسط ثم يشترط فيه بعد ذلك أن لا يكون من جزئيتين ولا سالبتين الى سائر ما يشترط فقلت ما المانع من كون هذه الشروط تفصيلا لمجمل ما ينبنى عليه من الوسط وغيره والا فلا مانع غير ما قاله ابن حسين قال الابلى وقد أجبت بجواب الساوى ثم رجعت الى ما قاله الناس لوجوب كون مهملات القرآن كلية لان الشرطية لا تنتج جزئية فقلت هذا فيما يساق منها للحجة مثل لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا أما فى مثل هذا فلا * ولما ورد تلمسان الشيخ الاديب أبو الحسن بن فرحون نزيل طيبة على تربتها السلام سأل ابن حكم عن معنى هذين البيتين

رأت قمر السماء فأذكرتنى * ليالى وصلها بالرقمتين
كلانا ناظر قمرا ولكن * رأيت بعينها ورأت بعينى

ففكر ثم قال لعل هذا الرجل كان ينظر اليها وهى تنظر الى قمر السماء فهى تنظر الى القمر حقيقة وهو لافراط الاستحسان يرى أنها الحقيقة فقد رأى بعينها لانها الناظرة الحقيقة وأيضا فهو ينظر الى قمر مجازا وهو لافراط الاستحسان لها يرى أن قمر السماء هو المجاز فقد رأت بعينه لانها ناظرة المجاز قلت ومن ههنا تعلم وجه الفاء فى قوله فأذكرتنى لانه لما صارت رؤيتها رؤيته وصار القمر حقيقة اياها كان قوله رأت قمر السماء فأذكرتنى بمثابة قولك أذكرتنى فتامله فان بعض من لا يفهم كلام الاستاذ حق الفهم ينشده وأذكرتنى فالفاء فى البيت الاول مبنية على معنى البيت الثانى لانها مبنية عليه وهذا النحو يسمى

قوله لانها مبنية عليه هكذا فى الاصل ولا يخفى ما فيه من المصادرة فتدبر ١٥ مصححه

وكقول امرئ القيس غشيت ديار الحي بالبكرات الميتين لا يقال فالحب سابع لا ما يقول انه عطف على عاقل الجزد مهما ولعل حكمة الستة أنها أول الاعداد التامة كما قيل في حكمة خلق السموات والارض فيها وشأن اللسان عجيب وقوله في هذا البيت محب لغة قليلة تجري عليها محبوب كثيرا حتى استغني به عن محب ولا تكاد تجده الا في قول عنترة

ولقد نزلت فلا تظني غيره * مني بمنزلة المحب المكرم

ونظيره محسوس من حس والاكثر أحس ولا تكاد تجد محسا وهذا التوجيه احسن من قول القرافي في شرح التنقيح أجروا المحسوسات مجرى معلومات لان الحس احد طرق العلم

* سمعت ابن حكم يقول بعث بعض ادباء فاس الى صاحب له

ابعث الي شيئ * مدار فاس عليه

وليس عندك شيئ * مما اشير اليه

فبعث اليه سطلة من مري يشير بذلك الى الربا وحدثت أن قاضيها أبا محمد عبد الله بن احمد ابن المجوم حضر وليمة وكان كثير الملح ووضع بين يديه صهره أبو العباس بن الاشقر غضارا من اللون المطبوخ بالمري لمناسبته لمزاجه فخاف أن يكون قد عرض له بالربا وكان ابن الاشقر يذكر بالوقوع في الناس فناوله القاضي غضار المقروض فاستحسن الحاضرون فطنته * ومنهم عالم الصلحاء وصالح العلماء وجليس الرجل وحليف البكاء والعويل أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد بن ابراهيم بن الناصر المجاصي خطيب جامع القصر الجديد وجامع خطتي التحديث والتجويد يسميه اهل مكة البكاء ولما قدم أبو الحسن علي بن موسى البصري سأل عنه فقيل له لو علم بك اتاك فقال انا آتي من سمعت سيدي أبا زيد الهزميري يقول له لاول ما رآه ولم يكن يعرفه قبل ذلك مرحبا بالفتى الخاشع أسمعنا من قراءتك الحسنة دخلت عليه بالفقيه أبي عبد الله السطي في أيام عيد فقدم لنا طعاما فقلت لو كانت معافر جونا بذلك ما رفع من حديث من اكل مع مغفور له غفر له فتبسم وقال لي دخلت على سيدي أبي عبد الله الفاسي بالاسكندرية فقدم طعاما فسألته عن هذا الحديث فقال وقع في نفسي منه شيئ فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فسألته عنه فقال لي لم اقله وأرجو أن يكون كذلك وصافحته بمصافحته الشيخ أبا عبد الله ريان بمصافحته أبا سعيد عثمان بن عطية الصعيدي بمصافحته أبا العباس احمد الملثم بمصافحته المعمر بمصافحته رسول الله صلى الله عليه وسلم * وسمعته يحدث عن شيخه أبي محمد الدلاصي أنه كان للملك العادل مملوك اسمه محمد وكان يخصه لدينه وعقله بالنداء باسمه وانما كان ينعق عماليكه يا ساقي يا طباخ يا مربن فنادى به ذات يوم يا فراش فظن ذلك لموجدة عليه فلما لم ير أثر ذلك وتصورت له به خلوة سأله عن مخالفته لعادته معه فقال لا علمك كنت حينئذ جنبا فكرهت ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الحالة * ومما نقلته من خط المجاصي ثم قرأته عليه حدثني به قال حدثني القاضي أبو زكريا يحيى بن محمد بن يحيى بن أبي بكر بن عصفور قال حدثني جدي يحيى المذكور أخبرنا محمد بن عبد الرحمن التجيبي المقري بتلمسان حدثنا الحافظ أبو محمد يعني والله أعلم عبد الحق الاشبيلي

(عبد الله المجاصي)

أخبرنا أبو غالب أحمد بن الحسن المستعمل أخبرنا أبو الفرج عبد القادر بن الحسن ابن أبي الحسن بن خلف الآلي أخبرنا أبو نصر أحمد بن إسحق النيسابوري أملى علينا أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني أخبرنا محمد بن علي بن الحسين العلوي أخبرنا عبد الله بن إسحق البغوي* وأنبأنيه أخبرنا إبراهيم بن الهيثم البلدي أخبرنا عبد الله بن آدم بن عيسى بن يونس عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل ألا أعلمك الكلمات التي قالهن موسى حين انفلق له البحر قلت بلى قال قل اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وبك المستغاث وأنت المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله قال ابن مسعود فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تسلسل الحديث على ذلك كل أحد من رجاله يقول ما تركتهن منذ سمعتهن من فلان لشيخه وقد سمعت الحجازي يكررها كثيرا وما تركتهن منذ سمعتهن منه * وأنشدني الحجازي قال أنشدني نجم الدين الواسطي أنشدني شرف الدين الدمياطي* أنشدني تاج الدين الأرموي مؤلف الحاصل قال أنشدني الإمام فخر الدين لنفسه

نهاية إقدام العقول عقال * وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا * وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا * سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم من رجال قد رأينا ودولة * فبادوا جميعا مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها * رجال فزالوا والجبال جبال

(أبو علي السبتي)

وتوفي الحجازي في العشر الأخير من شهر ربيع الأول عام أحد وأربعين وسبعمائة * ومنهم الشيخ المعمر الشاذلي الرحلة أبو علي حسن بن يوسف بن يحيى الحسني السبتي أدرك أبا الحسن بن أبي الربيع ورأى أبا القاسم العزفي واجتمع بابن عبيد وابن الشاط ثم رحل إلى المشرق ولقي ابن دقيق العيد وجماعة ثم قفل واستوطن تلمسان إلى أن مات بها سنة أربع وخمسين أو ثلاث وخمسين وسبعمائة قرأت عليه حديث الرحمة وهو أول حديث سمعته منه بحدثنا الحسن بن علي بن عيسى بن الحسن اللخمي وهو أول حديث سمعته منه أخبرنا علي ابن المظفر بن القاسم الدمشقي* وهو أول حديث سمعته منه أخبرنا أبو الفرج محمد بن عبد الرحمن بن أبي العز الواسطي* وهو أول حديث سمعته منه أخبرنا أبو العز عبد المغيث ابن زهير وهو أول حديث سمعته منه أخبرنا زاهر بن طاهر بن محمد الشحامي* وهو أول حديث سمعته منه (ح) قال الحسن بن علي وحدثنا أيضا عاليا الحسن بن محمد البكري وهو أول حديث سمعته منه أخبرنا أبو الفتوح محمد بن محمد بن الحمد الصوفي* وهو أول حديث سمعته منه أخبرنا زاهر بن طاهر وهو أول حديث سمعته منه أخبرنا أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي الفضائل عبد الوهاب بن صالح عرف بابن المعزم إمام جامع همدان بها وهو أول حديث سمعته منه أخبرنا أبو منصور عبد الكريم بن محمد بن حامد المعروف بابن الحمام وهو أول حديث سمعته منه أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك وهو أول حديث سمعته منه حفظا أخبرنا أبو الطاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي وهو أول حديث سمعته

منه أخبرنا ابو حامد احمد بن محمد بن يحيى بن هلال البزار وهو أول حديث سمعته منه أخبرنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم وهو أول حديث سمعته منه أخبرنا سفيان بن عيينة وهو أول حديث سمعته منه عن عمرو بن دينار عن أبي قابوس مولى لعبد الله بن عمرو بن العاص عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء (ح) وحدثني الشريف ايضا كذلك بطريقه عن السلفي بأحاديثه المشهورة به وهذا الحديث أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قال لي الشريف قال لي القاضي أبو العباس الرندي لما قدم ابو العباس بن الغماز من بلنسية نزل بجاية فجلس بها في الشهود مع عبد الحق ابن ربيع فجاء عبد الحق يوما وعليه برنس أبيض وقد حسنت شارته وكملت هيأته فلما نظر اليه ابن الغماز أنشده

لبس البرنس الفقيه فباهى * ورأى أنه المليح فتاها
لو رآه الغماز حين تبدى * لتمنيه أن يكون فتاها

وبه أن ابن الغماز جلس لارتقاب الهلال بجامع الزيتونة مع الشهود من المشيخة وأخبروا أنهم لم يهلوه وجاء حفيد له صغير فأخبره أنه أهله فردهم معه فأراهم اياه فقال ما أشبه الليلة بالبارحة وقع لنا مثل هذا مع ابي الربيع بن سالم وأنشدنا فيه

توارى هلال الافق عن أعين الورى * وأرخى حجاب الغيم دون محياه
فلما تصدى لارتقاب شقيقه * تبدى له دون الانام فحياه

سمعت الشريف يقول أول زجل عمل في الدنيا

بالله يا طبرمدلل * مرّ بي وسط القفار
اياك تجدد لعاده * ترمي حجيره في داري

(ابو عبد الله بن هدية القرشي)

*ومنهم قاضي جماعتها وكاتب خلافتها وخطيب جامعها ابو عبد الله محمد بن منصور بن علي ابن هدية القرشي من ولد عقبة بن نافع الفهري نزلها سلفه قديما وخلفه بها الى الآن توفي في أواسط سنة خمس وثلاثين وسبعمائة وشهد جنازته سلطانها يومئذ ابو تاشفين وولى ابنه أبا علي منصورا مكانه يومئذ ولما ثقل لسانه دعا ابنه هذا فقال له اكتب هذين البيتين فاني نظمتهما على هذه الحالة فكتب

الهي مضت للعمر سبعون حجة * جنيت بها ما جنيت الدواهيا
وعبدك قد امسى عليل ذنوبه * فجد لي برحمى منك نعم الدواهيا

ولما ورد الاديب أبو عبد الله محمد بن محمد المكودي من المغرب رفع اليه قصيدة أولها

سرت والدجى لم يبق الا يسيرها * نسيم صبا يحيي القلوب مسيرها

وفيها الابيات العجاب التي سارت مسير الامثال وهي قوله

وفي الكلة الحمراء حمراء لو بدت * لشكلي لولي ثكلها وثبورها
فما يستوي مثوى لها من سوى القنا * خيام ومن بيض الصفاح ستورها
وما سوى صدق الغرام أرومها * ولا سوى زور الخيال أزورها

وعمر هند كأن الله صوره * عمرو بن هند يعني الناس تعنيتا

وأضاف اللام اليه كما قالوا أم الحليس قلت ولا يندفع هذا بثبوت كون المعية تكنى أم عمرو لان ذلك لا يمنع ارادة المعنى الآخر فنكون أم عمرو وأم العمر * قال ابن الجيار بعثت بهذه الابيات من تلمسان الى القاضي أبي عبد الله بن هدية فأخرج لغزها

ان حروف اسم من كلفت به * حفت على كل ناطق بفم
سائغة سهلة مخارجها * من اجل هذا تزداد في الكلم
... ثم اقلب ... * فعل ذكي مهذب وهم
واطلبه في الشعر تجد مطلبه * تجده كالصبح لاح في الظلم
فان تأملت بت ... على * علم والا فأنت عنه عم

واللغز سلمان وموضعه تاملت بت وتوفي رحمه الله تعالى بتونس أيام الوباء العام * ومنهم الاستاذ المقرئ الراوية الرحلة أبو الحسن علي بن أبي بكر بن سبع بن مزاحم المكناسي ورد علينا من المشرق فأقام معنا اعواما ثم رحل الى فاس فتوفي بها في الوباء العام جمعت عليه السبع وقرأت عليه البخاري والشاطبيتين وغير ذلك فأما البخاري فحدثني به قراءة منه على احمد بن الشحنة الحجار سنة ثلاثين وسبعمائة وكان الحجار قد سمعه على ابن الزبيدي سنة ثلاثين وستمائة وهذا مالا يعرف له نظير في الاسلام وقد قال عبد الغني الحافظ لا نعرف في الاسلام من وازاه عبد الله بن محمد البغوي في قدم السماع فانه توفي سنة سبع عشرة وثلثمائة قال ابن خلاد سمعناه يقول أخبرنا اسحق بن اسمعيل الطالقاني سنة خمس وعشرين ومائتين * وسمعه ابن الزبيدي على أبي الوقت بسنده قال لي ابن مزاحم هذا طريق كله سماع * وأما الشاطبيتان فحدثني بهما قراءة عليه لجميعهما عن بدر الدين بن جماعة بقراءته لهما عليه عن أبي الفضل هبة الله بن الازرق بقراءته اعليه عن المؤلف كذلك وحدثني بتسهيل الفوائد عن ابن جماعة عن المؤلف ابن مالك وغير ذلك * وممن ورد علينا لا يريد الاقامة بها شيخي وبركتي وقدوتي أبو عبد الله محمد بن حسين القرشي الزبيدي التونسي حدثني بالصحيحين قراءة لبعضهما ومناولة لجميعهما عن أبي اليمن بن عساكر لقيه بمكة سنة احدى وثمانين وستمائة بسنده المشهور وحدثني أيضا أن أبا منصور العجمي حدثه بمصر الشيخين والده حسين وعمه حسن وأثنى عليه دينا وفضلا أنه أدخل بعض بلاد المشرق على المعمر أدخله عليه بعض ولد ولده فالفاه ملفوفا في قطن وسمع له دويا كدوي النحل فقيل له ألقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيته قال نعم قلت ليس في هذا ما يستراب منه الا الشيخ المعمر فانا لا نعرف حاله فان صح فحديث ساعه ثلاثي وقد تركت سنة خمس واربعين بمصر رجلا يسمى بعثمان معه تسعون حديثا يزعم أنه سمعها من المعمر وقد أخذت عنه وكتبت منه فهو اثناعي وأمر المعمر غريب والنفس اميل الى نفيه * ومنهم امام الحديث والعربية وكاتب الخلافة العثمانية والعلوية أبو محمد عبد المهيمن بن محمد الحضرمي السبتي جمع فأوعى * واستوهب اكثر المشاهير وما سعى * فهو المقيم الظاعن * الضارب القاطن * سألني عن الفرق بين علم الجنس واسم الجنس * فقلت له زعم الحسر وشاهي أنه ليس بالديار

* (أبو الحسن بن سبع المكناسي) *

* (أبو عبد الله الزبيدي التونسي) *

* (عبد المهيمن الحضرمي السبتي) *

فقال تأولت قول عروة من صيعها فهو لما سواها أصيع * ومنهم أبو عبد الله محمد بن محمد الغرموني مكنى الأول ووسيلتي الى الله عز وجل قرأ على الشيخين ابى عبد الله القصرى وابى حريث وح جمات وكان عقد بقلمه أنه كلما ملأ مائة دينار عين باسا او الى الحج وكان بصيرا بتعبير الرؤيا ومن عجائب شأنه فيه أنه كان فى بحبس أبى يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق فيمن كان فيه من اهل تلمسان أيام محاصرته اياها رأى أبو جمعة بن على التلالسى الجرايحى منهم كأنه قائم على ساقية دائرة وجميع قواديسها يصب فى نقير فى وسطها خباء ليشرب فلما اغترف الماء اداه فرث ودم فأرسله ثم اغترف فاذا هو كذلك ثلاثا او اكثر فعدل عنه فرأى حصة ماء وشرب منها ثم استنقط وهو النهار فأخبره فقال ان صدقت رؤياك فنحن عما قليل خارجون من هذا المكان قال كيف قال الساقية الزمان والنقير السلطان وانت جرايحى تدخل يدك فى جوفه فيناله الفرث والدم وهذا مالا تجتماع معه فلم يكن الا صحوة النهار واذا النداء عليه فأخرج فوجد السلطان مطعونا بخنجر فأدخل يده فنالها الفرث والدم بخاط جراحته ثم خرج فرأى حصة ماء فغسل يديه وشرب ثم لم يلبث السلطان أن توفى وسرّحوا * وتعداد أهل هذه الصفة يكثر فلنضرب عنهم ولنختم فصل من لقيته بتلمسان بذكر رجلين هما قيد الحياة احدهما عالم الدنيا والآخر نادرتها * أما العالم فشيخنا ومعلمنا العلامة أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن احمد العبدرى الابلى التلمسانى سمع جده لامه أبا الحسن بن غلبون المرسى القاضى بتلمسان وأخذ عن فقهائها أبى الحسن التنسى وابنى الامام ورحل فى آخر المائة السابعة فدخل مصر والشام والحجاز والعراق ثم قفل الى المغرب فأقام بتلمسان مدة ثم فرّ أيام أبى حمو موسى بن عثمان الى المغرب حدثنى أنه لقى أبا العباس احمد بن ابراهيم الخياط شقيق شيخنا أبى عثمان المتقدم ذكره فشكا له ما يتوقعه من شر أبى حمو فقال له عليك بالجمل فلم يدر ما قال حتى تعرّض له رحل من عمارة فعرض عليه الهروب به قال فخفت أن يكون أبو حمو قد دسه على فتذكرت له فقال لى اعما أسير بك على الجمل فتذكرت قول أبى اسحق فواطأته وكان خلاصى على يده قال ولقد وجدت العطش فى بعض مسيرى به حتى غلظ لسانى واضطربت ركبتاى فقال لى ان جلست قتلتك لئلا أفتضح بك فسكت أقوى نفسى فمر على بالى فى تلك الحالة استسقاء عمر بالعباس وتوسله به فوالله ماقلت شيأ حتى رفع لى غدير ماء فأريته اياه فشربنا ونضنا ولما دخل المغرب ادرك أبا العباس بن البناء فأخذ عنه وشافه كثيرا من علمائه قال لى قلت لابى الحسن الصغير ماقولك فى المهدى فقال عالم سلطان فقلت له قد أسس عن مرادى ثم سكن جبال الموحدين ثم رجع الى فاس فلما افتتحت تلمسان لقيته بها فأخذت عنه فقال لى الابلى كنت يوما مع القاسم بن محمد الصنهاجى فوردت عليه طومارة من قبل القاضى أبى الحجاج الطرطوشى فيها

خيرات ماتحويه مبذولة * ومطلبى تصحيف مقلوبها

فقال لى ما مطلبه فقلت تاريخ * دخل على الابلى وأنا عنده بتلمسان الشيخ أبو عبد الله الدباغ المالقى المتطبب فأخبرنا أن اديبا استجدى وزيرا بهذا الشطر ثم خبيب قلبا بتصحيف

(أبو عبد الله الغرموني)

قوله وهو النهار هكذا فى النسخ ولعل معناه والوقت النهار فيكون الضمير راجعا الى مفهوم من المقام تأمل اه مصححه

(أبو عبد الله العبدرى الابلى)

قوله ابى اسحق هكذا فى النسخ ولعل صوابه ابى العباس ليوافق ماقبله وتنبه اه مصححه

ولى قضاء مصر بعد عز الدين بن عبد السلام فتقدم شاهدا كان عز الدين اخره فعذله فى ذلك فقال ان مولانا لم يذكر السبب الذى رفع يده من اجله وهو الآن غير متمكن من ذكره * سمعت الشيخ الابلى يحدث عن قطب الدين القسطلانى أنه ظهر فى المائة السابعة من المفاسد العظام ثلاث مذهب ابن سبعين وتملك الططر للعراق واستعمال الحشيشة * سمعت الابلى يقول قال ابو المطرف بن عميرة

فضل الجمال على الكمال بوجهه * فالحق لا يخفى على من وسطه
وبطرفه سقم وسحر قد اتى * مستظهرا بهما على ما استبطه
عمالة برهانه بشروطه * معه عمامة قصوده بالسفسطه

قال فاجابه أبو القاسم بن الشاط فقال

علم التباين فى النفوس وانها * منها مغالطة وغير مغلطه
فئة رأت وجه الدليل وفرقة * اصغت الى الشبهات فهى مورطه
فاراد جمعهما معانى ما كه * هذى بمنحة وذى بمغلطه

يعنى قولهم فى التام هو ما تحمل فيه البرهان المصل * وأخبار الابلى وأسمعتى منه تحتمل كتابا فلنقف على هذا القدر منها * وأما النادرة فأبو عبد الله بن أحمد بن شاطر الجمحى المراكشى صحب أبا زيد الهزميرى كثيرا وابا عبد الله بن تيجان وأبا العباس بن البناء وأضرابه من المراكشيين ومن جاورهم ورزق بصحبة الصالحين حلاوة القبول فلا تكاد تجد من يستثقله وربما سئل عن نفسه فيقول ولى مفسد قلت له يوما كيف انت فقال محبوس فى الروح وقال الليل والنهار حرسيان أحدهما اسود والآخر ابيض وقد اخذا بجامع الخلق يجرانهم الى القيامة وان مردنا الى الله تعالى * وسمعته يقول المؤذنون يدعون اولياء الله الى بيته لعبادته فلا يصدهم عن دعائهم ظلمة ولا شتاء ولا طين ويصرفونهم عن الاشتغال بما لم يبن لهم فيخرجونهم ويغلقون الابواب دونهم * ووجدته ذات يوم فى المسجد ذاكرا فقلت له كيف انت فقال فهم فى روضة يحبرون فهممت بالانصراف فقال اين تذهب من روضة من رياض الجنة يقام بها على رأسك بهذا التاج واشار الى المنار يعلو الله اكبر * مر ابن شاطر يوما على أبى العباس احمد بن شعيب الكاتب وهو جالس فى جامع الجزيرة طهره الله تعالى وقد ذهبت به الكفرة فصاح به فلما رفع رأسه اليه قال له انظر الى مركب عزرائيل واشار الى نعش هنالك قد رفع شراعه ونودى عليه الطلوع يا غزى * واكل يوما مع أبى القاسم عبد الله بن رضوان الكاتب جلجلانا فقال له أبو القاسم ان فى هذا الجلجلان لضربا من طعم اللوز فقال ابن شاطر وهل الجلجلان الا لوزة دقه * وسئل عن العلة فى نضارة الحداثة فقال قرب عهدها بالله فقيل له ثم تغير الشيوخ فقال من بعد العهد من الله وطول الصحبة مع الشياطين فقيل له فحمر أفواههم فقال من كثرة ما تفل الشياطين فيها * وكان يسمى الصعيرفار المطكى قال لى ابن شاطر لقيت عمى ميمونا المعروف بدبير لقرب موته وقد اصفر وجهه وتغيرت حالته فقلت له ما بالك وكان قد خدم الصالحين ورزق بذلك القبول فقال انسدت الربطانة فطلع يعنى العذرة يشير الى الاحتقان لا لطبيعة *

(أبو عبد الله بن شاطر الجمحى المراكشى)

يديرونى عن سالم وادير هم * وجلدة بين الانف والعين سالم

قال وهذا اراد عبد الملك حيث كتب الى الحجاج انت منى كسالم وهو خطأ فاحش وكان يلزمه أن يسميها بالعمارة أيضا لقوله عليه السلام عمارة جلدة ما بين عينى وانفى واعما يراد بمثل هذا القرب والحمد * ولقيت بتونس غير واحد من العلماء والصلحاء يطول ذكرهم ثم قفلت الى المغرب بسا يرنى رجل من اهل قسطينة يعرف بمنصور الحلبى فما رأيت رجلا اكثر اخبارا ولا اطرف نوادر منه فمما حفظته من حديثه أن رجلا من الادباء مر برجل من الغرباء وقد قام بين ستة أطفال جعل ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن شماله وأخذ ينشد

ما كنت احسب أن أبقى كذا ابدا * اعيش والدهر فى أطرافه حنق

ساس بستة اطفال توسطهم * شخصى كاحرف ساس وسطها ألف

قال فتقدمت اليه وقلت فاين تعريقة السين فقال طالب ورب الكعبة ثم قال للآخر من جهة يمينه قم فقام يجر رجله كانه مبطول فقال هذا تمام تعريقة السين * ثم رحلت من تلمسان الى المغرب فلقيت بفاس الشيخ الفقيه الحاج أبا اسحق ابراهيم بن عبد الله بن عبد الرحيم اليزناسنى والشيخ الفقيه أبا محمد عبد المؤمن الجاناتى والشيخ الفقيه الصالح أبا زرهون عبد العزيز بن محمد القيروانى والفقيه أبا الضياء مصباح بن عبد الله اليالصوتى وكان حافظ وقته والفقيه أبا عبد الله بن عبد الكريم وشيخ الشيوخ أبا زيد عبد الرحمن بن عفان الجزولى والاستاذ أبا العباس المكناسى وكنت لقيت الاستاذ أبا العباس بن حرب الله والاستاذ أبا عبد الله القصار بتلمسان ولقيت غير هؤلاء ممن يكثر عددهم وكنت قد لقيت بتازى الفقيه أبا عبد الله بن عطية والاستاذ أبا عبد الله الجاصى والشيخ أبا الحسين الجبار وغيرهم ثم بلغت بالرحلة الى أغمات ثم وصلت الى سبتة فاستوعبت بلاد المغرب ولقيت بكل بلد من لا بد من لقائه من علمائه وصلحائه ثم قفلت الى تلمسان فاقمت بها ما شاء الله تعالى ثم اعملت الرحلة الى الحجاز فلقيت بمصر الاستاذ اثير الدين أبا حيان الغرناطى فرويت عنه واستفدت منه وشمس الدين الاصبهانى الاخر وشمس الدين بن عدلان وقرأ على بعض شروحه لكتب المزنى وناولنى اياه وشمس الدين بن اللبان آخر المذكورين بها والشيخ الصالح أبا محمد المنوفى فقيه المالكية بها وتاج الدين التبريزى الاصم وغيرهم ممن يطول ذكرهم ثم حججت فلقيت بمكة امام الوقت أبا عبد الله بن عبد الرحمن التوزرى المعروف بخليل وسألته يوم النحر حين وقف بالمشعر الحرام عن بطن محسر لا حزلفه على الجل فقال لى تمالأ الناس على ترك هذه السنة حتى نسى بتركها محلها والاقرب أنه هذا وأشار الى ما يلى الجابية التى على يسار المارّ من المشعر الى منى من الطريق من اول ما يحاذيها الى أن يأخذ صاعدا الى منى وما رأيت اعلم بالمناسك منه والامام أبا العباس بن رضى الدين الشافعى وغير واحد من الزائرين والمجاورين وأهل البلد وبالمدينة اعجوبة الدنيا أبا محمد عبد الوهاب الجبرتى وغيره ثم اخذت على الشام فلقيت بدمشق شمس الدين بن قيم الجوزية صاحب الفقيه ابن تيمية وصدر الدين الغمارى المالكى وأبا القاسم بن محمد اليمانى الشافعى وغيرهم وببيت المقدس الاستاذ أبا عبد الله بن مثبت

قوله الغمارى فى نسخة العمادى اه

والقاضي شمس الدين بن سالم والقصة المذكورة أعني عبد الله بن عثمان وغيرهم ثم رجعت إلى
المغرب فدخلت تلمسان وتدرعت ثم قطعت إلى الأندلس فدخلت الأندلس واضطربت ومن الله
بمالقة وبلش والحمة، وانتهت بي الرحلة إلى غرناطة وفي علم الله تعالى ما لا أعلم وهو
المسؤول أن يجعلنا على الصراط الأقوم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
انتهى كلام جدي رحمه الله تعالى في الخبر الذي ألفه في مشيخته وقد نقله لسان الدين في
الإحاطة، ولنذكر هنا زيادات لا بأس بها فنقول قال الإمام ولي الدين بن خلدون يذكر
مولاي الجد في تاريخه الكبير عند تعريفه ببعضه وصفه بأنه كبير علماء المغرب ونص محل
الحاجة في تاريخه لما رحلت من تونس منتصف شعبان من سنة أربع وثمانين أقمت في البحر
نحوا من أربعين ليلة ثم وافينا مرسى الإسكندرية يوم الفطر ولعشر ليال من جلوس
الملك الظاهر على التخت واقتعاد كرسي الملك دون أهله بني قلاوون وكنا على ترقب ذلك
لما كان يؤثر بقاصية البلاد من سموه لذلك وتمهيده له وأقمت بالإسكندرية شهرا لتهيئة أسباب
الحج ولم يقدر عامئذ فانتقلت إلى القاهرة أول ذي القعدة فرأيت حضرة الدنيا وبستان
العالم ومحشر الأمم ومدرج الذر من البشر وإيوان الإسلام وكرسي الملك تلوح
القصور والأواوين في جوه، وتزهو الخوانق والمدارس بآفاقه، وتضيء البدور
والكواكب من علمائه، قد مثل بشاطئ بحر النيل نهر الجنة ومدفع مياه السماء يسقيهم
النهل والعلل سيحه ويجبي إليهم الثمرات والخيرات ثجه ومررت في سكك المدينة تغص
بزحام المارة وأسواقها تزخر بالنعم ومازلنا نحدث عن هذا البلد وبعد مداه في العمران
واتساع الأحوال ولقد اختلفت عبارات من لقيناه من شيوخنا وأصحابنا حاجهم
وتاجرهم بالحديث عنه سألت صاحبنا قاضي الجماعة بفاس وكبير العلماء بالمغرب أبا
عبد الله المقري فقلت له كيف هي القاهرة فقال من لم يرها لم يعرف عز الإسلام وسألت
شيخنا أبا العباس بن إدريس كبير العلماء ببجاية مثل ذلك فقال كأنما انطلق أهله من الحساب
يشير إلى كثرة أممه وأمنهم العواقب وحضر صاحبنا قاضي العسكر بفاس الفقيه
الكاتب أبا القاسم البرجي بمجلس السلطان أبي عنان منصرفه من السفارة عنه إلى ملوك
مصر وتأديته رسالته النبوية إلى الضريح الكريم سنة خمس وخمسين وسأله عن القاهرة
فقال أقول في العبارة عنها على سبيل الاختصار إن الذي يتخيله الإنسان فإنما يراه دون
الصورة التي تخيلها لاتساع الخيال عن كل محسوس إلا القاهرة فإنها أوسع من كل
ما يتخيل فيها فأعجب السلطان والحاضرون بذلك انتهى كلام ابن خلدون ولا تخلو عن فائدة
زائدة، ولا بأس أن نورد من فوائد مولاي الجد ما حضرني الآن من ذلك فمما حكاه عن
عبد الرزاق عن ابن شهاب قال سمع يهودي بالحديث المأثور نعم الإدام الخل فأنكر ذلك
حتى كاد يصرح بالقدح فبلغ ذلك بعض العلماء فأشار على الملك أن يقطع عن اليهود الخل
وأسبابه سنة قال فما تاب حتى ظهر بهم الجذام، ومما أنشده قال أنشدني الشيخ أبو عبد الله
محمد بن عبد الواحد قال أنشدني الشيخ التقي ابن دقيق العيد لنفسه في معنى لطيف يجاري

إذا كنت في نجد وطيب نعيمه، تذكرت أهلي باللوى فمحسر

وان كنت فيهم زدت شوقا ولوعة * الى ساكني نجد وعيل تصبرى
فقد طال ما بين الفريقين موقفي * فمن لى بنجد بين اهلى ومعشرى

ومنها ما حكاه عن عبد الله بن عبد الحق عن ابن قطرال قال كنت بالمدينة على ساكنها الصلاة والسلام اذ أقبل راهب يتعجمة فى يده فكتب بها على جدار ماله

من كان يعلم أن الله خالقه * فلا يحب أبا بكر ولا عمرا

وانصرف فألقى على من الفطنة وحسن البديهة ما لم أعهد مثله من نفسى قبل فجعلت مكان يحب يسب ورجعت الى مجلسى حذاه فوجده كما اصلحته فجعل يلتفت يمينا وشمالا كأنه يطلب من صنع ذلك ولم يتهمنى فلما اعياه الامر انصرف * ومنها أنه قال حدثنى أن الزاهد أبا عمرة بن غالب المرسى نزيل تلمسان وقد لقيت غير واحد من اصحابه سأله بعض أن يشهد عقدا بنته فتعذر عليه فلم يزل به حتى اجاب بعد جهد فحضر العقد وطعم الوليمة ثم لما حضرت ليلة الزفاف استحضره فى ركوبها الى دار زوجها على عادة أهل تلمسان فاجابه مسرعا فقيل له أين هذا التيسير من ذلك التعسير فقال من اكل طعام الناس مشى فى خدمتهم او كما قال * ومنها انه قال حدثنى أن الفقيه أبا عبد الله بن العواد العدل بتونس التقى يوما مع القاضى أبى على بن قداح وكان ابن العواد شيخا فقال له أبو على كبرت يا أبا عبد الله فصرت تمشى كل شهر بدينار يورى بكثرة الفائدة فى مشيه الى الشهادة فقال له كنت اذ كنت فى سنك أخرج رزقى من الخمر يعرض لابن قداح بأنه خمار وكذلك كان هو وأبوه رحمهم الله تعالى جميعا وهذا من مزاح الاشراف كما جرى بين معاوية والاحنف انظر صدر ادب الكتاب * ومنها أنه قال قال لى الحاج أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الواحد الرباطى كنا عند الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد ففقد أحد نعليه فقال الشيخ كنا عند العلم التبريزى فدخل عليه رجل يدعى بشيرا فكلمه ثم خرج فلم يجد نعليه فرجع الى العلم وأنشده

دخلت اليك يا املى بشيرا * فلما أن خرجت خرجت بشرا
اعد يائى التى سقطت من اسمى * فيائى فى الحساب تعد عشرا

وقال رحمه الله تعالى لما سعى اولاد الشيخ أبى شعيب بالقاضى أبى الحجاج الطرطوشى الى السلطان وأمر باشخاصه وكثر ارجاف المتشيعين فيهم من بعده وخرج الامر على خلاف ما اتملوا منه قال فى ذلك

حمدت الله فى قوم اثاروا * شرورا فاستحالت لى سرورا
وقالوا النار قد شبت فلما * دنوت لها وجدت النار نورا

ومنها أنه حكى أن الشيخ أبا القاسم بن محمد اليمنى مدرس دمشق ومفتيها حكى له بدمشق انه قال له شيخ صالح برباط الخليل عليه السلام نزل بى مغربى فمرض حتى طال على امره فدعوت الله أن يفرج عنى وعنه بموت او صحة فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال أطعمه الكسكسون قال يقوله هكذا بالنون فصنعته له فكأنما جعلت له فيه الشفاء وكان أبو القاسم يقول فيه كذلك ويخالف الناس فى حذف النون من هذا الاسم ويقول لا اعدل عن لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال قلت ووجه هذا من الطب ان هذا

فى الشمس على بعض السطوح ثم قعد هنالك فمر به رجل فقال له طار فقال أعن امرك قال نعم فطار حتى وقع على الارض ومابه من بأس قال الجد رحمه الله تعالى بعد هذا ماتصه ثلث اذا صار الحق أبعد سمعا وبصرا فسمع به وأبصر اصاخ الى الاحوال واجتلى المعانى فيرى من غير مصدر ويسمع من غير ناطق كما قال الشيخ أبو عبد الله الشوذى الحلوى دفين تلمسان

اذا نطق الوجود أصاخ قوم * بآذان الى نطق الوجود

وذاك النطق ليس به انعجام * ولكن دق عن فهم البليد

فكن فطنا تنادى من قريب * ولا تك من ينادى من بعيد

وقال رحمه الله تعالى حدثت بمصر أن الشيخ سيدى عمر بن الفارض ولع بجمل وكان يستأجره من صاحبه ايثارا به فقيل له لو اشتريته فقال المحبوب لا يملك فسالت اى حال كان هذا منه فقيل لى فى ابتداء امره فقلت وحد اعتبار أفلا ينظرون الى الابل فوقفت به رؤية المعنى فيه عليه فأحبه مدلا * وطامه مجلا * وقال رضى الله عنه حفظت من خط أبى زيد والد صاحبنا أبى الحسن قيل للعراقى ماتقول فى الحلاج فقال وما عسى أن اقول فيمن شرب بكاس الصفا على بساط الوفا فسكر فعربد فاستوجب من الله الحد فكان حده شهادته ثم قال بعد هذا قلت عربد الحلاج فى الحضرة لما نسى بسكره أوامره فانتصر الظاهر لنفسه لصحة تعلق اسمه وسدل الباطن على عذره حجاب الغيرة من افشاء سره

على سمة الاسماء تجرى امورهم * وحكمة وصف الذات للحكم أجرت

وقال رحمه الله تعالى سمعت شيخنا بيت المقدس يقول تجلى الله على المسجد الاقصى بالجمال وعلى المسجد الحرام بالجلال وعلى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالكمال قلت فذلك يوقف الخواطر وذا يملأ الخواطر وهذا يفتح البصائر * وقال رحمه الله تعالى أخبرنى أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عنان فارس نصره الله أن جده أمير المسلمين أبا سعيد سأل كاتبه عبد المهيمن الحضرمى عن تهادى أهل الحب التفاح دون الخوخ وكلاهما حسن المنظر طيب الخبر شديد شبهه بأخيه سديد تشبيه الوجنات به لمتوخيه فقال من عند مولانا فقال ارى ذلك لاشتمال التفاح على الحب الذى يذكر بالحب والهوى والخوخ على النوى الذى يذكر اسمه صفرة النوى * وقال رحمه الله تعالى قال لى أبو حيان بالقاهرة قال لى عمر بن الحبيبى تجاذبت انا ونجم الدين بن اسرائيل هذا البيت

ياباركا بأعالى الرقمتين بدا * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

فمضينا الى ابن الفارض فأشار بأن نظم قصيدة تضمنها البيت فنظم ونظمت

يامطلبا ليس لى فى غيره ارب * اليك آل التقصى وانتهى الطلب

فقضى به لى * وقال رحمه الله تعالى حدثت ان أبا زيد الهزميرى بعث الى أبى عمران الشولى وكان كثير الصلاة انه لم يبق بينك وبين الله حجاب الا الركيعات فرجع اليه ما معناه ان الاتصال كان منها فلا كان الانفصال عنها يعنى من رزق من باب فليلزمه * وقال رحمه الله تعالى كنت بجامع تلمسان والى جانبى رجل ينتمى الى طريقة العرفان فجعل سائل يشكو الجوع والالم فتصدق ذلك الرجل عليه بدرهم وقال اياك أن تشكو الرحمن الى من

ما قال له القاضي فغضب السلطان وبعث فيه فجعل المعوثون يأتونه واحدا بعد واحد وهو متمهل في وضوئه واصلاح بزته ومركوبه ثم جعل يمشي الهوينا فلقيه ابنه فقال له أسرع فقد أكثر السلطان من التوجيه اليك وهو واجد عليك فقال له مسكين أبو يحيى خاف وثبت على حاله فلما كان في الطريق لقي بعض العلماء تعرض اليه فقال قل بحق اطمك بلطف صنعك بجميل سترك دخلت في كنفك تشفعت بنبيك فحفظه ثم طلبه فلم يجده فجعل يقول ذلك فلما رآه السلطان سكن ما به ثم سأله عن ذلك برفق فقال له القاضي كرهت الخراب بقرب القرويين وبالشماعين الذي هو عين فاس فسألت الوالي ذلك على أني أغرم ان لم تحبس وقلت له المرحوم السلطان أن يجعله حبسا فقال قد فعلت ثم بعث الى الشهود وحبسه على الجامع وشكر للقاضي صنيعه وصرفه مغبوطا وهذا السلطان هو أبو يعقوب يوسف بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني وتوفي محاصرا لتلمسان في ذي القعدة من عام ستة وسبعمائة وكان ابتداء حصاره اياها سنة ثمان وتسعين وستمائة وكان جملة الحصار فيما حدثت ألف شهر انتهى * ومن فوائد مولاي الجد رحمه الله تعالى ما حكاه تلميذه أبو اسحق الشاطبي في كتاب الانشادات والافادات ونصه افادة حضرت يوما مجلسا في المسجد الجامع بغرناطة مقدم الاستاذ القاضي أبي عبد الله المقري في أواخر ربيع الاول عام سبعة وخمسين وسبعمائة وقد جمع ذلك المجلس القاضي أبا عبد الله والقاضي أبا القاسم الشريف شيخنا والاستاذ أبا سعيد بن لب والاستاذ أبا عبد الله البلنسي وذا الوزارتين أبا عبد الله بن الخطيب وجماعة من الطلبة فكان من جملة ما جرى أن قال القاضي أبو عبد الله المقري سئلت عن مسئلة في الاصول لم اجد لاحد فيها نصا وهي تخصيص العام المؤكد بمنفصل فأجبت بالجواز محتجا بقول الله عز وجل قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن فهذا عام مؤكد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحل الله من الفواحش الا مسئلة الناس انتهى * ومن الكتاب المذكور ما نصه افادة حدثني الشيخ الفقيه القاضي الجليل الشهير الخطير أبو عبد الله محمد بن محمد بن احمد المقري رحمه الله تعالى وأملاه علينا عن العالم الكبير أبي حيان بن يوسف بن حيان أنه قال ورد كتاب من الاستاذ أبي عبد الله بن منذر الغرناطي الى صاحب له يسمى حمزة وفيه سئل الشيخ قال ابو حيان يعني وجدت على ظهر نسخة من المفصل بخط عتيق سئل ابن الاخضر بحضرة ابن الارش علام انتصب قوله مقالة أن قد قلت سوف اناله فقال (ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى) فقال سألتك عن اعراب كلمة فأجبتني بشطر بيت فقال ابن الارش قد أجابك لو كنت تفهم قال ابو حيان فوقعت عليه فتبين أن هذا الشطر من قول النابغة

اتاني أبيت اللعن أنك لمتني * وتلك التي تصطك منها المسامع

مقالة أن قد قلت سوف اناله * وذلك من تلقاء مثلك رائع

يروى مقالة بالرفع على أنه بدل من أنك لمتني الفاعل وبالفتح على ذلك الا أنه بناه لما اضافه الى مبني * ومنه افادة حدثني الشيخ الفقيه القاضي أبو عبد الله المقري رحمه الله تعالى قال سئل أبو العباس بن البناء رحمه الله تعالى وكان رجلا صالحا في قوله تعالى قالوا ان هذان

قوله ألف شهر هكذا في النسخ وهو غريب ولعل وجهه تداول ايدي المحاصرين ومنعة اهلها سلما وخلما في المقاومة وتيسر استئصال اقواتهم تأمل اه مصححه

لما ساران لم تعمل ان فى هذا فسال لما لم وبرالقول فى القول لم لو برالعا مل فى المعمول
فال له يا سيدى هذا لا يهض جوابا فانه لا يلزم من نطاره قولهم نظار عمل ان فعال له ان
هـذا الجواب بوار لا يستعمل ان يعلق بن الاكم اسنى * ومنه افاد ؛ قال لنا الشيخ
الاستاد الشامى ابو عبد الله المقرى رحمه الله تعالى ان اهل المنطق وغيره يزعمون أن
الاسما المعدولة لا تكاد توجد فى كلام العرب وهى موجود فى القرآن وذلك قوله
لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فان زعم زاعم ان ذلك فى حذف المبتدا او دخلت لا على
الجملة وتقدير لا هى فارض ولا هى بكر فسل له ان كان سوغ لك ذلك فى هـذا الموضع فلم
يسوغ فى قوله تعالى لا شرقية ولا غربية فصح ان الاسم المعدول موجود فصيح فى كلام
العرب * ومنه افاد حدثنا الاستاذ أبو عبد الله المقرى قال سئل عن قوله تعالى وهو
الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون لم جاء ضمير من يعقل فى الى
ما لا يعقل فقال تشبيها لها بالسابح مع من يعقل فى السباحة وهى العوم عوملت لذلك معاملته
قال وهذا لا ينهض جوابا فان السباحة لما لا يعقل كالحوت واعالى يعقل العوم
لا السباحة وايضا فالسباحة بالعوم له لازم كالحوت اولى من السباحة بما هو غير لازم له
قال وأجاب الاستاذ ابو محمد عبد المهيمن الحضرمى السبتى بان الشى المعظم عند العرب
تعامله معاملة العاقل وان لم يكن عاقلا لعظمه عندهم واحسب أنا انه لما عوملت فى غير
هـذا الموضع معاملة من يعقل فى نحو قوله تعالى والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين
لصدوراً فعال العقلا عنها اجرى عليها هنا ذلك الحكم للانس به فى موضعه * ومنه افاد
نى الشيخ الفقيه القاضى ابو عبد الله المقرى رحمه الله تعالى لقمه بسند المباركة وقال
نى الشيخ ابو عبد الله المقرى قال لقمنى ابو زكريا الحماوى قال لقمنى أبو محمد صالح
قال لقمنى الشيخ ابو مدين قال لقمنى أبو الحسن بن حرزهم قال لقمنى ابن العربى قال
لقمنى الغزالى قال لقمنى ابو المعالى قال لقمنى ابو طالب المكى قال لقمنى أبو محمد
الحريرى قال لقمنى الجنيد قال لقمنى السقطى قال لقمنى معروف الكرخى قال لقمنى
داود الطائى قال لقمنى حبيب العجمى قال لقمنى الحسن البصرى قال لقمنى على بن
ابى طالب رضى الله تعالى عنه قال لقمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت وهذا السند
صاحبه أشار رضى الله تعالى عنه انتهى * وللمعدنين فى هذا السند كلام مشهور واشتهر
بعضهم للسادة الصوفية رضى الله تعالى عنهم * ومنه انشاد انشدنى الرئيس الفقيه
ابو عبد الله قال انشدنى القاضى المقرى قال انشدنى الرباطى قال انشدنى ابن دقيق
العيد لنفسه من صدر رسالة كتب بها لبعض اخوانه بالحجاز

يهيم قلبى طربا عندما * أستلمح البرق الحجازيا
ويستمل الوجد قلبى وقد * اصبح لى بين الحجازيا
يا هل أمسى بمنى ساحبا * فاخر الذيل المهاريا
وأروى من زمزم بهى لى * ألذ من ريق المهاريا

ومنه افاد حدثنا الاستاذ القاضى أبو عبد الله المقرى رحمه الله تعالى قال رأيت لبعض

من ألف على كتاب الكشاف للزمخشري فانه لم أرها لغيره في قوله تعالى والراسخون في العلم اذ الناس يختلفون في هذا الموضع اختلافا كثيرا فقال قوم الراسخون في العلم يعلمون تأويله والوقوف عند قوله والراسخون في العلم وقال قوم ان الراسخين لا يعلمون تأويله وانما يوقف عند قوله وما يعلم تأويله الا الله فقال هذا القائل ان الآية من باب الجمع والتفريق والتقسيم من أنواع البيان وذلك لان قوله تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب هو جمع وقوله منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات تفريق وقوله تعالى فأما الذين في قلوبهم زيغ الى قوله تعالى وابتغاء تأويله احد طرفي التقسيم وقوله تعالى والراسخون في العلم الطرف الثاني وتقديره وأما الراسخون في العلم فيقولون آمنا به وجاء قوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله اعتراضا بين طرفي التقسيم قال وهذا مثل قوله تعالى وانا منا المسلمون الآية فقوله وانا جمع وقوله منا المسلمون ومنا القاسطون تفريق وقوله فمن اسلم وأما القاسطون تقسيم وهو من بديع التفسير قلت ومثله أيضا قوله تعالى يوم يأتي لا تكلم نفس الا باذنه الآيات انتهى * ومنه انشادة أنشدنا الشيخ الفقيه القاضي أبو عبد الله المقري في القول بالموجب لبعض العلماء في وديعة

ان قال قد ضاعت فصدق انها * ضاعت ولكن منه يعني لو يعي

او قال قد وقعت فصدق انها * وقعت ولكن منه احسن موقع

ومنه انشادة أيضا من القول بالموجب لبعض الحنابلة

يحجون بالمال الذي يجمعونه * حراما الى البيت العتيق المحرم

ويزعم كل أن تحط ذنوبهم * تحط ولكن فوقهم في جهنم

* ومنه افادة كتب لي بخطه شيخنا الفقيه القاضي الجليل أبو عبد الله المقري رحمه الله تعالى على ظهر التسهيل لابن مالك الذي كتبته بخطي بعد ما كتب لي بخطه روايته فيه عن أبي الحسن بن مزاحم عن بدر الدين بن جماعة عن المؤلف فكتب بعد ذلك ما نصه قال محمد بن محمد المقري بدر الدين بن جماعة المذكور يدعى بقاضي القضاة على ما جرت به عوائد أهل المشرق في تسمية مثله وأنا اكره هذا الاسم محتجا بقول النبي صلى الله عليه وسلم ان اخنع اسم عند الله يوم القيامة رجل تسمى بملك الملوك لا ملك الا الله انتهى ما انتقيته من كتاب الانشادات والافادات للشاطبي فيما يتعلق بجدي رحمه الله تعالى (ومن فوائد مولاي الجد رحمه الله) مما لم يذكر فيما سبق أنه حكى أن ابن المحوط المؤله دخل في حلقة أبي عبد الله بن رشيد بجامع القرويين وبين رجليه قصبة كأنها فرس وبيده اخرى كأنها رمح فانتهره رجل فضربه برمحه على رأسه وقال له اسكت يا ميت فأنهت الناس لكلامه فقال له الشيخ يا فقير أنت في حال ونحن في مقال وشأن ارباب الاحوال التسليم لاصحاب المقال فنظر اليه المؤله وانصرف ثم لم ينشب المنتهر أن توفي بعد ذلك بأيام قلائل * ومما قلت لابن شاطر يوما كيف حالك فقال محبوس في الروح وصدق لان الدنيا سجن المؤمن ولا خلاص له من حبسه الا بمفارقة نفسه * وقال سألت ابن شاطر عن معنى قول ابن الفارض

لسائر أن لم تعمل أن في هذا فمثال لما لم تؤثر القول في المقول لم تؤثر العامل في المعمول فقال له الأستاذ هذا لا ينهض جواباً فإنه لا يلزم من تطابق قولهم تطابق عمل أن فقال له ابن هذا الجواب بوار لا يحتمل أن يجلس إلا كفافاً انتهى* ومنه أفاد قال لنا الشيخ الأستاذ القاضي أبو عبد الله المقري رحمه الله تعالى إن أهل المنطق وغيرهم يزعمون أن الأسماء المعدولة لا تكاد توجد في كلام العرب وهي موجودة في القرآن وذلك قوله لا فارض ولا بكر وإن من ذلك فإن زعم زاعم أن ذلك لأجل حذف المبتدأ ودخلت لا على الخبر وتقدير لا هي فارض ولا هي بكر قيل له إن كان يسوغ لك ذلك في هذا الموضع فلا يسوغ في قوله تعالى لا شرقية ولا غربية فصح أن الاسم المعدول موجود فصيح في كلام العرب* ومنه أفاد حدثنا الأستاذ أبو عبد الله المقري قال سئل عن قوله تعالى وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون لم جاء ضمير من يعقل في ما لا يعقل فقال بعضهم لما اشترك مع من يعقل في السباحة وهي العوم عومل لذلك معاملته قال وهذا لا ينهض جواباً فإن السباحة لما لا يعقل كالحوت وأمثاله يعقل العوم لا السباحة وأيضاً فالخاصية بما العوم له لازم كالحوت أولى من الخاصية بما هو غير لازم له قال وأجاب الأستاذ أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي السبتي بأن الشيء المعظم عند العرب تعامله معاملة العاقل وإن لم يكن عاقلاً لعظمته عندهم واستحسن أبو البيان هذا وقرب في غير هذا الموضع مثله من بل في نحو قوله تعالى والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين لصدور أفعال العقلاء عنها أجرى عليها ذلك الحكم لا بأس به في موضعه* ومنه أفاد لقمني الشيخ الفقيه القاضي أبو عبد الله المقري رحمه الله تعالى لقمة بيده المباركة وقال لقمني الشيخ أبو عبد الله المسفر قال لقمني أبو زكريا المحياوي قال لقمني أبو محمد صالح قال لقمني الشيخ أبو مدين قال لقمني أبو الحسن بن حرزهم قال لقمني ابن العربي قال لقمني الغزالي قال لقمني أبو المعالي قال لقمني أبو طالب المكي قال لقمني أبو محمد الجريري قال لقمني الجنيد قال لقمني السقطي قال لقمني معروف الكرخي قال لقمني داود الطائي قال لقمني حبيب العجمي قال لقمني الحسن البصري قال لقمني علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال لقمني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهذا السند صحيح أيضاً رضي الله تعالى عنه انتهى* وللمحدثين في هذا السند كلام مشهور واشتهر تلقيهم للسادة الصوفية رضي الله تعالى عنهم* ومنه أنشد أنشدني الشيخ الفقيه أبو عبد الله قال أنشدني القاضي المقري قال أنشدني الرباطي قال أنشدني ابن دقيق العيد لنفسه من صدر رسالة كتب بها لبعض إخوانه بالحجاز

يهيم قلبي طرباً عندما * أستلمح البرق الحجازيا
ويستخف الوجد في وقد * أصبح لي ثوب الحجى عاريا
يا هل أقضي بمنى حاجتي * فأنحر البدن المهاريا
وأرتوي من زمزم فهي لي * ألذ من ريق المها ريا

ومنه أفاد حدثنا الأستاذ القاضي أبو عبد الله المقري رحمه الله تعالى قال رأيت لبعض

من ألف على كتاب الكشاف للزمخشرى فائدة لم ارها العيره فى قوله تعالى والراسخون فى العلم اذا الناس يختلفون فى هذا الموضع اختلافا كثيرا فقال قوم الراسخون فى العلم يعلمون تأويله والوقوف عند قوله والراسخون فى العلم وقال قوم ان الراسخين لا يعلمون تأويله وانما يوقف عند قوله ومايعلم تأويله الا الله فقال هذا القائل ان الآية من باب الجمع والتفريق والتقسيم من أنواع البيان وذلك لان قوله تعالى هو الذى انزل عليك الكتاب هو جمع وقوله منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات تفريق وقوله تعالى فأما الذين فى قلوبهم زيغ الى قوله تعالى وابتغاء تأويله احد طرفى التقسيم وقوله تعالى والراسخون فى العلم الطرف الثانى وتقديره وأما الراسخون فى العلم فيقولون آمنا به وجاء قوله تعالى ومايعلم تأويله الا الله اعتراضا بين طرفى التقسيم قال وهذا مثل قوله تعالى وانا منا المسلمون الآية فقوله وانا جمع وقوله منا المسلمون ومنا القاسطون تفريق وقوله فمن اسلم وأما القاسطون تقسيم وهو من بديع التفسير قلت ومثله أيضا قوله تعالى يوم ياتى لا تكلم نفس الا باذنه الآيات انتهى * ومنه انشادة أنشدنا الشيخ الفقيه القاضى أبو عبد الله المقرى فى القول بالموجب لبعض العلماء فى وديعة

ان قال قد ضاعت فصدق انها * ضاعت ولكن منه يعنى لو يعى
او قال قد وقعت فصدق انها * وقعت ولكن منه احسن موقع

ومنه انشادة أيضا من القول بالموجب لبعض الحنابلة

يحجون بالمال الذى يجمعونه * حراما الى البيت العتيق المحرم
ويزعم كل أن تحط ذنوبهم * تحط ولكن فوقهم فى جهنم

* ومنه افادة كتب لى بخطه شيخنا الفقيه القاضى الجليل أبو عبد الله المقرى رحمه الله تعالى على ظهر التسهيل لابن مالك الذى كتبته بخطى بعد ما كتب لى بخطه روايته فيه عن أبى الحسن بن مزاحم عن بدر الدين بن جماعة عن المؤلف وكتب بعد ذلك ما نصه قال محمد بن محمد المقرى بدر الدين بن جماعة المذكور يدعى بقاضى القضاة على ماجرت به عوائد أهل المشرق فى تسمية مثله وأنا اكره هذا الاسم محتجا بقول النبى صلى الله عليه وسلم ان اخنع اسم عند الله يوم القيامة رجل تسمى ملك الملوك لا ملك الا الله انتهى ما انتقيته من كتاب الانشادات والافادات للشاطبى فيما يتعلق بجدى رحمه الله تعالى (ومن فوائد مولاى الجد رحمه الله) مما لم يذكر فيما سبق أنه حكى أن ابن المحوط الموله دخل فى حلقة أبى عبد الله بن رشيد بجامع القرويين ومن رجليه قصبة كانها فرس وبيده اخرى كانها رمح فانتهره رجل فضربه برمحه على رأسه وقال له اسكت ياميت فابهت الناس لكلامه فقال له الشيخ يافقير أنت فى حال ونحن فى مقال وشان ارباب الاحوال التسليم لاصحاب المقال فنظر اليه المولة وانصرف ثم لم ينشب المنتهر أن توفى بعد ذلك بايام قلائل * ومن مهاقات لابن شاطر يوما كيف حالك فقال محبوس فى الروح وصدق لان الدنيا سجن المؤمن ولا مخلص له من حبسه الا بمفارقة نفسه * وقال سألت ابن شاطر عن معنى قول ابن الفارض

فلم أله باللاهوت عن حكم مظهري * ولم أنس بالناسوت موضع حكمتي

فقال تقول ما أنا بالحلاج ولا بابن عام ثم قال ولأي الحد بعد هذا الكلام ما صورته قلت وهذا هو الإيمان على الكمال والتمام ولقد سمعته يقول في الحلاج نصف إنسان يشير إلى البيت * وقال أيضاً رحمه الله تعالى سمع ابن شاطر إنساناً يقول الجنة رحمته فقال كيف تكون رحمته والله عز وجل يقول إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة انتهى ثم قال ولأي الحد بعد هذا الكلام قلت ما الأنفس والأموال في جنب ما فيها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لا سيما وفوق هذا الجنى زيادة الإكرام بالنظر والرضا * وقال أيضاً قلت لابن شاطر صف لنا الدنيا فقال كسراب بقيعة الآن فبلغ ذلك أبا زيد ابن الإمام فأنكر علينا الاستحسان ساعة بأنا نحرف الكلم عن مواضعه ولقد أصاب المعنى بأدنى مهاوار فإنه أخرجه ما يعقل أهل النظر ولي علينه فهبه الذي كفر على أنه أن يقول لم أخرج الآية عن مرادها فالنهب من انطباع المعاند والكفر من جحد الجاحد ولئن يقول التحريف المذموم هو التحويل للإبطال وليس هذا من قصد المثل الأول بالمثال انتهى وهذا كله على مذهب جمهور المالكية في منع الاقتباس وللكلام على ذلك موضع غير هذا فليراجع في كتب البيان وغيرها * وقال رحمه الله تعالى حدثني أن المتوكل على الله أبا عنان رحمه الله تعالى أعطى ابن شاطر ألف دينار ليحج بها فبادر بها إلى تلمسان فصار يدفع منها شيئاً فشيئاً للفقراء حتى نفد الورق شرقي عباد تلمسان العلوي إلى أن نفد فلما ورد السلطان أبو عنان تلمسان أتاه دون العطار بن بشر الخلد فقال له يا سيدي أبا عبد الله حج مبرور فقال له إذا أجهلت أصل المال فانظر مصارفه ويأبى الله إلا أن يقع الحق في محله فضحك السلطان وانصرف انتهى * وكان لابن شاطر هذا عجائب ولم يكن يحفظ شيئاً من العلوم الشرعية وكان معتقداً عند أهل وقته وكان السلطان أبو عنان على فيه يعظمه ويصله ويسلم له وبات عنده ليلة بقصر وكان يدخل القصر ولا تحتجب منه الجواري فاحتاج إلى البول فبال في فيه في القصر غطاء فأشهرت إحدى الجواري وقالت له تبول في فم مولانا فقال لها إن فم مولانا الحجر أعلم من هذه وأنا أعقل عنها ما هو أبلغ من البول وما اشتهر فقط قد كرب ذلك الجارية للسلطان فضحك وعلم أنه يريد الغنا وكان يكتب القرآن والعقد ولا يقل حرفاً محرفاً فإذا أعلنت على ذلك أصابعه حتى أنه سار لا يصلح حرف محرف أعلمه من وامن نسخه كان باعها ولم يتدبر ذلك حتى سافر وسر بها فارجع حتى جدد * وحكى الشيخ أبو القاسم بن داود الفخار السلوي أن الشيخ أبا عبد الله الشريف التلمساني صاحب المفتاح في أصول الفقه وشارح الجمل الخونجية المتوفى عام اثنين وسبعين وسبعمائة المدفون بالمدرسة اليعقوبية من تلمسان المحروسة افتتح شرح العقد عادته اللهم احمد نعمك عن أمر به أن نحمدك وكذا حمداً لا يبدأ مثل الملك محمدك دائماً دوام ملكك لا منقطعاً ولا مفصولاً قال فقال لي أبو عبد الله بن شاطر ما هو استغال بأم الملك فقل له بالضرورة الوقتية فقال لي ما أجهلك وأجهل سيدك أبا عبد الله وأجهل ابن سودكين

الذي

الذي أحد من كتابه هـذا الجداد فقال لامنقطعا ولا مفصولا بعد قوله بدوام ملكك وهو
بالضرورة الوقتيـة وهي منقطعة وهلا قال دائما ودوام قيوميتك وعظيم قدرك ومجدك
الاعلى وسبحات وجهك الاكرم لامنقطعا ولامفصولا فبلغ ذلك أبا عبد الله الشريف
فعذله انتهى * وأخبار ابن شاطر كثيرة وقد تقدم ذكره في كلام مولاى الجد رحمه الله تعالى
وسيأتي ماذكره لسان الدين به في الاحاطة * ومن فوائد مولاى الجـد رحمه الله تعالى
ماقاله اثر قول الرازي في التفسير الحس أقوى من العقل ونصه هذا على ماحكاه في المحصل
من أن المعقولات فرع المحسوسات قال ولذلك من فقد حسا فقد فقد علما كالاكمه
والعنين ومذهب جمهور الفلاسفة أن اليقينيات هي المعقولات لا المحسوسات انظر المحصل
انتهى * ومن فوائده رحمه الله تعالى أنه قال أنشدت يوما الابلي قول ابن الرومي

اوفى وأعمى ذا الطبيب بطبه * وبكحله الاحياء والبصراء

فاذا مررت رأيت من عميانه * أمما على أمواته قراء

فاستعادني حتى عجبت منه مع ما أعرف من عدم ميله الى الشعر وانفعاله وظننت أنه أعجب
بما تضمنه البيت الاول من غريب اللف والنشر المكرر الذي لا أعرف له ثانيا فيه فقال
أظننت أني استحسنت الشعر فقلت مثلك يستحسن مثل هذا الشعر فقال انما تعرفت منه
كون العميان كانوا في ذلك الزمان يقرؤن على المقابر فاني كنت أرى ذلك حديث العهد
فاستفدت التاريخ * وقال مولاى الجد رحمه الله تعالى حدثني الابلي أن أبا عبد الله محمد
ابن عبد الرحيم بن أبي العيش الخزرجي الخطيب بتلمسان كان يقول في خطبته من يطع الله
ورسوله فقد رشد بالكسر وكان الطلبة ينكرون عليه ذلك فلما ورد عليهم الراوية الرحلة
أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري سمعه يقول ذلك فأنكر عليه في جماعتهم وبلغ
الخطيب ذلك فلم يرجع فلما قفل ابن رشيد من وجهته تلك دخل على الاستاذ أبي الحسن
ابن أبي الربيع بسبتة يهنئه بالقدوم وقال له فيما قال رشدت يا ابن رشيد ورشدت لغتان
صحيحتان حكاهما يعقوب في الاصلاح ثم قال مولاى الجد قلت هذه كرامة للرجلين
أو للثلاثة * وقال رحمه الله تعالى قال طالب لشيخنا الابلي يوما مفهوم اللقب صحيح فقال له
الشيخ قل زيد موجود فقال زيد موجود فقال له الشيخ أما أنا فلا أقول شيأ فعرف الطالب
ماوقع فيه فخجل وهـذا الابلي تقدم في كلام مولاى الجد رحمه الله تعالى أنه عالم الدنيا وهو
تلمساني كما تقدم قال تلميذه أبو القاسم السلوي الفخار دخل على شيخنا الابلي يوما وأنا
أعجن طين الفخارة فقال لي ما علامة قبول هـذه المادة أكمل صورة ترد عليها فقلت أن
تدفع عن نفسها ماهو من غير جنسها من حجر أو زبل أو غيره فادركه وجد عظيم حتى انه
صاح وقام وقعد وبقي هنيأة مطرقا رأسه مفكرا ثم قال هكذا هي النفوس البشرية * قال
وقال لي يوما وقد وجد الصبيان يصوتون بقصب رقاق على الذباب فاذا خرج قتلوه الغلط
الداخل عليه من أي أنواع المغلطات هو فقلت له من ايهام العكس لما كان كل ذباب مصوتا
ظن أن كل مصوت ذباب فاستحسن ذلك قلت وحدثني مولاى العم الامام شيخ الاسلام
سيدي سعيد بن أحمد المقري رحمه الله تعالى عن شيخه ابن جلال مفتي حضرتي فاس

ولشأن أنه كان يحكي أن الطلبة ... في عدم كلية الكبرى في الشكل الأول لأنه تركيبه
هكذا هذا مغصوب وكل مغصوب ذنب وقد علم أن هذا إنما أتى من جزئية لا كلية
وإذا كانت جزئية بطل الإنتاج لأن ذلك من الضروب العقيمة انتهى * ومن فوائد مولاي
الجد رحمه الله تعالى أنه قال سمعت شيخنا الآبلي يقول ما في الأمة المحمدية أشعر من ابن
الفارض وقال أيضاً رحمه الله تعالى سمعت شيخنا الآبلي يقول إنما أفسد العلم كثرة
التواليف وإنما أذهبه بنيان المدارس وكان ينتصف له في المؤلفين والناس وإنه لكما قال
غير أن في شرح ذلك طولا وذلك أن التأليف نسخ الرحلة التي هي أصل جمع العلم فكان
الرجل ينفق فيها المال الكثير وقد لا يحصل له من العلم إلا النزر اليسير لأن عنايته على قدر
مشقته في طلبه ثم صار يشتري أكثر دواوين بأيسر ثمن فلا يقع منه أكثر من موقع ما عوض
عنه فلم يزل الأمر كذلك حتى نسي الأول بالآخر وأفضى الأمر إلى ما يسخر منه الساخر
وأما البناء فلأنه يجذب الطلبة إلى ما يرتب فيه من الجرايات فيقبل بها على من يعينه أهل
الرياسة للإجراء والإقراء منهم أو ممن رضي لنفسه الدخول في حكمهم ويصرفونها
عن أهل العلم حقيقة الذين لا يدعون إلى ذلك وإن دعوا لم يجيبوا وإن أجابوا لم يوفوا لهم
بما يطلبون من غيرهم ثم قال مولاي الجد رحمه الله تعالى ولقد استباح الناس النقل من
المختصرات الغريبة أربابها ونسبوا ظواهر ما فيها إلى أمهاتها وقد نبه عبد الحق في تعقيب
التهذيب على ما يمنع من ذلك لو كان من يسمع وذيل كتابه على عدة مسائل منها ثم تركوا
الرواية فكثر التصحيف وانقطعت سلسلة الاتصال فصارت الفتاوى تنقل من كتب من
لا يدرى ما زيد فيها مما نقص منها لعدم تصحيحها وقلة الكشف عنها ولقد كان أهل المائة
السادسة وصدر السابعة لا يسوغون الفتوى من تبصرة الشيخ أبي الحسن اللخمي لكونه
لم يصحح على مؤلفه ولم يؤخذ عنه وأكثر ما يعتمد اليوم ما كان من هذا النمط ثم انضاف
إلى ذلك عدم الاعتبار بالناقلين فصار يؤخذ من كتب المسخوطين كما يؤخذ من كتب
المرضيين بل لا تكاد تجد من يفرق بين الفريقين ولم يكن هذا فيمن قبلنا فلقد تركوا كتب
البرادعي على نبلها ولم يستعمل منها على كثير من كبرهم غير التهذيب الذي هو المدونة
اليوم لشهرة مسائله وموافقته في أكثر ما خالف فيه المدونة لأبي محمد ثم كل أهل هذه المائة
عن حال من قبلهم من حفظ المختصرات وشق الشروح والأصول الكبار فاقتصروا على
حفظ ما قل لفظه ونزر حظه وأفنوا أعمارهم في فهم رموزه وحل لغوزه ولم يصلوا
إلى رد ما فيه إلى أصوله بالتصحيح فضلا عن معرفة الضعيف من ذلك والصحيح بل هو حل
مقفل وفهم أمر مجمل ومطالعة تقييدات زعموا أنها تستنهض النفوس فبينا نحن نستكثر
العدول عن كتب الأئمة إلى كتب الشروح انقلبنا إلى تقييدات للجهلة بل مسودات
المسوخ فإنا لله وإنا إليه راجعون فهذه جملة تهدي إلى أصل العلم وتريك ما غفل الناس
عنه انتهى ولنصلها بخاتمة تشير إلى حال العلماء أيضاً اعلم أن من العلماء علماء
السلاطين وللعلماء معهم أحوال فكان الصدر الأول يفرون منهم وهم يطلبونهم فإذا حضر
واحد منهم أفرغوا عليه الدنيا إفراغاً فنصوا بذلك غيره ثم جاء أهل العصر الثاني فطلبت

انسبهم الى دنيا من تحصل لهم وسعهم قرب العهد بالخير عن انبيائهم وكانوا الاباء تبعهم فان
دعوهم أجابوهم الا القليل فانتقصوا مما كان لغيرهم بقدر ما نقصوا من مبادئهم
ثم كان فيمن بعدهم من يأتيهم بلا دعوة واكثرهم ان دعى أجاب فانتقصوا بقدر ذلك أيضا
ثم تطارح جمهور من بعدهم عليهم فاستغنوا بهم عن دعاء غيرهم لا على جهة الفضل او محبة
المدحة منهم فلم يبقوا عليهم من ذلك الا النزر اليسير وصرفوهم في انواع السخر والخدم الا
القليل وهم ينتظرون صرفهم والتصريح بالاستغناء عنهم وعدم الحاجة اليهم ولا تستعظم
هذا فلعله سبب اعادة الحال جذعة عجب الله من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل وهذا كله
ليظهر لك سر قول النبي صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع
حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه خلفهم قيل اليهود والنصارى قال فمن وقد قص علينا
القرآن والاخبار من أمرهم ما شاهدنا اكثره او اكثر منه فينا سمعت العلامة الابلي يقول
لولا انقطاع الوحي لنزل فينا أكثر مما نزل فيهم لانا أتينا اكثر مما اتوا يشير الى افتراق هذه
الامة على اكثر مما افترقت عليه بنو اسرائيل واشتهار بأسهم بينهم الى يوم القيامة حتى ضعفوا
بذلك عن عدوهم وتعدد ملوكهم لاتساع اقطارهم واختلاف انسابهم وعوائدهم حتى
علوا بذلك على الخلافة فنزعت من أيديهم وساروا في الملك بسير من قبلهم مع غلبة الهوى
واندراس معالم التقوى لكنا آخر الامم أطلعنا الله من غيرنا على اقل مما سترنا وهو
المرجو أن يتم نعمته علينا ولا يرفع ستره الجميل عنا فمن اشد ذلك ائتلافا الغرض منا تحريف
الكلام عن مواضعه الصحيح أن ذلك لم يكن بتبديل اللفظ اذ لا يمكن ذلك في المشهورات من
كتب العلماء المستعملة فكيف في الكتب الالهية وانما كان ذلك بالتأويل كما قال ابن
عباس وغيره وأنت تبصر ما اشتملت عليه كتب التفسير من الخلاف وما حملت الآي
والاخبار من التأويلات الضعاف قيل لمالك لم اختلف الناس في تفسير القرآن فقال قالوا
بآرائهم فاختلفوا اين هذه من قول الصديق أي سماء تظلني وأي أرض تقلني اذا قلت في
كتاب الله عز وجل برأيي كيف وبعض ذلك قد انحرف عن سبيل العدل الى بعض الميل
وأقرب ما يحمل عليه جمهور اختلافهم أن يكون بعضهم قد علم بقصد الى تحقيق نزول الآية
من سبب أو حكم أو غيرهما وآخرون لم يعلموا ذلك على التعيين فلما طال بحثهم وظنوا عجزهم
أرادوا تصوير الآية بما يسكن النفوس الى فهمها في الجملة ليخرجوا عن حد الابهام المطلق
فذكروا ما ذكروه على جهة التمثيل لا على سبيل القطع بالتعيين بل منه ما لا يعلم انه اريد
لا عموما ولا خصوصا لكنه يجوز أن يكون المراد فان لم يكن اياه فهو قريب من معناه ومنه
ما يعلم انه مراد لكن بحسب الشركة والخصوصية مع جواز أن يكون هو المراد بحسب
الخصوصية ثم اختلط الامران والحق أن تفسير القرآن من أصعب الامور فالاقدام
عليه جراءة وقد قال الحسن لابن سيرين تعبر الرؤيا كانك من آل يعقوب فقال له تفسر القرآن
كانك شهدت التنزيل وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يفسر من القرآن
الا آيات معدودة وكذلك أصحابه والتابعون بعدهم وتكلم أهل النقل في صحة التفسير
المنسوب لابن عباس اليه الى غير ذلك ولا رخصة في تعيين الاسباب والناسخ والمنسوخ

الاسم صحيح أو برهان صريح وأما الرحمة في فهم ما فهمه العرب لطلاقتها في لغة وإعراب وبلاغة لسان إعجاز ونحوها انتهى * ولنرجع إلى تتمة أنباء مولاي الجد رحمه الله فنقول قال صاحب نيل الابتهاج بتطريز الديباج ما صورته محمد بن محمد ابن أحمد القرشي التلمساني الشهير بالمقري بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحة كذا ضبطه الشيخ عبد الرحمن الثعالبي في كتابه العلوم الفاخرة وضبطه ابن الأحمر في فهرسته وسيدي أحمد زروق بفتح الميم وسكون القاف الإمام العلامة النظار المحقق القدوة الحجة الجليل الرحلة أحد فحول أكابر علماء المذهب المتأخرين الأثبات قاضي الجماعة بفاس ذكر ابن فرحون في الأصل يعني الديباج وأثنى عليه انتهى * وقال الخطيب ابن مرزوق كان صاحبنا المقري معلوم القدر مشهور الذكر بالخير سمعة بعد وبه من حسن الثنا وصالح الدعا ما يرجى له النفع به يوم اللقا وعزارة معلومة عند الفقها ومشهور بين الرعا انتهى * وقال أبو العباس الونشريسي في بعض فوائده ومقرة بفتح الميم بعدها قاف مشددة قرية من قرى بلاد الزاب من أعمال إفريقية سكنها أسلافه ثم تحولوا إلى تلمسان وبها ولد الشيخ المذكور ونشأ وقرأ وأقرأ إلى أن خرج منها صحبة الركاب المولوي العناني أمير المؤمنين من فارس عام سبعة وأربعين وسبعمائة إلى مدينة فاس المحروسة فولاه القضا فنهض بأعبائه علما وعملا وحمدت سيرته ولم تأخذه في الله لومة لائم إلى أن توفي بها إثر وروده من بلاد الأندلس في غرض الرسالة لأبي عنان عام سبعة وخمسين وسبعمائة ثم نقل إلى مسقط رأسه تلمسان وقال في موضع آخر إنه توفي رحمه الله تعالى يوم الأربعاء التاسع والعشرين من جمادى الأولى عام سبعة وخمسين وسبعمائة بمدينة فاس المحروسة ثم نقل إلى تلمسان محل ولادته ومقر أسلافه ودفن بها في البستان المرصوص لسكنى دار الزكاة بباب الصرف من البلد المذكور وهو الآن على ملك بعض ذرية الشيخ أبي يحيى الشريف انتهى * ومن أخبار مولاي الجد رحمه الله تعالى أنه قال شهدت الوقفة سنة أربع وأربعين وسبعمائة وكانت جمعة وقام الخطيب في سابع ذي الحجة في الناس بالمسجد الحرام وقال إن جمعة وقفكم هذه ثانية جمعة وقف بها من الجمعة التي وقف بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع آخر عشر من الهجرة وشاع ذلك في الناس وذاع وكان علم ذلك كالمتواتر عندهم والله أعلم وهم يزعمون أن الجمعة تدور على خمس سنين وقد أصاب أولئك لكن كم منهم منكر اطراد هذا ويقول إنه قد يكون على خلاف ذلك ولا أدري * ومنها أنه قال شهدت شمس الدين بن قيم الجوزية مقيم الحنابلة بدمشق وقد سأله رجل عن قوله عليه الصلاة والسلام من مات له ثلاثة من الولد كانوا له حجابا من النار كيف إن أتى بعد ذلك بكبيرة فقال موت الولد حجاب والكبيرة خرق لذلك الحجاب وإنما يكون الحجاب حجابا ما لم يخرق فإذا خرق فقد زال عن أن يكون حجابا ألا ترى إلى قوله عليه الصلاة والسلام الصوم جنة ما لم يخرقها ثم قال وهذا الرجل أكبر أصحاب تقي الدين بن تيمية * ومن أخبار مولاي الجد الدالة على صرامته ما حكاه ابن الأزرق عنه أنه كان يحضر مجلس السلطان أبي عنان لبث العلم وكان من عادة الشرفاء بفاس إذا دخل مجلس السلطان يقوم له السلطان وجميع

من في المجلس اجلالا له الا الشيخ المقري فانه كان لا يقوم في جملتهم فأحس النقيب من ذلك
وشكاه الى السلطان فقال له السلطان هذا رجل وارد علينا نتركه على حاله الى أن ينصرف
فدخل النقيب في بعض الايام على عادته فقام له السلطان على العادة وأهل المجلس فنظر
الى المقري وقال له أيها الفقيه مالك لا تقوم كما يفعل السلطان نصره الله وأهل مجلسه
اكراما لمحتدي ولشرفي ومن أنت حتى لا تقوم لي فنظر اليه المقري وقال له أما شرفي
فمحقق بالعلم الذي أنا ابثه ولا يرتاب فيه احد وأما شرفك فمظنون ومن لنا بصحته منذ أزيد من
سبعمائة سنة ولو علمنا شرفك قطعا لاقمنا هذا من هنا وأشار الى السلطان ابي عنان
وأجلسناك بمجلسه فسكت انتهى قال ابن الازرق وعلى اعتذاره ذلك بأن الشرف الآن
مظنون هو معنى ذلك أيضا ما يحكى عنه أنه كان يقرأ بين يدي السلطان أبي عنان المذكور
صحيح مسلم بحضرة اكابر فقهاء فاس وخاصتهم فلما وصل الى أحاديث الائمة من قريش قال
الناس ان قال الشيخ الائمة من قريش وافصح بذلك استوغر قلب السلطان وان ورى
وقع في محظور فحملوا يتوقعون له ذلك فلما وصل الى الاحاديث قال بحضرة السلطان
والجمهور ان الائمة من قريش ثلاثا ويقول بعد كل كلمة وغيرهم متغلب ثم نظر الى السلطان
وقال له لا عليك فان القرشي اليوم مظنون انت اهل للخلافة اذ بعض الشروط قد توفرت
فيك والحمد لله فلما انصرف الى منزله بعث له السلطان بألف دينار انتهى قال أبو عبد الله
ابن الازرق قلت ويلزم أيضا من اعتذاره أن قيام السلطان لذي الشرف المحقق بالعلم اولى
بالمحافظة على تعظيم حرمات الله وقد روى عن بعض الامراء أنه تكبر على ذلك واستخف
بمنزلة من عظم به غيره فسلبه الله ملكه وملك بنيه من بعده انتهى * ومن اجوبة مولاي الجد
رحمه الله تعالى قوله سألني السلطان عمن ألزمته يمينا على نفي العلم فحلف جهلا على البت هل
يعيد أم لا فأجبته باعادتها وقد كان من حضر من الفقهاء أفتوا بأن لا تعاد لانه أتى
باكثر مما امر به على وجه يتضمنه فقلت له اليمين على وجه الشك غموس قال ابن يونس
والغموس الحلف على تعمد الكذب أو على غير يقين ولا شك أن الغموس محرمة منهي
عنها والنهي يدل على الفساد ومعناه في العقود عدم ترتب اثره فلا أثر لهذه اليمين ويجب أن
تعاد وقد يكون من هذا اختلافهم في من اذنها السكوت فتكلمت هل يجتزى بذلك والاجزاء
هنا أقرب لانه الاصل والصمات رخصة لغلبة الحياء فان قلت البت اصل ونفي العلم انما يعتبر
عند تعذره قلت ليس رخصة كالصمات * ومنها أنه قال سألني بعض الفقهاء عن السبب
في سوء بخت المسلمين في ملوكهم اذ لم يل امرهم من يسلك بهم الجادة ويحملهم على الواضحة
بل من يعتني في مصلحة دنياه غافلا عن عاقبة أخراه فلا يرقب في مؤمن الا ولا ذمة ولا يراعي
عهدا ولا حرمة فأجبته بأن ذلك لان الملك ليس في شريعتنا وذلك أنه كان فيمن قبلنا شرعا
قال الله تعالى ممتنا على بني اسرائيل وجعلكم ملوكا ولم يكن ذلك في هذه الامة بل جعل
لهم خلافة قال الله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في
الارض الآية وقال تعالى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وقال سليمان
رب اغفر لي وهب لي ملكا فجعلهم الله تعالى ملوكا ولم يجعل في شرعنا الا الخلفاء فكان

أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن لم يستخلفه نصاً لكن فهم الناس ذلك فيما
واجمعوا على تقديمه بذلك ثم استخلف أبو بكر عمر فخرج بها عن سبيل الملك الذي يرثه الولد
عن الوالد إلى سبيل الخلافة الذي هو النظر والاختيار ونص في ذلك على عهده ثم انتهى أمر
الشورى على عثمان فإخراج عمر لها عن بنيه إلى الشورى دليل على أنها ليست ملكاً ثم
بقي على بعد ذلك إذ لم يوجد مثله فاتبعه من آثر الحق على الهوى وأطلق الآخر على الدنيا
ثم الحسن كذلك ثم كان معاوية أول من حول الخلافة ملكاً والخشونة ليناً ثم إن ولد من
بعده المغرورين جعلها ميراثاً فأما من خرج بها عن وجهها لم يسلم له فيها ألا ترى أن عمر بن
عبد العزيز رضي الله عنه كان خليفة لا ملكاً لأن سليمان رحمه الله تعالى رغب عن بنيه
إيثاراً للحق المبين ولذلك قلدها أجنبياً وكان يعلم اجتماع الناس عليه ولم يسلك طريق
الاستنابة بالناس بعد الأجلة وأما الولد فقل ما ذكرت الأرذل وعلى أنه قال
عن نفسه انتهى * وفوائد مولاي الجد وتحفه وطرفه ولطائفه وقدها مما يستدعي
استقصاؤها مجلدات فلنكتف بما قدمناه وفي الإشارة ما يغني عن الكلام (وأما تآليفه
فكثيرة) منها كتاب القواعد اشتمل على ألف قاعدة ومائتي قاعدة قال العلامة
الونشريسي في حقه إنه كتاب غزير العلم كثير الفوائد لم يسبق إلى مثله بيد أنه يفتقر إلى
عالم فتاح انتهى وقد أشار فيه إلى مآخذ الأئمة وهو قليل بهذه الديار المشرقية ولم أره
عند الأئمة عند بعض الأصحاب وذكر أنها من أوقاف رواق المغاربة بالأزهر المعمور
وأما قول لسان الدين في الإحاطة عند ترجمته لما ذكر تآليف مولاي الجد ما صورته
ألف كتاباً يشتمل على أزيد من مائة مسئلة وضمنها كل أصل من الرأي والمباحثة
فهو غير القواعد بلا مرية * ومنها كتاب الطرف والتحف عامة في الحسن والظرف قاله
الونشريسي وقد وقفت على بعضه ورأيت العجب العجاب * ومنها اختصار المحصل ولم
يكمله وشرحه لجمل الخونجي كذلك * ومنها كتاب عمل من طب لمن حب وهو بديع في
بابه يشتمل على أنواع الأول فيه أحاديث حكمية كأحاديث الشهاب وسراج المهتدين
لابن العربي والنوع الثاني فيه الكليات الفقهية على جملة أبواب الفقه في غاية الإفادة
والثالث في قواعد وأصول والرابع في اصطلاحات وألفاظ قال الونشريسي وقد
أطلعني الفقيه أبو محمد عبد الله بن عبد الخالق على نسخة من هذا الكتاب فطلبت في
استنساخها فلم يسمح به انتهى قلت وقد رأيت هذا الكتاب بفاس عند بعض
أولاد ملوك تلمسان ورويته مفاوضة وفيه يقول مولاي الجد رحمه الله تعالى

هذا كتاب بديع في محاسنه * تعرفه كل من حلته حسنا
فكل ما فيه إن زالت به * ولم يسم غير إنسان به سنا
مقيد واسند به كف الشعر وردد * حتى يحصل عن جميل الوسنا

وقد ألفيت كاسمه في وصف هذا الكتاب إذ صاحب البيت أدرى بالذي فيه * ومنها كتاب
المحاضرات وفيه من الفوائد والحكايات والإشارات كثير وقد ملكت منه بالمغرب نسخة
فلنذكر منه بعض الفوائد فنقول قال رحمه الله تعالى قيل لمحمد بن ... لم يقول الله

ولا تقول لا اله الا الله فقال نفي العيب حيث يستحيل العيب عيب وهذا ان لم يكن في هذه الكلمة لانها افضل ما قاله الانبياء فهو في كثير من التنزيه الذي يطلقه المتكلمون وغيرهم حتى قال الشاشي عنهم انهم يتمدلون بأسماء الله عز وجل ما عرفه من كيفه ولا وحده من مثله ولا عبده من شبهه المشبه اعشى والمعطل اعمى المشبه ملوث بفرث التجسيم والمعطل نجس بدم الجحود ونصيب المحق لبن خالص وهو التنزيه ازل من علو التشبيه ولا نعل قلل اباطيل التعطيل فالوادي المقدس بين الجبلين (أبو المعالي) من اطمأن الى موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه ومن سكن الى النفي المحض فهو معطل ومن قطع بوجود واعترف بالعجز عن ادراكه فهو موحد جل رب الاعراض والاجسام عن صفات الاعراض والاجسام جل ربي عن كل ما كشفته لحظات الافكار والاوهام برئ الله من هشام ومن قال في الله مثل قول هشام (الدقاق) المريد صاحب وله لان المراد بالاشبه وقيل مثله الاعلى ليس كمثله شئ (الجنيد) اشرف كلمة في التوحيد قول الصديق الحمد لله الذي لم يجعل للخلق سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته (القشيري) يعني أن العارف عاجز عن معرفته والمعرفة موجودة فيه (غيره) ما عرف الله سوى الله لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك

كل ما ترتقي اليه بوهم * من جلال وقدرة وسناء
فالذي ابدع البرية اعلى * منه سبحان مبدع الاشياء

سئل المريسي الشافعي عن التوحيد بحضرة الرشيد فقال ألا تتوهمه ولا تتهمه فابهت (الشبلي) من توهم انه واصل فليس له حاصل ومن رأى انه قريب فهو بعيد ومن تواجد فهو فاقد ومن اجاب عن التوحيد بالعبارة فهو غافل ومن سكت عنه فهو جاهل * ما ارادت همة سالك أن تقف عندما كشف لها الا نادته هواتف الحقيقة الذي تطلب أمامك وما تبرجت ظواهر المكونات الا نادتك حقائقها انما نحن فتنة فلا تكفر

ما نهتني نظري منهم الى رتب * في الحسن الا ولاحت فوقها رتب

(الجريري) ليس لعلم التوحيد الا لسان التوحيد (الحسن) العجز عن درك الادراك ادراك

تبارك الله وارت غيبه حجب * فليس يعرف الا الله ما الله

دعاني الى الله عز وجل بحقيقة التوحيد فلم يستجب له الا الواحد بعد الواحد فعجب من ذلك فأوحى الله عز وجل اليه تريد أن تستجيب لك العقول قال نعم قال احجبني عنها قال كيف احجبك وأنا ادعو اليك قال تكلم في الاسباب وفي اسباب الاسباب فدعا الخلق من هذا الطريق فاستجاب له الجم الغفير *(ومنه) سمع أعرابي اختلاف المتكلمين بحضرة البصرة في الانسان وانتزاع كل واحد منهم الحجة على رأيه فخرج وهو يقول

ان كنت ادري وعلي بدنه * من كثرة التخليط في من أنه

ومن عجز عن اقرب الاشياء نسبة منه فكيف يقدر على ابعد الامور وحقيقة عنه من عرف نفسه عرف ربه *(ومنه) دع ما يسبق الى القلوب انكاره وان كان عندك اعتذاره * لما احتضر الوليد بن أبان قال لبنيه هل تعلمون احدا هو أعلم بالكلام مني قالوا لا

قال فانى اوصيكم عما عليه اهل الحديث فانى رأيت الحق معهم * وعن أبى المعالى نحو (ومنه) شعراحمد الخاسى لما سمع فى علم الكلام قال انما قصدت الى اسرار السنة قال أليس يذكر البدعة والسنة * فلمن عشق كلام فخر الدين الرازى وجعله فى تقرير السنة اشد منه فى الانفصال عنها وفى هذا ما لا يخفى * (ومنه) من آمن بالسطر الى ظاهر المعانى كفر بالاستماع الى جوار الحق ومن شاهد مجاور القدر الالهية لم يحتج وسع الفهم النيره لم يكترث بوعيد الدنيا ولم يؤثر الهوى على الهدى والتقوى * (ومنه) على بن الحسين من عرف الله بالاخبار دون شواهد الاستبصار والاعتبار اعتمد على ما الهمه النهى * (ومنه) قيل لطبيب بم عرفت ربك قال بالاهليلج يجفف الحلق ويلين الطبع * وقيل لاديب بم عرفت ربك قال بنحلة فى احد طرفيها عسل وفى الآخر لسع والعسل مقلوب اللسع * وسأل الدهرية الشافعى عن دليل الصانع فقال ورقة الفرصاد تأكلها دود القز فيخرج منها الابريسم والنحل فيكون منها العسل والظباء فينعقد فى نوافجها المسك * والشاء فيكون منها البعر فآمنوا كلهم وكانوا سبعة عشر * وقيل لاعرابى بم عرفت ربك فقال البعرة تدل على البعير والروث يدل على الحمير وآثار الاقدام تدل على المسير فسماء ذات أبراج وبحار ذات أمواج اما يدل ذلك على العليم القدير

قد يستدل بظاهر عن باطن * حيث الدخان يكون موقد نار

قيل لاعرابى بم عرفت الله قال بنقض عزائم الصدور وسوق الاقدار الى حبائل المقدور * (ومنه) الدقاق لو كان ابليس بالحق عارفا ما كان لديه بالاضلال والاغوا واقفا * (ومنه) التوحيد محو آثار البشرية وتجديد صفات الالوهية الحق واحد فى ذاته لا قسيم واحد فى صفاته لا مماثل واحد فى افعاله لا مشارك لو كان وجوده عن عدم ما كان موصوفا بالقدم المنافى شرط القدر دلت على ذلك الفطر لو لم يكن الصانع حيا لاستحال ان يوجد شيئا لو لم يكن باقيا لكان للالوهية منافيا لو كان البارى جسما * ما استحق الالهية اسما لو كان البارى جوهرا لكان الجوهر مفتقرا العرش لا ينفى والا قدم لا تقر ولا تنفى لو لم تكن صفة القدرة موصوفا لكان بصفة العجز معروفا لو لم يكن عالما قادرا لاستحال كونه للاشياء فاطرا دلت الفطر والفطنة أن الحوادث لا تحصل الا من ذى قدر لو لم يكن بالمراد قاصدا ما كان الفعل بذلك شاهدا من نوع اتحاده دل ذلك على أن الفعل مراده لو لم يكن بالسمع والبصر موصوفا لكان ابعدهما مالوفا لو جاز سامع لا سمع له جاز صانع لا صنع له لو كان غير قادر لافتقرت ذاته الى ركن من صدرت عنه الشرائع والاحكام كان موصوفا بالكلام ليس فى الصفات السمع ما لا يعلق الا الخبا ولا ما يؤثر الا القدر والارادة كما أن بأمر ما لا يريد جاز ان يريد ما لا يحب لا تسأل عما تفعل الواحد كاف وما زاد عليه متكلف ليس مع الله تعالى موجودات لان الموجودات كلها كالظل من نور القدر لنور الشمس لا رتبة المعية

ان من اشرك بالله جهول بالمعانى

احول العقل لهذا * طن للواحد ثانى

قال جعفر بن محمد لو كان على شئ لكان محمولا ولو كان فى شئ لكان محصورا ولو كان من شئ لكان محدثا (قيل لثمامة بن الاشرس متى كان الله فقال ومتى لم يكن فقيل فلم كفر الكافر فقال الجواب عليه (قال خادم أبي عثمان قال لى مولاى يا محمد لو قيل لك اين معبودك ما كنت تجيب قال أقول بحيث لم يزل قال فان قيل لك فأين كان فى الازل فقال أقول بحيث هو الآن فنزع قميصه واعطانيه (قيل لصوفى اين هو فقال محقك الله ابطلب مع العين أين * (ومنه) * سمعت شيخنا يقول نقصا صفة كمال له فيما يعنى اذا وجب له كل الكمال وجب لما كل النقص * وهذا على انه ليس فى الامكان ابدع مما كان وفيه كلام * (ومنه) * بلغ أحمد أن أبا ثور قال فى الحديث خلق الله آدم على صورته ان الضمير لآدم فهجره فأتاه أبو ثور فقال أحمد أى صورة كانت لآدم يخلقه عليها كيف تصنع بقوله خلق الله آدم على صورة الرحمن فاعتذر اليه وتاب بين يديه * (ومنه) * أتى يهودى المسجد فقال أيكم وصى محمد صلى الله عليه وسلم فاشاروا الى الصديق فقال انى سائلك عن أشياء لا يعلمها الا نبى او وصى نبى قال سل قال فأخبرنى عما ليس لله وعما ليس عند الله وعما لا يعلمه الله فقال هذه مسائل الزنادقة وهم بقتله فقال ابن عباس ما انصفتموه اما أن تجيبوه واما أن تصرفوه الى من يجيبه فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلى اللهم اهد قلبه وثبت لسانه فقال أبو بكر قم معه الى على فقال له أما ما لا يعلمه الله فقولكم فى عزير انه ابن الله والله عز وجل لا يعلم له ولدا قال فى التنزيل ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الآية * وأما ما ليس عند الله فالظلم وأما ما ليس له فالشريك فأسلم اليهودى فقبل أبو بكر رأس على وقال له يا مفرج الكربات وورد مثل هذه المسائل عن الصحابة فالله تعالى أعلم * وقال العتابى لابى قرة النصرانى عند المأمون ما تقول فى المسيح قال من الله قال البعض من الكل على سبيل التجزى والولد من الوالد على طريق التناسل والخل من الخمر على وجه الاستحالة والخلق من الخالق على جهة الصنعة فهل من معنى خامس قال لا ولكن لو قلت بواحد منها ما كنت تقول قال البارى لا يتجزأ ولو جاز عليه واحد لجاز له ثان وثالث وهلم جرا ولو استحال فسد والرابع مذهبنا وهو الحق * (ومنه) * أول ما تكلم به عيسى فى المهد أن قال انى عبد الله وهو حجة على الغالين فيه يقال لهم ان صدق فقد كذبتم والا فمن عبدتم وان ادعيتم * قال القاضى ابن الطيب للقسيس لما وجهه عضد الدولة الى ملك الروم لم اتحد اللاهوت بالناسوت فقال أراد أن ينجى الناس من الهلاك قال فهل درى أنه يقتل ويصلب اولا فان لم يدر لم يجز أن يكون الها ولا ابنا وان درى فالحكمة تمنع من التعرض لمثل ما قلتم انه جرى * سأل القاضى هذا البطرك عن أهله وولده فأنكر ذلك النصارى فقال تنزهونه هذا ما تثبتونه لربكم سوأة لهذا الرأى فانكسروا * (ابن العربى) سمعت الفقراء ببغداد يقولون ان عيسى عليه السلام كان اذا خلق من الطين كهيئة الطير طار شيأ ثم سقط ميتا لانه كان

لم يضطره الى ما خلق مضطر * قيل برئت وما اضلنا الا المجرمون فى القدرية لانهم اضافوا الحول والقوة فى الشر الى البشر فأشركوهم فى الخلق أما ترى قوله تعالى ان المجرمين فى ضلال وسعر الى قوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر

كنت دهرا القول بالاستطاعه * وأرى الجبر ضلة وشناعه
ففقدت استطاعتى فى هوى ظبـ * ـى فسمعا لمن أحب وطاعه

(غيره) مالا يكون فلا يكون بحيلة * أبدا وما هو كائن سيكون

(غيره) تريد النفس أن تعطى مناها * ويابى الله الا ما يشاء

شفاء الصدور فى التسليم للمقدور

اذا لم يكن الا الاسنة مركب * فلا رأى للمضطر الا ركابها

(غيره) أى يومى من الموت افر * يوم لا يقدر أم يوم قـــدر

اذا كان الداء من السماء بطل الدواء قال الحائط للوتد لم تشقنى قال سل من يدقنى

الناس يلحون الطبيب وانما * غلط الطبيب اصابة المقدور

قيل لحكيم أخرج الهم من قلبك فقال ليس باذنى دخل

نفسى تنازعنى فقلت لها قرى * موت بريحك اوصعود المنبر
ما قد قضى سيكون فاصطبرى له * ولك الامان من الذى لم يقدر
ولتعلمى أن المقدر كائن * لابد منه صبرت اولم تصبرى

(ومنه) الهارب من المقدور كالمتقلب فى كف الطالب * من كان السلطان يطلبه ضاق عليه مذهبه وما أنتم بمعجزين * اسلى آية فى التنزيل ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الى قوله تعالى بما آتاكم * (ومنه) اخل رجل بخدمة صاحب الاسكندرية فتغيب ثم ظهر به عرفاؤه فقادوه فاساب منهم ورمى بنفسه فى بئر وتحت الاسكندرية أسراب يسير فيها القائم من أول البلد الى آخره فلم يزل يمشى حتى وجد بئرا صاعدة فتعلق بها فاذا هى فى دار السلطان فأخذه فأدبه فانظر كيف فر من قودة السلطان مكرها وأتاه برجله طائعا ذهب القضاء بحيلة العقلاء * (ومنه) * قال يزيد بن المهلب لموسى بن نصير أنت ادهى الناس واعلمهم فكيف طرحت نفسك فى يد سليمان فقال ان الهدهد يهتدى للماء فى الارض السفلى وينصب له الصبى الفخ بالدودة أو الحبة فيقع فيه

ولو جرت الامور على قياس * لوقى شرها الفطن اللبيب

* (الواسطى) اختيار ما جرى لك فى الازل خير من معارضة الوقت * (ابن معاذ) عجبت من ثلاثة رجل يريد تناول رزقه بتدبيره ورجل شغله غده وعالم مفتون يعيب على زاهد مغبوط * (ومنه) * شكى لبعض الانبياء امرأة كانت تؤذى أهل زمانها فأوحى الله اليه أن فر من قدامها حتى تنقضى أيامها * (ومنه) * (ابن المعتز) كرم الله عز وجل لا ينقض حكمته ولذلك لا تقع الاجابة فى كل دعوة ولو اتبع الحق أهواءهم

اريد فلا اعطى وأعطى ولم ارد * وقصر على أن انال المغيبا

(ومنه) كان ابن مجاهد ينشد لبعضهم

لا أعرف مناظرة هؤلاء القوم وهم لا يعرفون مواضعاتنا فقال الوزير قد قبلنا اعتذارك
والحق ابلج رأس الدين صحة اليقين من سابق القدر عثر

واذا خشيت من الامور مقدرا * وفررت منه فنحوه تتوجه

قيل لما وقع الوباء بالكوفة فر ابن أبي ليلى على حمار فسمع منشدا ينشده

لن يسبق الله على حمار * ولا على ذي مسمر طيار
او يأتي الحتف على مقدار * قد يصبح الله أمام الساري

فقال اذا كان الله أمام الساري فلا مهرب ورجع *(ومنه) شكا بعض الصالحين الى الخليفة ضرر الاتراك فقال أنتم تعتقدون أن هذا من قضاء الله وقدره فكيف ارده فقال ان صاحب القضاء قال ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض فردهم عنهم القدر والطلب كالعدلين على ظهر الدابة كل واحد منهما معين لصاحبه فالقدر بالطلب والطلب بالقدر * قيل لعارف ان كنت متوكلا فالق بنفسك من هذا الحائط فلن يصيبك الا ما كتب الله لك فقال انما خلق الله الخلق ليجربهم لا ليجربوه *(الجوهري) كف الله النار عن يد موسى لئلا تقول النار طبعي واحترق لسانه لئلا يقول الكليم مكاني وقال غيره لو لم يقل لنار ابراهيم سلاما لهلك من برد النار * قيل للجنيد أنطلب الرزق قال ان علمتم أين هو فاطلبوه قيل فنسأل الله قال ان خشيتم أن ينساكم فذكروه قيل فنلزم البيوت قال التجربة مع الشك قيل فما الحيلة قال ترك الحيلة * يقول لكن تصرف باذنه لا بشهوتك فقد قيل ترك الطلب يضعف الهمة ويذل النفس ويورث سوء الظن *(الطرطوشي) القدر والطلب كاعمى ومقعد في قرية يحمل الاعمى المقعد ويدل المقعد الاعمى * قال رجل لبشر اني اريد السفر الى الشام وليس عندي زاد فقال اخرج لما قصدت اليه فانه ان لم يعطك ما ليس لك لم يمنعك مالك * الناس في هذا الباب ثلاثة * فرقة عاملت الله عز وجل على مقتضى شمول قدرته للشر والخير وأعرضوا عن الاسباب فأدركوا التوكل وفاتهم الادب وهم بعض الصوفية وقد قيل اجعل ادبك دقيقا وعلمك ملحا وهذا ابليس لم تنفعه كثرة علمه لما دفعته قلة ادبه * وفرقة عاملته على ذلك مع الجريان على عوائد مملكته والتصرف باذنه على مقتضى حكمته وهم الانبياء وخواص العلماء فأصابوا الادب وما اخطؤا التوكل * والفرقة الثالثة وهم الجمهور أقبلوا على الاسباب ونسوا المسبب ففاتهم الامران فهلكوا *(ومنه) جل الواحد المعروف قبل الحدود والحروف

لقد ظهرت فما تخفى على أحد * الا على اكمه لا يعرف القمرا
كما بطنت عما ابديت من حجب * وكيف يبصر من بالعزة استترا

سئل النصيبي عن الرؤية بمجلس عضد الدولة وأنكرها محتجا بأن كل شيء يرى بالعين فهو في مقابلتها فقال له القاضي ابن الطيب لا يرى بالعين قال له الملك فبماذا يرى قال بالادراك الذي يحدثه الله في العين وهو البصر ولو أدرك المرئي بالعين لوجب أن يدرك بكل عين قائمة وهذا الاجهر عينه قائمة ولا يرى بها شيئا *(ومنه)* ابن العربي * للصوفية في اطلاق لفظ العشق على الحق تجاوز عظيم واعتداء كبير ولولا اطلاقه للمحبة ما اطلقناها فكيف أن نتعداها *

(الدهان) الفتى تجاوز الحد في الحب ولما كان الحق لا يوصف بالحد لم يوصف بالحدود اذ لو جمع محبات الخلق كلهم لشخص واحد لم يبلغ ما يستحقه قدر الحق من المحبة * حجبه احتجب فلم يعين لعظم امرها الاسم الاعظم وساعة الجمعة وليلة القدر والصلاة الوسطى والكبائر لان احكام اكثرها تعني على احد الاقوال في المسئلة * (ومنه) قيل في التسعة والتسعين اسما انها تابعة لاسم الله وهو تمام المائة وهي عدد درج الجنة الباقي الصحيح من ان درجها مائة بين كل درجتين مسيرة مائة عام ولذلك قيل من احصاها دخل الجنة وهذه الاسماء مفضلة على غيرها ألا ترى قوله عليه السلام في الصحيح بأسمائه الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم * ذكر القرآن في أربعة وخمسين موضعا منه لم يفرق بين شيء منها الى خلقه وذكر الانسان في ثمانية عشر موضعا بلغ ذلك العدد فصرّح في جميعها بخلقه * قال ابن عطية وهذا ادل على أنه غير مخلوق * (أبو علي بن ابي النجم) سألته جماعة عصري أيام أبي حزم وكان يقول بخلق القرآن وأبي خلف المعافري وكان يقول القرآن كلام الله ليس بمخلوق افكر عن ايهما آخذ فلما غبت أتاني آت فقال لي قم فقف قال قل فقلت ما أقول فقال

لا والذي رفع السماء * بلا عماد للنظر
وزينت بالساطعات * بين الامهات والقمر
والمالك السبع الطباق * من بكل مختلف الصور
ما قال خلق في الذرا * من عالمه الاكبر
لكن كلام منزل * من عند خلاق البشر

ثم قال اكتبها فاحذت كاتبا من كتبي وكتبتها فيه فلما أصبحت وجدت ذلك خطي على كتاب من كتبي تخلف في البيت الى الزوال ثم خرجت فسألني انسان عما رأيت البارحة بليلة ما اخبرت احدا فقال قد شاعت رؤياك في الناس * (الخواص) انتهيت الى رجل مصروع فجعلت أؤذن في اذنه فناداني الشيطان من جوفه دعني اقتله فانه يقول بخلق القرآن * (عمرو بن دينار) أدركت سبعة من الصحابة يقولون من قال القرآن مخلوق فهو كافر بل قال مالك بن سنان * (ومنه) كان عضد الدولة يحب العلم والعلماء فكان مجلسه يحتوي على عدد منهم أكثرهم الفقهاء والمتكلمون وكان يعقد لهم مجالس للمناظرة فقال لقاضيه بشر بن الحسن ان مجلسنا خال عن عالم من أهل الاثبات ينصر مذهبه فقال انما هم عامة يرون الخبر وصده ويعتقدون هما جميعا واعيا أن أردت القوم ثم اهل عدح المعتزلة فقال عضد الدولة محال أن يخلو مذهب طبق الارض من ناصر فانظر قال فدلّ ان بالبصرة شيخا يعرف بأبي الحسن الباهلي وفي رواية بأبي بكر بن مجاهد وسألاه ان الباقلاني فكتب اليهما فلما وصل الكتاب قال الشيخ قوم كفرة لان الله لم كانوا وافض لا يحل لنا أن نطأ بساطهم فقال الشاب كذا قال ابن كلاب والمحاسبي ومن في عصرهم ان المأمون فاسق لا نحضر مجلسه حتى ساق احمد بن حنبل الى طرسوس وجرى عليه ما عرف ولو ناظروه لكفوه عن هذا الامر وتبين له ما هم عليه بالحجة وأنت أيضا أيها الشيخ تسلك

سبيلهم حتى يجرى على الفقهاء ما جرى على احمد ويقولون بخلق القرآن ونفى الرؤية وها
انا خارج ان لم تخرج قال الشيخ ان شرح الله صدرك لهذا فاخرج فرد الله به الكرة * حفظ
من كلام النبى صلى الله عليه وسلم المستقى والمرسل امثال امثال المنزل ثم اتقى من
ذلك صحة وفصاحة ما يبلغ حجم المصحف او يربى عليه فهل وجدت فيه ما يشبهه او ينزع اليه
اشهد انه من عند الله تنزيل من لدنه * اول اعجاز القرآن الجهل بنوعه من جنس الكلام
فانه لا يدخل فى مضمار الشعر ولا ينخرط فى سلك الخطب ولا المواعظ والمقامات والكتب
ولا فى شئ مما يؤلف التخاطب به وتعرف فيه طبقات أهل مذهبه فان لم يتبين ما رسمت لك
فاعرض كلامك فى كل صنف من هذه الاصناف تجد لنفسك مع نحوله حالة القصور
أو المماثلة أو الزيادة ولا تجد لكلامك نسبة الى القرآن بل لا تدرى ما تقول ان طلب
منك البيان الا أن تسلب العقل كسيلمة وأمثاله ممن ابتلى بالهذيان وقد تفطن الدلالة
كافر اغلبت عليه الجهالة انظر السيرة *(الزمخشرى) ما اعجب شأن الضلال لم يرضوا
للنبوة ببشر وقد رضوا للالهية بحجر * سأل القاضى أبا بكر ملك الروم حين وجهه
عضد الدولة اليه عن انشقاق القمر كيف لم يره جميع الناس فقال لانهم لم يكونوا على
أهبة ووعد قال فما النسبة التى بينكم وبين القمر حتى لم يره غيركم من الروم وغيرهم قال
النسبة التى بينكم وبين المائدة حتى رأيتموها دون اليهود والمجوس فدعا القسيس فأقر
للقاضى فقال له القاضى أتقول ان الكسوف يراه جميع أهل الارض أم أهل الاقليم
الذى فى محاذاته قال لا يراه الا من فى محاذاته قال فما تنكر من لا يرى انشقاق القمر
الا فى تلك الناحية ممن تأهب لذلك قال هذا صحيح الا أن الشأن فى مثله أن لا ينقل آحادا
لكن تواترا بحيث يحصل العلم الضرورى به الينا والى غيرنا وانتفاء ذلك يدل على افتعال
الخبر فقال الملك للقاضى الجواب فقال يلزمه فى نزول المائدة ما لزمنا فى انشقاق القمر فبهت
الذى كفر قال ملك الروم للقاضى ابن الطيب فى هذه الرسالة ما تقول فى المسيح قال روح
الله وكلمته وعبده قال تقولون المسيح عبد قال بذلك ندين قال ولا تقولون انه ابن الله قال
ما اتخذ الله من ولد قال العبد يخلق ويحيى ويبرئ قال ما فعل المسيح ذلك قط قال هذا
مشهور فى الخلق قال لا قال ما قال أحد من أهل المعرفة ان الانبياء يفعلون المعجزات لكن
الله تعالى يفعلها على أيديهم تصديقا لهم قال ان ذلك فى كتابكم قال فى كتابنا ان ذلك
كله باذن الله تعالى ولو جاز أن يكون ذلك فعل المسيح لجاز أن يقال ان موسى قلب العصا
وأخرج يده بيضاء وفلق البحر قال ان الانبياء من لدن آدم كانوا يتضرعون للمسيح حتى
يفعل ما يطلبون قال أفى لسان اليهود عظم لا يقولون معه ان المسيح كان يتضرع لموسى
وكذلك امة كل نبى لهم لا فرق بين الموضعين فى الدعوى (الجورى) فى قوله عليه السلام
يوشك أن ينزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم انما كان الامام منا لئلا يتدنس بغبار الشبهة
وجه لا نبى بعدى * كان بالبصرة يهودى يقرر المتكلمين على نبوة موسى فاذا اقر واحد
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقال نحن على ما اتفقنا عليه الى أن نتفق على غيره فسأل أبا
الهذيل عن ذلك فقال ان كان موسى هذا الذى اخبر بمحمد صلى الله عليه وسلم وأقر بشرفه

من جيبه فى القبر ولم يشعر حتى واراه فكشف عنه فاذا الدراهم قد لصقت بيدنه درهما الى درهم كالنجوم فحاول قلع واحد منها فقامت معه قطعة من لحمه وشمها من ذلك المحل ريح منتنة قال الشيخ فاطلعت على ذلك وشاهدته ثم ردّوا التراب عليه وانصرفوا * قال عبد الله بن ادريس لغيلان المرور حتى تقوم الساعة قال ما المسؤل عنها بأعلم من السائل غير أنه من مات فقد قامت قيامته قال فالمصلوب يعذب عذاب القبر قال ان حقت عليه الكلمة وما ندرى لعل جسده فى عذاب لا تدركه أبصارنا ولا أسماعنا فان لله لطفا لا يدرك واطرا الحديث فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم ما اسمع من عذاب القبر * (ومنه) * المازرى مسألة التكفير بالمآل مشكلة وقد اضطرب فيها قول مالك وهو امام الفقهاء والقاضى أبى بكر وهو امام المتكلمين (الغزالى) لا يقطع بتكفير الفلاسفة الا فى ثلاث مسائل قدم العالم ونفى العلم بالجزئيات وانكار المعاد البدنى وتوابعه القطعية * أصل الفلاسفة اعتقاد المحسوسات معقولات والمعتزلة اعتقاد المشهورات قطعيات ومن ثم قيل انهم مخنثة الفلاسفة * لا يكفى التقليد فى عقائد التوحيد لا فرق بين انسان ينقاد وبهيمة تقاد * (ومنه) * كان أبو هاشم من أفسق الناس بجلس ذات يوم يعيب الارجاء وكان فى المجلس مرجئ فأنشد

يعيب القول بالارجاء حتى * يرى بعض الرجاء من الجرائر
وأعظم من ذوى الارجاء ذنبا * وعيدى يصرّ على الكبائر

كان مالك ينشد كثيرا

وخير أمور الدين ما كان سنة * وشرّ الامور المحدثات البدائع

(ابن عقيل) يشبه أن يكون واضع الارجاء زنديقا فان صلاح العالم فى اثبات الوعيد واعتقاد الجزاء فلما لم يكن هذا الماثل جحد الصانع لمخالفة العقل اسقط فائدة الاثبات وهى الخشية والمراقبة وهدم سياسة الشريعة فهم شر طائفة على الاسلام * سئل مالك عن أشر الطوائف فقال الروافض * بينا ابن المعلم شيخ الرافضة فى بعض مجالس المناظرة مع أصحابه أقبل ابن الطيب فقال جاءكم الشيطان فسمعه على بعد فلما جلس اليهم تلا عليهم ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا (مالك) أهل السنة من لا لقب له لا خارجى ولا قدرى ولا رافضى (البديع)

يقولون لى ما تحب الوصى * فقلت الثرى بفم الكاذب
أحب النبى وآل النبى * وأختص آل أبى طالب
وأعطى الصحابة حق الولاء * وأجرى على السنن الواجب
فان كان نصبا ولاء الجميع * فانى كما زعموا ناصبى
وان كان رفضا ولاء الجميع * فلا برح الرفض من جانبى
أحب النبى وأصحابه * فما المرء الا مع الصاحب
أأرجو الشفاعة من سبهم * بل المثل السوء للضارب
يوقى المكاره قلب الجبان * وفى الشبهات يد الحاطب

شرحه الشيخ الصالح شيخ شيوخ شيوخنا سيدى أحمد زروق رضى الله عنه ونفعنا به وسمح لى أن أسرد هنا شيأ من هذا الكتاب الذى بابه فنقول * قال فيه مولاى الجد رحمه الله تعالى هذا كتاب شمعت فيه الحقائق بالرقائق ومزجت المعنى الفائق باللفظ الرائق فهو زبدة التذكير وخلاصة المعرفة وصفوة العلم ونقاوة العمل فاحتفظ عما يوجبه اليك فهو الدليل وعلى الله قصد السبيل (حقيقة) عمل قوم على السوابق وقوم على اللواحق والصوفى من لاماضى له ولا مستقبل فان كان رجاجيا فبح (رقيقة) من لم يجد ألم البعد لم يجد لذة القرب فان اللذة هى التخلص من الالم (حقيقة) لما انطبعت الصور فى مرآة الخيال قال العقل اما الملك المكوكب فقالت الرياضة الرمى ونعرف قدرك فاذا العقل عقال (رقيقة) من ضحك فى يوم الغفلة بكى عند الانتباه فان الاضغاث أضداد (حقيقة) أثر الزهد عدل دن سقراط على سراج غوطة أبى نصر فقيل فأين اعتبار افلا ينظرون وقال وفى أنفسكم أفلا تبصرون (رقيقة) طالب الدنيا يخاف الموت وصاحبها يترقب الزوال ولو بالموت فادا جى الوطيس وح الرئيس انشأ الزاهد بينهما ينشد

عزيز النفس لاولد يموت * ولا انس يحاذره يفوت

(حقيقة) العابد طالب رياسة وحرمه والزاهد صاحب سياسة وهمه والمعنى للعارف يعادى فى الله تعالى ويوالى ويرضى الله ولا يبالى (رقيقة) من سابق سبق ومن رافق ارتفق ومن لاحق التحق والعجز والكسل مقدمتا الخيبه وعلى قدر أهل العزم تأتى العزائم (حقيقة) العمل دواء القلب واذا كان الدواء لا يصلح الا اذا كان على حمية البدن وكذلك العمل لا ينجح الا بعد صوم النفس فارق نفسك وتعال (رقيقة) مثل دواعى الخير والشر فى الانسان كمثل الخلط الفاعل والقوة الدافعة فى العليل تغلب القوة فيسكن الخلط فيجد الراحة وعن قليل يتحرك فيجد الالم (حقيقة) العمل على السلامة مسالمة وعلى الغنيمة تجارة وعلى الامر قرض فيضاعف له أضعافا كثيرة (رقيقة) تطهر من ادناس هواك وتزين بلباس تقواك وقم لمسجد انقطاعك على قدم شكواك وأحرم بتوجيه قلبك الى قبلة نجواك تجد الحق عندك وليس سواك (حقيقة) وجد العارف بجاذبنفسه فوجد الله عنده وتواجد المريد تحاكى ومن لم يبك تباكى (رقيقة) رك نفسك لقلبك ترك عند ربك بعهامنه رخصه فهى على ثمسالديه حريصه ان الله اشترى (حقيقة) الزوال وقت المناجات فطهر قلبك قبله من الحاجات واياك والحظ فذهاب نقطته اسرع من اللحظ (رقيقة) الزاد لك وهو مكتوب والرائد عليك وهو مطلوب فأجمل فى طلب المضمون ولا تلزم نفسك صفقة المغبون (حقيقة) أمر بالتوكل لتقهر الطارف عليه وأذن فى التسبب لتصرف منه اليه فذاك مخبر بحقيقة التوحد وهذا مظهر لحكمة التعبد (رقيقة) الملك ابو الدنيا وهو مع ذلك محبوس فيها تبهم عليه الابواب ويستدعى الحراس والحجاب فاذا خرج حدقت اليه الالحاظ وأحدقت بجهاته الحفاظ أى حظ حظ من فقد نعمة فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه (حقيقة)

وان لم تعرف عصرا خاليا ولاخلا نائيا لم يمرّ عليك مماتشتهيه أطيب مماأنت فيه

كم منزل فى الارض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لاوّل منزل

(ومنه) (حقيقة) قيل عرّض الكليم بطلب القوت فى رحلة الهجرة انى لما أنزلت الىّ من خير فقير تحمل على كاهل ان أبى يدعوك وصرّح فى سفر التأديب لوشئت لاتخذت عليه أجرا تحمل على كاهل هذا فراق بينى وبينك قلت لما تمحض الطلب له اكتفى فلما تعلق حق الغير به وفى وبذلك قضى ابا المرأتين الاجليين (رقيقة) كان خرق السفينة اراءة لكرامة فاقذفيه فى اليمّ فى مرآة وكان وراءهم ملك ورعاية الاجسام بالعلل وقتل الغلام اشارة الى اشتمال قتله فقضى عليه على رحمة فخشينا الذى العمّ يرمز فخشينا أن يرهقهما والحى الصمّ حمائل المح واقامة الجدار اشارة لمقوة فسقى لهما لخفض له جناح انى لما أنزلت الىّ من خير فقير فيستظل من حرّ لوشئت لاتخذت عليه فى نية هذا فراق بينى وبينك (حقيقة) قيل لمحمد بن الحسن الزبيدى التونسى وأنا عنده مها كيف لم يصبر الكليم وقد ناط الصبر بالمشيئة ستجدنى ان شاء الله صابرا وقد جاء فى الصحيح فى قصة سليمان عليه السلام لوقال ان شاء الله لكان كما قال والمقام الموسوى أجل واصطعنك لنفسى وطلابه أفضل ما جميع أعمال البرّ والجهاد فى طلب العلم الا كمصقة فى بحر فقال كان موسى على علم من علم الله وهو علم المعاملة لايعلمه الخضر وكان الخضر على علم من علم الله لايعلمه موسى فلم يطق أن مالم يحط به خبرا يأباه حكم الظاهر والا كيف يلتزم الصبر عليه وقد أمر بصرف الانكار اليه ماسعك اذرأيتهم ضلوا بل لم يعتد مثله من ملاقاة المشاق فيما كان عليه الخضر من اختراق الآفاق وركوب الطباق فعلقه بقوله فقد صدقه بفعله ومالم يستطع عليه صبرا فلم يدخل فى التزامه اعتقادا ولاذكرا (رقيقة) قال لى عبد الرحمن بن يعقوب المكتب كان عندنا بالساحل سائح هجيراه الهى بسطت لى أملى وأحصيت علىّ عملى وغيبت عنى أجلى ولا أدرى الى أىّ الدارين يذهب بى لقد أوقفتنى موقف المحزونين ما أبقيتنى (حقيقة) تنازع القلب والنفس الخلق فقسمها بينهما قاضى العقل فى باع منهما حطه فلاشفعة لصاحبه عليه *(ومنه)* (حقيقة) الحجب ثلاثة فحجاب الغيرة منع وحجاب الحيرة دفع وحجاب الغفلة قطع أولئك كالانعام بل هم أضل (رقيقة) اللحم أيام التشريق مكروه وكل لذة عند أرباب الدنيا كاللحم عندك أيام الاضحى فلا تريناك الغفلة عن سرك زيادة النعمة عندك (حقيقة) الفقر الى الله الاستغناء به عماسواه وهوية الرضا بالله أن لايخطر بالبال الاه *(ومنه)* (حقيقة) التلون مجون تارة طربا وطورا شجون والتمكن معرفة وأين الحال من الصفة (رقيقة) قال لى محمد بن عبد الواحد الرباطى قال لى محمد بن عبد السيد الطرابلسى دخلت على أبى الحسن الحرالى فقلت له كيف أصبحت فأنشد

أصبحت ألطف من مرّ النسيم سرى * على الرياض يكاد الوهم يؤلمنى

من كل معنى لطيف احتسى قدحا * وكل ناطقة فى الكون تطربنى

(حقيقة) قال الطالب الوقت سيف وقال الواصل بل مقت وتلا العارف قل الله ثم ذرهم

(حقيقة) ما حمد الله حق حمده الا من عرفه حق معرفته وذلك مما لا ينبغي لغيره لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك (رقيقة) قال

أشيم البرق من بين الثنايا * وأشتم العبير من الثناء
فأبدو تارة وأغيب أخرى * مثار الشوق مثنى الحشاء

(حقيقة) تعلق الحامد بكمال الذات فغاب عن حسه في بحار العظمة وتعلق الشاكر بجمال الفعل فوقف مع نفسه بسوق النعمة فهذا تاجر لئن شكرتم لأزيدنكم وذلك ذاكر ومابكم من *(ومنه*) (حقيقة) الصبر مطية المريد والرضا صحبة المراد فهذا يقوم للامر وذا يسعى للاجر (رقيقة) الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف والصبر بغير حساب والرضا بالرضا وذلك سدرة المنتهى (حقيقة) النفس الامارة آبدة لا تملك الا بلطائف الحيل والمطمئنة ذلول لا تفتات الا من غفل وأخاف أن يأكله الذئب (رقيقة) الدنيا معشوق الطالب عاشق الهارب هذا يستخدمها وذاك يخدمها يبنى الخادم المستخدم ليقال ويعمره المخدوم لينال فعل الخادم السعي من غير جدوى وليس لرحل حطه الله حامل وللمخدوم الجدوى بغير سعي وليس لما تبنى يد الله هادم ان السعادة أصلها التخصيص (حقيقة) الجمال رياش والحسن صورة والملاحة روح فذلك ستره عليك وهذا سره فيك فاذا سويته ونفخت فيه من روحي (رقيقة) أعطى يوسف شطر الحسن يعني حسن آدم لانه ان لم يكن في الامكان أبدع مما كان وقد خلقه الحق بيده في أحسن تقويم ثم نفخ فيه من روحه لتتم عليه الامر بسجود التحية والتكريم وكان كما قال من أنزل عليه الفرقان خلق الله آدم على صورة الرحمن فآدم اذا كمال الحسن والا فهو المراد لان الشطر يقتضي الحصر والنصف يربع عن الوصف وأعطى محمد صلى الله عليه وسلم كمال الجمال فما أبصره أحد الا هابه وتمام الملاحة فما عرفه شخص الا احبه مع ابناء نوره في الآباء بأن أبوة المعنى لسيد نجباء الابناء كما قال العارف عمر

واني وان كنت ابن آدم صورة * ولي فيه معنى شاهد بأبوتي

(حقيقة) لا يثنينك الخوف عن قرع الباب فتيأس فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ولا يدنينك الرجاء من الفترة فتأمن فانه لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون فان لم تستطع بعد الحرص أن تعدل فلا تمل كل الميل مع النفس ان النفس لامارة بالسوء (رقيقة) ارفع قصتك في رقعة الاقبال على كف الرجاء خافضا من طرف الحياء وصوت الادلال عاكفا في زاوية الانكسار من وراء ستر الخوف يخرج عليك حاجب القدر من باب الكرم بتوقيع فاستحساله *(ومنه)* (حقيقة) صدق مجاهدة الفاروق أيقظ الوسنان وطرد الشيطان وارضى الرحمن فما زال بسلامة ما سلكت فجا الا سلك الشيطان فجا غير فجك وحقق مشاهدة الصديق اسمع من ناجى فحاز عيمة لو كشف الغطاء ما ازداد يقينا (رقيقة) ذهب أبو بكر في السابقين ولحق عمر بأهل اليقين فما أدرك الصديق اداء التصلية حتى استدرك الفاروق قضاء التقفيه

ولو كنت في أهل اليمين منعما * بكيت على ما فات من زمن الصبا

نهاري نهار الناس حتى اذا دجا * لي الليل هزتني اليك المضاجع
أقضي نهاري بالحديث وبالمنى * ويجمعني والهم بالليل جامع

(حقيقة) حجب الطالب أربعة فحجاب الغيرة قاذع قيل لبعضهم أتحب أن تراه فقال لا قيل ولم قال أجل ذلك عن نظر مثلي * وحجاب التيه قامع نزل فقير على ابن عجور فيما هي تصلح له الطعام غشي على الفتى فسألها الفقير فقالت له انه يهوى ابنة عم له بتلك الخيمة فخطرت فاشتم غبار ذيلها فذهب الفقير ليحطها عليه فقالت اذا لم يطق غبار ذيلي فكيف يستطيع أن يشاهدني * وحجاب الحيرة دافع ومن ثم حلا لارباب العيبة قال بعضهم يادليل الحائرين زدني تحيرا ومرّ على أصحاب الرغبة والرهبة كما قال

قد تحيرت فيك خذ بيدي * يادليلا لمن تحير فيكا

* وحجاب الغفلة قاطع كان بعضهم يقول ان عذبتني بشئ فلا تعذبني بذل الحجاب ونظر آخر الى امرأة فوقع عليه سهم فعوره وعليه مكتوب نظرت بعين العورة فرميناك بسهم الادب ولو نظرت بعين الشهوة لرميناك بسهم القطيعة (رقيقة) حدث أن ابن الفارض دخل على الشيخ عز الدين وقد ذهب به التفكر فيما له عند الله عز وجل فكاشفه بأن أنشده من قصيدة له

لك البشارة فاخلع ما عليك فقد * ذكرت ثم على ما فيك من عوج

فمدرته البشاشه وأظن أن قد خلع قماشه (حقيقة) وقفت ذات يوم بالجبانه واستفهمت اسمي هل عرف منها مكانه فاملي بعد هنياة من نطمه ماوقفت منه على حقيقة مطلع عليه

كل ميت رأته عيني فاني * ذلك الميت ان نظرت بقلبي
وجميع القبور قبري لولا * جهل نفسي عالها عد ربي

(رقيقة) أهم ما على السالك مراعاة قلبه أن يتلف في تقلبه فذلك فساد حاله وذهاب رأس ماله تزوج فقير ولبس ثياب العرس فطلب قلبه فلم يجده فصاح خلقاني فأعطوه فأخذها وخرج (حقيقة) حجب المطلوب ثلاثة * فحجاب التيه جمال كما قال العارف عمر

تيه دلالا فأنت أهل لذاكا * وتحكم فالحسن قد ولاكا

وحجاب العزة جلال

همت باتيانا حتى اذا نظرت * الى المرآة نهاها وجهها الحسن

وحجاب الكبرياء كمال أنشدت رابعة

أحبك حبين حب الهوى * وحبا لانك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى * فشغلي بذكرك عمن سواكا
وأما الذي أنت أهل له * فأن ترفع الحجب حتى أراكا
وما الحمد في ذا ولا ذاك لي * ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

وهذا معنى ما في الصحيح وما بين أهل الجنة وبين أن ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن * (ومنه) * (حقيقة) الآثار منصة التجلي فمن لم يرزم هلب ويتفكرون زار غير عزون وبطل رصد الحجاج (رقيقة) من تفكر تذكر ومن تذكر تبصر فان أكمل

ذلك قوله هذه لمحة العارض لتكملة ألفية ابن الفارض سلب الدهر من زائدها مائة وسبعة وسبعين فاستعنت على ردها بحول الله المعين (من فصل الاقبال)

رفضت السوى وهو الطهارة عندما * تلفعت في مرط الهوى وهو ريبتي

وجئت الحي وهو المصلى ميمما * بوجهة قلبي وجهها وهو قبلتي

وقت وما استفتحت الا بذكرها * وأحرمت احراما لغير محلة

فسدي ان لاحت ركوع وان دنت * سجود وان لاحت قيام بحسرة

على أنني في القرب والبعد واجد * تألمها بالوصل عين التشتت

وكم من هجير خضت طما آن طاويا * بها وديجور طويت برحلة

وفيها لقيت الموت أحمر والعدا * بزرقة اسنان الرماح وحدة

وبيني وبين العدل فيها منازل * تسيك ايام الفجار ومؤتة

ولما اقتسما خطتينا فحامل * لحار بلا أجر وحامل بزة

خلا مسمعي من ذكرها فاستعدته * فعاد ختام الامر أصل القضية

وكم لي على حكم الهوى من تجلد * دليل على أن الهوى من سجيتي

يقول سميري والاسا سالم الاسى * ولا توضع الاوزار الا لمحنة

لو أن مجوسا بت موقد نارها * لما طل الا منهلا ذا شريعة

ولو كنت بحرا لم يكن فيه نضحة * لعين اذا نار الغرام استحرت

فلا ردم من نقب المعاول آمن * ولا هدم الا لشد بقوة

فثم تقول الاسفطسات منك أو * علام مراح ركبت أو طبيعة

فان قام لم يثبت له منك قاعد * والا فأنت الدهر صاحب قعدة

فما أنت يا هذا الهوى ماء أو هوا * أم النار أم دساس عرق الامومة

واني على صبري كما أنا واصف * وحالي أقوى القائمين بحجة

اقل الضنى أن عج من جسمي الضنى * وما شاكه معشار بعض شكيتي

وأيسر شوقي انني ما ذكرتها * ولم انسها الا احترقت بلوعة

وأخفى الجوى قرع الصواعق منك في * جواي وأخفى الوجد صبر المودة

وأسهل ما ألقى من العذل أنني * أحب اولى ذكرها وفضيحتي

وأوح حظوظي اليوم منها حضيضها * بالامس وسل حر الجفون العزيزة

وأوجر أمري أن دهري كله * كما شاءت الحسناء يوم الهزيمة

أروح وما يلقى التأسف راحتي * وأغدو وما بعد والتفجع خطتي

وكالبيض بيض الدهر والسمر سوده * مساءتها في طي طيب المسرة

وشأن الهوى ما قد عرفت ولا تسل * وحسبك ان لم يخبر الحب رؤيتي

سقام بلا برء ضلال بلا هدى * أوام بلا ري دم لا بقيمة

ولا عتب فالايام ليس لها رضا * وان ترض منها الصبر فهو تعنتي

ألا أيها اللوام عني تقوموا * ركاب ملامي فهو أول محنتي

وبث غرام والحبيب بحضرة * ورد سلام والرقيب بغفلة
ومطلع بدر فى قضيب على نقا * فريق محل عاطل دون دجية
ومكمن سحر بابلى له ظبا * حوت أضالعى فعل القنا السمهرية
ومنبت مسك من شقيق ابن منذر * على سوسن غض بجنة وجنة
ورصف اللآلى فى اليواقيت كلما * تعل بصرف الراح فى كل سحرة
سل السلسبيل العذب عن طعم ريقه * وبكهته يخبرك عن علم خبرة
ورمان كافور عليه طوابع * من الند لم تحمل به بنت مزنة
ولطف هواء بين خفق ورقة * ورقة ماء فى قوارير فضة
لقد عز عنك الصبر حتى كأنه * مراقبة لحظ منك للمتلفت
وأنت وان لم تبق منى صبابة * منى النفس لم تقصد سواك بوجهة
وكل فصيح منك يسرى لمسمعى * وكل مليح منك يبدو لمقلتى
تهون على النفس فيك وانها * لتكرم أن تغشى سواك بنظرة
فان تنظريني بالرضا تشف علتى * وان تطفرى باللقا تطف غلتى
وان تذكرينى والحياة بقيدها * عدلت لامنى منيتى بمنيتى
وان تذكرينى بعدما أسكن الثرى * تجلت دجاه عند ذاك وولت
صبابتى والاجد ذى الوعد تدركى * صبابة نفس ايقنت بتفلت
فما ام توها لك بتوفة * أقيم لها خلف الحلاب فدرت
فلما رأته لا ينازع خلفها * اذا هى لم ترسل عليه وضنت
بكت كلما راحت عليه وانها * اذا ذكرته آخر الليل حنت
بأكثر منى لوعة غير أننى * رأيت وقار الصبر أحسن حلية
فرحت كما اغدو اذا ما ذكرتها * اطامن احشاءى على ما اجنت
اهون ما ألقاه الامن القلى * هوى ونوى نيل الرضا منك بغيتى
أحوض الصلى اطفى العلا والعلا ولا * أمل السلا ارعى الحلى بين عبرتى
ألا قاتل الله الحمامة غدوة * لقد أصلت الاحشاء نيران لوعة
وقاتل مغناها وموقف شجوها * على الغصن ماذا هيجت حين غنت
فغنت غناء اعجميا فهيجت * غرامى من ذكرى عهود تولت
فأرسلت الاجفان سحبا وأوقدت * جوى الذى كانت ضلوعى أكنت
نظرت بصحراء البريقين نظرة * وصلت بها قلبى فصل وصلت
فيا لهما قلما شجيا ونظرة * حجازية لو جن طرف لجنت
ووا عجبا للقلب كيف اعترافه * وكيف بدت أسراره خلف ستره
وللعين لما سوئلت كيف أخبرت * وللنفس لما وطنت كيف ذلت
وكنا سلكنا فى صعود من الهوى * يسامى بأعلام العلا كل رتبة
الى مستوى ما فوقه فيه مستوى * فلما توافينا ثبت وزلت

وفي كل ما في الكون من عجب وما * سوى الكون الا ناطقاً بحجية
فلا سر الا وهو بيـــه سريرة * ولا جهر الا وهو فيه كخلية
سل الذكر عن اتصاف أصناف ما بنى * عليه الكلام من حروف سليمة
وعن وصفها في نعتها والنوع ما * أتت فيه أمضى عقدها وثبتت
ولابد من رمز الكنوز لدى الحجا * ولا ظلم الا ظلم صاحب حكمة
ولولا سلام ساق للامن خيمتي * لما حل من البرد خوفي لميتتي
ولولم تداركني ولكن بعطفها * درجت رجائي ان تعني خيبتي
ولولم تؤانسني عما قبل لم ولم * قضى العتب مني بغية بعد وحشتي
ونعم اقامت امر ملكي بشكرها * كما هونت بالصبر كل بلية

(ومن فصل الاعتقال)

سرت بفؤادي اذ سرت فيه نظرتي * وسارت ولم تثن العنان بعطفة
وذلك لما اطلع الشمس في الدجى * محيا ابنة الحي في خير املة
يمانية لو أنجدت حين أنجدت * لما أبصرت عيناك حبا كحبتي
لا عصمة في نعتها قدم بي * لكل نجاشي بها حصن ذمة
ألمت فخطت رحلها ثم لم يكن * سوى وقفة التوديع حتى استقلت
فلو سمحت لي بالتفات وحل من * مهاوي الهوى والهون جد تعلتي
ولكنها همت بنا فتذكرت * قضاء قضاة الحسن قدما فصدت
اجلت حبالا انني لا احله * ولم انس منه لعسير ذلة
على أني كلي وبعضي حقيقة * وباطل أوصافي وحق حقيقتي
وجنسي وفصلي والعوارض كلها * ونوعي وشخصي والهواء وصورتي
وجسمي ونفسي والحشا وغرامه * وعقلي وروحانيتي القدسية
وفي كل لفظ عنه ميل لمسمعي * وفي كل معنى منه معنى للوعتي
ودهري به عيد ليوم عروبة * وأمري أمري والورى تحت قبضتي
ووقتي شهود في فناء شهدته * ولا وقت لي الا مشاهد غيبة
أراه معي حسا ووهما وانه * مناط الثريا من مدارك رؤيتي
وأسمعه من غير نطق كأنه * يلقن سمعي ما توسوس مهجتي
ملأت بأنوار المحبة باطني * كذلك نوري سرار سريرتي
وجليت بالاجلال أرجاء ظاهري * كأنك في أفق كواكب زينة
فانت الذي اخفيه عند تستري * وأنت الذي ابديه في حين شهرتي
فمنه أحتمل واقطع أصل واعل أستمل * ومر أمتثل واملل أمل وارم أثبت
فقلبي ان عاتبته فيك لم أجد * لعتبي فيه الدهر موقع نكتة
ونفسي تموعن سواك نفاسة * فلا تنتمي الا اليك بنسبة
تعلقت الآمال منك بفوق ما * أرى دونه ما لا ينال بحيلة

وقال مما قلته مذيلا به قول القاضي ابي بكر بن العربي

اما والمسجد الاقصى * وما يتلى به نصا
لقد رقصت بنات الشو * ق بين جوانحي رقصا

قولي

فأقلع بي اليه هوى * جناحا عزمه قصا
أقل القلب واستعدى * على الجثمان فاستعصى
فقمت أجول بينهما * فلا أدنى ولا أقصى

(قال رحمه الله تعالى) ومما قلته في التورية بشأن راوي المدونة

لا تعجبن لظبي قد دها أسدا * فقد دها أسدا من قبل سحنون

(ومن نظم مولاي الجد) مما لم يذكره في الاحاطة قوله حسبما ألفي بخطه على ظهر نسخة من تآليفه القواعد

ناديت والقلب بالاشواق محترق * والنفس من حيرة الابعاد في دهش
يا معطشي من وصال كنت آمله * هل فيك لي فرح ان صحت واعطشي

(ومن نظمه) ما اسنده الونشريسي اليه

خالف هواك لعقلك طائعا * تجد الحقيقة عند طرف الناظر

(ومنه) مما نسبه له المذكور ورأيت من ينسبها لغيره

لما رأيتك بعد الشيب يا رجل * لا تستقيم وأمر النفس تمتثل
زدنا يقينا بما كنا نصدقه * بعد المشيب يشب الحرص والامل انتهى

(وفي الاحاطة) في ترجمة شعره ما صورته قال ومما قلته من الشعر وبه نختم الكلام

أنت عودا بنعماء بدأت بها * فضلا وألبستها بعد اللحى الورقا
ظلت مستشعرا مستدثرا ارجا * ريان دا بهجة يستوقف الحدقا
فلا نشبه بكروه الجني فلكم * عودته من جميل من لدن خلقا
وانف القذى عنه وائد الدهر سنته * وغذه برجاء وانفه غدقا
واحفظه من حادثات الدهر أجمعها * ما جاء منها على ضوء وما طرقا

انتهى ما قصدته من ترجمة مولاي الجد على ما اقتضاه الوقت ولو أرسلت عنان القلم في شأنه لضاق هذا الديوان عن ذلك ورحم الله شيخ شيوخ شيوخنا عالم المغرب سيدي أبا العباس الونشريسي ثم التلمساني نزيل فاس صاحب المعيار وغيره اذ قال في تأليفه الذي عرف فيه بمولاي الجد لما أله بعضهم في ذلك وذكر ما حصره ما نصه ولقد استوفى شيخ شيوخنا المحقق النظار أبو عبد الله بن مرزوق الحفيد ترجمة المقري في كتاب سماه النور البدري في التعريف بالفقيه المقري انتهى وقد تقدمت الاشارة الى أن اسم هذا التأليف مبني على أن المقري بفتح الميم وسكون القاف وقد علمت ما في ذلك مما مضى قلت وقد ملكت بفاس مجلدا ضخما بخط مؤلفه وهو أحد علماء مدينة فاس ألفه برسم مولاي الجد وسماه بالزهر الباسم وأطال فيه في مدح مولاي الجد والثناء عليه والتنويه بقدره

وبعض صحيح مسلم كلها تفقها وعن الشيخ الفقيه العالم أبي محمد عبد النور العمراني الموطأ والعربية وعن الامام العالم أبي عبد الله الابي الارشاد لابي المعالي وجميع كتاب ابن الحاجب الاصلي وعقيدة ابن الحاجب تفقها وعن الشيخ الفقيه الحافظ أبي الحسن الصرصري بعض التهذيب تفقها وعن الشيخ الاستاذ المقرى الصالح أحمد بن عبد الرحمن الحاصى شهر بالمكناسي كثيرا من جمل الزجاج وتسهيل ابن مالك وعن الشيخ الفقيه الصالح ابى مهدى عيسى المصمودي جميع كتاب ابن الحاجب والحاجبية له أيضا تفقها وتفقه على الفقيه العالم أبي محمد الواتعلي في كتاب ابن الحاجب الفقهي وأخذ عنه حرف نافع وعن الشيخ الفقيه الصالح المدرس بالحلفاويين أبي محمد عبد الله القستالي كثيرا من التهذيب وعن قاضي الجماعة وخطيب الحضرة أبي عبد الله محمد ابن أحمد القستالي كثيرا من التهذيب تفقها وكذا عن غيرهم ولقي بسلا الشيخ الحاج الصالح السني الزاهد الورع أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر وأقام معه ومع أصحابه سنين عديدة قال قصدتهم لوجدان السلامة معهم ثم رحل لطنجة فلقي بها الشيخ الصوفي أبا مروان عبد الملك لازمته كثيرا وقرأت عليه وسمعت منه وأنشدني من شعره وشعر غيره وترددت بيني وبينه مسائل في اقامته بسلا وانتفعت به عظيما في التصوف وغيره وأجازني اجازة عامة مولده برندة عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة وتوفي بعد العصر يوم الجمعة ثالث رجب عام اثنين وتسعين وسبعمائة وحضر جنازته الامير فمن بعده وهمت العامة بكسر نعشه تبركا به ولم أر جنازة أحفل ولا أكثر خلقا منها ورثاه الناس بقصائد كثيرة انتهى كلام السراج * وقال غيره في حقه محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن مالك بن ابراهيم بن محمد بن مالك بن ابراهيم ابن يحيى بن عباد النفزي نسبا الرندي بلدا الشهير بابن عباد الفقيه الصوفي الزاهد الولي العارف بالله تعالى * وقال في حقه الشيخ ابن الخطيب القسطيني في كتابه انس الفقير وعز الحقير هو الخطيب الشهير الصالح الكبير وكان والده من الخطباء الفصحاء النجباء ولابي عبد الله هذا عقل وسكون وزهد بالصلاح مقرون وكان يحضر معنا مجالس شيخنا الفقيه أبي عمران العبدوسي رحمه الله تعالى وهو من أكابر أصحاب ابن عاشر ومن خيار تلامذته وأخذ عنه وله كلام عجيب في التصوف وصنف فيه كما هو الآن يقرأ على الناس مع كتب التذكير وله في ذلك قلم انفرد به وسلم له فيه بسببه ومن تصانيفه شرح كتاب الحكم لابن عطاء الله في سفر رأيته وعلى ظهر نسخة منه مكتوب

لا يبلغ المرء في أوطانه شرفا * حتى يكيل تراب الارض بالقدم

ومن كلامه فيه الاستئناس بالناس من علامات الافلاس وفتح باب الانس بالله تعالى الاستيحاش من الناس ومن كلامه فيه من لازم السكون وبقي معه وقصر همته عليه ولم تنفتح له طريق الغيوب الملكوتية ولا خلص له بسره الى فضاء شهادة الوحدانية فهو مسجون بمحيطاته ومحصور في هيكل ذاته الى غير ذلك من كلامه وكان يحضر السماع ليلة المولد عند السلطان وهو لا يريد ذلك وما رأيته قط في غير مجلس جالسا مع أحد وانما حظ من يراه الوقوف معه خاصة وكنت اذا طلبته في الدعاء احمر وجهه واستحيى كثيرا ثم يدعو لي

وأكثر تعيشه من الدنيا بالطلب والحور الكثير ولي أمر خدمه بنفسه ولم يتزوج
ولم يملك أمة ولباسه في دار مرتفعة فإذا خرج ستر هاتوب أخضر أو أبيض وله تلامذة
كلهم أخيار مباركون وبلغني عن بعضهم أنه تصدق حين مات على يده بعشر آلاف دينار
ذهبا وهو الآن إمام جامع القرويين بفاس وخطيبه وأكثر دأبه في صلاة الجمعة إذا خطب
بسم الله وأكثر خطبته وعظ وسببه أن بعض الناس لامه إذ لم يطل في خطبته وقد أوحى الله
تعالى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام يا عيسى عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحي
مني ذكر الغزالي وغيره أنه على صفة الأبدال الصادقين الذين كثر الله مثلهم في الإسلام
انتهى قلت وقد زرت قبر هذا الشيخ بفاس ودعوت الله تعالى عنده وهو عند أهل فاس بمثابة
الشافعي عند أهل مصر ومن من الله سبحانه علي أن سكنت محله لما وليت الخطابة
والإمامة بجامع القرويين بفاس المحروسة مضافا إلى الفتوى والدار المعلومة للخطيب
بالجامع المذكور إلى الآن تدعى بدار الشيخ ابن عباد وأقف على ذلك حين سكنى
وأشهر أمره وقصده الرجال للتبرك بها إلى الآن فيها والله ييسر الخير حيث كان وقال
الشيخ سيدي أحمد زروق في شأن الشيخ ابن عباد إنه ولد برندة ونشأ بها على عفاف وصون
ثم رحل لفاس وتلمسان فقرأ بهما الفقه والأصول والعربية ثم عاد فصحب بها أفضل
أهل زمانه علما وعملا سيدي أحمد بن عاشر نفع الله به فأظهر الله تعالى عليه من بركاته
ما لا يخفى على متأمل ثم نقل بعد وفاة الشيخ فجعل خطيبا بجامع القرويين بمدينة فاس
وأقام خمس عشرة سنة خطيبا وتوفاه الله تعالى ثم بعد صلاة العصر من يوم الجمعة رابع
رجب سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ودفن بكدية البراطيل من داخل باب الفتوح وكان
رضي الله عنه ذا صمت وسمت وتحمل وزهد معظما لدى الكافة معولا في حل المشكلات
على فتح الفتاح العليم

ومن علمه أن ليس يدعى بعالم * ومن فقره أن لا يرى يشتكي الفقرا
ومن حاله أن غاب شاهد حاله * فلا يدعي وصلا ولا يشتكي هجرا

كذا رأيت بخط زروق في نسخته مختصرا مع زيادة ما يخصه وكتبه شاهد بكماله علما
وعملا فهي كافية في ترجمته وكان الذي طلبه في وضع الشرح على الحكم سيدي أبو زكريا
السراج الذي أكثر سماعه وسيدي أبو الربيع سليمان بن عمر انتهى * وقال في موضع آخر
سيدنا العارف المحقق الخطيب البليغ نسيج وحده ومقدم من أتى من بعده أبو عبد
الله قرأ بفاس وتلمسان العربية والأصول والفقه ككتاب الإرشاد ومختصر ابن الحاجب
الفقهي والأصلي وتسهيل ابن مالك وتوفي بفاس وقبره بها مشهور ومزارته معروفة شرقا
وغربا وقد كتب مسائل معروفة أكثرها لسيدي يحيى السراج وله كتب الشرح مع سيدي
سليمان بن عمر الذي قال في سماعه ولي بلا شك نعلم بالدليل وأنت كاتب الإمامة ومما
حكى بن العلامة في أحكام الإمامة ما ذكره الشيخ القوري رحمه الله تعالى وكان به منها
نكتة مع ولا علم أني حاله فقال أطعه لوالده سيدي إبراهيم وقد كان خطيبا بالقصبة إذ كانت
عامرة وله خطب عليها طلاوة حسنة الموقع انتهى * وقال الشيخ أبو يحيى بن السكاك

أما

أما شيخي وبركتي أبو عبد الله بن عباد رضي الله عنه فانه شرح الحكم وعقد درر منثورها في
نظم بديع وجمعت من انشائه مسائل مدارها على الارشاد الى البراءة من الحول والقوة
فيما سند كانفاس الاكابر مع حسن التصرف في طريق الشاذلي وجودة تنزيل على الصور
الجزئية وبسط التعبير مع انتهاء البيان الى أقصى غاياته والتفنن في تقريب الغامض الى
الاذهان بالامثلة الوضعية فقرب بها حقائق الشاذلية تقريبا لم يسبق اليه كما قرب الامام
ابن رشد مذهب مالك تقريبا لم يسبق اليه وكان مع ذلك آية في التحقق بالعبودية والبراءة
من الحول والقوة وعدم المبالاة بالمدح والذم بل له مقاصد نفيسة في الاعراض عن
الخلق وعدم المبالاة بهم وأعظم أخلاقه التي لا يصبر عنها ويضطرب لها غاية الاضطراب
أن يحضر حيث ينسى الحق لاسيما ان كان نسيان الحق بالنسبة اليه فهو الذي يقلقه
ويضيق صدره على اتساعه ونور انشراحه عن ذلك ولقد ذكر بعض من كان من أخص
الناس به ومنقطعا اليه أحوال رجال الرسالة القشيرية والحلية وما نحوا من المواهب
قال فلما مات الشيخ واستبصرت ما أشاهده منه من أفعال تدل على القطع بصديقيته
لاح لي أن تلك الصفات التي يذكر شخصه فيه نشاهدها عيانا ولولم أر الشيخ لقلت انني
لم أركالا وعلى الجملة فهو واحد عصره بالمغرب ذكر لي عن قطب المعقول بالمغرب
والمشرق الابلي انه كان يشير اليه في حال قراءته عليه أعني الشيخ ابن عباد ويقول ان
هنالك علما جما لا يوجد عند مشاهير أهل ذلك الوقت الا انه كان لا يتكلم رضي الله عنه
وشهد له المقطوع بولايتهم بالتقدم وأقروا له بالشيخوخة وتبركوا به كسيدي سليمان
البازغي وسيدي محمد المصمودي وسيدي سليمان بن يوسف بن عمر الانفاسي وأمثالهم
وكان شيخه الحجة الورع أحمد بن عاشر يشيد بذكره ويقدمه على سائر أصحابه ويأمرهم
بالاخذ عنه والانتفاع به والتسليم له ويقول ابن عباد أمة وحده ولاشك انه كذلك كان
أعني غريبا فان العارف غريب الهمة بعيد القصد لا يجد مساعدا على قصده وكان الغالب
عليه الحياء من الله تعالى والتنزل بين يدي عظمته وتنزيله نفسه منزلة اقل الحشرات لا يرى
لنفسه مزية على مخلوق لما غلب عليه من هيبة الجلال وعظمة المالك وشهود المنة تطارا
الى جميع عباد الله تعالى بعين الرحمة والشفقة والنصيحة العامة مع توفية المراتب حقها
والوقوف مع الحدود الشرعية واعتبارهم من حيث مراد الله تعالى بهم هذا دأبه مع
الطائع والعاصي مالم يظهر له من أحد مخايل حب التعظيم والمدح والتجبر على المساكين
ورؤية الحق اذ هي دعوى لا تليق بالعبد ومن كانت هذه صفته فقد وصل حد الخذلان بل
هي علامة تقارب القطع على انه شقي مسلم الى غضب الله تعالى ومقته أعاذنا الله تعالى منه
وكان من حال هذا السيد تألف قلوب الاولاد الصغار فهم يحبونه محبة تفوق محبتهم
لآبائهم وأمهاتهم فينتظرون خروجه للصلاة وهم عدد كثير يأتون من كل اوب ومن
المكاتب البعيدة فاذا رأوه ازدحموا على تقبيل يده وكذا كان ملوك زمانه يزدحمون عليه
ويتذللون بين يديه فلا يحتفل بذلك وذكر لي بعض تلامذته أن أقواله لا تشبه أفعاله لما منحه
الله تعالى من فنون الاستقامة مع ما في كلامه من النور والحلاوة التي استفزت ألباب

الله تعالى أن الشيخ ابن عباد كلم ابن دريدة الوالي في مظلمة فلم يقبل فلما كان يوم الجمعة
ونزل السلطان أبو العباس للصلاة بجامع القرويين وراء الشيخ ابن عباد قال الشيخ في
أثناء خطبته من الامور المستحسنة أن لا يبقى الوالي سنة انتهى وللشيخ ابن عباد خطب
مدونة بالمغرب مشهورة بأيدي الناس ويقرؤن منها ما يتعلق بالمولد النبوي الشريف بين
يدي السلطان تبركا بها وكذا يقرؤنها في المجتمعات في المواسم كأول رجب وشعبان
ونصفهما والسابع والعشرين منهما كرمضان وقد حضرت بمراكش المحروسة سنة عشر
وألف قراءة كراسة الشيخ في المولد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام بين يدي مولانا
السلطان المرحوم أحمد المنصور بالله الشريف الحسني رحمه الله وقد احتفل لذلك المولد
بأمور يستغرب وقوعها جازاه الله تعالى عن نيته خيرا وقد أشرت الى ذلك في كتابي الموسوم
بروضة الآس العاطرة الانفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس
وسردت جملة من القصائد والموشحات في وصف ذلك الصنيع ورحمة الله وراء الجميع
(وانرجع) الى مشايخ لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى فنقول (ومنهم الشيخ الفقيه
القاضي بمكناسة الزيتون أبو محمد عبد الحق بن سعيد بن محمد ذكره في نفاضة الجراب وقال
انه لقيه بمكناسة الزيتون سنة احدى وستين وسبعمائة وكان من أهل المعرفة والحصافة
قائما على كتاب أبي عمرو بن الحاجب في مذهب مالك وكان ممتازا به فيما دون تلمسان قرأه على
الشيخين علمي الافق المغربي أبي موسى وأبي زيد ابني الامام عالمي تلمسان والمغرب جميعا
قال لسان الدين في المفاصة ونصدر المذكور لاقرائه الآن فاشتمل من اطلاع ومعرفة
واطلاع وقيد جزأ نبيلا على فتوى الامام القاضي أبي بكر بن العربي المسماة بالحاكمة
وسماها بالجازمة على الرسالة الحاكمة أجاد فيه وأحسن وقرأت عليه بعضه وأذن لي في
تحمله انتهى (ومن أشياخ لسان الدين الذين لقيهم بمكناسة الزيتون الفقيه الفاضل
الخير يونس بن عطية الونشريسي له عناية بفروع الفقه وولي القضاء بقصر كتامة (ومنهم
الفقيه الفاضل الخير أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي عمرو المتصدر لاقراء كتاب الشفاء
النبوي لديه جملة حسنة من أصول الفقه أشفه بها على كثير من نظرائه قراءة منه اياها على
أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل الصباغ وشاركه في قراءتها على الامام أبي عبد الله الابلي
(ومنهم الفقيه المدرك الاستاذ في فن العربية أبو علي عمر بن عثمان الونشريسي قال
لسان الدين حضرت مذاكرته في مسئلة اعورت عليه وطال عنها سؤاله وهي قول الشاعر

الناس أكيس من أن يمدحوا رجلا * مالم يروا عنده آثار احسان

وصورة السؤال كيف وقوع أفعل بين شيئين لا اشتراك بينهما في الوصف اذ أوقع الشاعر
أكيس بين الناس وبين أن يمدحوا وهو مؤول بالمصدر وشأن المدح ولا يوصف بذلك انتهى
قلت الاشكال مشهور والجواب عنه بصرف من الحمار طاهر وقد أشار اليه أبو حيان
في الارتشاف وجماعة آخرون في قول بعض المؤلفين كصاحب التلخيص أكثر من أن تحصى
ولولا السآمة لذكرت ما قيل في ذلك وخلاصة ما قالوه أن في الكلام تقديرا والله أعلم
(وممن لقيه لسان الدين بمكناسة الزيتون الفقيه العدل الاخباري الاديب المشارك أبو

سعيد أحمد بن سعد بن ابراهيم الازدى القصار من اهل الظرف والانطباع والتسهيل
وهو كاتب عاقد الشروط ناظم ناثر مشارك فى فنون من العلم مولف وقد ذكرنا فى غير هذا
المحل ما دار بينه وبين لسان الدين من المحاورة والمراجعة فليراجع قال لسان الدين
رحمه الله تعالى بأولى المذكور بالسفر الحسن الذى سماه المنهل المورود فى شرح
المقصد المحمود شرح فيه وثائق الجزيرى فأربى شأنا وأفاد وأجاد وأدبنى فى جملة منه
وهو فى أربع مجلدات وأنشدنى كثيرا من شعره (ومنهم القاضى ابو عبد الله بن أبى رمانة)
قال لسان الدين لقيته بمكناسة وكان من أهل الحيا والحشمة وذوى النباهة والعفة
ثم ذكر ما داعبه به مما خرج عن لماته وقد ذكرنا ذلك فى غير هذا الموضع (وممن لقيه
لسان الدين بمكناسة الفقيه العدل ابو على الحسين بن عثمان بن عطية الونشريسى قال
وكان شيخا عدلا من اهل الحساب والقيام على الفرائض والعناية بفروع الفقه
ومن ذوى النباهة والفضل ويقرض الشعر وله أرجوزة فى الفرائض شرطه العبارة
سهوية المعنى انتهى وقال ابن الاحمر فى شيوخه شيخنا الفقيه المفتى المدرس القاضى
الفرضى الاديب الحاج ابو على ابن الفقيه الصالح ابى سعيد عثمان العصابى المعروف
بالونشريسى أجازنى عامة أحمد بن الفقيه المفتى الاديب الخطيب المعمر القاضى
المحدث الراوية شاعر الحضرتين بالمغرب ابى البركات ابن الحاج البلفيقى [illegible] ومولده
فى حدود أربع وعشرين وسبعمائة * وذكر صاحب المعيار المعرب والجامع المغرب عن
فتاوى أهل افريقية والاندلس والمغرب جملة من فتاويه وقال فى وفياته وقد جرى ذكر
ما صورته ان بلده الشيخ القاضى العلامة أبا على الحسن وقعت له قضية مع عدول مكناسة
وذلك أن السلطان أبا عنان فارسا كان أمر بالاقتصار على عشرة من الشهود بمكناسة
وكتب اليه الشيخ أبو على هذه الابيات يشير بذلك على بعض شيوخ العدول المؤخرين
لحداثة من أبى على فلما علم بشعبهم شفع شعرا ورفعه الى مقام المتوكل على الله أبى عنان
(نصه)

بدأت أولا بحمد الله * وشكره على الدوامى
ثم والى بالصلاة والسلام * على نبى دونه كل الانام
وبعد فاسأل رب العالمين * أن يهب النصر أمير المومنين
خليفة الله أبا عنان * لا زال فى نصر وفى أمان
ملكه الله من البلاد * من سوس الاقصى الى بغداد
ونشر العدل والجهادا * وجعل الكل له مهادا
يا أيها الخليفة المظفر * دونك أمرى انه معسر
عندكم كل عظيم الحسن * قد قيل لا يشهد الا ابن اسن
وهو فى أمركم المعهود * من جملة العشر الشهود
نص عليه أمركم تعيينا * وسنه فاتت أربعينا
مع الذى تثبت العداله * من طلب العلم وعينه عليه

علي الفرائض له أرجوزه * أرز في نظامها اريزه
ومجلس له على الرساله * فكيف يرجو حاسد زواله
حاشا أمير المؤمنين ذا كا * وعدله قد بلغ السما كا
وعلمه قد طبق الآفاقا * وحلمه قد جاوز العراقا
وجوده مشتهر في كل حي * قصر عن ادراكه حاتم طي انتهى

(وحكى) بعض الحفاظ أنه لما بلغت الابيات السلطان أمر باقراره على ذلك وقد وقفت على رجزه المذكور وله شرح عليه لم أره والظاهر انه ممن تدبج معه لسان الدين رحم الله الجميع وهو معدود في جملة من لقيه (ومن مشايخ لسان الدين رحمه الله ذو الكرامات الكثيرة والمقامات الكبيرة سيدى الحاج أبو العباس أحمد بن عاشر الصالح المشهور وكان لسان الدين رحمه الله تعالى حريصا على لقائه بسلا أيام كان بها وقد لقيه ولم ينل منه لشدة نفوره من الناس خصوصا أصحاب الرياسة ولذا قال لسان الدين لما ذكر أنه لقيه في نفاضة الجراب ما صورته يسر الله لقاءه على تعسره انتهى (وسنترجم) الولى المذكور في نظم لسان الدين حيث وصفه بقوله بولى الله فابدأ واشدد وقبره الآن بسلا محط رجاء الطالبين وكعبة قصد الراغبين تلوح عليه أنوار العناية وتستمد منه أنواء الهداية وهو على ساحل البحر المحيط خارج مدينة سلا المحروسة وقد زرته ولله الحمد عند توجهي الى حضرة مراكش سنة ألف وتسعة والناس يشدون الرحال اليه من أقطار المغرب نفعنا الله تعالى به وأعاد علينا من بركاته بجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (رجع) الى مشايخ لسان الدين الوزير ابن الخطيب رحمه الله تعالى (ومنهم الاستاذ المحقق العلامة الكبير النحوى الشهير أبو عبد الله محمد بن علي الفخار البيرى رحمه الله تعالى كان شيخ النحاة بالاندلس غير مدافع وأخذ عنه خلق كثيرون كالشاطبي أبي اسحق صاحب شرح الالفية والوزير ابن زمرك وغيرهما وقد حكى عنه مسائل غريبة تلميذه الشاطبي وقال لسان الدين في الاحاطة في ترجمة مشيخته ما صورته ولازمت قراءة العربية والفقه والتفسير والمعتمد عليه العربية على الشيخ الاستاذ الخطيب أبي عبد الله بن الفخار البيرى الامام المجمع على امامته في فن العربية المفتوح عليه من الله تعالى فيها حفظا واطلاعا واضطلاعا ونقلا وتوجيها بما لا مطمع فيه لسواه انتهى * ولنورد بعض فوائد ابن الفخار فنقول ومن فوائد ابن الفخار المذكور التي حكاها عنه الشاطبي قوله حدثني أن بعض الشيوخ كان اذا أتى باجازة يشهد فيها سأل الطالب المجاز عن لفظ اجازة ما وزنه وما تصريفه ثم قال الشاطبي ولما حدثنا بذلك سألناه عنها فأملى علينا ما نصه وزن اجازة في الاصل افعالة وأصلها اجوازة وأعلت بنقل حركة الواو الى الجيم حملا على الفعل الماضي استثقالا فتحركت الواو في الاصل وانفتح ما قبلها في اللفظ فانقلبت ألفا فصارت اجاازة بالفين فحذفت الالف الثانية عند سيبويه لانها زائدة والزائد أولى بالحذف من الاصلي وحذفت الاولى عند الاخفش لانها لا تدل على معنى وهو المذهب وقول سيبويه أولى لانه قد ثبت عوض التاء من المحذوف في نحو زنادقة والتاء زائدة وتعويض الزائد من الزائد أولى من تعويض الزائد من الاصلي

للتناسب ووزنه فانى اللهم عبد سوء بالياء وعند الاخفش اياه لان المعنى عبد مجدوده
انتهى * وقال الشاطبى رحمه الله تعالى لما توفى شيخنا الاستاذ الكبير العلم الخطير
أبو عبد الله بن الفخار سألت الله عز وجل ان يريه فى المنام فيوصينى بوصية أنتفع بها فى
الحالة التى أنا فيها من طلب العلم فلما نمت فى تلك الليلة رأيت كأنى ادخل عليه فى دار
التى كان يسكن بها فقلت له يا سيدى أوصنى فقال لى لا تعترض على أحد ثم سألنى بعد ذلك
فى مسئلة من مسائل العربية كان يوردها لى فأجبته عنها ولا أذكرها الآن انتهى * وقال
الشاطبى ايضا ما صورته حدثنا الاستاذ الكبير الشهير أبو عبد الله محمد بن الفخار شيخنا
رحمه الله تعالى قال حدثنى بعض المذاكرين ان ابن حسن لما ورد علينا قصد
الامراء بها احتج اليه من طلبها فألقوا عليه مسائل من غرائب الاستعمال فحاد عن
الجواب عنها بأن قال انهما قد تكرر واحد يعنى أن ما ألقوا عليه من المسائل انما
هما فى رجل واحد وهو ابن الربيع فكأنه انما خاطب رجلا واحدا ازدراه
ثم فاستدلوا أصغر القوم سنا وعلما ان قال له ان كنت بالمكان الذى زعم فأجبنى عن هذه
المسائل من باب معرفة علامات الاعراب التى اذكرها لك فان أجبت فيها بالصواب لم نغط
بذلك فى موضعه فالمعرفة بالعلم التى بها تدل على الادراك والتحصيل وان أخطأت فيها لم
تستقل هذا البلد وهى عشر الاولى انتم ترمدون تعرون والثانية انتن باهدات تعرون
والثالثة انتم ترمدون وباهدات تعرون والرابعة انتن باهدات تعسين والخامسة
أنت باهدة تعسين والسادسة أنت باهدة ترمين والسابعة انتن باهدات ترمين والثامنة
انتن باهدات تعرون أو تعمين كيف تقول والتاسعة أنت باهدة تعمين أو تعرين كيف
تقول والعاشر أنتما تعروان أو تعميان كيف تقول وهل هذه الافعال كلها مبنية
أو معربة أو بعضها مبنى وبعضها معرب وهل هى كلها على وزن واحد أو على أوزان
مختلفة فلما سمع السؤال وعلم العجز لعلم الجواب فهب الشيخ وسهل الحال بأن قال انما
يسأل عن هذا صغار الولدان فقال له الفتى أيستدرك ان لم تجب فارتبع الشيخ وقال
هذا شر أدب وخرج من مصر ولم يقم الا قليلا حتى توجه الى غرناطة حرسها الله تعالى
ولم يزل ملازم الوزير ابن الحكيم الى ان مات رحمه الله تعالى عليه انتهى ثم قال الشاطبى
والجواب عن هذه المسائل ما نذكر أما الجواب عن تعرون الاولى فانه معرب ووزنه أصله
تفعلون واصله تعرون وعن الثانية فهى للغائبين الاناث ووزنه تفعلن وعن الثالثة
على التغليب فهى ردّ للاول فهو كالاول والثانى كالثانى وأما تعسين من الرابعة فهى
للمؤنث ووزنه تفعلى وعن الخامسة فمعرب ووزنه أصلا تفعلين ولفظا تفعين وأما ترمين
فى السادسة فمعرب ووزنه أصلا تفعلين ولفظا تفعين وفى السابعة مبنى للنون ووزنه
تفعلن وأما تعرون وتعمين فى الثامنة فهى على لفظ الثانى وتمامه مثل النون والتاسعة لا تبالى
الا تعمين فالثامنة لمذكر الغائب ووزنها تفعين كتعسين وأما تعمان فى العاشر فعلى
لغة الالف لا اشكال وعلى الواو فظاهر من كلام النحويين انه لا يجوز الا بالواو انتهى وقد
أورد هذه الحكاية عالم الدنيا سيدى أبو عبد الله محمد بن مرزوق رحمه الله تعالى فى شرحه

الواسع العجيب المسمى تمهيد المسالك الى شرح ألفية ابن مالك ونص محل الحاجة منه وقد حكى أن بعض طلبة سبتة أورد على أبي عبد الله بن خميس عشر مسائل من هذا النوع وهي أنتم يازيدون تغزون وانتن ياهندات تغزون وأنتم يازيدون وياهندات تغرون وانتن ياهندات تخشين وانت ياهند تخشين وأنت ياهند ترمين وأنتن ياهندات ترمين وانتن ياهندات تمحون أوتمحين كيف تقول وانت ياهند تمحون أوتمحين كيف تقول وانتما تمحوان أوتمحيان على لغة من قال محوت كيف تقول وهل هذه الامثلة كلها مبنية أومعربة أومختلفة وهل وزنها واحد أومختلف قالوا ولم يجب بشئ قلت فلعله استسهل أمرها وأما المثال الاول فمعرب ووزنه تفعلون كتسطرون اذ أصله تغزوون فاستثقلت ضمة الواو التي هي لام فحذفت ثم حذفت الواو أيضا لالتقائها ساكنة مع واو الضمير وكانت أولى بالحذف لان واو الضمير فاعل ولغير ذلك مما تقدم بعضه وأما الثاني فبني ووزنه تفعلن كتخرجن وأما الثالث فكالاول اعرابا ووزنا لان فيه تغليب المذكر على المؤنث وأما الرابع فبني ووزنه تفعلن مثل تفرحن لانه لما احتيج الى تسكين آخر الفعل لاسناده الى نون جماعة النسوة ردت الياء الى أصلها لانها انما قلبت الفا لتحركها وانفتاح ماقبلها والآن ذهبت حركتها لاستحقاقها السكون وأما الخامس فمعرب ووزنه تفعلين كتفرحين وأصله تخشيين فقلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ماقبلها ثم حذفت لالتقائها ساكنة مع ياء الضمير وتركت فتحة الشين دالة على الالف وأما السادس فمعرب ووزنه تفعلين كتضربين وأصله ترميين حذفت كسرة الياء الاستثقالها ثم حذفت الياء لاجتماعها ساكنة مع ياء الضمير وأما السابع فبني ووزنه تفعلن كتضربن وأما الثامن والتاسع فمضارع محى ورد بالاوزان الثلاثة فمن قال يمحو قال في المضارع من جماعة النسوة تمحون مثله من غزا بناء ووزنا ومن قال يمحى قال فيه تمحين كترمين بناء ووزنا ومن قال يمحى قال فيه تمحين كتخشين بناء ووزنا ويقال في المضارع للواحدة على اللغة الاولى تمحين كتدعين اعرابا ووزنا وتصريفا وقد تقدم في كلام المصنف وعلى الثانية كما يقال لها من رمى اعرابا ووزنا وتصريفا وعلى الثالثة كما يقال لها من تخشى أيضا وقد تقدما وليس ماوقع في السؤال كما نقل من خط بعض الشارحين انه يقال فيها تمحون كتفرحن بشئ وأمر التثنية ظاهر انتهى بحروفه وماقاله رحمه الله تعالى في الاعتذار عن ابن خميس هو اللائق بمقامه فان مكان ابن خميس من العلوم غير منكر وقد مدحه ابن خطاب بقوله

رقت حواشي طبعك ابن خميس * فهفا قريضك لي وهاج رسيسي
ولمثله يصبو الحليم ويمترى * ماء الشؤون به وسير العيس
لك في البلاغة والبلاغة بعض ما * تحويه من أثر محل رسيس
نظم ونثر لاتبارى فيهما * عربت ذا الدؤذابعلم الطوسي

يعني أبا حامد الغزالي وقال لسان الدين بن الخطيب في عائد الصلة في حق ابى عبد الله محمد ابن خميس التلمساني المذكور ماصورته كان رحمه الله تعالى نسيج وحده زهدا وانقباضا

وأدنا وهمه حسن السه حمل الهسه سلم الصدر طل المسع نعدا عن الربا عاملا على الساحه والعرله عاروا بالمعارف القدمه مطلعا سفار بن الحل واعا على العرسه والاصلى طمه الوب في السعر وحل الاوان في المطول ادرا الماس على احلاب العرب ثم دكر من أحواله حاله الى ان قال وبلع الوزير ابا عبد الله بن الحكم انه يروم السفر فسق ذلك عليه وكتبه يحرل الحدب بحصره ونحرى ذلك فقال السبح اما كالدم الحرل في كل ربع أسوى وقال ابن حاتمة في مرتبة المرتبه لي عمرها بن البلاد الاندلسيه انه نظم في الوزير ابن الحكم القصيدة التي حلت بها لسان الآفاق وسبت عنها صدور الرفاق وكان من فحول السعرا وأعلام البلغا بركب مستصعبات القوافي ويطرق القريض مطاردي الهوادم الناسعه والحوافي حافظا لاشعار العرب واخبارها واله مسارك في اا ملبات وانسراف على الطلب وعدلا الراء العربيه بحصر عرباطه ومال باخر الى التصوف والتحوال والتحلي بحسن السمت وعدم الاسترسال نعدطي بساط مادرط له في ملد من الاحوال وكان صنع الدين نحدثنى نعض بن لعت من الشيوخ انه صنع قديما بن السمع على أندع ما كرن في سكله ولطافه جوهر وانتصاف صنعه وكتب بداربسته

وما كب الازهر في حدسه ● تبسم عن صاحكات الكمام

فقلت بن طرزاطورد بهاأنا ● أو ل ادواه الملوك الاعاظم

واهدا حدمه للوزير أبى عبد الله بن الحكم وأنشدنا شيخنا القاضي أبو البركات بن الحاج وحكى لنا قال انشدنى ابو عبد الله بن حدس وحكى لى قال لما وقفت على الحجر الذى ألقه ابن سعى وسماه بالقدرية كتبت على ظهره

الله ر ء دى لمقادى معما ● من رامه من دوى العالات عماه

كم من عى نعد عن نصور ● أراد كسف معما فعماه

وأنشدنا شيخنا الاستاذ أبو عثمان بن لمون عن ر قال سمعت أبا عبد الله بن حدس ينشد وكان يحسب اسم ماله ويقال اسمها الابن الرومى

رب يوم في ماراهم ● عررصاروا بها عررا

سهروا الاحسان ما هم ● سهرى لورأل ما سهرا

ثم قال ابن حاتمه وقد جمع سعره ودونه صاحبنا القاضي أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الحضرمى في جزء سماه الدر النفيس في شعر ابن حدس وعرف به صدر وقدم ابن حدس المريه سنة ست وسبعمائة فنزل منها في كنف القائد ابى الحسن بن كماسه من خدام الوزير ابن الحكم فوسع له في الابسار والمبر وبسط له وجه الكرامه طلق الاسر وبها قال في مدح الوزير المذكور قصيدة اولها

الفتى نعار الروائع ● عن سكر أنعمك السوائع

ووجه بها اليه وهى طويله ومنها

ورسائع ابن كماسه ● مع كل بارعه وبارع

بانى عماهوى المعا ● نعم من سهام القالع

رمنها

الغى هكذا في الاصل بالسين المهمله ولعله بالشين المعجمه اى غشى الافق بامل اه مصححه

ومنها

ماذاق طعم بلاغة * من ليس للعوني ماضغ

ويقال ان الوزير اقترح عليه أن ينظم قصيدة هائية فابتدأ منها مطلعها وهو قوله

لمن المنازل لا يجيب صداها * محيت معالمها وصم صداها

وذلك آخر شهر رمضان من سنة ثمان وسبعمائة ثم لم يرد على ذلك الى أن توفى رحمه الله تعالى فكان آخر ما صدر عنه من الشعر وقد أشار معناه الى معناه وآذن أولاه بحصور أخراه وكانت وفاته بحضرة غرناطة قتيلا ضحوة يوم الفطر مستهل شوال سنة ثمان وسبعمائة وهو ابن نيف وستين سنة وذلك يوم مقتل مخدومه الوزير ابن الحكيم أصابه قاتله بحقده على مخدومه وكان آخر ما سمع منه أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله واستفاض من حال القاتل أنه هلك قبل أن يكمل سنة من حين قتله من فالج شديد أصابه فكان يصيح ويستغيث ابن خميس يطلبنى ابن خميس يضربنى ابن خميس يقتلنى ومازال الامر يشتد به حتى قضى نحبه على تلك الحال نعوذ بالله من الورطات ومواقعات العثرات انتهى ملخصا (وحكى) غيره أن بعضهم كتب بعد قوله لمن المنازل لا يجيب صداها ما نصه لابن الحكيم

ومن بديع نظم ابن خميس قوله

تراجع من دنياك ما أنت تارك * وتسألها العتبى وها هى فارك
تؤمل بعد الترك رجع ودادها * وشر وداد ما تود الترائك
حلالك منها ما سلالك فى الصبا * فأنت على حلوائه متهالك
تظاهر بالسلوان عنها تجملا * فقلبك محزون وثغرك ضاحك
تنزهت عنها نخوة لا زهادة * وشعر عذارى أسود اللون حالك

وهى طويلة طنانة وفى آخرها يقول

فلا تدعون غيرى لدفع ملمة * اذا ما دهى من حادث الدهر داعك
فما ان لذاك الصوت غيرى سامع * وما ان لبيت المجد بعدى سامك
يغص ويشجى نهشل ومجاشع * بما أورثتنى حمير والسكاسك
تفارقنى الروح التى لست غيرها * وطيب ثنائى لاصق بى صائك
وماذا عسى ترجو لداتى وأرتجى * وقد شمطت منى اللحى والافائك
يعود لنا شرخ الشباب الذى مضى * اذا عاد للدنيا عقيل ومالك

ومما اشتهر من نظمه قوله

أأرق عينى بارق من أثال * كأنه فى جنح ليلى ذبال
أثار شوقا فى ضمير الحشا * وعبرتى فى صحن خدى أسال
حكى فؤادى قلقا واشتعال * وجفن عينى أرقا وانهمال
جوانح تلفح نيرانها * وأدمع تهل مثل العزال
قولوا لوشاة الحب ماشئتم * ما لذة الحب سوى أن يقال
عذرا للوامى ولا عذر لى * فرلة العالم ما ان تقال

قوله وصم صداها فى نسخة وصم صداها ا ه

لرتعت من ذلك الحمى فى جنة * وكرعت من ذاك اللمى فى كوثر
طرقتك وهنا والنجوم كأنها * حصباء در فى بساط أخضر
والركب بين مصعد ومصوب * والنوم بين مسكن ومسعر
بيضاء اذا اعتكرت ذوائب شعرها * سفرت فأزرت بالصباح المسفر
سرحت غلائلها فقلت سبيكة * من فضة أو دمية من مرمر
منحتك ما منعتك يقظانا فلم * تخلف مواعدها ولم تتغير
وكأنما خافت بغاة وشاتها * فأتتك من اردافها فى عسكر
وبجزع ذاك المنحنى ادمانة * تعطو فتسطو بالهزبر القسور
ونفحة جاءتك فى طى الصبا * أذكى وأعطر من شميم العنبر
جرت على واديك فضل ردائها * فعرفت منها عرف ذاك الاذخر
هاجت بلابل نازح عن الفه * متشوق ذاكى الحشى متسعر
واذا نسيت ليالى العهد التى * سلفت لنا فتذكرنها تذكرى
رحنا نغنيها ونرشف ثغرها * والشمس تنظر مثل عين الاحور
والروض بين مفضض ومعسجد * والجو بين ممسك ومعصفر

وكان السلطان امير المؤمنين أبو عنان المرينى رحمه الله تعالى كثير العناية بنظم ابن خميس وروايته قال رحمه الله تعالى انشدنا القاضى خطيب حضرتنا العلية أبو عبد الله محمد بن عبد الرزاق بقصر المصارة عصمه الله قال انشدنا بلفظه شيخ الادباء فحل الشعراء أبو عبد الله بن خميس لنفسه

أبت ولكن بعد طول عتاب * وفرط لجاج ضاع فيه شبابى
ومازلت والعلياء تعنى غريمها * اعلل نفسى دائما بمتاب
وهيهات من بعد الشباب وشرخه * يلذ طعامى أو يسوغ شرابى
خدعت بهذا العيش قبل بلائه * كما يخدع الصادى بلمع سراب
تقول هو الشهد المشور جهالة * وما هو الا السم شيب بصاب
وما صحب الدنيا كبكر وتغلب * ولا ككليب رىء فحل ضراب
اذا كعت الابطال عنها تقدموا * اعاريب غرا فى متون عراب
وان ناب خطب أو تفاقم معضل * تلقاه منهم كل أصيد ناب
تراءت لجساس مخيلة فرصة * تأتت له فى جيأة وذهاب
فجاءها شوهاء تنذر قومها * بتشييد ارجام وهدم قباب
وكان رغاء السقب فى قوم صالح * حديثا فأنساه رغاء سراب
فما تسمع الآذان فى عرصاتهم * سوى نوح ثكلى أو نعيب غراب
وسل عروة الرحال عن صدق بأسه * وعن بيته فى جعفر بن كلاب
وكانت على الاملاك منه وفادة * اذا آب منها آب خير مآب
يجير على الحيين قيس وخندف * بفصل بيان أو بفصل خطاب

دع في أشم بالوهم أدنى لمحة • من ثغرها وأشم مسكة خالها
ما راد طرفي في حديقة خدها • الا انثنى بمحاسن دلالها
أنسيب شعري رق مثل نسيمها • فشمول راحك مثل ريح شمالها
وانقل أحاديث الهوى واشرح غريب لغاتها واذكر ثقات رجالها
واذا مررت برامة فتوق من • أطلالها وتمش في أطلالها
وانصب لمغزلها حبالة قانص • ودع الكرا شركا لصيد غزالها
وأسل جداولها بفيض دموعها • واندب جوانحها بفضل سجالها
امام بقية معشر عركتهم • هذي النوى عرك الرحى بثفالها
اكرم بها فئة أريق نجيعها • بغيا فراق العين حسن مآلها
حلت مدامة وصلها وحلت لهم • فأنا انتشوا فبها لهوها وحلالها
بلغت بهرمس غاية ما نالها • أحد وناء لها البعد منالها
وعدت على سقراط سورة كأسها • فهريق ما في الدن من جريالها
وسرت الى فاراب منها نفحة • قدسية جاءت بنصة آلها
ليصوغ من ألحانه في حانها • ما سوغ القسيس من ارمالها
وتغلغلت في سهرورد فأسهرت • عينا بؤرقها طروق خيالها
فخبا شهاب الدين لما أشرقت • وخوى فلم يثبت لنور جلالها
ماجن مثل جنونه أحد ولا • سمعت بذي صبا عقل نوالها
وبدت على الشوذي منها نشوة • مالاح منها غير لمعة آلها
بطلت حقيقته وحالت حاله • فيما يعبر عن حقيقة حالها
هذي صبابتهم ترق صبابة • فبروق شاربها صفاء زلالها

قوله الشوذي في نسخة الشوذي اه

وهي طويلة قال السلطان أبو عنان رحمه الله تعالى أخبرني شيخنا الامام العالم العلامة وحيد زمانه أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الابلي رحمه الله تعالى قال لما توجه الشيخ الصالح الشهير أبو اسحق التنيسي من تلمسان الى بلاد المشرق اجتمع هنالك بقاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد فكان من قوله له كيف حال الشيخ العالم أبي عبد الله بن خميس وجعل يحليه بأحسن الاوصاف ويطنب في ذكر فضله فبقي الشيخ أبو اسحق متعجبا وقال من يكون هذا الذي حليتموه بهذا الحلي ولا أعرفه ببلده فقال له هو القائل عجبا لها أيذوق طعم وصالها قال فقلت له ان هذا الرجل ليس عندنا بهذه الحالة التي وصفتم انما هو عندنا شاعر فقط فقال له انكم لم تنصفوه وانه لحقيق بما وصفناه به قال السلطان وأخبرنا شيخنا الابلي المذكور أن قاضي القضاة ابن دقيق العيد كان قد جعل القصيدة المذكورة بخزانة كانت له تعلو موضع جلوسه للمطالعة وكان يخرجها من تلك الخزانة ويكثر تأملها والنظر فيها ولقد تعرفت انه لما وصلت هذه القصيدة الى قاضي القضاة تقي الدين المذكور لم يقرأها حتى قام اجلالا لها انتهى وكان ابن خميس رحمه الله تعالى بعد مفارقة بلده تلمسان سقى الله أربعاءها أنواء نيسان كثيرا ما يتشوق لمشاهدها ويتأوه عند تذكر معاهدها وينشد

يردّدها عيا بها الدهر مثل ما * يردّد حرف الفاء فى النطق فأفاء
فيا صبر لا نال الردى منه ما اشتهى * ترى هل لعمر الانس بعدك انساء
وهل للظى الحرب التى فيك تلتظى * اذا ما انقضت أيام بؤسك اطفاء
وهل لى زمان أرتجى فيه عودة * اليك ووجه البشر أزهر وضاء

ومنها

احن لها ما اطت النيب حولها * وما عاقها عن مورد الماء اظماء
فما فاتها منى نزاع على النوى * ولا فاتنى منها على القرب اجشاء
كذلك جدى فى صحابى وأسرتى * ومن لى به فى أهل ودى ان فاءوا
ولولا جوار ابن الحكيم محمد * لأفات نفسى من بنى الدهر اقماء
حمانى فلم تنشب حماى نوائب * بسوء ولم ترزأ فؤادى أرزاء
وأكفاء بيتى فى كفالة جاهه * فصاروا عبيدا لى وهم لى أكفاء
يؤمّون قصدى طاعة ومحبة * فما عمته عافوا وما شئته شاءوا
دعانى الى المجد الذى كنت آملا * ولم يك لى عن دعوة المجد ابطاء
وبوّأنى من هضبة العز تلعة * يناجى السها منها صعود وطأطاء
يشيعنى منها اذا سرت حافظ * ويكلؤنى منها اذا اعتبت كلاء
ولا مثل نومى فى كفالة غيره * وللذئب المام وللصل الماء
بغيضة ليث أو بعقرب خالب * تمر كسابه وتقطع اكساء
اذا كان لى من نائب الملك كافل * ففى حيثما دومت كن وادفاء
واخوان صدق من صنائع جاهه * يبادرنى منهم قيام وايلاء
سراع لما يرجى من الخير عندهم * ومن كل ما يخشى من الشر ابراء
اليك أبا عبد الاله صنعتها * لرومية فيها لوجدى افشاء
مبرّأة مما يعيب لرومها * اذا عاب اكفاء سواها وايطاء
أذعت بها السر الذى كان قبلها * عليه لاحناء الجوانح اضناء
وان لم يكن كل الذى كنت آملا * وأعوز كلاء فما عاز اكفاء
ومن يتكلف مفعما شكر منة * فانى الى ذاك التكلف الجاء
اذا متشد لم يكن عنك منشئ * فلا كان انشاد ولا كان انشاء

(رجع الى ترجمة ابن الفخار وفوائده) قال الشاطبى حدثنا الاستاذ الكبير ابو عبد الله بن الفخار قال جلس بعض الطلبة الى بعض الشيوخ القرويين وأبى المقرى يسئله الزوائد الاربع فى أول الفعل المضارع وقال يجمعها قولك أتين فقال له ذلك الطالب لو جمعتها بقولك انيت لكان املح ليكون كل حرف تضعيف ما قبله فالهمزة للواحد وهو المتكلم والنون لاثنين وهما الواحد ومعه غيره والواحد المعظم نفسه والياء لاربعة للواحد الغائب وللغائبين وللغائبات والتاء لثمانية للمخاطب وللمخاطبة وللمخاطبين وللمخاطبات وللمخاطبتين والمخاطبات وللغائبة وللغائبتين فاستحسن الشيخ ذلك منه (وحكى) الشاطبى

قال ابن جنى ان الفارسى اعتذر له بما يكاد يكون عذرا فلما تم التوجيه قلت له وأنا حينئذ صغير السن هب أن الامر على ما قاله الاخفش من أن الكسرة اعرابية فما يصنع ببناء الزمان المضاف الى اذ فى احد الوجهين والاضافة الى المفرد المعرب تقتضى الاعراب دون البناء فتعجب من صدور هذا السؤال منى لصغر سنى وأجاب عنه بانه قد يذهب السبب ويبقى حكمه كما قاله ابن جنى فى اسم الاشارة فى ترجمة سيبويه هذا اعلم ما الكلام من العربية على أن يكون سيبويه وضعه غير مشيربه وتركه مبنيا وأزال سبب البناء ونظر ذلك باب التسوية على ماهو مقرر فى موضعه قال ونظير ذلك ما قرر من اضافة حيث الى المفرد مع بقاء البناء فيما ذكره الزمخشرى وذلك قوله اما ترى حيث سهيل طالعا وقوله أنشدنا ابن الاعرابى لبعض المحدثين

ونحن سعينا بالبلايا المعقل * وقد كان منكم حيث لى العمائم

وقد كان حقها أن تعرب لزوال سبب البناء وهو الاضافة الى جملة وحصول سبب الاعراب وهو الاضافة الى المفرد ولكنه لم يعتبر النادر وأبقى الحكم الشائع (وقال الشاطبى أيضا) كان شيخنا ابن الفخار يأمرنا بالوقف على قوله تعالى فى سورة البقرة قالوا الآن ونبتدئ جئت بالحق وكان يفسر لنا معنى ذلك قولهم الآن أى فهمنا وحصل البيان ثم قيل جئت بالحق يعنى فى كل مرة وعلى كل حال وكان رحمه الله تعالى يرى هذا الوجه أولى من تفسير ابن عصفور له من انه على حذف الصفة أى بالحق المبين وكان يحافظ عليه (وقال الشاطبى) أنشدنى صاحبنا الفقيه الاجل الاديب البارع أبو محمد بن حذلم لنفسه أبياتا أنشدنيها يوم عيد على قبر سيدنا الامام الاستاذ الكبير الشهير أبى عبد الله بن الفخار يرثيه بها

أبا جدنا قد أحرز الشرف المحضا * بأن صار مثوى السيد العالم الارضى
عجبت لما أحرزته من معارف * وشتى معال لم تزل تعمر الارضا
طويت عليه وهو عين زمانه * فيا جفن عين الدهر كم نؤثر الغمضا
لجادك من صوب الحيا كل ديمة * تديم له فى الجنة الروح والحمضا
فها نحن فى عيد الاسى حول قبره * وقوفا فنقضى من عيادته الفرضا
كمثل الذى كنا وقوفا ببابه * بعيد الامانى زائرين له أيضا
ومنا سلام لا يزال يخصه * يذكره من بعض أشواقنا البعضا

قلت وابن حذلم المذكور له باع مديد فى العلم والادب وهو أبو محمد عبد الله بن عبد الله بن حذلم ومن نظمه قوله

أبت المعارف أن تنال براحة * الا براحة ساعد الجد
فاذا ظفرت بها فلست بمدرك * أربا بغير مساعد الجد

وقوله رحمه الله

كم من صديق حال فى وده * ولم أزل أرويه عن محضه
حضوره عين على وده * وغيبه عين على بغضه
ولم أكن أجهل هذا ولا * عجزت أن أجرى على قرضه

وقد ذكرت ذلك فى غير هذا الموضع مع زيادة بلفظ لسان الدين وليراجع فى الباب الخامس من هذا الكتاب *(ومن أشياخ لسان الدين رحمه الله تعالى) قاضى الجماعة الصدر المتفنن أبو عبد الله بن بكر قال فى الاحاطة وقرأت على قاضى الجماعة أبى عبد الله بن بكر رحمه الله تعالى انتهى وقاضى الجماعة عند المغاربة هو بمعنى قاضى القضاة عند المشارقة فليعلم ذلك *وابن بكر المذكور هو محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد بن أبى بكر بن سعيد الاشعرى المالقى من ذرية أبى موسى الاشعرى كان من صدور العلماء وأعلام الفضلاء سذاجة ونزاهة ومعرفة وتفننا فسيح الدرس أصيل النظر واضح المذهب مؤثرا للانصاف عارفا بالاحكام والقراآت مبرزا فى الحديث تاريخا واسنادا وتعديلا وجرحا حافظا للانساب والاسماء والكنى قائما على العربية مشاركا فى الاصول والفروع واللغة والعروض والفرائض والحساب مخصوص الجناح حسن الخلق عطوفا على الطلبة محبا فى العلم والعلماء مطرحا للتصنع عديم المبالاة بالملابس بادى الظاهر عزيز النفس نافذ الحكم تقدم ببلده مالقة ناظرا فى امور العقد والحل ومصالح الكافة ثم ولى القضاء بها فأعز الخطة وترك الشوائب وأنفذ الحق ملازما للقراءة والاقراء محافظا للاوقات حريصا على الافادة ثم ولى القضاء بغرناطة المحروسة سنة ٧٣٧ فقام بالوظائف وصدع بالحق وبهرج الشهود فزيف منهم ما ينيف على سبعين واستهدف بذلك الى معاداة ومناصلة خاض ثبجها وصادم تيارها غير مبال بالمغبة ولا حافل بالتبعة فناله لذلك من المشقة والكيد العظيم ما نال مثله حتى كان لا يمشى الى الصلاة ليلا ولا يطمئن على حالة وجرت له فى ذلك حكايات الى أن عزم عليه الامير أن يرد للعدالة بعض من أخره فلم يجد فى قناته مغمزا ولا فى عوده معجما وتصدر لبث العلم بالحضرة يقرئ فنونا جمة فسمع وخرج وأقرأ القرآن ودرس الفقه والاصول والعربية والفرائض والحساب وعقد مجالس الحديث شرحا وسماعا على انشراح صدر وحفظ محتمل وحصص جناح قال القاضى ابن الحسن انه كان صاحب عزم ومضاء وحكم صادع وقضاء أحرق قلوب الحسدة وأعز الخطة بازالة الشوائب وذهب وفص الحق بمعارفه ونفذ فى المشكلات وثبت فى المعضلات واحتج ونكت وتفقه ونكت *وحدثنا صاحبنا أبو جعفر الشقورى قال كنت جالسا بمجلس حكمه فرفعت اليه امرأة رقعة مضمنها انها محسنة فى مطلقها وتبتغى الشفاعة لها فى ردها فتناول الرقعة ووقع على ظهرها بالاهمال الحمد لله من وقف على ما بالقلوب فليصخ لسماعه اصاخة مغيث وليشفع للمرأة عند زوجها تأسيا بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لبريرة فى مغيث والله يسلم لنا العقل والدين ويسلك بنا سبيل المهتدين والسلام من كاتبه قال الشقورى قال لى بعض الاصحاب هلا كان هو الشفيع لها فقلت الصحيح أن الحاكم لا ينبغى أن يباشر ذلك بنفسه على المنصوص *قرأ ابن بكر المذكور على الاستاذ ابن ابى السداد الباهلى القرآن جمعا وافرادا والعربية والحديث ولازمه وتأدب به وعلى الشيخ الصالح أبى عبد الله بن عياش كثيرا من كتب الحديث وسمع عليه جميع صحيح مسلم الادولة واحدة وأخذ عن الاستاذ أبى جعفر بن الزبير والخطيب ابن رشيد والولى الصالح أبى الحسين بن فضيلة والاستاذ أبى عبد الله

اليه فى كائنة الوباء العظيم بأموالهم وقلدوه عهود صدقاتهم فاستقرفي يده من المال
الصامت والحلي والذخيرة والعدة ماتضيق بيوت أموال الملك عنه وصرف ذلك مصارفه
ووضعه ووفي عهوده فلم يتلبس منه بنقير ولا قطمير وكان مدركا أصيل الرأى قائما على
الفرائض والحساب ثم تخرج وطاب الاعمال وأسعف به علي حال ضنانة وفى ذلك يقول
قريبه صاحبنا الفقيه القاضى أبو الحسن بن الحسن يخاطبه

لك الله يابدر السماحة والبشر * رفعت بأعلى رتبة راية الفخر
ولاسيما لما وليت أمورها * ورقيتها من عذب نائلك الغمر
ودارت قضاياها عليك بأسرها * على حين لاتر يعبي على بر
فقمت بها خير القيام معينا * على الحق تصميم المهندة البتر
فسربك الاسلام يا ابن حامة * وأمست بك الايام باسمة الثغر
تعيد عليك الجد ألسن حالها * وتتلو لما يرضيك من سور الشكر
لذاك أمير المسلمين بعدله * أقامك تقضي فى الزمان على جبر
فأحييت رسم العدل بعد مماته * وغادرت وجه الحكم اسني من البدر
ولكنك استعفيت عنه تورعا * وتلك سبيل الصالحين كما تدرى
فكم من ولي ورعنه لعلمه * به كأبي الحجاج جدك من ذخر
فزاد اتصالا عزه باجتنابه * له وسما قدرا على قنة النسر
جريت على نهج السلامة فى الذى * تعمت له فابشر بأمنك فى الحشر
وأرضاك مولاك الامام بفضله * وأعطاك اعطاء الكرامة والبر
فأنت على الحالين أفضل من قضي * وأشرف من يعيي الي آخر الدهر
لما حزت من شتى المعالى التى بها * تحليت عن أسلافك السادة الغر
صدور ومقامات المعارف كلها * بحور النوال الجم فى اليسر والعسر
هم النفر الاعلون من آل هاشم * وناهيك من مجد أثيل ومن فخر

وهى طويلة انتهى * (ومن أشياخ لسان الدين رحمه الله تعالى) الشيخ الامام الخطيب
الرئيس سيدى أبو عبد الله بن مرزوق ولنلخص ترجمته من الاحاطة وغيرها فنقول هو
محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني يكنى أباعبد الله
ويلقب من الالقاب المشرقية شمس الدين قال أبو الحسن على بن لسان الدين بن الخطيب
فى حقه سيدى وسندى أبي فخر المغرب وبركة الدول وعلم الاعلام ومستخدم السيوف
والاقلام ومولى أهل المغرب على الاطلاق أبقاه الله تعالى وأمتع بحياته وأعانى على
مايجب فى حقه قاله تربيته وولده على ابن المؤلف انتهى يعنى ابن الخطيب وقال لسان
الدين هذا الرجل من طرف دهره ظرفا وخصوصية ولطافة مليح التوسل حسن اللقاء
مبذول البشر كثير التودد نظيف البزة لطيف التأني خير البيت طلق الوجه خلوب اللسان
طيب الحديث مقدر الالفاظ عارف بالابواب دربا على صحبة الملوك والاشراف متقاض
لايثار السلاطين والامراء يسحرهم بخلابة لفظه ويمتلهم في الذروة والغارب بتنزله ويهتدي

إلى أغراضهم الكثيرة عدده ويطلع على أسمائهم سلطنة تمرح الدعاة بالوقار والفكاهة بالتسديد والسمة بالبسط عظم البركة لأهل وده والمنصب لإخوانه الف الوقف كثير الاتباع والعالي مسعر الرفاع في سبيل الوساطة محمدي المال عاص المنزل بالطلبة مصادر للدعوة بارع الخط أسمه عند الشيوخ مع الرواية سارك في فنون من أصول وفروع وتفسير كتب وشعر وتسديد وتواليف بلدية والسداد في ذلك فارس ميدان عند فروع ولاجل ذلك رحل إلى المشرق في كنف حسبه بن جناب والد رحمه الله تعالى حج وجاور وولي الخطابة ثم فارقه وقد عرف بالمشرق حقه وشرف وجهه إلى المغرب فاشتمل عليه السلطان أبو الحسن أتم اشتمال الخطة منه وحمله منه على سر وإمام جمعه وخطيب منبر وأمين رسالته فقدم في غرضها على الأندلس أواخر عام ثمانية وأربعين وسبعمائة ولما تالب بالأمير المذكور الحال استقر بالأندلس مقلتا من النكبة في وسط عام أحد وخمسين وسبعمائة وكان قد أقعد للإقراء بالمدرسة من حضرته وفي أخريات عام أربعة وخمسين شرف عنه وجهه في أسلوب طماح ودالة ومدل ذوي رفعة فاعتسم الفرار وانقطع الرعية واتفد في الرحيل الغربة وانصرف عن الرحلة محوطا المدبلة فاستقر بباب ملك المغرب أمير المؤمنين أبي عنان فارس في محل عليه وساط قرب مترك الحال محدي التوسط باحع الشفاعة والله سولا وزيد بن مله •(مسجد) بن كتابه المسمى عجالة المستوفز المستجاز في ذكر من سمع من المشايخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز •(فمن لقيته بالمدينة المشرفة على ساكنها الصلاة والسلام • الإمام العالم العلامة عز الدين محمد أبو الحسن بن علي بن إسماعيل الواسطي صاحب خطتي الإمامة والخطابة بالمسجد الكريم النبوي وأوردتها في مشايخه • ومنهم الشيخ الإمام جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن عيسى الخزرجي السعدي العبادي نقل عن عفيف الدين أبي محمد عبد السلام بن مرزوق وإلى اليمن وغير • والشيخ الإمام خادم الوقف بالمسجد الكريم ونائب الإمامة والخطابة به وسيد الأكداح النبوية هنالك • والشيخ الصالح الفقيه المعمر محي الدين أبو زكريا يحيى بن محمد المغراوي التونسي سمع ابن خليل والنووري • والشيخ نور الدين أبو الحسن علي بن محمد الحجار الفراش بحرم رسول الله والوافد وكان مقصودا من كل قطر • والشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد الصنعاني نائب القضاء بالمدينة • والشيخ الإمام قاضي القضاة بالمدينة شرف الدين بن محرز الأخمي بن الأسيوطي • والشيخ الصالح عز الدين خالد بن عبد الله الطواشي • والشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الله المقدسي سمع ابن مرزوق المصري وغير • والشيخ بهاء الدين موسى بن مسلمة الشافعي المصري الخطيب بالمسجد الكريم بها • والشيخ الخطيب أبو طاهر بن أبي صعصعة الأسواني • والشيخ عفيف الدين المطري • والشيخ الأديب أبو البركات ابن محمد بن محمد الى أربعة عشر أبي التونسي المجاور • والشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد بن فرحون اليعمري التونسي المجاور • والشيخ أبو فارس عبد العزيز بن عبد الواحد بن أبي زكريا التونسي وقرأنا على أبيه القرآن العظيم قال وكان قرأ في علمه بالمدينة عند قبر عليه الصلاة والسلام •

وبمكة شرفها الله تعالى) الشيخ المعمر الثقة شرف الدين أبو عبدالله عيسى بن عبدالله الحجي المكي المتوفى وقد قارب المائة * والشيخ زين الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله ابن محمد بن أبي بكر الطبري المكي * والشيخ الصالح شرف الدين خضر بن عبد الرحمن العجمي * وشيخ شيوخ رباط الاعجام حيدر بن عبدالله المقري * والشيخ مقري الحرم برهان الدين ابراهيم بن مسعود بن ابراهيم الايلي المصري * والشيخ مصلح الدين الحسن بن عبدالله العجمي * والامام الصالح أبو الصفاء خليل بن عبدالله القسطلاني التوزري * والشيخ الامام الصالح أبو محمد عبدالله بن أسعد الشافعي الذي انتهت اليه الرياسة العلمية والخطط الشرعية بالحرم * والشيخ فخر الدين عثمان بن أبي بكر المويري المالكي * والشيخ الامام المدرس بالحرم شهاب الدين أحمد بن الحرازي اليمني * والشيخ قاضي القضاة نجم الدين محمد بن جمال الدين بن عبدالله بن المحب الطبري * والشيخ جلال الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن براجين القشيري التلمساني وقرأ بها على أبيه وألبسه بها الخرقة * والشيخ الملك شرف الدين عيسى بن محمد بن أبي بكر بن أيوب * والشيخة فاطمة بنت محمد بن محمد بن أبي بكر بن أيوب * والشيخة فاطمة بنت محمد بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن ابراهيم الطبري المكية * والشيخ أبو الربيع سليمان بن يحيى بن سلمان المراكشي السفاح * والشيخ قاضي القضاة وخطيب الخطباء عز الدين أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن جماعة الكناني قاضي القضاة بالديار المصرية * (وبمصر * الشيخ علاء الدين القونوي * والتقي السعدي * وقاضي القضاة القزويني وهو شهير الذكر رفيع القدر * وقاضي القضاة البرهان الحنفي * والشرف أقضى القضاة الاخنهي * والشيخ المحدث المسند المدرمحمد بن محمد الفارق * والقطب الحافظ أبو محمد بن منير * والشهاب أحمد الجوهري الحلبي * والمعمر الشرف يحيى المقدسي بن المصري * والشيخ محسن القرشي * والشهاب الحنبلي * وفتح الدين محمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس اليعمري * والشيخ المسند شمس الدين أبو بكر بن سيد الناس أخوه * والامام أبو حيان * والمؤرخ النسابة شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن أبي بكر بن علي بن حاتم بن حليش الربعي المصري يبلغ شيوخه نحو من ألفي شيخ * والشيخ الشمس بن عدلان * والشهاب الدوشي المالكي * والشيخ المتصوف تاج الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن ثعلب المصري مدرس المالكية * والشمس بن كتشغدي الخطابي الصيرفي * والعماد بن المحجم الدمياطي * والتاج الاشعري * والتقي الثعلبي * والفتح بن عبد القوي * والشمس الورجي * والتقي الاشموني * والعلامة التقي السبكي * والمعروف ابن بنت الشاذلي * وأبو الحسن التميمي * والبرهان الذهبي * والشمس الاسواني * والبرهان الحكري * والشمس بن جابر الوادآشي * وأبو محمد عبد الكريم الطوسي * وأبو فارس الزروالي التونسي * وصالح بن عبد العظيم بن يونس * وأبو عبدالله بن القماح * والتاج التبريزي * والشيخ محمود الاصبهاني * والشرف المقيلي * والبرهان السفاقسي * (ومن النساء * الشيخة المسندة ست الفقهاء فاطمة بنت محمد الفيومي البكري *

(وبنابلس) * أسد الدين يوسف بن داود الأيوبي من أبناء الملوك * (وبالشامي)
بالمقدس * علم الدين أبو الحسن علي بن أيوب * وخطيب القدس النور بن الصائغ
الدمشقي * ومحمد بن علي بن هبة الأندلسي * والبرهان الجعبري إمام الخليل * (ومن
أهل دمشق) * البرهان بن الفركاح * والشمس بن مسلم قاضي الحنابلة * (وبالإسكندرية)
أحمد المرادي بن القصاب * وأبو القاسم بن علي بن البراء * والناصر بن المنير *
(وبطرابلس) * الخطيب أبو محمد عمار بن عبد الغفار * (وبتونس) * الزبيدي * والقاضي
ابن عبد الرفيع * والقاضي ابن عبد السلام * وابن راشد * وأبو موسى * والمحدث أبو
عبد الله التلمساني * والحافظ أبو زكريا يحيى بن منصور التلمساني بن الوزير * وأبو محمد
ابن عبد الله بن أبي القاسم بن البراء * (وببلاد الجريد) * الشيخ الخطيب أبو عبد الملك بن
حبون * (وبالزاب) * ابن أبي * والشيخ أبو محمد بن راشد * (وببجاية) الإمام النظار
المجتهد أبو علي ناصر الدين المشدالي * والحافظ بها أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن
بالصف الزواوي * والشيخ الفقيه أبو عبد الله الخطيب المقرئ وغيرهم * (وبتلمسان) *
الشيخان الإمامان ابنا الإمام * وقاضي القضاة بها أبو عبد الله بن هدية * والخطيب
أبو محمد المجاصي * والشريف أبو علي حسن بن يوسف بن يحيى الحسني * والشيخ أبو
عثمان سعيد بن إبراهيم بن علي المعروف بابن أبي هاشم الخياط * وغيرهم * (تتمة) * اقتضى
الغرض الواقع بين يدي السلطان الإمام أبي الحسن رحمه الله تعالى ورد الأمر الله وهي
ألقاء الله إلى الساحل بجهة الجزائر أن بعض عليه سلطان أمراؤها المقبوض عليها
في هذه القصة من بني زيان أرضا لشأنهم العام مداخلته وقد رحل عنهم دفعا عن أمرهم
عثمان بن يحيى أمير في أحوذ عليه طريقه فهاربه له سمكة حرمه واسكن قرار
مطلوع عن العدو فصل السلطان خبرا له لنا في أسير أبي الحصانة (ورأيت) بخط ابن
مرزوق على قوله وقد رحل عنهم دفعنا الى آخر ما نصه لم أرحل عنهم الا بإذنهم وإمرائهم
علي في الاصلاح بينهم لكنهم غدروا بنا على أمنهم قاله ابن مرزوق انتهى وكتب
ه ولد ابن الخطيب ما صورته ثم ماتوا داره الله تجمع الخصوم انتهى * (رجع) الى
كلام لسان الدين في ترجمته قال بعد الكلام السابق ما نصه ولما تم فصل بابه دفعا
كان غرضه من صدقات الركبة وانقطع إلى رأي الناس به ذات الأمر عنه ولزمان
من تحته ظهرت عليه بركة سلفه في سفر طريقه الى الكرامة فضلا ولا سيل كيف
وجلله الله سلاما جميلا وقدم على الأندلس والله يتممه سنه انتهى * (وكتب) ابن
مرزوق على هذا المحل ما نصه لم يكن المسؤول حين قتل من ولا مثل دفعا قاله ابن مرزوق
انتهى * وكتب بعض علماء عصرنا ما نصه هذه دعوى والمؤرخ أعرف انتهى فكتب
آخر بعده هذا ما نصه أعرف من انتهى (رجع) ثم قال لسان الدين في ترجمته شعر
ما صورته ركب مع السلطان بخارج الحمراء أيام ضربت اللوز ونامها البعض وربت
البعض الغراس والروض الأريض فارتجل في ذلك

- انظر الى النوار في أغصانه * يحكي النجوم اذا تبدت في الحلك

حيا أمير المسلمين وقال قد * عميت بصيرة من بغير لك مثلك
يا يوسفا حزت الجمال بأسره * فمحاسن الايام تومى هيت لك
أنت الذى صعدت به أوصافه * فيقال فيه ذا مليك أو ملك

الى أن قال ومن الشعر المنسوب الى محاسنه ما أنشد عنه وبين يديه ليلة الميلاد المعظم عام ثلاثة وستين وسبعمائة

قل لنسيم السحر * لله بلغ خبرى
ان أنت يوما بالحمى * جررت فضل المئزر
ثم حثثت الخطو من * فوق الكثيب الاعفر
مستقريا فى عشبه * مخفى وطء المطر
تروى عن الضحاك فى الـ * ـروض حديث الزهر
مخلق الاذيال بالـ * ـعبير أو بالعنبر
وصف لجيران الحمى * وجدى بهم وسهرى
وحقهم ما غيرت * وذى صروف الغير
لله عهد فيه قد * بت حميد الاثر
أيامه هى التى * أحسبها من عمرى
وباللبال فيه ما * عيب بغير القصر
العمر فينان ووجـ * ـه الدهر طلق الغرر
والشمل بالاحباب منـ * ـظوم كنظم الدرر
صفو من العيش بلا * شائبة من كدر
ما بين أهل تقتطف الانس جنى الثمر
وبين آمال تبيح القرب صافى الغدر
يا شجرات الحى حيا لك الحيا من شجر
اذا أجال الشوق فى * تلك المغانى فكرى
خرجت من خدى حديث الدمع فوق الطرر
وقلت يا خذاروا من * دمعى عباب الجوهرى
عهدى بحادى الركب كالـ * ـورقاء عند السحر
والعيس تجتاب الفلا * والنعملات تنبرى
تخبط بالاخفاف منظـ * ـلوم البرى وهو برى
قد عطفت عن مبد * والتفتت عن حور
فى سير ماسوى الـ * ـعزم لها من وتر
حتى اذا الاعلام حات لحتى البشر
واستبشر النازح بالـ * ـقرب ونيل الوطر
وعين المبقات للسفر نجاح السفر

من أطعم الالف بصاع فى صحيح الخبر
والجيش روّاه بماء * الراحة المنهمر
يانكتة الكون التى * فاتت منال الفكر
ياحجة الله على الشرائع والمنكر
ياأكرم الرسل على الله وخير البشر
يا من له التقدم الحق على التأخر
يامن لدى مولده الـمقدس المطهر
ايوان كسرى ارتج اذ * ضاءت قصور قيصر
وموقد النار طفى * كأنه لم يسعر
ياعدتى ياملجئى * يامفزعى ياوزرى
يامن له اللواء والحوض وورد الكوثر
يامنقذ الغرقى وهم * رهن العذاب الاكبر
ان لم تحقق أملى * بؤت بسعى الخسر
صلى عليك الله يا * ثمال كل معسر
صلى عليك الله يا * نور الدجى المعتكر
ياويح نفسى كم أرى * فى غفلة من عمرى
واحسرتى من قلة الزاد وبعد السفر
يجعى والله بالبرهان وعظ المنبر
ياحسنها من خطب * لو ستركن من نظرى
ياحسنها من شجر * لو أورقت من ثمر
أؤمل الاوبة والامر بكف القدر
أسوّف العزم به * من شهر لشهر
من صفر لرجب * من رجب لصفر
ضيعت فى الكبرة ما * أعددته فى صغرى
وليس مامر من الايام بالمنتظر
وقلما ان حدثت * سلامة فى غرر
ولى غريم لاينى * فى طلب المنكسر
يانفس جدى قد بدا الصبح ألا فاعتبرى
واتعظى بمن مضى * وارتدعى وازدجرى
مابعد شيب الفود من * مرتقب فشمرى
أنت وان طال المدى * فى قلعة وسفر
وليس من عذر يقيم حجة المعتذر
ياليت شعرى والمنى * تسرف طيب العمر

والحمد لله وحصلت الخاتمة ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما انتهى * وكتب ابن لسان الدين على قوله وقلما ان حمدت * سلامة فى غرر مانصه كذلك كان وليت والدى رحمه الله تعالى كذلك انتهى * وكتب على قوله برأيه المأمون الخ مانصه لو كان له رأى مأمون مانزل على قلعة الملك لسكنى القصبة بدخيلة طلب الراحة فضربت عنقه وكانت الراحة منه انتهى * وكتب بعض اثر هذا ماصورته القدر لا يغالب الحذر يمنع مالم يأتك القدر فاذا أتى قدر لم ينفع حذر انتهى وكتب ابن لسان الدين على قوله ولم يقصر مصري ماصورته صدق والله انتهى * ثم قال لسان الدين ووردت باب السلطان الكبير أبي عنان فلون من مشاركته وجهد سعيه مايليق بمثله ولما سكنه لم أقصر عن ممكن حيلة فى أمره فلما هلك السلطان أبو عنان وصار الامر لاخيه المتلاحق من الاندلس أبي سالم بعد الولد المسمى بالسعيد كان ممن دمث له الطاعة وأناخ راحلة الملك وحلب ضرع الدولة وخطب عروس الموهبة فأنشب ظفره فى منابت معقود من لدن الاب مشدود من لدن القرب فاستحكم عن قرب واستغلظ عن كثب فاستولى على أمره وخالطه بنفسه ولم يستأثر عنه بشئ ولا انفرد بما سوى بضع أهله بحيث لا يقطع فى شئ الا عن رأيه ولا يحجر ويثبت الا واقعا عند حده فغشيت بابه الوفود وصرفت اليه الوجوه ووقفت عليه الآمال وخدمته الاشراف وجلبت الى سدته بضائع العقول والاموال وهادنه الملوك فلا تحمد والحداة الا اليه ولا تحط الرحال الا لديه ان حضر أجرى الرسم وأنفذ الامر والنهى لحظا أو سرارا أو مكاتبة وان غاب ترددت الرقاع واختلفت الرسل ثم انفرد أخيرا بسبب الخلوة ومتبذ المناجاة من دونه مصطف الوزراء وغايات الحجاب فاذا انصرف تبعته الدنيا وسارت بين يديه الوزراء ووقفت ببابه الامراء قد وسع الكل لحظه وشملهم بحسب الرتب والاحوال رعيه ووسم افذاذهم تسويده وعقدت بان عليهم بنانه لكن رضا الناس الغاية التى لا تدرك والحسد بين بنى آدم قديم وقبيل الملك مظنة لمثله فطويت الجوانح على سل وحنيت الضلوع على بث وأغمضت الجفون على قذى الى أن كان من نكبته الثالثة ماهو معروف جعلها الله له طهورا ولما جرت الحادثة على الدولة بالاندلس وكان لحاق جميعنا بالمغرب جنيت ثمرة ماأسلفته من وده ووفى الكيل واشرك فى الجاه وأدر الرزق ورفع المجلس بعد التسبب فى الخلاص والسعى فى الجبر جبره الله تعالى وكان له أحوج مايكون الى ذلك يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم انتهى * وكتب ابن لسان الدين على هذا المحل ماصورته هذا البار أبي عليه فى الغيبة والحضور انتهى (ومما خاطبه به لسان الدين منشاء من طريق القدوم على الابواب المرينية معلنا من البلية بشفاعته مانصه سيدى الذى اليه انقطاعى وانحياشى وملجئى الذى يسر خلاصى ومنى انتياشى ومنعمى الذى جبر جناحى وأنبت رياشى ومولى هذا المصنف العلى ولا أحاشى كتبه صنيع نعمتكم الخالصة الحرة ومسترق فضلكم الذى تألفت منه فى ليل الخطوب الغرة ابن الخطيب لطف الله به من كذا وقد شدا الى ابلاغ النفس عذرها فى مباشرة تقبيل اليد التى انها اليد العظمى والسجية الرحمى

مخبرا عن نفسه لما نفس عنه من نكبته وأجاره من محنته قال ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرني بذلك وكفى بهاجاها وحرمة قلت فترك سبيله وأتيح له ركوب البحر الى البلاد المشرقية بأهله وولده فسار في كنف الستر وتحت جناح الوقاية في وسط رجب من عام أربعة وستين وسبعمائة من ساحل باديس صحب الله وجهته وختم عصمته انتهى ما لخصته من كلام لسان الدين بلفظه *(ورأيت على هامش هذا المحل من الاحاطة بخط المذكور ما صورته أقول وأنا ابن مرزوق المسمى فيه انى قد وصلت الى تونس المحروسة في شهر رمضان من سنة خمس وستين فلقيت بها من المبرة والكرامة والوجاهة فوق ما يعهده أمثالى ووليت خطابة جامع ملكها وتدريس أمّ المدارس فيها وهى المعروفة بمدرسة الشماعين كل ذلك تحت رعاية وعناية وملازمة لمجلس ملكها الى أن توفى سنة احدى وسبعين ثم مع ولده وابن أخيه الى أن رحلت في البحر في شهر ربيع الاوّل سنة ثلاث وسبعين فحللت في الديار المصرية ولقيت من ملكها الذى لم أر في الملوك مثله حلما وفضلا وحياء وجودا وتلطفا ورحما السلطان المالك الملك الاشرف ناصر الدين والدنيا شعبان بن حسين فأحسن لى وأجرى علىّ وعلى أولادى ماقام به الحال وقلدنى دروسا ومدارس وأهلنى للمثول بين يديه والحال مستمر على ذلك حتى الآن وذلك من فضل الله ومعهود احسانه والمرجو من الله حسن العاقبة وكتب في رمضان سنة خمس وسبعين انتهى * وكتب بعده أبو الحسن علىّ بن لسان الدين رحمهما الله تعالى ما صورته صدق وهو فوق ذلك كله فقدره معروف ولطالما كان ملك المغرب يتشرف به فصار يفتخر بتقليد الدروس والدهر لا يبقى على حالة انتهى (قال في الاحاطة) ولما شرح كتاب الشفاء للقاضى عياض رحمه الله تعالى واستبحر فيه وأكثر النقل وبذل الجهد طلب أهل العدوتين نظم مقطوعات تتضمن الثناء على الكتاب المذكور واطراء مؤلفه فانثال عليه من ذلك الطم والرم بما تعددت منه الاوراق واختلفت في الاجادة وغيرها الارزاق ايثار الغرضه ومبادرة من كل الجهات لاسعاف أربه وطلب منى أن ألم في ذلك بشىء فكتبت له في ذلك

شفاء عياض للصدور شفاء * فليس بفضل قد حواه خفاء

هدية بر لم يكن لمديلها * سوى الاجر والذكر الجميل كفاء

وفى لنبىّ الله حق وفائه * وأكرم أوصاف الكرام وفاء

وجاء به بحرا يقول بفضله * على البحر طعم طيب وصفاء

وحق رسول الله بعد وفاته * رعاه واغفال الحقوق جفاء

هو الذخر يغنى في الحياة عتاده * ويترك منه للبنين رفاء

هو الاثر المحمود ليس يناله * دثور ولا يخشى عليه عفاء

حرصت على الاطناب في نشر فضله * وتمجيده لو ساعدتنى فاء

واستزاد من هذا الغرض الذى لم يقنع فيه بالقليل فبعثت اليه من محل انتقالى من مدينة سلا حرسها الله تعالى

أأزاهير رياض * أم شفاء لعياض

تأرج العرف وطاب الجنى * وكيف لا يثمر أو لا يفوح
وحله من طيب خير الورى * فى الجيب والاعطاف منها نضوح
ومعلم للدين شيدته * فهذه الاعلام منها تلوح
فقل لها مان كذا أولا * يامن أصل الرشد تبنى الصروح
فى أحسن التقويم أنشأته * خلقا جديدا بين جسم وروح
فعمره المكتوب لا ينقضى * اذا تقضى عمر سام ونوح
كانه فى الحفل ريح الصبا * وكل عطف منه غصن مروح
ثماعد رشعوف بخير الورى * ان هاج منه الذكر أن لا يبوح
عسى من أكباد أهل الهوى * وقد سطا البعد وطال النزوح
ان ذكر المحبوب سالت دما * ماهن أكباد ولكن جروح
ياسيد الاوضاع يامن له * بسيد الارسال فضل الرجوح
يامن له الفضل على غيره * والشمس تخفى عند اشراق يوح
ياخير مشروح وفى واكتفى * من ابن مرزوق بخير الشروح
فتح من الله حباه به * ومن جناب الله تأتى الفتوح

قوله يوح هو اسم الشمس ؤاهل
قوله والشمس محرف عن والبدر
أو والبدر يخفى أونحوذلك تأمل
١٨ مصححه

ثم قال وعلى الجملة والتفصيل فهذا الرجل نسيج وحده شهرة وجلالة وخصالا وأبوة صالحة تولاه الله وكان له وانصرف بجملته الى بلاد المشرق عام أربعة وستين وسبعمائة تولاه الله تعالى وأسعد منقلبه ومولده بتلمسان عام احد عشر وسبعمائة انتهى كلام لسان الدين *

ولنرد فى هذه الترجمة على ماذكره منقول (قال) ابن خلدون صاحبنا الخطيب أبو عبد الله ابن مرزوق من أهل تلمسان كان سلفه نزلاء الشيخ أبى مدين بالعباد ومتوارثين تربته من لدن جدهم خادمه فى حياته وكان جده الخامس أو السادس أبو بكر بن مرزوق معروفا بالولاية فيهم ونشأ محمد هذا بتلمسان ومولده فيما أخبرنى عام عشرة وسبعمائة انتهى وهو مخالف لما ذكره لسان الدين فيما مر عنه ثم قال ابن خلدون وارتحل مع والده الى المشرق سنة ثلاث عشرة وسمع بجاية على الشيخ ناصر الدين ولما جاور أبوه بالحرمين رجع الى القاهرة وأقام وبرع فى الطلب والرواية وكان يجيد الخطين ورجع سنة ثلاث وثلاثين الى المغرب ولقى السلطان أبا الحسن محاصر التلمسان وقد شيد بالعباد مسجدا عظيما وكان عمه محمد بن مرزوق خطيبا به على عادتهم فى العباد وتوفى وولاه السلطان خطابة ذلك المسجد مكان عمه وسمعه يخطب على المنبر ويشيد بذكره ويثنى عليه فحلى بعينه فقربه وهو مع ذلك يلازم ابنى الامام ويأخذ نفسه بلقاء الافاضل والاكابر والاخذ عنهم وحضر مع السلطان وقعة طريف ثم استعمله فى الرسالة الى الاندلس ثم الى ملك قشتالة فى تقرير الصلح واستنقاذ ولده المأسور يوم طريف ورجع بعد وقعة القيروان مع زعماء النصارى فرجع الى المغرب ووفد على السلطان ابى عنان بفاس مع أمه حظية ابى الحسن ثم رجع الى تلمسان وأقام بالعباد وعلى تلمسان يومئذ أبو سعيد عثمان بن عبد الرحمن وأخوه أبو ثابت والسلطان أبو الحسن بالجزائر وقد حشد هنالك فأرسل أبو سعيد ابن مرزوق المذكور اليه سرا فى الصلح فلما اطلع

أخذ أبو ثابت على البحر أنكر على أبيه قعوده من حديث ابن مرزوق ثم أجاز
البحر الى الاندلس فنزل على ابى الحجاج فاطمأن اليه وقربه واستعمله على الخطبة بجامع
الحمرا ولم يزل خطيبه الى أن استدعاه أبو عنان سنة أربع وخمسين بعد مهلك أبيه
واستيلائه على تلمسان وأعمالها فقدم عليه ورعى له وسائله وتلطفه فى اكابر أهل مجلسه ثم بعثه
لتونس عام ملكها سنة ثمان وخمسين ليخطب له ابنة السلطان أبى يحيى فردت الخطبة
واختفت بتونس ووشى الى السلطان ابى عنان انه كان مطلعا على مكان اختفائها لذلك وأمر
بحبسه فحبس مدة ثم اطلقه قبل موته ولما استولى أبو سالم على السلطنة آخر وجعل زمام
الامور بيده ووطئ الناس عقبه وغشى اشراف الدولة بابه وصرفوا اليه الوجوه فلما ثار
عمر بن عبدالله بالسلطان آخر عام اثنين وستين حبس ابن مرزوق ثم أطلقه بعد أن رام كثير
من أهل الدولة قتله فمنعه منهم ثم لحق بتونس سنة أربع وستين ونزل على السلطان ابى اسحق
وصاحب دولته ابى محمد بن تافراكين فأكرموه وولوه الخطابة بجامع الموحدين وأقام بها
الى أن هلك السلطان أبو يحيى سنة سبعين وولى ابنه خالد ثم لما قتل السلطان أبو العباس
خالدا واستولى على السلطنة وكان شيء بين ابن مرزوق وبين المدامع ابن عمه محمد صاحب
بجاية عزله عن الخطبة فوجم لها فأجمع الرحلة الى المشرق وسرحه السلطان فركب
السفينة ونزل بالاسكندرية ثم ارتحل الى القاهرة ولقى اهل العلم وأمرا الدولة ونفقت
بضائعه عندهم وأوصلوه الى السلطان الاشرف فولاه الوظائف العلمية فلم يزل بها موفور
الرتبة معروف الفضيلة مرشحا لقضاء المالكية ملازما للتدريس الى أن هلك سنة احدى
وثمانين انتهى ملخصا ● (وقال الحافظ ابن حجر) انه لما وصل تونس اكرم اكراما عظيما
وفوضت اليه الخطابة بجامع السلطان وتدريس أكثر المدارس ثم قدم القاهرة فأكرمه
الاشرف شعبان ودرس بالشيخونية والصرغتمشية والقمحية وكان حسن الشكل جليل
القدر مات فى ربيع الاول سنة احدى وثمانين انتهى ● وقال ابن الخطيب القسنطينى هو
شيخنا الفقيه الجليل الخطيب توفى بالقاهرة ودفن بين ابن القاسم وأشهب وله طريق
واسع فى الحديث ولقى أعلاما وسمعنا منه البخارى وغيره فى مجالس وأجلسه لبابه وبحال
وله شرح جليل على العمدة فى الحديث انتهى (وكتب) بخطه ملخصا أبو عبدالله بن العباس
التلمسانى ما نصه : نقلت من خط بعض السادات كتبه للامام زعيم العلماء الخطيب ابن
مرزوق انه وجد بخط جده الخطيب ابن مرزوق لما سمعه عمر بن عبدالله على يد الشيخ أبى
يعقوب كتب ما نصه الحمد لله على كل حال خرج الطبرى فى مسنده وأبو حفص الملاى فى
سيرته عن عبدالله بن عمر بن الخطاب وعبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهم قالا
وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية التى باعلى مكة وليس بها يومئذ مقبور فقال
يبعث الله من ههنا سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم فى سبعين
ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب وجوههم كالقمر ليلة البدر فقال أبو بكر من
هم يارسول الله قال هم الغرباء من أمتى الذين يدفنون ههنا فى هذا الموضع دفن والدى
رحمه الله تعالى وبعد سماعه لهذا الحديث بستة أيام دفن فيه انتهاء لاسمع من أقال

عشرة ولداً ما يشترى هذا بأموال الارض أفلا ربحى لى ثمانية وأربعين مصرا فى الاسلام
شرقا وغربا وأندلسا أفلا ربحى لى انه ليس اليوم يوجد من يسند أحاديث الصحاح سماعا من
باب اسكندرية الى البر والى الاندلس غيرى ونحو من مائتين وخمسين شيخا والله تعالى أعلم
لكن حرمنى الله تعالى ببدعة الاشتغال به وآثرت اتباع الهوى والدنيا وهوبت اللهم غفرانك
أفلا ربحى لى مجاورة نحو اثنى عشر عاما وختم القرآن فى داخل الكعبة والاحياء فى محراب
النبى صلى الله عليه وسلم والاقراء بمكة ولا أعلم من له هذه الوسيلة غيرى أفلا ربحى لى الصلاة
بمكة سنين وغربتى بسببكم ومحنتى فى بلدى على محبتكم وحدمتكم من ذا الذى خدمكم
من الناس يحرج على هذا الوجه أستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله من ذنوبى وذنوبى
أعظم وربى أعلم ورب ارحم والسلام انتهى ففى هذا دليل على عظم قدره ومكانته فى الدين
والدنيا قلت ولقد رأيت مصحفه بتلمسان عند أحفاده وعليه خطه الرائق الذى أعرفه وهو
يقول قرأت فى هذا المصحف تجاه الكعبة المشرفة اثنى عشر ألف ختمة انتهى ومع هذا
فقد نسى فى المصحف المذكور لفظة الملك من قوله تعالى ينقلب الملك المصرحتى كتبه بخطه
فوق السطر حفيده العلامة سيدى أبو عبد الله محمد بن مرزوق رحمه الله على الجميع وقال
الخطيب المذكور رحمه الله تعالى فى بعض تعاليقه ما صورته ومن أشياخ والدى سيدى
محمد المرشدى لقيه فى ارتحالنا الى الشرق وحين حللنا اليه وأنا ابن تسع عشرة سنة نزلنا
عنده ووافقنا صلاة الجمعة ومن عادته أن لا يتخذ للمسجد اماما وحضر يومئذ من أعلام
الفقهاء من لا يمكن اجتماع مثلهم فى غير ذلك المشهد قال فقرب وقت الصلاة فتشوف من
حضر من الفقهاء والخطباء الى التقديم فاذا الشيخ قد خرج فنظر يمينا وشمالا وأنا خلف
والدى فوقع بصره على فقال لى يا محمد تعال قال فقمت معه حتى دخلت معه فى موضع
خلوة فسأحننى فى الفروض والشروط والسنن قال فتوضأت وأخلصت النية فاعتمه
وضوئى ودخل معى المسجد وقادنى الى المنبر وقال لى يا محمد ارق المنبر فقلت له يا سيدى والله
لا أدرى ما أقول فقال لى ارق وناولنى السيف الذى يتوكأ عليه الخطيب عندهم وأنا
جالس مفكر فيما أقول اذا فرغ المؤذنون فلما فرغوا نادانى بصوته وقال لى يا محمد قم وقل
بسم الله قال فقمت وانطلق لسانى بما لا أدرى ما هو الا انى كنت أنظر الى الناس ينظرون
الى ويخشعون من موعظتى فلما كملت الخطبة ونزلت قال لى أحسنت يا محمد قرالله عز ربنا
أن نوليك الخطابة وأن لا تخطب بخطبة غيرك ما وليت وحييت ثم سافرنا جميعا وأراد
والدى الجوار وأمرنى بالرجوع لانس عمى وقرابتى بتلمسان وأمرنى بالوقوف على سيدى
المرشدى هنالك فوقفت عليه وسألنى عن والدى فقلت له يقبل أيديكم ويسلم عليكم فقال لى
تقدم يا محمد واستند الى هذه النخلة فان شعيبا يعنى أبا مدين عبد الله عندها ثلاث سنين
ثم دخل خلوته زمانا ثم خرج وأمرنى بالجلوس بين يديه ثم قال لى يا محمد أبوك من أصحابنا
واخواننا الا أنك يا محمد الا أنك يا محمد فكانت هذه اشارة الى ما امتحنت به من مخالطتى
أهل الدنيا والتخليط ثم قال لى يا محمد أنت مشوش من جهة أبيك تتوهم أنه مريض ومن
بلدك أما أبوك بخير وعافية وهو الآن عن يمين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن

بشيخه خليل المالكي وعن سيدي أحمد القاضي كذا وأما والده فهو أنه خط دائرة في الأرض ثم قام فقبض إحدى يديه على الأخرى وجعلهما خلف ظهره وجعل يطوف بتلك الدائرة ويقول تلمسان تلمسان حتى طاف بتلك الدائرة مرات ثم قال لي يا محمد قد قضى الله الحاجة فيها فقلت له كيف يا سيدي فقال ستر الله ابن شيخنا الله على من فيها من الذراري والحريم وعليك بهذا الذي حضرها يعني السلطان أبا الحسن وهو خير لهم ثم خلى وجلست بين يديه فقال لي يا خطيب قلت يا سيدي عملك وعلو كذا قال لي كن خطيبا أبيت الخطيب وأخبرني بأمور وقال لي لا بد أن تخطب بالجامع الغربي وهو الجامع الأعظم بالاسكندرية ثم أعطاني شيئا من كعكات وغار ورودني بها وأمرني بالرحيل وأما خبر تلمسان فقد حماها المريني كما ذكر وستر الله من فيها من الذراري والحريم وكان هذا المرشدي متصرفا في الولاية كتصرف سيدي أبي العباس المرسي نفعنا الله بهما * وللخطيب ابن مرزوق المذكور تآليف منها شرحه الجليل على العمدة في خمسة أسفار جمع فيه بين ابن دقيق العيد والفاكهاني مع زوائد وشرحه الشفاء على الشفا ولم يكمل وشرحه على الأحكام الصغرى لعبد الحق وشرحه على ابن الحاجب الفرعي سماه إزالة الحاجب عن فروع ابن الحاجب وله غيرها وديوان خطبه الغريب منه وركب سفينة إلى قالهابة(؟) كتبه تلمسان وأولها

رقعت أموري لباري النسم * ومرجع أمري بعد سبق القدم

ومن نظمه عند وداعه أهل تونس

أودعكم وإني ثم آتي * على ملك تطاول بالجميل
وأسأل ربه منكم لأني * بشير المقاصد والسبل
سلام الله يشملنا جميعا * فقد عزم الغريب على الرحيل

ومن نظم أبي المكارم بن أبي حزوم(؟) بتلمسان المذكور عندما حصل بعد قتل السلطان أبي سالم

يا من على الملك بعدما * أصاب المشرق والمغربا
حسب سراعي عيون الورى * والنجم لا يسكن أن يحجبا

وبيتهم بيت علم وولاية وصلاح كجده وجد أبيه وجد أبيه وكولده محمد وأحمد وحفيد عالم الدنيا المغربي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق وولد حفيد المعروف بالكفيف وحفيد حفيد المعروف بالخطيب وهو آخر المذكورين ثم هنا تنبيه وهو كان من أدى أن أعرف بعضهم ثم ولكن في حسب الطول فلم نذكر الحفيد عالم الدنيا وابنه العلامة الشهير بالكفيف لأنه أعمى الكفيف والد أم سيدي أحمد لأبي أحمد بن محمد بن أحمد والد الحفيد أحمد بن الكفيف المذكور وهو أعني الكفيف محمد بن محمد بن أحمد بن الخطيب الرئيس أبي عبد الله بن مرزوق المتقدم الذكر وكان الكفيف إماما عالما علامة ووصفه ابن داود البلوي بأنه الشيخ الإمام علم الأعلام فخر خطباء الإسلام سلالة الأولياء وخلف الأصفياء الأرضيا المسند الراوية المحدث العلامة المتفنن القدوة الحافل الكامل وأخذ العلم عن جماعة منهم عالم الدنيا أبوه وأعلمه الصحيح والموطأ وغيرهما كان من تآليفه

وغيرها وتفقه وأجازه عموما وعن عالمي تلمسان أبوى الفضل بن الامام والعقباني وغيرهما كالبجائي والثعالبي والنظار أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم المشدالي وقاضي الجماعة ابن عقاب وحافظ الاسلام ابن حجر العسقلاني وكل هؤلاء اجازوه وقرأ عليهم مشافهة الا ابن حجر فكتابة ومولده غرة ذي القعدة عام أربعة وعشرين وثمانمائة نصف ليلة الثلاثاء ومن شيوخه العلامة ابن العباس التلمساني وغيره (وقال) السخاوي قدم السكعيف مكة سنة احدى وستين وثمانمائة وسمعت سنة احدى وسبعين وثمانمائة أنه في الاحياء انتهى وأخذ عنه جماعة أئمة كالسنوسي صاحب العقائد الشهيرة وغيرها والونشريسي صاحب المعيار والعلامة أبي عبد الله بن العباس وحلاه بشيخنا ومفيدنا علم الاعلام وحجة الاسلام آخر حفاظ المغرب وقال قرأت عليه الصحيحين وبعض مختصري ابن الحاجب الفرعي والاصلي وحضرت عليه جملة من التهذيب وبعض الخونجي وغيرها وأخذ عنه بالاجازة عالم فاس ابن غازي حسبما ذكره في كتابه المسمى بالتعلل برسوم الاسناد بعد انتقال الساكن والناد وقال بعض الحفاظ ان وفاته عام أحد وتسعمائة بتلمسان وزرت قبره مرارا رحمه الله تعالى ونقل عنه المازوني في نوازله المسماة بالدرة المكنونة في نوازل مازونة (وأما) والده عالم الدنيا أبو عبد الله محمد بن مرزوق الشهير بالحفيد فهو البحر الامام المشهور الحجة الحافظ العلامة المحقق الكبير النظار المطلع المصنف المنصف التقي الصالح الناصح الزاهد العابد الورع البركة الخاشع الخاشي النبيه القدوة المجتهد الابرع الفقيه الاصولي المفسر المحدث الحافظ المسند الراوية الاستاذ المقرى المجود النحوي اللغوي البياني العروضي الصوفي الاواب الولي الصالح العارف بالله الآخذ من كل فن بأوفر نصيب الراعي في كل علم مرعاه الخصيب حجة الله على خلقه المفتي الشهير الرحلة الحاج فارس الكراسي والمنابر سليل الاكابر سيد العلماء الاخيار وامام الائمة وآخر الشيوخ ذوي الرسوخ بدر التمام الجامع بين المعقول والمنقول والحقيقة والشريعة بأجل محصول آخر النظار الفحول شيخ المشايخ صاحب التحقيقات البديعة والاختراعات الانيقة والابحاث الغريبة والفوائد الغزيرة المتفق على علمه وصلاحه وهديه الذكي الفهامة القدوة الذي لا يسمح الزمان بمثله أبدا أوحد الافراد في جميع الفنون الشرعية ذو المناقب العديدة والاحوال السديدة شيخ الاسلام وامام المسلمين ومفتي الانام الذي له القدم الراسخ في كل مقام ضيق والرحب الواسع في حل كل مشكل مقفل صاحب الكرامات والاستقامات السني السني الحريص على تحصيل السنة ومجانبة البدعة السيف المسلول على أهل البدع والاهواء الرائغة الذي أفاض الله تعالى على خلقه به بركته ورفع بين البرية محله ودرجته ووسع على خليقته به نحلته معدن العلم وشعلة الفهم وكيمياء السعادة وكنز الافادة ابن الشيخ الفقيه العالم أبي العباس أحمد ابن الامام العلامة الرئيس الكبير الخطيب الحافظ الرحلة الفقيه المحدث الشهير شمس الدين محمد ابن الشيخ العالم الصالح الولي المجاور أبي العباس أحمد ابن الفقيه الولي الصالح الخاشع محمد ابن الولي الكبير ذي الكرامات والاحوال الصالحة

ناصر الدين بيده ولسانه وبنانه وبالقلم محيي السنة بالفعال والمقال والشيم قطب الوقت في الحال والمقام والنهج الواضح والسبيل الامم مستقر على الارشاد والهداية والتبليغ والافادة ذو الرواية والدراية والعناية ملازم الكتاب والسنة على نهج الائمة المحفوظين من البدع في زمن لا عاصم فيه من أمر الله الا من رحم وهمة عليه ورتبة سنية وأخلاق مرضية وفضل وكرم امام الائمة وعالم الامة الناطق بالحكم ومنير الظلم سليل الصالحين وخلاصة مجد التقى والدين نتيجة مقدمات المهتدين حجة الله على العلم والعالم جامع بين الشريعة والحقيقة على أصح طريقة متمسك بالكتاب لا يفارق ريقه الشيخ الامام أبو عبد الله محمد اتصلت به فأويت منه الى ربوة ذات قرار ومعين وقصرت توجهي عليه ومثلت بين يديه فأراني أعلى الله قدره منزلة ولده رعاية للذمم وحفظا على الود الموروث من القدم فأفادني من بحار علمها ما تقصر عنه العبارة ويكل دونه القلم فقرأت عليه جملة من تفسير القرآن ومن الحديث صحيح البخاري بقراءتي وقراءة غيري مرارا وصحيح مسلم كذلك وسنن الترمذي وأبي داود بقراءتي والموطأ سماعا وتفقها والعمدة ومن علم الحديث أرجوزة الحديقة وبعض الكبرى وفي الروضة تفقها ومن العربية نصف المغرب تفقها وجميع كتاب سيبويه كذلك وألفية ابن مالك وأوائل شرح الايضاح لابن أبي الربيع وبعض المغني لابن هشام ومن الفقه التهذيب كله تفقها وابن الحاجب الفرعي وبعض مختصر خليل والتلقين وثلث الجلاب وجملة من المتيطية والبيان لابن رشد وبعض الرسالة وكل ذلك قراءة تفقه وتفقهت عليه من كتب الشافعية في تنبيه الشيرازي ووجيز الغزالي من أوله الى كتاب الاقرار ومن كتب الحنفية مختصر القدوري تفقها ومن كتب الحنابلة مختصر الخرقي تفقها ومن أصول الفقه المحصول ومختصر ابن الحاجب والتنقيح وكتاب المنهاج لجدي وقواعد عز الدين وكتاب المصالح والمفاسد له وقواعد القرافي وجملة من النظائر والاشباه للعلائي وارشاد العميدي ومن أصول الدين المحصل والارشاد تفقها وفي القرآت قصيدة الشاطبي تفقها وابن البري ومن البيان التلخيص والايضاح والمصابيح وكلها تفقها ومن التصوف الاحياء للغزالي سوى الربع الاخير منه وألبسني خرقة التصوف كما ألبسه أبوه وعمه وهما ألبسهما أبوهما جده انتهى ملخصا * وكتب المذكور تحت هذا ما نصه صدق السيد ابن السيد ابن السيد أبو الفرج المذكور فيما ذكر من القراءة والسماع والتفقه وبر وقد أجزته في ذلك كله فهو حقيق بجامع الانصاف وصدق النظر جعلني الله واياه ممن علم وعمل لآخرته واعتبر قاله محمد بن مرزوق انتهى * وقال تلميذه الولي أبو زيد سيدي عبد الرحمن الثعالبي قدم علينا بتونس شيخنا أبو عبد الله بن مرزوق فأقام بها فأخذت عنه كثيرا وسمعت عليه جميع الموطا بقراءة صاحبنا أبي حفص عمر ابن شيخنا محمد القلشاني وختمت عليه أربعينيات النووي قرأتها عليه في منزله قراءة تفهم فكان كلما قرأت عليه حديثا يعلوه خشوع وخضوع ثم يأخذ في البكاء فلم أزل أقرأ وهو يبكي الى أن ختمت الكتاب وكان من أولياء الله الذين اذا رؤوا ذكر الله وأجمع الناس على فضله من المغرب الى الديار

المصرية واشتهر ذكره في البلاد فكان يذكر بدار المجالس ويهل الله تعالى حتى في فتاوى
العامة والخاصة فلا يذكر في مجلس الا والنفوس مشوقة الى ما يحكى عنه وكان في
التواضع والانصاف والاعتراف بالحق في الغاية وفوق النهاية لا أعلم له نظيرا في ذلك في وقته
ثم ذكر كثيرا من الكتب التي قرأها عليه وأطال في ذلك * وقال في موضع آخر هو سيدي
الشيخ الامام والحبر الهمام حجة أهل الفضل في وقته وشيخهم وبركة العباد
وخلاصتهم ذو التحقيق وفاضلهم السيد الكبير والذهب الابريز والعلم الذي
ينبه الشهير ابن السيد الحكيم والملك الامير ومعدن الفضل الكبير سيدي
أبو عبد الله محمد ابن الامام الجليل الاوحد الاصيل جمال الفضلا سليل الاوليا
أبي العباس أحمد ابن العالم الكبير العلم الشهير تاج المحدثين وقدوة المحققين أبي
عبد الله محمد بن مرزوق * وقال أيضا في موضع آخر هو سيدي الامام العلم الصدر الكبير
المحدث الفقيه المحقق حجة المحدثين وامام الحفظة الاقدمين والمحدثين سيد وقته
وامام عصره وورع زمانه وفاضل اقرانه أعجوبة أوانه وفاروق زمانه ذو الاحوال
المرضية والاحوال الصالحة السنية والاعمال الفاضلة الزكية أبو عبد الله * وقال
في ترجمة المازوني في أول نوازله شيخنا الامام الحافظ شيخ النظار والمجتهد ذو التواليف
العجيبة والفوائد الغريبة مشرق المطالب والمفرق أبو عبد الله بن مرزوق * وقال
تلميذه الحافظ العلامة أبو عبد الله التنسي فقد ذكر أن امامنا مالكا سئل عن أربعين
مسئلة فقال في ست وثلاثين لا أدري وجنة العالم لا أدري ما شيخه ولم يزل أدركنا
شيوخنا من عرف على هذه الخصلة الشريفة ويكثر استعمالها عن شيخنا العالم البلاد
شيخ علما المغرب على الاطلاق أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق * وقال الشيخ أبو
الحسن القلصادي في رحلته أدركت بتلمسان كثيرا من العلما والعباد والزهاد والصلحا
أولاهم في الذكر والتقدم الشيخ الفقيه الامام العلامة الكبير الشهير شيخنا وبركتنا
أبو عبد الله بن مرزوق حل بكنف العلم والعلا وحل بدره في الحلة والفضلا طلع المعالي
ساهرا وقطف من العلم أزاهرا فاغترف وأورى وعرف وسرى حتى توغل في فنون العلم
واستغرق الى أن أطلع لابصار الألباب العرب مطلعه ونما في النفوس وقعه
وموقعه فلا ترى أحسن من لقائه ولا أسهل من الغاية لقي الشيوخ الاكابر وتبين
فقيها من بطون الكتب وألسنة الاقلام وأفواه المحابر وكان رضي الله عنه من
رجال الدنيا والآخرة وكانت أوقاته كلها معمورة بالطاعات ليلا ونهارا من صلاة وقرا
قرآن وتدريس علم وفتيا وتصنيف وكانت له أوراد معلومة وأوقات مشهودة وكانت له
بالعلم عناية تكشف عن الغاية ودراية تقصدها الرواية وناهيك بكسب الراهة
فمن أثبت عليه رضي الله عنه بعض كتابه في الفرائض وأوائل صحيح البخاري وشيئا من
شرح التسهيل وعرضت عليه اعراب القرآن وصحيح البخاري والشاطبيتين واكثر
ابن الحاجب الفرعي والتلقين وتسهيل ابن مالك والالفية والكافية وابن الصلاح
في علم الحديث وشراح العراقي وبعض الرسالة وغيرها توفي يوم الخميس عصر رابع

عشر شعبان عام اثنين واربعين وثمانمائة وصلى عليه بالجامع الازهر بعد صلاة الجمعة وحضر جنازته السلطان فمن دونه ولم أر مثلها قبل وأسف الناس لفقده وآخر بيت سمع منه قبل موته

ان كان سفك دمى أقصى مرادكم * فما غلت نظرة منكم بسفك دمى

انتهى ملخصا * (وفي فهرست ابن غازى فى ترجمة شيخه أبى محمد الورياغلى ما صورته) وممن لقى من شيوخ تلمسان المحروسة الامام العلم العلامة الصدر الاوحد المحقق النظار الحجة العالم الربانى أبو عبد الله بن مرزوق وقد حدثنى بكثير من مناقبه وصفة اقرائه وقوة اجتهاده وتواضعه لطلبة العلم وشدته على أهل البدع وما اتفق له مع بعضهم الى غيرها من شيمه الكريمه ومحاسنه العظيمه انتهى * وقال بعضهم فى حقه انه كان بسيرسيرة سلفه فى العلم والخلق والحلم والشفقة وحب المساكين آية الله فى الفهم والذكاء والصدق والعدالة والنزاهة واتباع السنة فى الاقوال والافعال ومحبة أهلها فى جميع الاحوال مبغضا لاهل البدع ومحاسنه الذرائع له كرامات انتهى * وأما شيوخه فمنهم العلامة السيد عبد الله الشريف التلمسانى وعالم المغرب القاضى سيدى سعيد العقبانى التلمسانى والولى العابد الصالح أبو اسحق سيدى ابراهيم المصمودى وأفرد ترجمته بتأليف وعن أبيه وعمه ويروى عن جده بالاجازة وابن عرفة وأبى العباس القصار التونسى وبفاس عن النحوى أبى حيان وأبى زيد المكودى وجماعة غيرهما وبمصر عن السراج البلقينى والزين الحافظ العراقى والشمس الغمارى والسراج بن الملقن وصاحب القاموس والمحب ابن هشام صاحب المغنى والنور النويرى والولى ابن خلدون والقاضى التنيسى وغيرهم وأخذ عنه جماعة كالثعالبى والقاضى عمر القلشانى وابن العباس نصر الزواوى والولى سيدى الحسن بن كان وابنه وأبى البركات الغمارى وأبى الفضل المشدالى وقاضى غرناطة أبى العباس بن أبى يحيى الشريف وابراهيم بن فائد وأبى العباس الندرومى وابنه الكفيف وسيدى على بن ثابت والشهاب بن كحيل التجانى والعلامة أحمد بن يونس القسمطينى والعلامة يحيى بن بدير وأبى الحسن القلصادى والشيخ عيسى بن سلامة البكرى وغيرهم كالحافظ التنسى التلمسانى * قلت وسندى اليه عن عمى الامام سيدى سعيد المقرى عن الشيخ أبى عبد الله التنسى عن والده الحافظ أبى عبد الله محمد التنسى المذكور عن ابن مرزوق المذكور بكل مروياته وتآليفه * وقال السخاوى فى حقه هو أبو عبد الله يعرف بحفيد ابن مرزوق وقد يختص بابن مرزوق. وقد تلا لنافع على أبى عثمان الزروالى وانتفع فى الفقه بأبى عبد الله بن عرفة وأجازه أبو القاسم محمد بن الخشاب ومحمد بن على الحفار الانصارى ومحمد القيجاطى وحج قديما سنة تسعين وسبعمائة رفيقا لابن عرفة وسمع من البهاء الدمامينى والنور العقيلى بمكة وفيها اقرأ البخارى على ابن صديق ولازم المحب ابن هشام فى العربية وكذا حج سنة تسع عشرة وثمانمائة ولقيه الزين رضوان بمكة وكذا لقيه ابن حجر انتهى * وأما تآليفه فكثيرة منها شروحه الثلاثة على البردة وسمى الاكبر اظهار صدق المودة

في شرح البردة استوفى فيه غاية الاستيفاء وضمنه سبعة فنون في كل بيت والأوسط
والأصغر والمسمى بالاختصار اختصرهما من البيان والإعراب، ومنها المفاتيح القرطاسية في
شرح الشقراطسية والمفاتيح المرزوقية في استخراج رموز الخزرجية وشرح علوم
الحديث سماها الروضة ومختصر في رجزها الحديقة ورجز في الميقات سماه المقنع
الشافي يشتمل على ألف وسبعمائة بيت ونهاية الأمل في شرح الجمل أي جمل الخونجي
واغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة وهو أجوبة عن مسائل في فنون العلم وردت
عليه من عالمها قاضيها أبي يحيى بن عقيبة فأجابه عنها والمعراج إلى استمطار فوائد الأستاذ
ابن سراج في كراريس وهي أجوبة أيضا للقاسم بن سراج الغرناطي عن مسائل نحوية
ومنطقية وأنوار اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين وهو حديث أول حلية
أبي نعيم في سند الحلية وغيرهم والدليل المومي في ترجيح طهارة الكاغد الرومي
والنصح الخالص في الرد على مدعي رتبة الكامل الناقص في سبعة كراريس رد به على
عصرية الإمام أبي الفضل قاسم العقباني في فتوى في مسألة الفقراء الصوفية لما صوب
العقباني صنيعهم وخالفه هو ومختصر الحاوي في الفتاوى لابن عبد النور والروض
البهيج في مسائل الخليج وأنوار الدراري في مكررات البخاري ورجز تلخيص ابن البنا
ورجزها من المفتاح نظم في حال صغر ورجز حرز الأماني ورجز جمل الخونجي
ورجز اختصار ألفية ابن مالك ورجز في مناقب شيخه المسعودي وتفسير سورة
الإخلاص على طريقة الحكماء وهذه كلها تامة. وأما ما لم يكمل فما ألفه فالمتجر الربيح
والسعي الرجيح والمرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح، وروضة الأريب في شرح
التهذيب والمنزع النبيل في شرح مختصر خليل شرح منه كتاب الطهارة في مجلدين
ومن الأقضية إلى آخره في سفرين وإيضاح السالك على ألفية ابن مالك إلى اسم الإشارة
أو الموصول مجلد كبير في نقد شرح المرادي وشرح شواهد شراح الألفية إلى باب كان
مجلد وله غير ذلك. وأما أجوبته وفتاويه على المسائل المتنوعة فقد سارت بها الركبان
شرقا وغربا بدوا وحضرا وقد نقل المازوني والونشريسي منها جملة وافرة ومن
ما ألفه أيضا عقيدة سماها عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد والآيات
الواضحات في وجه دلالة المعجزات والدليل الواضح المعلوم في طهارة كاغد الروم
وإسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم وذكر السخاوي أن له شرح
ابن الحاجب الفرعي وشرح التسهيل انتهى. وولد كما ذكر في شرحه على البردة ليلة
الاثنين رابع عشر ربيع الأول عام ستة وستين وسبعمائة قال حدثتني أمي عائشة
بنت الفقيه الصالح القاضي أحمد بن الحسن المديوني وكانت من الصالحات ألهمت ورعا
على أدعية اختارتها وكانت تساعد على تعبير الرؤيا لتمهرها من كثرة مطالعة الكتب
التي أنه أصابني مرض شديد أشفيت فيه على الموت وبقيت أياما بها الهم والإسهال لهما
ولم الإفاقة ذكروا أني أبا الفضل أول الأمر وقيل على أبو عبد الله كثيرا فلما رأى
مرضي وما لحقني فيه قال لهم لا أدعي لكم وأنا ألتمس ما الذي رأيتم في الدليل

حتى تسموه أبا الفضل سموه محمدا لا أسمع أحدا يناديه بغيره الا فعلت به وفعلت يتوعد بالادب قالت فسميناك محمدا فرج الله عنك انتهى * (ومن فوائده ما حكى فى بعض فتاويه) * قال حضرت مجلس شيخنا العلامة نخبة الزمان ابن عرفة رحمه الله تعالى أول مجلس حضرته بقرأ ومن يعش عن ذكر الرحمن فجرى بينهما مذاكرات رائقة وابحاث حسنة فائقة منها انه قال قرئ يعشو بالرفع ونقيض بالجزم ووجهها أبو حيان بكلام ما فهمته وذكر أن فى التسهيل ملاود كر بعض ذلك الكلام فاهتديت الى تمامه فقلت ياسيدى معنى ماذكره أن جزم نقيض بمن الموصولة لشبهها بالشرطية لما تضمنت من معنى الشرط واذا كانوا يعاملون الموصول الذى لا يشبه لفظه لفظ الشرط بذلك فما يشبه لفظ الشرط أولى بتلك المعاملة فوافق رحمه الله تعالى وفرح لما أن الانصاف كان طبعه وعند ذلك أنكر على جماعة من أهل المجلس وطالبونى باثبات معاملة الموصول معاملة الشرط فقلت نصهم على دخول الفاء فى خبر الموصول فى نحو الذى يأتينى فله درهم من ذلك فنازعونى فى ذلك وكنت حديث عهد بحفظ التسهيل فقلت قال ابن مالك فيما يشبه المسئلة وقد يجزم متسبب عن صلة الذى تشبيها بجواب الشرط وأنشدت من شواهد المسئلة قول الشاعر

كذاك الذى يبغى على الناس ظالما * تصبه على رغم عواقب ما صنع

فجاء الشاهد موافقا للمقال انتهى بنقل تلميذه المازونى وقد ذكر الشيخ ابن غازى الحكاية فى فهرسته فى ترجمة شيخه الاستاذ الصغير وفيها بعض مخالفة لما تقدم فلنسقه قال حدثنى أنه بلغه عن ابن عرفة انه كان يدرس من صلاة الغداة الى الزوال يقرأ فنونا ويبتدئ بالتفسير وأن الامام ابن مرزوق أول ما دخل عليه وجده يفسر هذه الآية ومن يعش عن ذكر الرحمن فكان أول ما فاتحه أن قال له هل يصح كون من هنا موصولة فقال ابن عرفة كيف وقد جزمت فقال له تشبيها لها بالشرط فقال ابن عرفة انما يقدم على هذا بنص من امام أو شاهد من كلام العرب فقال أما النص فقول التسهيل كذا وأما الشاهد فقول الشاعر

فلا تحفرن بئرا تريد أخا بها * فانك فيها أنت من دونه تقع
كذاك الذى يبغى على الناس ظالما * تصبه على رغم عواقب ما صنع

فقال ابن عرفة فأنت اذا ابن مرزوق قال نعم فرحب به انتهى وهو خلاف ما تقدم والاول أصوب لنقل غير واحد أن جزم الموصولات انما يكون فى الجواب لا فى الشرط والله تعالى أعلم وفى بعض المجاميع أن ابن عرفة اشتغل بضيافته ما اتصل المجلس * ومن فوائده انه كان يصرف لفظ هريرة من أبى هريرة بناء على أن جزء العلم غير علم وخالفه أهل فاس فى ذلك لما بلغهم ومال الاستاذ الصغير والحافظ القورى الى منع الصرف لوجوه ليس هذا موضعها ومنها قول ابن مالك ولاضطرار كبنات الاوبر فانه مؤذن بأن جزء العلم علم وقد ألف فى المسئلة أبو العباس تالبفا سماه الاعتراف فى ذكر ما فى لفظ أبى هريرة من الانصراف انتهى ومن نظمه

قوله أبو العباس تالبفا فى نسخة ابن عباس التلمسانى تالبفا وليحرر اه مصححه

واذا المريد أصاب منها جرعة * ناجاه بالحق المبين مناجى
تاهت به فى مهمه لا يهتدى * فيه لتأويب ولا ادلاج
يرتاح من طرب بها فكانما * غشته بالارمال والاهزاج
هبت عليه نفحة قدسية * فى فىء باب دائم الارتاج
فاذا انثنى يوما وفيه بقية * سارت به قصدا على المنهاج
واذا تمكن منه سكر معربد * فليصرن لمصرع الحلاج
قصرت عبارة فيه عن وجدانه * فغدا يفيض عنطق لجلاج
اعشاه نور الحقيقة باهر * فتراه يخبط فى الظلام الداجى
رام الصعود بها لمركز أصله * فرمت به فى بحرها المواج
فلئن امد برحمة وسعادة * فليخلصن من بعد طول هياج
ولير جعن بغنيمة موفورة * ما شيب عذب شرابها بأجاج
ولئن تخطاه القبول لما جنى * فليرجعن نكسا على الادراج
ما أنت الا درة مكنونة * قد أودعت فى نطفة أمشاج
فاجهد على تخليصها من طبعها * تعرج بها فى أرفع المعراج
واشدد يديك معا على حبل التقى * فان اعتصمت به فأنت الناجى
ولدى العزيز ابسط بساط تذلل * والى الغنى امدد يد المحتاج
هذا الطريق له مقدمتان ما * دقتان أنتجتا أصح نتاج
فاجنح الى ترك الهوى حمل الاذى * واقنع من الاسهاب بالادماج
عرفان قد جمعا الذى قد سطروا * من بسط أقوال وطول حجاج
والمشرب الاصفى الذى من ذاقه * فقد اهتدى منه بنور سراج
ان لا ترى الا الحقيقة وحدها * والكل مضطر اليها لاجى
هذى بدائع حكمة أنشأتها * باشارة المولى أبى الحجاج
وسع الامام بفضله وبعدله * وبحلمه وبجوده النجاح
من آل نصر نخبة الملك الرضا * امن المروع همو غيث الراجى
من آل قيلة ناصرى خير الورى * والخلق بين تخاذل ولجاج
ماذا أقول وكل قول قاصر * فى وصف بحر زاخر الامواج
منه لباغى العرف در فاخر * ولمن يعادى الدين هول فاجى
دامت سعودك فى مزيد والمنى * تأتيك أفواجا على أفواج

(وقال من المطولات)

لمن المطايا فى السراب سوابحا * تعلى الفلاة غواديا وروائحا
عوج كامثال القسى ضوامر * يرمين فى الآفاق مرمى نازحا

وقال يمدح ويصف مصنعا سلطانيا

زارت تجر لضوء أذيالها * هيفاء تخلط بالنفار دلالها

وبنت مصانع رائقات ذكرت * دار النعيم جنانها وظلالها
وأجلها قدرا وأرفعها مدى * هذا الذى سام النجوم وطالها
وجنة فيها الامير مخلد * بلغت اماً رنه بها آمالها
ولارض أندلس مفاخر أنتم * أربابها أضحيتم سربا لها
تحميتم أرجاءها وكفيتم * أعداءها وهديتم ضلالها
فبا آل نصر فاخرت لاغيرهم * لم تعتمد من قبلهم أقيالها
بمحمد ومحمد ومحمد * قصرت على الخصم الالد نصالها
فهم الالى ركبوا الكل عظيمة * بردا كسين من النجيع جلالها
وهم الالى فتحوا الكل ملة * بابا أزاح بفتحه اشكالها
متقلدون من السيوف عضابها * متأبطون من الرماح طوالها
الراكبون من الجياد عرابها * والضاربون من العدا أبطالها
أولى عهد المسلمين ونخبة الاملاك صفوة محضها وزلالها
ان العباد مع البلاد مقرة * بفضائل لك سهدت أحوالها
فتفك عانيها وتحمى سربها * وتفيد حلما دائما جهالها

وقال يرثى ولده أبا القاسم رحمهما الله تعالى

هو البين حقا لا العلى ولاعسى * فما بال نفسى لم تفض عنده أسى
وما لفؤادى لم يذب منه حسرة * فتبا لهذا القلب سرعان ما قسا
وما بجفونى لا تفيض موردا * من الدمع يسقى تارة ومورسا
وما للسانى مفصحا يخطابه * وما كان لو أوفى بعهد ليبنسا
أمن بعدما أودعت روحى فى الثرى * ووسدت منى فلذة القلب مرمسا
وبعد فراق ابنى أبى القاسم الذى * كسانى ثوب الثكل لاكان ملبسا
أؤمل فى الدنيا حياة وأرتضى * مقيلا لدى ابنا ئها ومعرسا
فآها وللمفجوع فيها استراحة * ولا بد للمصدور أن يتنفسا
على عمر أفنيت فيه بضاعتى * فأسلمنى للقبر حيران مفلسا
طلت به فى غفلة وجهالة * الى أن رمى سهم الفراق فقرطسا
الى الله أشكو برح حزنى فانه * تلبس منه القلب ماقد تلبسا
وهدة خطب نازلتنى عشية * فما أغنت الشكوى ولا نفع الاسا
فقد صدعت شملى وأصمت مقاتلى * وقد هدمت ركنى الوثيق المؤسسا
ثبت لها صبر الشدة وقعها * فما زلزلت صبرى الجميل وقد رسا
وأطمع أن يلقى برحمته الرضا * وأجزع أن يشقى بذنب فيمكسا
أبا القاسم اسمع شكو والدك الذى * حسا من كؤس البين أفظع ما حسا
وفت فؤادى مد رحلت على الاسى * فأشهد لا ينفك وقفا محبسا
وقطعت آمالى من الناس كلهم * فلست أبالى أحسن المرء أم أسا

دليل الى الرحمن فانهج سبيله * فمن حاد عن نهج الدليل فقد أخطا
محبته شرط القبول فمن خلت * صحيفته منها فقد فقد الشرطا
وما قبلت منه لدى الله قربة * ولا زكت الاعمال بل حبطت حبطا
به الحق وضاح به الامل زاهق * به الفوز مرجو به الذنب قد حطا
هو الملجأ الاحمى هو الموئل الذى * به فى غد يستشفع المذنب الخطا
لقد مازجت روحى محبته التى * بقلبى خطت قبل أن أعرف الخطا
اليك ابن خير الخلق منى بديهة * تقبل تجيلا أناملك السبطا
وحيدة هذا العصر وافت وحيدة * لتبسط من شتى بدائعها بسطا
وتتلو آيات التشيع انها * لوثقة عهدا ومحكمة ربطا
لك الشرف المأثور يا ابن محمد * وحسبك أن تنمى الى سبطه سبطا
الى شرفى دين وعلم تظاهرا * تبارك من أعطى ونورك فى المعطى
ورهطك أهل البيت بيت محمد * وأعظم به بيتا وأكرم به رهطا
بعثت به عقدا من الدر فاخرا * وذكر رسول الله درته الوسطى
وأهديت منها للسيادة غادة * نظمت من الدر الثمين بها سمطا
وحاشيتها من كل ماشانها فان * تجد حوشيا تجد لفظها سبطا
وفى الطيبين الطاهرين نظمتها * فساعدها من أجل ذلك حرف الطا
عليك سلام الله ماذر شارق * وماردّدت ورقاء فى غصنها لغطا

وقال

لله عصر الشباب عصرا * فتح للخير كل باب
فرطت ماشئت فيه حطا * كنت أراه بلا ذهاب
حتى اذا ما المشيب وافى * ندمت لكن بلا اياب
لا تعتبوا بعدها بحفظ * وقيدوا العلم بالكتاب

وقال

يا أيها المسك الجميل * الهلك المنفق الكفيل
أنفق وثق بالاله تربح * فان احسانه جزيل
وقدم الاقربين واذكر * ماروى ابدأ بمن تعول

وقال

وقائلة لم عرك المشيب * وما ان بعهد الشباب قدم
فقلت لها لم أشب كبرة * ولكنه الهم نصف الهرم

وقال

أبعد ادنى سقيم وأنت طبيب * وتبعد آمالى وأنت قريب
يقينى أن الله جل جلاله * بقينى فراجى الله ليس يخيب

وقال

وقال في سلم

ما اسم مركب مفيد الوضع * مستعمل في الوصل لا في القطع
ينصب لكن أكثر استعماله * يعنى به في الخفض أو في الرفع
هو اذا خففته مغيرا * تراه شملا لم يزل ذا صدع
فالاسم ان طلبته تجده في * خامسة من الطوال السبع
وهو اذا صحفته يعرب عن * مكسر في غير باب الجمع
له أخ أفضل منه لم تزل * آثاره محمودة في الشرع
هما جميعا من بني النجار والافضل أصل في حنين الجذع
فهاكه قد سطعت أنواره * لا سيما لكل زاكي الطبع

وقال في مائدة

حاجيت كل فطن نظار * ما اسم لانثى من بني النجار
وفي كتاب الله جاء ذكرها * فقلما يغفل عنها القارى
في خبر المهدي فاطلبها تجد * ان كنت من مطالعي الاخبار
ما هي الا العيد عيد رحمة * ونعمة ساطعة الانوار
يشركها في الاسم وصف حسن * من وصف قضب الروضة المعطار
فهاكه كالشمس في وقت الضحى * قد شق عنها حجب الاستار

(ثم قال لسان الدين) وأما نثره فمطولات عرفت بها تحلاها من الاحوال متوجها وقت لمكان البديهة والاستعجال عيونها وقد اقتصرت جرأ منها اشفعه تابعه من جمٍّ ونقطة من يمٍّ وولد بغرناطة في جمادى الاولى عام ثلاثة وسبعين وستمائة وتوفي ليلة الاربعاء الثالث والعشرين من شوال عام تسعة وأربعين وسبعمائة وأنشدت من نظمي في رثائه خامس يوم دفنه على قبره هذه القصيدة

ما للبراع خواضع الاعناق * طرق النهى فهن في اطراق
وكأنما صبغ الشحوب وجوهها * والسقم من جزع ومن اشفاق
ما للصحائف صوحت روضاتها * أسفا وكن نضيرة الاوراق
ما للبيان كؤوسه مهجورة * غفل المدير لها ونام الساقي
مالي عدمت تجلدي وتصبري * والصبر في الازمات من أخلاقي
خطب أصاب بني البلاغة والحجا * شب الزفير به عن الاطواق
أما وقد أودى أبو الحسن الرضا * فالفضل قد أودى على الاطلاق
كنز المعارف لا تبيد نقوده * يوما ولا تفنى على الانفاق
من للبدائع أصبحت سمر السرى * ما بين شام للورى وعراق
من للبراع يجيل من خطيها * سم العدا ومفاتح الارزاق
قضب ذوابل مثمرات بالمنى * وأراقم ينفثن بالترياق
من للرقاع الحمر يجمع حسنها * خجل الخدود وصبغة الاحداق

وتغـــمدتك من الاله سعادة * تسمو روحك للمحل الراقى
صبرابنى الحباب ان فقيدكم * مبشر مقدمه بما هولاقى
واذا الاسى لسع القلوب اراره * فالصبر والتسليم اى رواق

وأنشد فى هذا الغرض الفقيه أبو عبد الله بن جزى

ألم تر أن المجد أقوت معالمه * فأطلابه قد قوضت ودعائمه
هوى من سماء المعلوات شهابها * وخانت جواد المكرمات قوائمه
وثلت من الفخر المشيد عروشه * وفلت من العز المنيع صوارمه
وعطل من حلى البلاغة قسها * وعرى من جود الانامل حاتمه
أجل انه الخطب الذى جل وقعه * وثلم غرب الدين والعلم جاهمه
والا فما للـوم طار مطاره * وماللزيم الحزن قصت قوادمه
ومالصباح الانس أظلم نوره * وما لمحيا الدهر قطب باسمه
ومالدموع العين فضت كأنها * فواقع زهر والجفون كمائمه
قضى الله فى قطب الرياسة أن قضى * فشتت ذاك الشمل من هو ناظمه
ومن قارع الايام سبعين حجة * ستنبو عراراه وتندق قائمه
وفى مثلها اعيا النطاسى طبه * وضل طريق الحزم فى الرأى حازمه
تسارى جواد فى رداه وباخل * فلا الجود واقيه ولا البخل عاصمه
ومانفعت رب الجياد كرامه * ولا منعت منه الغنى كرائمه
وكل تلاق فالفراق أمامه * وكل طلوع فالغروب ملازمه
وكيف مجال العقل فى غير منفذ * اذا كان بانى مصنع هو هادمه
ليبك عليا مستجير بعدله * يصاح لشكواه ويمنع ظالمه
ليبك عليا مائح بحر علمه * يروى بأنواع المعارف هائمه
ليبك عليا مطهر فضل نفسه * يحلأ عن ورد المآثم حائمه
ليبك عليا معتف جود كفه * يواسيه فى أمواله ويقاسمه
ليبك عليا ليله وهو قائم * يكابده اويومه وهو صائمه
ليبك عليا فضل كل بلاغة * يخلده فى صفحة الطرس راقمه
ونحص ضئيل الجسم يرهب نفثه * ليوث الشرى فى خيسها وضراغمه
تكفل بالرزق المقدر للورى * اذا الله أعطى فهو فى الناس قاسمه
يسدده سهما وينضوه صارما * ويشرعه رمحا فكل يلائمه
اذا سال من شقيه سائل حبره * بما شاء منه سائل فهو عالمه
ليبك عليه اليوم من كان باكيا * فتلك مغانيه خلت ومعالمه
تقلد منه الملك عضب بلاغة * يقد السلوقى المضاعف صارمه
وقلده منشى الوزارة فاكتفى * بها أامى حازم الرأى عازمه
ففى يده وهو الرعيم بحقها * يراعته والمشرفى وخاتمه

فلتبين ماقلته ولتعين * وبه فلتقم مقاما كريما

وقال في المسك

ماطاهر طيب ولكن * ماأصله من ذوى الطهاره
من الظباء الحسان لكن * اذا تأملته فاره
نص حديث الرسول فيه * شهادة تقتضى بشاره
تصحيفه بعد حذف حرف * منزلك الآهل العماره يعنى مبنى

وقال في فلك

مااسم لشئ مرتقى * في مغرب ومشرق
اذا حذفت فاءه * كان لك الذي بقى

وقال أيضا في القنار

مااسم اذا حذفت منه فاءه المتوقعه
فانه ابنة الربا * مضافة لاربعه يعنى ابنة الزناد وهى النار

وقال في النوم

مااسم مسماه به * يسقط حكم التكليف
وان دخلت الميت بالتصحيف حق التعنيف
وان أردت شبهه * فقلبه بالتصحيف
بينه فهو في كتاب الله بادى التعريف

وقال في غزال

حاجيتكم مااسم شئ * يروق في الوصف حسنا
له محاسن شتى * منها فرادى ومثنى
* له بلى الشعر أثنى
مهما تزله بحذف * أتاك حرفا لمعنى
ان زال أول حرف * زال الذى منه يعنى
أوزال ثانيه منه * فالقتل أدهى وأدنى
أوزال ثالثه فهو ولعو صب معنى
أوزال رابعه فالجهاد فيه تسنى
وأوضح القصد يامن * قد فاق عقلا وذهنا

هكذا بياض بالاصل ولعله (الشرب به شاء) تأمل اه مصححه

وقال في النمل

ما حيوان اسمه * قد جاء في الذكر الحكيم
وهو اذا قلبته * ومن به أنت عليم
وان تصحف اسمه * فبعض أوصاف اللئيم

وقال في دواة

ورب أنثى بها رعى الرعايا * وامضاء المنايا والقضايا

وقال فى لبن

أنديك ما اسم اذا ما * صحفته فهو سبع
وان تصحف بعكس * فهبه للقبط شرع
والاسم يعرب عما * لديه رى وشبع
فى النحل يلفى ولكن * لا يتقى فيه لسع
فليس للنحل أصلا * ولا لها فيه فرع
فها كه قد تبدى * لحبه عنه رفع

وقال فى القلم

ومأموم به عرف الامام * كما باهت بصحبته الكرام
اذا ذرنوى طيشان صاد * ويسكن حين يعروه الاوام
ويذرى حين يستسقى دموعا * يرقى كما يروق الابتسام

وله رحمه الله تعالى كثير من هذا ولم أر أحدا أحكم الالغاز مثل ما احكمه ابن الجياب المذكور ولولا الاطالة لذكرت منها ما يستدل به على صحة الدعوى وفيما ذكرنا كفاية *(ومن نظم الرئيس ابن الجياب المذكور) فى رثاء عمر بن على بن عتيق القرشى الهاشمى الغرناطى قوله

قضى الامر فيا نفس اصبرى * صبر تسليم لحكم القدر
وعزاء يا فؤادى انه * حكم ملك قاهر مقتدر
حكمة أحكمها تدبيره * نحن منها فى سبيل السفر
أجل مقدر ليس عسى * تقدم يوما ولا مستأخر
أحسن الله عزاء كل ذى * خشية لربه فى عمر
فى اماما التقى الخاشع الطاهر الذات الزكى النير
قرشى هاشمى منتقى * من صميم الشرف المطهر
يشهد الليل عليه أنه * دائم الذكر طويل السهر
فى صلاة بعثت وردها * زمر المصطفى من مضر
قائما وراكعا وساجدا * لطلوع غرة المسحر
جمع الرحمن شملا عندا * بحبيب الله خير البشر
وتلقته وفود رحمة الله تأتى بالرضا والبشر   انتهى

قلت هذا النظم وان رد بعض ما فيه من الزحاف ولامن الوعظ وذكر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم خير لحاف * قال لسان الدين ولما نظم القاضى أبو بكر بن شبرين بيت الكتابة وما فى الجلالة هذين البيتين

ألا يا محب المصطفى زد صبابة * وضمخ لسان الذكر منك بطيبه
ولا تعبأن بالمبطلين فانما * علامة حب الله حب حبيبه

وأخذ الاصحاب فى تذييل ذلك قال الشيخ الرئيس أبو الحسن بن الجياب رحمه الله تعالى

وشرفت حضرة الاسلام مدرسة * بها سبيل الهدى والعلم قد وضحا
أعمال يوسف مولانا ونيته * قد طرزت صحفا ميزانها رجحا

ومنه قوله

أبى الله الا أن تكون اليد العليا * لاندلس من غير شرط ولا ثنيا
وان هي عضتها نيوب نوائب * فصيرت الشهد المشور بها اريا
فما عدمت أهل البلاغة والحجا * يقيمون فيها الرسم للدين والدنيا
اذا خطبوا قاموا بكل بليغة * تجلي القلوب الغلف والاعين العميا
وان شعروا جاؤا بكل غريبة * تخال النجوم النيرات لها حليا
فاسأل في الدنيا من الله ستره * علينا وفي الاخرى اذا جاءت اللقيا

وقال أبو الحسن بن الجياب

أرى الدهر في أطواره متقلبا * فلا تأمنن الدهر يوما فتخدعا
فما هو الامثل ما قال قائل * مكر مفر مقبل مدبر معا

(وحكي) أنه أهدى له الفقيه ابن قطبة رمانا ثم دخل عليه عائدا فلما رآه قال له يا فقيه لم بالهدية زمانك أراد نعمت الهدية رمانك وكان هذا قبل موته من مرضه بيسير وهو مما يدل على ثبوت ذهنه حتى قرب الموت سامحه الله تعالى *(ومن نثر ابن الجياب رحمه الله تعالى) ما كتبه من سلطانه الى بعض سلاطين وقته وهو السلطان أبو سعيد المريني صاحب فاس ونصه المقام لدى الملك المنصور الاعلام والفضل الثابت الاحكام والمجد الذي أشرقت به وجوه الايام والفخر الذي تدارس أخباره بين الركن والمقام والعز الذي تعلو به كلمة الاسلام مقام محل الاب الواجب الاكبار والاعظام السلطان الكذا أبقاه الله في ملك منيع الذمار وسعد باهر الانوار ومجد رفيع المقدار وسلطان عزيز الانصار كريم المآثر والآثار كفيل بالاعلاء لدين الله والاظهار معظم مقامه وموقره ومجل سلطانه ومكبره المثني على فضله الذي اربى على ظاهره ضميره الشاكر لمحده الذي كرم أثره المعتد بأبوته العلية في كل ما يقدمه ويؤخره ويورده ويصدره الداعي الى الله تعالى بطول بقائه في سعد سام مظهره سام عسكره فلان سلام كريم طيب عميم يخص مقامكم الاعلى ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله الذي أولاكم ملكا منصورا وفخرا مشهورا وأحلكم أبدا ولياكم العلية لمكارم الاخلاق ذكرا منشورا والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذي اختاره بشيرا ونذيرا وشرح بهدايته صدورا وجعل الملأ الاعلى له ظهيرا والرضا عن آله وصحبه الذين ظاهروه في حياته وخلفوه في أمته بعد وفاته فيالوا في الحالين فضلا مسطورا وأجرا موفورا والدعاء لمقامكم الاعلى أسماه الله تعالى بنصر لا يزال به الاسلام محبوا محبورا وسعد يملأ أرجاء البسيطة نورا فكتبنا كتب الله لكم عوائد السعادة وحماكم من آلائه بالحسنى والزيادة من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى وليس بفضل الله سبحانه ثم ببركة مقامكم أيد الله تعالى سلطانه الا الخير الاكمل والبر الاشمل والحمد لله كثيرا كما هو أهله

ويبلغكم أملكم ومقصودكم والسلام *(ومن انشاء ابن الجياب رحمه الله تعالى) فى العزاء بالسلطان أبى الحسن المرينى ماصورته بعد الصدر أما بعد حمد الله الواحد القهار الحى القيوم حياة لاتتقيد بالاعصار القادر الذى كل شئ فى قبضة قدرته محصور بحكم الاضطرار الغنى فى ملكوته فلا يلحقه لاحق الافتقار المريد الذى بارادته تصريف الاقدار وتقدير الآجال والاعمار العالم الذى لايعزب عن علمه خفايا الاسرار وخبايا الافكار مالك الملك وأهله ومدبر الامور بحكمته وعدله تذكرة لاولى الالباب وعبرة لاولى الابصار خالق الموت والحياة ليبتلينا من دار الفناء الى دار القرار والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله المصطفى المختار الذى نهتدى بهديه الكريم فى الايراد والاصدار والاحلاء والامرار فى الشدة والرخاء والسراء والضراء بسيره الكريمة الآثار ونتعزى بالمصيبة به عما دهم من المصائب الكبار ونقدم منه الى ربنا شفيعا ماحيا للاوزار وآخذا بالحجزعن النار ونعلم أننا باتباع سبيله نسعد سعادة الابرار وباقامة ملته وحماية شرعته ننال مرضاة الملك الغفار والرضا عن آله وصحبه وأوليائه وحزبه الذين ظاهروه فى حياته على اقامة الحق الساطع الانوار وخلفوه فى أمته قائمين بالعدل حامين للذمار والدعاء لمحل أبينا والدكم المقدس قدس الله روحه وبرد ضريحه بالرحمة التى تتعهد روضته التى هى أذكى من الروض المعطار والرضوان الذى يتبوأ به مبوأ أصدق فى الملوك المجاهدين الاخيار ولمقامكم الاعلى بسعادة المقدار وتمهيد السلطان وبلوغ الاوطار فانا كتبناه كتب الله لكم عوائد النصر وربط على قلبكم بالصبر من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى عند ماتحقق لدينا النبأ الذى فت فى الاعضاد وشب نار الاكباد والحادث الذى هد أعظم الاطواد وزلزل الارض الراسية الاوتاد والواقع الذى لولا وجودكم لمحا رسم الاجواد وعطل رسوم الجهاد وكسا الآفاق ثوب الحداد والخطب الذى ضاقت له الارض عارحبت وأمرت الدنيا بما عذبت من وفاة محل أبينا أكبر ملوك المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين والدكم أنعمه الله تعالى برود رضاه وجعل جنته نزله ومثواه ونفعه بما أسلف من الاعمال الكريمه وماخلده من الآثار العظيمه فانا لله وانا اليه راجعون تسليما لما قضاه ورضا بما أنفذه وأمضاه وعند الله نحتسب منه والدا شفيقا حانيا رفيقا لم يزل يولى الجميل قوله وفعله ويصل لنا من أسباب عنايته ما اقتضاه وصله وما هو أحق به وأهله وكنا طول حياته لم نجد أثرا لفقد الوالد لما أولانا من جميل العوائد وكرم المقاصد جزاه الله أحسن جزائه وأعاننا على توفية حقه وأدائه ولمثل هذه المصيبة ولا مثل لها تظلم الارجاء ويضيق الفضاء وتسكن مسومة الجياد ومعالم الجهاد والسيوف فى الاغماد وتشقى العباد والبلاد فلا تسألوا كيف هو عندنا موقع هذا الخطب العظيم والحادث المقعد المقيم والرزية التى لارزية مثلها والحادثة التى أصيبت بها الملة وأهلها فوجدنا الفقده يتضاعف مع الآناء ويتجدد تذكار ماأسلف من أعمال الملوك الفضلاء ولكنه أمر حتم وقضاء من الله جزم وسبيل يسلك عليها الاول والآخر والآتى والغابر وليس الا التسليم لما حكم به الحكيم العليم

ولما انتهى إلينا هذا النبأ الذي ملأ القلوب حسرة والعيون عبرة ووارت سنى الأنبا
وعلت الألسن بها على الرشا وحمدنا الله ما توحيد لعبد الأب الذي أسدى إلينا الإحسان
والإجمال وأولى عوارف السول والآمال ولكنه ما اطمأن بارد ذلك التوحيد وجبر
كسر ذلك الفقد الإمامي أسبغ الله علينا وعلى المسلمين بسلطانكم ذلك الملك الذي مكن من
معالمه وما شيد من مراتبه وعليكم انعقد الإجماع وبولايتكم استبشرت الأصقاع
وحكمت بالاستبشار بولاية الملك الهمام الخاضع الأوان صاحب الحرب والمحراب
عز الإسلام وعلم الأعلام فبشت نصاله أوضح من فجر النهار وسارت مكارمه
في الآفاق أشهر من المثل السائر وقد كان محل أبيكم رضي الله عنه ما علم من
مصافاتكم الكريمة الآثار وما قدم به من جمعه الذي وقر نونه الصلحاء الأبرار إلى
البكم مقالة سلطانه وآثر إليكم أردوله وزمن أوانه حتى انفصل عن الدنيا وقد أسلكم
من أبواب رضا ما تنالون به حظ الغنى وعز الدارين والظفر بكمال الحسنى وتلك
المملكة عضدها الله تعالى قد قام بها بانى دمارها وأمن جبارها ومطلع أنوارها الملك
الرضي العادل الطاهر زمام الفاخر ومزام الهواجر ... هذا الزمان وبحمده ذلك
المنيب المؤسس على التقوى والرضوان فالحمد لله على أن صيركم صدع الأعيان
وأمضى فيكم سنا ما ولا على عبد السلطان وأورثكم ملك آبائكم الملوك الأعاظم
وتدارك بولايتكم أمر هذا الرز المتفاقم فإن فقد بالأعظم مفقود فقد ظهر بالأكرم
مقصود وما مات من أبقى منكم سلالة طاهرة تحيي سنن المعالي والمكارم وتعول على سلاكه
أسلافها الأكارم فتلك المملكة قد أصبحت بحمد الله وبوجودكم في أرجائها طالع وسيف
أمنكم في أعدائها قاطع وعزمكم الأمضى لأمرها جامع مانع قد أوت منكم إلى الملجأ
الأحمى واستمسكت بالشكم العظمى وعرفت أنكم ستمدون فيها من آثار بيتكم المتين
وفضلكم المبين وبالكم الباسطة الراضي ما تلبوا عدلا وإحسانا وملعة آمالها
في وجدانا فهنيئا لها أن صارت لكم وأن شرفت بكم والتي
مقاليدها إلى من يحمي حماها ويدفع عداها ولهن ذلك المقام الأعلى ما أولاه من الهم
الملكي وما قلد من الملك الذي هو نظام الدنيا والدين وأن أعطاه راية الجهاد مليا بها
باليمن ليظهر بها ملة الرسول الصادق الأمين فله الفخر بذلك على جميع السلاطين
وأما هذه البلاد الأندلسية حماها الله فهي وإن فقدت في السلطان الأعلى أبي سعيد أكرم
ظهير ووقع مصابه منها أعظم كسر فقد طاب منكم إلى نجعها وبكم أمن أعاديها
ويبقى مرضا حالة هادمها فلكم عود الله تعالى سيل السحاب حديد الأنواب
عريق الأنساب أفضل الأحباب وحمدكم جار على أعرافه جري الجياد العراب
وإنا لما ورد علينا هذا النبأ ... السري وتقدم علينا ذلك الخبر ... الأمر
الكبري علمنا أن الله سبحانه قدر أن ذلك الصدع بهذا الصنع الجميل وبلغ في
الجناب بذلك الخير الجزيل فاحمدنا في مساهمتكم في الأمور الأصب الوافر ورأينا أن
آمالنا منكم قد حلت عن محياها السافر وعسى الوفود على بابكم لنوفي ... الا را

والهناء عين الأعيان الفضلاء ووجه النزاد والكرماء * ولنقتصر على هذا المقدار من كلام الرئيس ابن الجياب رحمه الله تعالى ويظهر لي أن نظمه أعلى طبقة من نثره وعلى كل حال فهو لا يتكلف نظما ولا نثرا رحمه الله تعالى ورضي عنه وعامله بعض فضله * (ومن أشياخ لسان الدين رحمه الله تعالى) * الفقيه الكاتب البارع العلامة النحوي اللغوي صاحب العلامة بالمغرب الشهير الرئيس أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي قال في الاحاطة فيه ما ملخصه عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن بن محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن محمد الحضرمي أبو محمد شيخنا الرئيس صاحب القلم الاعلى بالمغرب من الاكابل تاج المفرق وفخر المغرب على المشرق أطلع منه نورا أضاءت له الآفاق وأزمنه بذخيرة حملت أحاديثها الرفاق ماشئت من مجد سامي المصاعد والمراقب عزيز عن لحاق النجم الثاقب وسلف زينت سماؤه بنجوم المناقب نشأ بسبتة بلده بين علم يفيده وفخر يشيده وطهارة يلتحف مطارفها ورياسة يتفيأ وارفها وأبوه رحمه الله تعالى قطب مدارها ومقام حدها واعتبارها فسلك الوعور من المعارف والسهول وبدع على حداثة سنه الكهول فما تحلى من الفوائد العلمية عما تحلى واشتهر اشتهار الصباح اذا تجلى تنافست فيه الملوك الاخيار واستأثرت به الدول على عادتها في الاستئثار بالذخائر فاستقلت بالسياسة ذراعه وأخدم الذوابل والسيوف يراعه وكان عين الملك التي بها يبصر ولسانه الذي يسهب به أو يختصر وقد تقدمت له الى هذه البلاد الوفاده وحلت به عليها الافاده وكتب عن بعض ملوكها وانتظم في عقودها الرفيعة وسلوكها وله في الآداب الراية الخافقه والعقود المتناسقه ومشيخته حافلة تزيد عن الاحصاء وشعره منحط عن محله من العلم والشهرة وان كان داخلا تحت طور الاجادة فمن ذلك قوله

ترى سحيرا والنسيم عليل * وللنجم طرف بالصباح كليل
وللفجر نهر خاض في الليل فاغتدت * شوى أدهم الظلماء منه حجول
بريق بأعلى الرقمتين كأنه * طلائع شهب في السماء تجول
فرق ساجي الليل منه شرارة * وخرق ستر الغيم منه نصول
تبسم ثغر الروض عند ابتسامه * وفاضت عيون للغمام همول
ومالت غصون البان نشوى كأنها * يدار عليها من صباه شمول
وغنت على تلك الغصون حمائم * لهن حفيف فوقها وهديل
اذا سجعت في لحنها ثم قرقرت * يطيح خفيف دونها وثقيل
سقى الله ربعا لا يزال يشوقني * اليه رسوم دونها وطلول
وجادرباه كالمادر شارق * من الودق هتان اجش هطول
ومالي أستسقي الغمام ومدمعي * سفوح على تلك العراص همول
وعاذلة باتت تلوم على السرى * وتكثر من تعذالها وتطيل
تقول الى كم ذا فراق وغربة * ونأي على ماخيلت ورحيل
ذريني اسعى للتي تكسب العلا * سناء ويبقى الذكر وهو جميل

وقد كنت ذا نفس عزوف وهمة * عليها الاحداث الزمان دخول
وتهوى العلا حظى وتعرى بضدّه * لذاك اعترته رقة ونحول
وتأبى لى الايام الا ادالة * فصونك لى ان الزمان مديل
فكل خضوع فى جنابك عزة * وكل اعتزاز قد عداك نحول

وقال

أبت همتى أن يرانى امرؤ * على الدهر يوماله ذا خضوع
وما ذاك الالانى اتقيت * بعز القناعة ذل الخشوع

مولده بسبتة عام ستة وسبعين وستمائة وتوفى بتونس ثانى عشر شوال عام تسعة وأربعين وسبعمائة فى الطاعون وكانت جنازته مشهورة رحمه الله تعالى انتهى (وحكى) أن السلطان أبا الحسن المرينى سب الشيخ عبد المهيمن الحضرمى بمجلس كتابه فأخذ عبد المهيمن القلم وكسره وقال هذا هو الجامع بينى وبينك ثم ان السلطان أبا الحسن ندم وأفضل عليه وحل مما صدر منه وكان عبد المهيمن ينطق بالكلام معربا ويرتفع نسبه الى العلاء بن الحضرمى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصل سلفه من اليمن وكان جدهم الاعلى عبدون لحقه الضيم ببلده فارتحل الى المغرب فنزل سبتة ولعبد المهيمن الحضرمى شيوخ أجلاء كابن الربيع الحجرى وابن الشاط وابن مسعود وغيرهم وكان ذا سعد وسودد حسن الخط رأيت خطه باجازته لابى عبد الله بن مرزوق وغيره وكان عالى الهمة سريا أعطى المنصب حقه وكان لا يحتمل الضيم واحتقار العلم وكان سريع الجواب حكى أن القاضى المليلى وأبا محمد عبد المهيمن الحضرمى المذكور صاحب العلامة للسلطان أبى الحسن حضرا مجلس السلطان فجرى ذكر الفقيه ابن عبد الرزاق فقال المليلى جمع من الصون كذا حتى وضع يده على أبى محمد عبد المهيمن وقال مخاطبا للسلطان ويكتب لك أحسن من ذا فوضع عبد المهيمن يده على المليلى وقال نعم يا مولاى ويقضى لك أحسن من ذا (وقال) ابن الخطيب القسمطينى الشهير بابن قنفذ فى وفياته ما نصه وفى سنة تسع وأربعين وسبعمائة توفى الشيخ الراوية المحدث الكاتب أبو محمد عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن بن محمد بن على بن محمد الحضرمى السبتى ومن أشياخه الاستاذ ابن أبى الربيع وابن العماز وابن صالح الكتانى وغيرهم من الاعلام انتهى وقال غيره ان والد عبد المهيمن توفى بغزة صفر سنة اثنتى عشرة وسبعمائة رحمه الله تعالى (وحكى) أن الشيخ أبا محمد عبد المهيمن ذكر يوما بنى العرفى وأثنى عليهم فقال له احد الحسينيين وكان يذمهم شئ انهم كانوا يحبون أهل البيت فكيف حبك أنت لهم يعنى لاهل البيت فقال أحبهم حب التشرع لا حب التشيع انتهى قيل يعنى بالعزفيين أهل الدولة الثانية وأما أهل الاولى فكانوا من المختصين بمحبة الآل وهم احدثوا بالمغرب تعظيم ليلة الميلاد النبوى على صاحبه الصلاة والسلام ومن أغرب ما وقع للرئيس عبد المهيمن الحضرمى من التشبيه قوله

لقد راقنى مرأى سجلماسة الذى * يقرّ له فى حسنه كل منصف
كأنّ رؤس النخل فى عرصاتها * فواتح سورات بآخر مصحف

وهدا من التسمه العصر الدى لم سـو اليه فيا اطن وكان منب وله دلل ان السلطان أمير المسلمين ابا الحسن المرىنى لما تحرك لسال أخيه السلطان أبى لى عمر بسحلماسه وط رته اسمطر أبوا أفكار الكتاب وعدهم فى سه العمل وقال عبد المهيمن ما مر ولم يدرك ساالا لما لى ومد ابـسد الحافظ ابن مرزوق الجمد قال انسدنى سحاولى الدين الرمس ابو زيد عبد الرحمن بن خلدون الحصرمى لسـحه الرئيس ابى محمد عبد المهيمن الحصرمى السبتى رحمه الله الى قوله

عنى الله بردىبى الناس فاطبه * بات الذى ، كذا حكم المقادير
وانما الناس أمثال الفراس هم * ىلهون حسب مصابيح الدياجر

قلت ورأيت هذين البيتين فى كتاب دوح الشجر وروح الشعر للعالم الكاتب ابن الحساب منسوبين لابى المتوكل الهيثم بن احمد السكونى الاشبيلى قال انسدنى أبو الحجاج الحافظ قال أنـسدنى الهيثم فذكر البيتين وكان تاريخ روايته قبل أن يقال عبد المهيمن فهو من أن البيتين لساس نظمه وأعباء بل لم مار سم ماله وهم لانتحاله والله اعلم وأما البيت على الالسنه بالمغرب من أن ابا حيان مدح عبد المهيمن بقوله

لىس فى الغرب عالم * مثل عبد المهيمن
فى العلم اسر * أبانىه وهو من

فنسبه ابن غازى الى أبى حيان كالسهر لكن تاريخ مروره أبى حيان بالمغرب كان قبل ظهور عبد المهيمن بلا خفا وهو عندى محمول على أحد أمرين ان المراد عبد المهيمن جد عبد المهيمن المذكور أوان أبا حيان كتب بالبيتين ىن مصر بعدما ظهر عبد المهيمن وصارت له الرئاسه بالمغرب اذ ابو حيان عاش الى ذلك الزمان لا ريب ولذا المعاد كر لسان الدين بن الخطيب فى كتابه الكتيبه الكامنه فى أدبا أهل المائه الثامنه البيتين انه ان قال وهذا الرجل طالت حياته حتى أنار ولدى * ولعبد المهيمن المذكور أخبار غير ما قدمنا مع منها الاختصار وقد ذكر الخطيب ابن مرزوق باسم ولده ولده فهرسته المشهور وحلا فى صدرها أحسن حليه وهو اهل لذلك وقد ذكر مولاى الجدى سوسه كما تقدم وقال فيه انه امام الحديث والعربيه وكاتب الدوله العثمانيه والعلويه فلتراجع ذلك فمجاسن فى ترجمة الجد * وابو سعيد بن عبد المهيمن كان على الهمه كأبيه ولما بويع السلطان أبو عنان طلب منه أن يكون من يمانى جمله كتابه فامتنع وقال لا أكون غب حكم عمرى وعى بذلك أن اباه كان رئيس الكتاب فكيف يكون هو من ىسائهم فلم يرض همته رحمه الله تعالى الارتبه ابيه أوالترك وارتحل أبو سعيد محمد المذكور وكان مقيما بفاس لسيته الى ان توفى بها سنة ٧٦٧ وكان قليل الكلام جميل الرواء حسن الهيئه والبزة والشكل روى عن والده وعن الحجار وكتب له سنة ٧٢٤ وروى عن الفقيه أبى الحسن بن سلمان والرحاله ابن جابر الوادى آشى وابن رشيد وغيرهم * وابن أبى سعيد هذا اسمه عبد المهيمن كجده وكان صاحب العلم الاعلى روى عن أبيه وجده وغيرهما رحم الله الجميع * (ومن أشياخ لسان الدين رحمه الله تعالى) * الامام العلامه قاضى الجماعه أبو البركات

ابن الحاج البلفيقى

روح الشعر

ابن الحاج البلفيقي نادرة الزمان وشاعر ذلك الاوان وهو محمد بن محمد بن ابراهيم بن محمد ابن الشيخ الولي أبي اسحق بن الحاج البلفيقي وكان أبو البركات أحد رجال الكمال علما ومجدا وسوددا موروثا ومكتسبا وقد عرف به في الاحاطة بترجمة مذ فيها النفس وكتب انه على أول الترجمة ماصورته رحل الله تعالى بافقه الاندلس وحسبها رصيدرها وشيخها وبيت دهر يحك فلله ما أطلعت من نادرة واكسبت من فائدة انتهى (وحكى) في الاحاطة أنه لما استسقى وحصلت الاجابة أنشد لسان الدين

طمئت الى السقيا الاباطح والربا * حتى دعونا العام عاما مجدبا

والعيث مسدول الحجاب واعيا * علم العمام قدومكم فتادبا

ثم ذكر في الاحاطة تآليف أبي البركات وشعره الى أن قال حاكيا عن أبي البركات ماصورته ومما نظمته وقد أكثروا من التعجب لملازمتي البناء وحفر الآثار

في احتفار الإساس والآثار * واتقال التراب والاحجار

وقعودى ما بين رمل وآجر وجص والطوب والاحجار

وامتهاني بردى ما بين والما * ورأسي ولحيتي بالغبار

نشوة لم تمر قط على قلب خليع ومالها من خمار

من غريب البناء أن بنيه * متعبون يهوون طول النهار

يدعون الوصال من صانعيه * والبدار اليه كل البدار

فاذا حل في ذراهم تراهم * يشتهون منه بعيد المزار

من عذيرى من لائم في بنائي * وهولي الترجمان عن أخباري

ليس يدرى معناه من ليس يدرى * أنني ماعبيده على مقدار

أقتدى بالذي يقول بناها * ذلك الخالق الحكيم البارى

وبمن يرفع القواعد من بيت عتيق للحج والزوار

وبمن كان ذا جدار وقد كا * ن أبوه من صالحي الابرار

وبما قد أقامه الخضر المخصوص علما بباطن الاسرار

كان تحت الجدار كنز وماأد * رى لما كان تحت كنز الجدار

وبمن قد مضى من آباى الغر الالى شيدوا رفيع المنار

فالذي قد بنوه بني له مثلا ونجرى له على مضمار

قد بنينا من المساجد دهرا * ثم نبني لجارها خير جار

مثل ماقد بنيت للمجد أمثا * ل مبانيهم بكل اعتبار

فالمباني لسان حالي ولي فيها لعمرى ذكر من الاذكار

روح أعمالنا المقاصد لكن * حيث تخفى تخفى مع الاعذار

فعسى من قضى سبحانه هذى الـدار يقضى لنا بعقبى الدار

ثم قال في الاحاطة بعد كلام ومن نظمه في الانحاء على نفسه واستبعاد وجود المطالب في جنسه قال مما نظمته يوم عرفة عام خمسين وسبعمائة وأنا مترو في غار بعض جبال المرية

من عرف الله لم يذكر غيره فقد حكى سيدى أبو جعفر بن مكنون عن جده قال كنت مع سيدى أبى اسحق بن الحاج عراكش فقال لى هل ترى فى المنام شيأ فقلت نعم أرى كأنى فى المرية أمشى من الدار الى المسجد ومن كذا الى كذا فأعرض عنى وقال ألا ترى الا الله قال ثم مرّ به فى أثناء كلامه ابنه محمد فقال لى رأيت هذا والله ما أدرى أنّ لى ابنا حتى يمرّ بى ولا أذكره اذا غاب عنى ولا أرى الا الله انتهى * ومن تأليف أبى البركات رحمه الله تعالى كتاب ذكر فيه أخبار سلفه رضى الله عنهم وذكر جملة من كرامات جده سيدى أبى اسحق المذكور نفعنا الله به ومن شعر جده المذكور قوله

ألا كرّم الله البلاد بحطة * هم وحسنات الدهر لانابهم خطب
رعايتهم فرض على كل مسلم * وحبهم حقا قد أوجبه الرب
اذا ما سألت الله شيأ فسل بهم * فتعظيمهم قرب وغيبتهم حرب

وقوله

شكا فشكا قلبى خما الامر حا * على غير علم كان منى بشكواه
وما التقت الاسرار الا بجامع * من البعث سلطان الحقيقة سوّاه
فيا فرحة المجهود ان بات سره * وسرّ الذى يهواه مأواه مأواه
ومن أجله قد كان بالبعد راضيا * فكيف ترى معناه والقلب مثواه
تدامدت أعلام ضدّين فى الهوى * هما عجب لولا الدليل وفحواه
برؤيته فارقت موتى لبعده * ومتّ بها من أجل على بلواه
فها أنا حىّ ميت بلقائه * ولم ينج من لم يسعد الفهم نحواه
اذا لم تكن أنت الحبيب بعينه * رضا وعتابا ضل من قال يهواه
وأكذب ما يلقى الفتى وهو صادق * اذا لم يحقق بالافاعيل دعواه

وقوله رضى الله تعالى عنه

الحب فى الله نور يستضاء به * والهجر فى ذاته نور على نور
جنّب أخا حدث فى الدين داعية * انّ المعير فى نكس وتغيير
حاشى الديانة أن تبنى على خلل * سبحان خالقنا من قول مشهور
انّ الحقائق لا تبدو لمبتدع * كذا المعارف لا تهدى لمغرور
تالله لو أبصرت عيناه أونظرت * عماه ما طل فى حق وتقدير
حقق ترى عجبا ان كنت ذا أدب * ولا يغرّنك الجهال بالزور
انّ الطريقة فى التنزيل واضحة * وما تواتر من وحى ومشهور
فانهم هديت هدى الرحمن واهد به * هدى يفيد لك يوم النفخ فى الصور

وقوله صدر رسالة وجهها الى ابنه محمد أيام قراءته باشبيلية

اذا شئت أن تحظى بوصلى وقربتى * فجنب قرين السوء واصرم حباله
وسابق الى الخيرات واسلك سبيلها * وحصل علوم الدين واعرف رجاله

وكان رحمه الله تعالى كثيرا ما يتمثل ببيتى مهيار الديلمى وهما

وفى هذين البيتين تورية متعددة (وحدث) القاضى أبو البركات انه لما أراد الانصراف عن سبتة قال له السيد الشريف أبو العباس رحمه الله متى عزمت على الرحيل فانشد أبو البركات

أما الرحيل فدون بعد غد * فمتى تقول الدار تجمعنا

وأنشد الشريف رحمه الله تعالى

لا مرحبا بغد ولا أهلا به * ان كان تفريق الاحبة فى غد

(وحكى) أن السيد أبا العباس الشريف المذكور ساير القاضى أبا البركات فى بعض أسفاره زمن الشباب ببر الاندلس أعاده الله تعالى فلما انتهيا الى قرية ترليانة وأدركهما النصب واشتد عليهما حر الهجير لاوا كالمى بأكر التين الذى هنالك وشربا من ذلك الماء العذب واستلقى أبو البركات على ظهره تحت شجرة مستظلا بظلها ثم التفت الى السيد أبى العباس وقال

ماذا تقول فدتك النفس فى حالى * يفنى زمانى فى حل وترحال

وأرتج عليه فقال لابى العباس أجز فقال بديها

كذا النفوس اللواتى العز يصحبها * لا ترتضى بمقام دون آمال
دعها تسر فى الفيافى والقفار الى * أن تبلغ السول أو موتا بتجوال
الموت أهون من عيش لدى زمن * يعلى اللئيم ويدنى الاشرف العالى

ولما أوقع الشيخ أبو البركات على زوجه الحرة العربية أم العباس عائشة بنت الوزير المرحوم أبى عبد الله محمد بن ابراهيم الكنانى ثم المغيلى طلقة كتب بسحتها ما نصه بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آل محمد يقول عبد الله الراجى رحمته محمد المدعو بأبى البركات بن الحاج خار الله له ولطف به ان الله جلت قدرته لما أنشأ خلقه على طبائع مختلفة وغرائز شتى فمنهم السخى والبخيل والشجاع والجبان والعى والفطن والكيس والعاجز والمسامح والمناقش والمتكبر والمتواضع الى غير ذلك من الصفات المعروفة من الخلق كانت العشرة لا تستمر بينهم الا بأحد أمرين اما بالاشتراك فى الصفات أو فى بعضها واما بصبر أحدهما على صاحبه اذا عدم الاشتراك ولما علم الشارع أن بنى آدم على هذا الوضع شرع لهم الطلاق ليستريح اليه من عيل صبره على صاحبه توسعة عليهم واحسانا منه اليهم فلاجل العمل على هذا طلق كاتب هذا عبد الله محمد المذكور زوجه الحرة العربية المصونة عائشة ابنة الشيخ الوزير الحسيب النزيه الاصيل الصالح الفاضل الطاهر المقدس المرحوم أبى عبد الله محمد المغيلى طلقة واحدة ملكت بها أمر نفسها دونه عارفا قدره قصد بذلك اراحتها من عشرته طالبا من الله أن يغنى كلا من سعته مشهدا بذلك على نفسه فى صحته وجواز أمره يوم الثلاثاء أول يوم من شهر ربيع الثانى عام احد وخمسين وسبعمائة انتهى *(ومن نوادره رحمه الله تعالى) انه لما استناب بعض قضاة المرية الفقيه أبا جعفر المعروف بالقرعة فى القضاء من عمله بجارح المرية فاتفق أن جاء بعض الجانين بحص المرية يشتكى من جائحة أو اذاية أصابت جنانه فسدت غلته

(وحكى) غير واحد منهم ابن داود البلوى أن القاضى أبا البركات لما عزم على الرحلة الى المشرق كتب اليه ابن خاتمة بما صورته

أشمس الغرب حقا ما سمعنا * بأنك قد سئمت من الاقامه
وانك قد عزمت على طلوع * الى شرق سموت به علامه
لقد زلزلت منا كل قلب * بحق الله لا تقم القيامه

قال الحاكى فتخلف أبو البركات أن لا يرحل من اقليم فيه من يقول مثل هذا انتهى يشير بقوله لقد زلزلت الخ الى طلوع الشمس من مغربها (قلت) ولما عزمت على هذه الرحلة كتب الى بعض أصحابنا المغاربة بالابيات المذكورة متمثلا ولم أرجع عن العزم والله غالب على أمره * قال الوزير لسان الدين رحمه الله تعالى وما أحسن قول شيخنا أبى البركات معتذرا عن زرقة عينيه

سرقت عليك العين يا مغنى الهوى * فالدمع منها بعد بعدك مارقا
ولذاك ما طهرت بلون أزرق * أو ما ترى ثوب المآتم أزرقا

قال رحمه الله تعالى وهو من الغريب وقال بعض الشيوخ كنت أقرأ على الشيخ أبى البركات التفسير فنسيت ذات ليلة السفر الذى كنت أقرأ فيه بمنزلى فاتفق أن حضر الجامع الصحيح للبخارى فقال الشيخ بعد أن أردت القراءة عليه من أوله افتح فى أثناء الاوراق ولا تعين وما خرج لك من ترجمة لجهة اليمين فاقرأها ففعلت فاذا غزوة أحد فقرأت الحديث الاول من الباب وهو عن عقبة بن عامر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودع للاحياء والاموات ثم طلع المنبر فقال انى بين أيديكم فرط وأنا شهيد عليكم وان موعدكم الحوض وانى لانظر اليه من مقامى هذا وانى لست أخشى عليكم أن تشركوا ولكنى أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها قال فكانت آخر نظرة نظرتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الشيخ قوله صلى على قتلى أحد لفظ الصلاة يطلق لغة على الدعاء وشرعا على الافعال المخصوصة المعلومة واذا دار اللفظ بين الشرعى واللغوى فحمله على الشرعى أولى حتى يدل الدليل على خلافه فقوله صلى على قتلى أحد يحتمل الصلاة الشرعية ويكون ذلك منسوخا اذ قد تقرر أنه لا يصلى على شهيد المعترك ولا على من قد صلى عليه ولمن يعارضه أن يقول ان قتلى أحد متفرقون فى أماكن فلا تتأتى الصلاة الشرعية عليهم اذ الصلاة الشرعية انما تتأتى لو كانوا مجتمعين والجواب انهم وان كانوا متفرقين تجمعهم جهة واحدة وليس بعد ما بينهم بحيث لا تتأتى معه الصلاة عليهم هذا وان احتمل حمله على الصلاة اللغوية وقوله كالمودع للاحياء والاموات أما وداعه للاحياء فلا اشكال فيه وأما الاموات فمعنى وداعه لهم وداع الدعاء لهم لانه اذا مات فقد حيل بينه وبين الدعاء لهم فلا جرم يودعهم بالدعاء لهم قبل أن يحال بينه وبين ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم انى بين أيديكم اى أتقدم قبلكم وقوله صلى الله عليه وسلم بين أيديكم فرط أى متقدم و بين اذا اضيفت الى الايدى تستعمل فيما قبل زمانك وفيما بعده والمعنى هنا فى قوله بين أيديكم أى أتقدم قبلكم وقوله صلى الله عليه وسلم وأنا شهيد عليكم فيه وجهان أحدهما أن يحلق

قوله ما طهرت هكذا فى النسخ ولعله قد ظهرت تأمل اه مصححه

الله في قلبه عيانا مسرورا بما عرفه من البر والفاجر فشهد عيانا حين ألقى الله في قلبه من ذلك إذ لا يكون
الشهادة الأعلى أمر مشاهد ومعلوم أنه لم يشاهد ما فعل بعده من أمته فخلق الله له علما
بذلك الوجه الثاني أن يخبره الله تعالى بذلك كما في حديث الحوض وليذادن عنه أقوام
كما يذاد البعير الضال فأقول ألا هلم ألا هلم فيقال إنهم قد غيروا وبدلوا فأقول فسحقا
فسحقا فسحقا فشهد عيانا أخبر الله تعالى به وهو نظير ما روي في تفسير قوله تعالى وكذلك
جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا من أن قوم
نوح يقولون كيف يشهدون علينا ولم يأتكم فيخبر عن ربنا بما فيه ويقولون لأن الله تعالى قص
علينا أخباركم في كتابه فقال إنا أرسلنا نوحا إلى قومه إلى آخره وقوله صلى الله عليه وسلم وإن
موعدكم الحوض وإني لأنظر إليه من مقامي هذا نظره صلى الله عليه وسلم إلى الحوض فيه
وجهان أحدهما أن يكون نظر إليه بعينه إذ كان قد أطلعه الله عليه ليلة الإسراء فصار
من شاهد عليه فيكون نظر إليه بعين قلبه كما رسم في قلب أحمد ما شكل فيه وما فيه من
المتاع والثياب وغير ذلك الثاني أن يكون الله تعالى قد كشف له عنه فيكون نظر إليه بعينه
مشاهدة وقوله صلى الله عليه وسلم وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا إن قيل
كيف قال ذلك وقد ارتد عن الإسلام من ارتد من العرب بعده فالجواب أنه إنما خاطب
بذلك من لم يشرك من أصحابه ومن بعدهم من التابعين وغيرهم من أمته ولم يراع رعاع الأعراب
وجهالهم إذ لا اعتبار بهم لاحتقارهم وقوله عليه الصلاة والسلام ولكني أخشى عليكم
الدنيا أن تنافسوها قد وقع ما خشيه عليه الصلاة والسلام من المنافسة في الدنيا فكان
كما ذكر صلى الله عليه وسلم انتهى (وحدث) الشيخ أبو البركات قال كنت جالسا بمجلس
الإمام ناصر الدين المشدالي أيام قراءتي عليه وقد أفاض طلبة مجلسه في تفضيل الملائكة
أفضل أم الأنبياء فطلب الدليل لأن الملائكة أفضل أن الله أمرهم بالسجود لآدم قال
فجعل الطلبة ينظر بعضهم إلى بعض حتى قال لي بعضهم أسند ما أسند فأكثره يقول أسند
إلى حائط لئلا يزول هوس رأسك وكانت عمائمهم في ذلك وكل منهم يقول لي خذ ذلك ازدراء
وقال لي الإمام ناصر الدين انصر فإنهم يقولون لك الحق وكانت بغيته أن يقول انصر قال
فقلت أتقولون إن أمر الله للملائكة بالسجود لآدم أمر ابتلاء واختبار قالوا نعم قلت
اختبار العبد يقتضي بحسب ليرى تواضعه قالوا لا فإن ذلك من شأن العبد دون أن يؤمر
قل السيد يختبر تواضعه بأن يؤمر بالسجود لعبده فقد يأنف فكذا الملائكة لو أمرت بالسجود
لا فضل منها لكان غيره أمر العبد بالسجود لسيده قال فكأنما ألقمتهم حجرا قال الشيخ
أبو البركات وجدت بخط أبي بكر بن الطيب عن بعض رؤساء المعتزلة وذلك أنه اجتمع معه
في مجلس الخليفة فناظره في مسألة رؤية الباري فقال له رئيسهم ما الدليل أيها القاضي على
جواز رؤية الله تعالى قال قوله تعالى لا تدركه الأبصار فنظر بعض المعتزلة إلى بعض وقالوا
جن القاضي وذلك أن هذه الآية هي معظم ما احتجوا به على مذهبهم وهو ما كتم قال
لهم أتقولون إن في لسان العرب قولك الحائط لا يبصر قالوا لا قال أتقولون أن في لسان
العرب الحجر لا يأكل قالوا لا قال فلا يصح إذا نفي الصفة إلا عما من شأنه صحة اتصافه بها قالوا

ثم

ثم قال وكذلك قوله تعالى لا تدركه الابصار لولا جواز ادراك الابصار له لم يصح نفيه عنه فأذعنوا لما قال واستحسنوه * وقال الشيخ أبو البركات كنت ببجاية وقدم علينا رجل من فاس يرسم الحج يعرف بابن الحداد فركب الناس فى الاخذ عنه والرواية لما يحمله كل صعب وذلول مع انه لم تكن منزلته هنالك فى العلم فعجبت لذلك حتى قلت لبعض الطلبة لقد أخذتموه بكلتا اليدين ولم أركم مع من هو أعلى قدرا منه كذلك فقالوا لى لانه قدم علينا ونحن لا نعرفه وهو فى زى حسن بخادم يخدمه يظن من يراه أن أباه من أعيان أهل بلده فسألناه أحى أبوه أم لا فقال بل حى قلنا أهو من أهل العلم قال لا عود لال فى سوق الخدم فلذلك آثرناه على من هو فوقه فى العلم قال فقلت لهم حق له أن ترتفع مرتبته ويعلو صيته لخلاقه وفضله وفوائد أبى البركات كثيرة * ومن تآليفه المؤتمن على أنباء أبناء الزمن كتاب مفيد جدا وهو رضى الله عنه من ذرية العباس بن مرداس السلمى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين * وقال الشيخ أبو البركات ذكر لى أن الشيخ الفقيه الكاتب أبا الحسن بن الجياب يحدث عنى ولا أذكر الآن انى قلت ذلك ولكنى لما سمعته علمت انه مما من شأنى ان أقوله وهو أنى قلت مثل العالم مثل رجل يصب ماء فى قمة ان واظب على صب الماء بقيت القفة ملأى وان ترك صب الماء بقيت القفة لا شئ فيها من الماء فكذلك العالم ان واظب على طلب العلم بقى العلم لم ينقص منه شئ وان ترك الطلب ذهب علمه انتهى * ونقلت من رأى كلام ابن الصباغ فى ترجمة أبى البركات ما نصه لما ورد مدينة فاس فى غرض الهناء والعزاء على أمير المسلمين أبى بكر السعيد بن أمير المؤمنين أبى عنان وأبصر الدار غاصة بأرباب الدولة الفاسية ولم يعدم منها عدا شخصه والولد على أريكة أبيه أنشد

لما تبدلت المجالس أوجها * غير الذين عهدت من جلسائها
ورأيتها محفوفة بسوى الالى * كانوا حماة صدورها وبنائها
أنشدت بيتا سائرا متقدما * والعين قد شرقت بجارى مائها
أما الخيام فانها كخيامهم * وأرى نساء الحى غير نسائها انتهى

وأظن أنه تمثل بالابيات فى سره والا فيبعد أن يقولها فى ذلك الحفل لما فى ذلك من التعرض للهلاك والله سبحانه أعلم * وحكى بعضهم انه كان جالسا فى دهليز بيته مع بعض الاصحاب فدخلت زوجته من الحمام وهى بغير سراويل لقرب الحمام من البيت فانكشف ساقها فدخل خلفها مسرعا وغاب ساعة ثم خرج وأنشد

كشفت على ساق لها فرأيته * مثلا لنا كالجوهر البراق
لا تعجبوا ان قام منه قيامتى * ان القيامة يوم كشف الساق

وله فى خذيم اسمه يحيى احتجم بحجمة واحدة

أرانى يحيى صنعة فى قفائه * مهذبة لما تبادر للباب
أرى الحسن فيها لا تفارق ساعة * فصوّر بالموسى بها شكل محراب

وتوفى الشيخ القاضى أبو البركات المذكور بشوال سنة ٧٧١ رحمه الله تعالى (ومن أشياخ

يحيى بن هذيل

لسان الدين رحمه الله تعالى) الشيخ الحكيم العلامة التعالمي الشاعر المبدع أعجوبة زمانه
في الاطلاع على علوم الأوائل أبو زكريا يحيى بن هذيل وقد قال في الإحاطة في حقه
ما ملخصه يحيى بن أحمد بن هذيل التجيبي أبو زكريا شيخنا جرى ذكره في التاج المحلى
بما نصه درة بين الناس معقلة وجراية على كل فائدة مقلة وهدية من الدهر الضنين لنفسه
مستقلة أبدع في رسالة المعرفة بها وركض في الألواح طلقها وأنس من صوّرالها
وشكلها وأسس قواعد البراهين وأثبتها وأغرب في زوال شكاته ودفع عن حسم
شكاته الى غير ذلك من المشاركة في العلوم والوصول من المجهول الى المعلوم
والخاطر المستنير للعلوم والدعابة الى ما خالع العذار وما بالملوم فحسبت من نعم عدته
الشيم وأخلاق كالزهر من بعد الديم ومعاشرة تهتز لها المجالس والمحاضر ومذاكرة
تروق في المواطن زهرها الناضر وله أدب ذهب في الإجادة كل مذهب وارتدى من
البلاغة بكل رداء مذهب والأدب نقطة من حوضه وزهرة من زهرات روضه وستمر
له في هذا الديوان ما يبهر العقول وتحاسن رواته ورواته بهاته الفريدة وقد نقلت من ذلك
ما خرجته في ديوانه المسمى بالسليمانيات والعربيات قوله

ألا استودع الرحمن بدرا مكملا * بفاس من الدرب الطويل مطالعه
في فلك الأزرار يطلع سعده * وفي أفق الأكباد تلقى مواقعه
يبعد مرآه مجسم معانى * فيعتد في قطع الرجا قواطعه
عجبت بما الملح حد * وما المامسة يرجع مانعه
ماون كالحربا في حلاته * فيحمر قانيه ويبيض ناصعه
إذا اخضر منه حلة فوق غمر * كمن الشاعب عليه سواجعه
تذكر ما الغيب عاكل غيد * وينطق في وادي العذار بوائعه
أعد الورى سدا كنت مخاطبه * فهذا هو الماضي وذا المضارعه

وقال

وصال هذا أم يعتبه فارق * وشعرك أم ليل السليم لثاني
أأدمل والأسواق ركضن ترها * فصعه مدى في دوع سواني
أبارود رز في عقد بارضانه * فصب مهجتي من العذب وبارق

ومنها

فلا من ريح الصبا في رسالة * ولا تقبل الطيف الذي كان طارق
في طامت عن الكرا بعد بعدكم * فإني في دعوى الهوى غير صادق

وقال

فالمدام دونه الليل غيهبا * وجه أنس في صباح مصبا
حوى النجم قرطا والدراري قلادة * وأخل في سلك الذوائب جندبا
كأنما الاصباح رام زورها * وخاف العيون الرامقات فلثما
أو تحمل الورا طيباً مرا * لطف الذي انتسب العرا أعما

وقابل أحبار اليهود بوجهه * دارك مولانا عليه وقدسا
فصيره معى أعيا شرب سبطه * وعمرى تيها والجوانح مقدسا

وقال منها

رويت ولوعى عن ضلوعى مسلسلا * وأصبحت فى علم الغرام مدرسا
نفى النوم عنى كى أكون مسهدا * فأصبحت فى صيد الخيال مهندسا
غزال من الفردوس تسقيه أدمعى * ويأوى الى قلبى مقيلا ومكنسا
طغى ورد خديه بجنات صدغه * فأضعفه بالآس نبتا وما أسا

وهذا البيت محال على معنى ولاحى قال أهل الفلاحة ان الآس اذا اغترس بين شجر الورد اضعفه بالخاصية وقال رحمه الله تعالى ورضى عنه

نام طفل النبت فى حجر الغمامى * لاهتزاز الطل فى مهد الخزامى
وسقى الوسمى اغصان النقا * فهوت تلثم أفواه الندامى
كل الفجر اهم جفن الدجى * وغدا فى وجنة الصبح لثاما
تحسب البدر محيا ثمل * قد سقته راحة الصبح مداما
حوله الزهر كؤس قد غدت * مسكة الليل عليهن ختاما
يا عليل الريح رفقا على * أشف بالسقم الذى حزت سقاما
أبلغن شوقى عربيا باللوا * همت فى أرض بها حلوا غراما
فرشوا فيها من الدر حصى * ضربوا فيها من المسك خياما
كنت أشفى غلة من صدكم * لو اذنتم بجفونى أن تناما
واستمدت الروح من ريح الصبا * لو أتت تحمل من سلمى سلاما

وقال منها أيضا

نشأت للصب منها زفرة * تسكب الدمع على الربع سجاما
طرب البرق مع القلب بها * وبها الانات طارحن الحماما
طلل لا تشتفى الاذن به * وهو للعينين قد ألقى كلاما
ترك الساكن لى من وصله * ضمة الجدران لثما والتزاما
نزعات من سليمان بها * فهم القلب معانيها فهاما
شادن يرعى حشاشات الحشى * حسب حظى منه ان أرعى الذماما

وقال

أأرجو أمانا منك والعطف غادر * ويثبت عقلى فيك والطرف ساحر

ومنها

أعد سليمان أليم عذابه * لطائر قلبى فهو للبين صائر
أشاهد منه الحسن فى كل نظرة * وناظر أفكارى بمعناه ناظر
دعت للهوى انصار سحر جفونه * وقلبى له عن طيب نفس مهاجر
اذا شق عن بدر الدجى أفق زره * فانى بتمويه العواذل كافر

لقد بعدت عنى ديار قريبة * ومن بات بالدار الجنب وهو غريب
أعاشر أقواما تقرنهم سهم * فلاهم فيها عند ذاك ضروب
اذا شعروا من جارهم بتأوه * اجابته منهم زفرة ونحيب
فلا ذاك يشكوهم هذا تأسيا * لكل امرئ مما دهاه نصيب
كأنى فى غاب الليوث مسالم * يروعنى منه العداة وثوب
يحكم فيها الدهر والعقل حاضر * بكل قياس والاديب اديب
ولو مال بالجهال ميلته بنا * لجاء بعذر ان ذا لعجيب
رفيق بمن لا ينثنى عن جريمة * بطوش بمن ما أوبقته ذنوب
ويطمعنا منه بوارق خلب * تقول عساه يرعوى فيؤب
اذا ما تشبثنا بأذيال برده * دهتنا اذا جر الخطوب خطوب
أدار علينا صولجانا ولم يكن * سوى انه بالحادثات لعوب

ومنها

أيا دهر انى قد سئمت تمدنى * أجرنى فان السهم منك مصيب
اذا خفق البرق الطروق أجابه * فؤادى ودمع المقلتين سكوب
وان طلع الكف الخضيب بحيرة * فدمعى بماء الدماء خضيب
تذكرنى الاسحار دارا ألفتها * ويشتد حزنى والحمام طروب
اذا علقت نفسى بليت وربما * تكاد تفيض أو تكاد تذوب
دعوتك ربى والدعاء ضراعة * وأنت تناجى بالدعا فتجيب
لئن كان عقبى الصبر نورا وغبطة * فانى على الصبر الجميل دروب

قال وبعثت اليه هدية من البادية فقال يصف منها ديكا

أيا صديقا جعلته سندا * فراح فيما أحبه وغدا
طلبت منكم سريدكا حنشا * وحشتم لى مكانه لبدا
صبرمى مؤرخا ولكم * طالت فى علاه من البلدا
قلت له آدم أتعرفه * قال حفيدى بعصرنا ولدا
نوح وطوفانه رأيتهما * قال علوا بقصه أحدا
فقلت هل لى بخبرهم خبر * فقال قومى وجيرتى السعدا
فقلت قحطان هل مررت به * قال بمشابرده العقدا
فقلت صف لى ساوسا كنها * فعند هذا تنفس الصعدا
فقال كم لى بدجنهم سحرا * من صرخة لى والنوم هدا
فقلت هاروت هل سمعت به * فقال ريشى لسهمه نفدا
فقلت كسرى وآل شرعته * فقال كنا بجيشه وفدا
ولوا وصاروا وها أنا الـبد * فهل رأيتم من فوقهم أحدا
ديك اذا ما انثنى لفكرته * رأى وجود اطرا انقافقدا

قوله سريدكا هكذا هو فى الاصل المجموع منه وبيض له فى النسخة الاخرى ولم أقف له على معنى بعد المراجعة فليحرر اه مصححه

حنت على الندمان من افلاسهم * فرمت قضيب لجينها الحامها
لله درّ غزالة أبدت لنا * درّ الحباب تدوغه بلسامها

(قال لسان الدين) وفي المذكور فلم يبرح لمكان فضله ووجوب حقه وقد كانت زوجه توفيت وصحبه عليها وجد فلما ثقل وقربت وفاته استدعاني وكاد لسانه لايبين فأوصاني وقال

اذا مت فادفني حذاء حليلتي * يخالط عظمي في التراب عظامها
ولا تدفنني في البقيع فانني * أريد الى يوم الحساب التزامها
ورتب ضريحي كيفما شاء الهوى * تكون أمامي أو أكون أمامها
لعل اله العرش يجبر صدعتي * فيعلى مقامي عنده ومقامها

ومات رحمه الله تعالى في الخامس والعشرين لذى قعدة عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة ودفن بحذاء زوجه كما عهد رحمه الله تعالى انتهى ومن نظم ابن هذيل

وطى زارني والليل طفل * الى أن لاح لي منه اكتهال
وألقى الشك من وصل فقلنا * بليل الشك يرتقب الهلال

(الشيخ أبو بكر بن ذى الوزارتين)

(ومن أشياخ لسان الدين) الشيخ أبو بكر بن ذى الوزارتين وهو اعنى أبا بكر الوزير الكاتب الاديب الفاضل المشارك المتفنن المتبحر في اللغة وهو أبو بكر محمد ابن الشيخ الشهير ذى الوزارتين أبى عبد الله الحكيم الرندى ومن نظمه قوله

تصبر اذا ما ادركتك ملمة * فصنع اله العالمين عجيب
وما يلحق الانسان عار بنكبة * ينكب فيها صاحب وحبيب
ففيمن مضى للمرء ذى العقل اسوة * وعيش كرام الناس ليس يطيب
ويوشك ان تهمى سحائب نعمة * فيخصب ربع للسرور جديب
الهك يا هذا قريب لمن دعا * وكل الذى عند القريب قريب

قال ابن خاتمة وأنشدني الوزير أبو بكر مقدمه على المرية غازيا مع الجيش المنصور قال أنشدني أبي

ولما رأيت الشيب حل بمفرقي * نذيرا بترحال الشباب المفارق
رجعت الى نفسي فقلت لها انظرى * الى ما أرى هذا ابتداء الحقائق

وبيتهم بيت كبير وأخذ عن غير واحد وعن والده وهو ذو الوزارتين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن يحيى اللخمي الرندى الكاتب المليح الاديب الشهير الذكر بالاندلس وأصل سلفه من أشبيلية من أعيانها ثم انتقلوا الى رندة في دولة بنى عباد ويحيى جد والده هو المعروف بالحكيم لطبه وقدم ذو الوزارتين على حضرة غرناطة أيام السلطان أبى عبد الله محمد بن محمد بن نصر اثر عوده من الحج في رحلته التي رافق فيها العلامة أبا عبد الله بن رشيد الفهرى فألحقه السلطان بكتابه وأقام يكتب له في ديوان الانشاء الى أن توفى هذا السلطان وتقلد الملك بعده ولى عهده أبو عبد الله المخلوع فقلده الوزارة والكتابة وأشرك معه في الوزارة أبا سلطان عبد العزيز بن سلطان الدانى فلما توفى أبو سلطان أفرده السلطان بالوزارة ولقبه ذا الوزارتين وصار صاحب أمره الى أن توفى بحضرة غرناطة قتيلا نعمه الله

يلقى الامور بصدر منه منشرح * بحر وآراؤه العظمى جواهره
راعى امور الرعايا معملا نظرا * كيف علياه معتد وما نظنا ثره
والملك سير فى تدبيره حكما * تنال ما عجزت عنه عساكره
سياسة الحلم لا بطش يكدرها * فهو المهيب وما تخشى بوادره
لا يصدر الملك الا عن اشارته * فالرشد لا تتعداه مصايره
تجرى الامور على أقصى ارادته * كأنما دهره فيه يشاوره
وكم مقام له فى كل مكرمة * أنست موارده فيها مصادره
فضلها طبق الآفاق أجمعها * كأنه مثل قد سار سائره
فليس يجحده الا أخو حسد * يرى الصباح فيعشى منه ناظره
لا ملك أكبر من ملك يدبره * لا ملك أسعد من ملك يوازره
يا عز أمر به اشتدت مصاربه * يا حسن ملك به ازدانت محاضره
تثنى البلاد وأهلوها بما عرفوا * ويشهد الدهر آتيه وغابره
بشرى لآمله الموصول مأمله * تعسا لحاسده المقطوع دابره
فالعلم قد أشرقت نورا مطالعه * والجود قد أسبلت سحا مواطره
والناس فى شرو الملك فى ظفر * عال على كل عالى القدر قاهره
والارض قد ملئت أمنا جوانبها * بيمن من خلصت فيها سرائره
والى أياديه من مثنى وموحدة * تساجل البحران فاضت زواخره
فكل يوم تلقانا عوارفه * كساه امواله الطولى دفاتره
فمن يؤدى لما أولاه من نعم * شكرا ولو أن سحبانا يظاهره
يا أيها العبد بادر اثم راحته * فلثمها خير مأمول تبادره
واخر بأن قد لقيت ابن الحكيم على * عصر يساريك أو دهر تفاخره
ولى الصيام وقد عظمت حرمته * فأجره لك وافيه ووافره
وأقبل العيد فاستقبل به جذلا * واهنأ به قادما عمت بشائره

(ومن نثر ذى الوزارتين آخر اجازة ما صورته) وها أنا أجرى معه على حسن معتقده واكله فى هذا العرض الى ما رآه بمقتضى توده وأجيزله ولولديه أقر الله بهما عينه وجمع بينهما وبينه رواية جميع ما نقلته وحملته وحسن اطلاعه يفصل من ذلك ما أجملته فقد أطلقت لهم الاذن فى جميعه وأبحت لهم الحمل عنى وانهم الاختيار فى تنويعه والله سبحانه يخلص أعمالنا لذاته ويجعلها فى ابتغاء مرضاته * قال هذا محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم حامدا الله عز وجل ومصليا ومسلما * ومن شعر ذى الوزارتين بن الحكيم قوله

ما أحسن العقل وآثاره * لو لازم الانسان ايثاره
يصون بالعقل الفتى نفسه * كما يصون الحر أسراره
لا سيما ان كان فى غربة * يحتاج أن يعرف مقداره

وقوله رحمه الله

اني لاعسر أحيانا فيلحقني * يسر من الله ان العسر قد زالا

يقول خير الورى في سنة ثبتت * أنفق ولا تخش من ذي العرش اقلالا

وهو من أحسن ما قال رحمه الله * ومن شعر ذي الوزارتين المذكور قوله

فقدت حياتي بالفراق ومن غدا * يفارق من يهوى فقد فقد

ومن أجل بعدي عن ديار ألفتها * تحكم فؤادي قد بلي وتوقد

وينسب الى هذا القائل

أواري أواري بالدموع تجلدا * وكم زند أطفأ الهوى وتوقد

فلا تعذلوا من ذاب عند مغيبه * ففي سدة الضلوع مصطلى يتوقد

كذا رواه ابن خاتمة ورواه غيره هكذا أواري أواري والدموع تبينه وهو الصواب

قال ابن خاتمة وأنشدني رئيس الكتاب الصدر البليغ الفاضل أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري قال أنشدني رئيس الكتاب الجليل أبو محمد عبد المهيمن بن محمد الحضرمي قال أنشدني رئيس الكتاب ذو الوزارتين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم رحمه الله

ضع الكتاب وعيته * واختم على مكتبه

واحذر عليه من فتى * لثم الرضاب عقيبه

واحمل لسائلك عنه * كلا ترى في صحبه

قال ابن خاتمة وقد شهدت القطعة بنوع غريب في التذييل (وحكي) ان ذا الوزارتين المذكور لما اجتمع مع الملك الفقيه الكاتب ابن أبي مدين أنشد ابن أبي مدين

عشقتكم بالسمع قبل لقاكم * وسمع الفتى يهوى لعمري كطرفه

وحببني ذكراكم الدين الشكور * فلما التقينا كنتم فوق وصفه

فأنشد ذو الوزارتين بن الحكيم

ما زلت أسمع عن علاك كل سنى * أبهى من الشمس أو أحلى من القمر

حتى رأى بصري فوق الذي سمعت * أذني فرقت بين المسمع والبصر

ويحكى في قريب من هذا المعنى قول الحاج الكاتب أبي إسحق الساحلي رحمه الله

يفخر اللسان باني صار يعدده * والفضل عنده بمطلق الحس

لا أبتذل بلساني ويبصرني * أنا المعيدي فاسمع بي ولا ترني

(رجع) وقال لسان الدين في عائد الصلة في حق ذي الوزارتين بن الحكيم ما صورته كان رحمه الله فريد دهره سماحة وبسالة ولوذعية وانطباعا رقيق الحاشية نافذ العزيمة مهيبا للمدح طلقا للآمل كهفا للغريب بركة القبائل حلى المآثر ريان من الأدب مضطلعا بالرواية مستكثرا من الفائدة يقوم على المسائل الفقهية ويتقدم الناس في باب التفسير والتصحيح ورفع راية الحديث والتحديث في نباهة القلب وأحيا معالم الأدب وأكرم العلم والعلما ولم يشغله السياسة عن النظر ولا عاقه تدبير الملك عن المطالعة والسماع وأفرط في اقتناء الكتب حتى ضاقت قصوره عن خزائنها وأثرت أنديته من ذخائرها قام

له الدهر على رجل وأخدمه صدور البيوتات وأعلام الرياسات وخوطب من البلاد النازحه وأمل فى الآفاق النائيه انتهى المقصود منه ومن أحسن مارثى به الوزير ابن الحكيم رحمه الله قول بعضهم

قتلوك ظلما واعتدوا * فى فعلهم حد الوجوب
ورموك اشلاء وذا * أمر قضته لك الغيوب
ان لم يكن لك سيدى * قبر فقبرك فى القلوب

(وقال لسان الدين فى الاحاطة فى حق رحلة ذى الوزارتين بن الحكيم ما صورته) رحل الى الحجاز الشريف من بلده على قناة سنه اول عام ثلاثة وثمانين وستمائة فحج وزار وتجول فى بلاد المشرق منتجعا عوالى الرواية فى مظانها ومنتزعا عنها عند مسنى شيوخها وقيد الاناشيد الغريبة والابيات المرقصة وأقام بمكة شرفها الله من شهر رمضان الى انقضاء الموسم فأخذ بها عن جماعة وانصرف الى المدينة المشرفة ثم قفل مع الركب الشامي الى دمشق ثم كر الى المغرب لا يمر بمجلس علم أو تعلم الا روى أو روّى واحتل رندة حرسها الله أواخر عام خمسة وثمانين وستمائة فأقام بها عينا فى قرابته وعلما فى أهله معظما لديهم الى أن اوقع السلطان بالوزراء من بنى حبيب الوقيعة البرمكية وورد رندة فى اثر ذلك فتعرض اليه وهنأه بقصيدة طويلة من أوليات شعره أولها

هل الى رد عشيات الوصال * سبب أم ذاك من ضرب المحال

فلما أنشدها اياه أعجب به وبحسن خطه ونصاعة ظرفه فأثنى عليه واستدعاه الى الوفادة على حضرته فوفد آخر عام ستة وثمانين فأثبته فى خواص دولته وأحظاه لديه الى أن رقاه الى كتابة الانشاء ببابه واستمرت حاله معظم القدر مخصوصا بالمزية الى أن توفى السلطان ثانى الملوك من بنى نصر وتقلد الملك بعده ولى عهده أبو عبد الله فزاد فى احظائه وتقريبه وجمع له بين الكتابة والوزارة ولقبه بذى الوزارتين وأعطاه العلامة وقلده الامر فبعد الصيت وطاب الذكر الى ان كان من أمره ما كان انتهى ملخصا * وقال فى الاحاطة بعد كلام طويل فى ترجمته قال شيخنا الوزير أبو بكر بن الحكيم ولده وجدت بخطه رحمه الله تعالى رسالة خاطب بها أخاه الاكبر أبا اسحق ابراهيم افتتحها بقصيدة أولها

ذكر اللوى شوقا الى اقماره * فقضى أسى أو كاد من تذكاره
وعلا زفير حريق نار ضلوعه * فرمى على وجناته بشراره

وقد ذكرناها فى غير هذا المحل ومن نظمه مما يكتب على قوس

انا عدة للدين فى يد من غدا * لله منتصرا على أعدائه
احكى الهلال واسهمى فى رجمها * لمن اعتدى تحكى نجوم سمائه
قد جاء فى القرآن انى عدة * اذ نص خير الخلق محكم آيه
واذا العدو أصابه سهمى فقد * سبق القضاء بهلكه وفنائه

(قال لسان الدين) ومن توقيعه ما نقلته من خط ولده يعنى أبا بكر فى كتابه المسمى بالموارد المستعذبة وكان بوادى آش الفقيه الطريفى فكتب الى خاصة والدى أبى جعفر بن داود

وأقام كالكسعي بان نهاره * أو كالفرزدق فارقته نواره
انكرتم من حق معترف لكم * بالحق ما لا ينبغي انكاره
والشرع قد منع التقاطع نصه * قطعا وقد وردت به اخباره
والسن سن تورع وتبرع * وتسرع لتشرع تختاره
ما يومنا من امسنا متدارك * ذهب الشباب فكيف يبقى عاره
هل لا حظرتم أو حذرتم منهما * حق عليكم حظره وحذاره
عجبا لمن يجري هواه لغاية * محدودة اضماره مضماره
يأتي ضحى ما كان يأتيه دجى * فكأنه ما شاب منه عذاره
فيعد ما تفنى به حسناته * ويعد ما تبقى به اوزاره
فالنفس قد أجرته ملء عنانها * يشتد في مضمارها احضاره
والمرء من اخوانه في جنة * بل جنة تجري بها أنهاره
واليمن قد مدت اليه يمينه * واليسر قد شدت عليه يساره
شعر به أشعرت بالنصح الذي * يهديه من اشعاره أشعاره
ولو اختبرتم نقده بمحكه * لامتاز بهرجه ولاح نضاره
هذا هدى فيه اقتدى نيل المنى * او انت في هذا وما تختاره
وعليكم مني سلام مثل ما * ارجت بروض يانع أزهاره

وقال من قصيدة رثائية

حمام حمام فوق ايك الاسى تشدو * تهيج من الاشجان ما أوجد الوجد
وذلك شجو في حناجرنا شجي * وذلك هزل في ضمائرنا جد
أرى أرجل الارزاء تشتد نحونا * وأيدينا نسعى اليها فتمتد
ونحن اولو سهو عن الامر ما لنا * سوى امل ايجابنا عنده جحد
فان خطرت للمرء ذكرى لخاطر * فتسبيحة الساهي اذا سمع الرعد
مصاب به قدت قلوب وأنفس * لدينا اذا في عيره قطعت برد
تلين له الصم الصلاب وتنمحي * عيون ويبكي عنده الحجر الصلد
فلا مقلة ترنو ولا اذن تعي * ولا راحة تعطو ولا قدم تعدو
وقد كان يبدو الصبر منا تجلدا * وهذا مصاب صبرنا فيه ما يبدو

مولده عام خمسين وستمائة وتوفي بغرناطة ضحى السبت في السابع والعشرين لذي حجة عام ثلاثين وسبعمائة وحضره السلطان فمن دونه رحمه الله تعالى انتهى * (ومنهم العلامة شيخ الشيوخ أبو سعيد فرج بن لب قال في الاحاطة في حقه ما محصله فرج بن قاسم بن أحمد بن لب قال ابن الصباغ من شعر ابن لب يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابو سعيد فرج بن لب

اذا القلب ثار أثار ادكارا * لقلبي فادكى عليه أوارا
تروم جفوني لسار الهوى * جمودا فتهمي دموعا غزارا
فماء جفوني يسح انهمالا * ونار فؤادي تهيج استعارا

اطل الدو ل صـ اماسا * كدماولسب أطس اصطارا
ردب مرأى للعب سق * ماوى مرارا وأحامرارا
احن اسـاما لرح سرب * واندى هساما لمرى امارا
حـا وسوفا الى معلم * حوى مرفا حالد الاعتارى
به أسكن الله أسمى الورى * ساكرعا وعصا حمارا
هو المصطفى المسى المحى * أرى عراب وآما كـارا
عن علسا ركوب الصار * وحوب القفار اليه اسدارا

ومنها

مـاورمن فار فى طمسه * ملم المعانى حدارا حدارا
وألص حـدا عـلى ربها * واكل تحاها واعمارا
واهدى السلام لخيرالانام * على حين وافى عامه مرارا
ماهادى الحاو دارد ـم * ساهب ما الاوطاب درارا
لاب الوسـله والمرتجى * لدوم ترى الناس فيه سكارى
وماهـم سكارى ولكنهم * دهتهم دوا مها واحمارى
ترى المرء للهول ن أمه * و ن امرسه نطل الفرارا
وكل ماب على سه * مكسو حوب الاله انكسارا
فصلى الاله رسول الهدى * علل وافى هـدالد مارا
وقد من ربى ترى روضه * نم الشهاب سـاها ادارا
اعمرسد الملـ منها الثرى * ل الملـ منه سداً اسعارا
هنا لمن هدالد اهـدى * ومما لد وافى وامالد زارا

وقصد رحمه الله تعالى بهذ القصيـد معارضة قصيد الشهاب محمود التى نظمها بالخيار فى طريق المدينة المشرفة على ساكنها الصلاة والسلام وهى طويلة ومطلعها

وصلنا السرى وهجرنا الديارا * وجـ الـسطارى الك الديارا

وقد تبارى الشعرا فى هـذا الوزن وهذا الروى ومنه القصيد المشهور أقول وآنست بالحى نارا وللامام ابن لب رحمه الله تعالى الله اوى المشهور وقال فى الاحاطة فى حقه ما محصله فرج بن قاسم بن احمد بن لب الثعلبى غرناطى أبو سعيد من أهـل الخير والطهارة والذكا والديانة وحسن الخلق نأس بقية ورزعى بادراكه وحفظه فاصبح حامل لوا التحصيل وعليه مدار الشورى واليه مرجع الفتوى لفقهه على الفقه وغزار علمه وحفظه الى المعرفة بالعربية واللغة ومعرفة التوثيق والقيام على القراآت والتبريز فى التفسير والمشاركة فى الاصلين والفرائض والادب وجودة الحفظ واقرأ بالمدرسة النصرية فى الفنون والتفسير من لدن عام اربعة وخمسين وسبعمائة معظما عند الخاصة والعامة معروفا باسمه بالتسويدة لقعدد من بلد على وفور الشيوخ وولى الخطبة بالجامع معظما عند الخاصة والعامة قرأ على القيجاطى والعربية على ابن الفخار وأخذ عن ابن جابر الوادى آشى

شعره فى التسبيب

خذوا للهوى من قلبى اليوم ما أبقى * فما زال قلبى كله للهوى رقا
دعوا القلب يصلى فى لظى الوجد ناره * فنار الهوى الكبرى وقلبى هو الاشقى
سلوا اليوم أهل الوجد ماذا به لقوا * فكل الذى يلقون بعض الذى ألقى
فان كان عبد يسأل العتق سيدا * فلا أبتغى من مالكى فى الهوى عتقا
بدعوى الهوى يدعو أناس وكلهم * اذا سئلوا طرق الهوى جهلوا الطرقا
فطرق الهوى شتى ولكن أهله * يحوزون فى يوم السباق بها السبقا
وكم جمعت طرق الهوى بين أهلها * وكم أظهرت عند السوى بينهم فرقا
بسيما الهوى تسمو معارف أهله * بحيث ترى سيما الهوى فاعرف الصدقا
فمن زفرة ترجى سحائب عبرة * اذا زفرة ترقا فلا عبرة ترقا
اذا سكتوا عن وجدهم أعربت به * بواطن احوال وما عرفت نطقا

وقال فى وداع شهر رمضان

أأزمعت يا شهر الصيام رحيلا * وقاربت يا بدر الزمان أفولا
أجدك قد جدت بك الآن رحلة * رويدك أمسك للوداع قليلا
نزلت فأزمعت الرحيل كأنما * نويت رحيلا اذ نويت نزولا
وماذاك الا أن أهلك قد مضوا * تعانوا لما أبصرت الديار طلولا
تفكرت فى الاوقات ناشئة التقى * أشد به وطأ وأقوم قيلا

وهى طويلة وكان موجودا عند تآليف الاحاطة رحمه الله تعالى اهـ بالمعنى * وقال الحافظ ابن حجر انه صنف كتابا فى الباء الموحدة وأخذ عنه شيخنا بالاجازة قاسم بن على المالقى ومات سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة انتهى * وقال تلميذه المنتورى مانصه من شيوخى الشيخ الاستاذ الخطيب المقرى المفتى أبو سعيد بن لب مولده سنة احدى وسبعمائة وتوفى ليلة السبت لسبع عشرة ليلة مضت من ذى الحجة عام اثنين وثمانين انتهى وهو مخالف لما سبق عن ابن حجر لكن صاحب البيت أدرى اذ المنتورى تلميذه ونحوه للشيخ أبى زكريا السراج فى فهرسته اذ قال شيخنا الفقيه الخطيب الاستاذ المقرى العالم العلم الصدر الاوحد الشهير كان شيخ الشيوخ وأستاذ الاساتذة بالاندلس اليه انتهت فيها رياسة الفتوى فى العلوم كان أهل زمانه يقفون عند ما يشير اليه قرأ على ابى على القيجاطى بالسبع وتفقه عليه كثيرا فى أنواع العلوم ولازمه الى أن مات وأجازه عامة وعليه اعتمد وأخذ عن أبى جعفر بن الزيات وأبى اسحق بن أبى العاصى وابن جابر الوادى آشى وقاضى الجماعة أبى بكر سمع عليه البخارى وتفقه عليه وقرأ عليه أكثر عقيدة المقترح تفهما وبعض الارشاد وبعض التهذيب وعن ابى محمد بن سلمون والبركة أبى عبد الله الطنجالى الهاشمى وأجازه انتهى بمعناه وبالجملة فهو من أكابر علماء المالكية بالمغرب حتى قال المواق فيه شيخ الشيوخ أبو سعيد بن لب الذى شحن على فتاويه فى الحلال والحرام انتهى وقل من لم يأخذ عنه فى الاندلس فى وقته فمن أخذ عنه الشاطبى وابن علاق وأبو محمد بن جزى والاستاذ

أروم امتداح المصطفى ويردني * قصوري عن ادراك تلك المناقب
ومن لى بحصر البحر والبحر زاخر * ومن لى باحصاء الحصى والكواكب
ولو أن اعضائى غدت ألسنا اذا * لما بلغت فى المدح بعض مآربى
ولو أن كل العالمين تسابقوا * الى مدحه لم يبلغوا بعض واجب
فأمسكت عنه هيبة وتأدبا * وعجزا واعظاما لارفع جانب
ورب سكوت كان فيه بلاغة * ورب كلام فيه عتب لعاتب

وقال

يارب ان ذنوبى اليوم قد كثرت * فما أطيق لها حصرا ولا عددا
وليس لى بعذاب النار من قبل * ولا أطيق لها صبرا ولا جلدا
فانظر الهى الى ضعفى ومسكنتى * ولا تذيقنى حر الجحيم غدا

وقال

وكم من صفحة كالشمس تبدو * فيسبى حسنها قلب الحزين
غضضت الطرف عن نظرى اليها * محافظة على عرضى ودينى

مولده يوم الخميس تاسع ربيع الثانى عام ثلاثة وتسعين وستمائة وفقد وهو يحرض الناس يوم الكائنة بطريف ضحوة يوم الاثنين تاسع جمادى الاولى عام احد وأربعين وسبعمائة وعقبه طاهر بين القضاء والكتابة انتهى وأذكرنى روى العين الصعب قول الشيخ أبى عبد الله محمد بن على بن يوسف السكونى الاندلسى المعروف بابن لزاوة رحمه الله ورضى عنه

امن بعد مالاح المشيب بمفرقى * اميل لزور بالغرور يصاغ
وأرتاح للذات والشيب منذر * بما ليس عنه للانام مراغ
ومن لم يخف قبل الممات فانه * يراع بهول بعده ويراع
فيارب وفقنى الى مايكون لى * به للذى أرجوه منه بلاغ

توفى المذكور بالطاعون سنة ٧٥٠ وكان خطيبا بحصن قمارش رحمه الله تعالى

ومن نظم ابن جزى المذكور قوله

ايا من كففت النفس عنه تعففا * وفى النفس من شوقى اليه لهيب * غرام
الا اعاصرى كصمر وانما * على النفس من تقوى الاله رقيب * لجام

وهما من التخيير المعلوم فى فن البديع وقول لسان الدين رحمه الله تعالى وله عقب طاهر بين القضاء والكتابة يريد به بنيه البارع أبا بكر والعلامة أبا عبد الله والقاضى أبا محمد عبد الله *

ولنذكرهم فنقول (اما) أبو بكر أحمد فهو الذى ألف أبوه الانوار السنية وهو من أهل الفضل والنزاهة وحسن السمت والهمة واستقامة الطريقة عرف فى الوقار ومال الى الانقباض وله مشاركة حسنة فى فنون من فقه وعربية وأدب وخط ورواية وشعر تسمو بعنه الاجادة الى غاية بعيدة وقرأ على والده ولازمه واستظهر بعض تآليفه وتفقه وتأدب به وقرأ على بعض معاصرى أبيه ثم ارتسم فى الكتابة السلطانية لاول دولة

وأصلين من شحل قد التامله * هما احتبسا من لين مس وتسهال
وقصة ترب سمه ذلت لها الظبا * ومسنونة ررق كانياب اغوال
وأضحى ابن جحش بالعسيب مقاتلا * وليس بذي رمح وليس بنبال
وحسنك من سوط الطفيل اضاءة * كمصباح زيت في قناديل ذبال
وبدت به العجماء كل مطهم * له حجبات مشرفات على الفال
وياخسف أرض تحت باغيه اذ علا * على هيكل نهد الجزارة جوال
وقد اخمدت نار الفارس طالما * اصابت غضى جزلا وكفت بأجذال
ابان سبيل الرشد اذ سبل الهدى * يقلن لاهل الحلم ظلا بتضلال
لاحمد خير العالمين انتقيتها * وريضت وذلت صعبة أي اذلال
وبان رجاءى أن ألاقيه غدا * ولست بمقلي الخلال ولا قالي
فأدرك آمالي وماكل آمل * بمدرك اطراف الخطوب ولا آل

ولا خفاء ببراعة هذا النظم واحكام هذا النسج وشدة هذه المعارضة (قلت) وقد أذكرني هذا التصدير قصيدة الاديب حازم صاحب المقصورة اذ صدر قصيدة امرئ القيس فما سلك ولنذكرها هنا قال رحمه الله تعالى

لعينيك قل ان زرت أفضل مرسل * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
وفي طيبة فانزل ولا تغش منزلا * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
وزر روضة قد طالما طاب نشرها * لما نسجتها من جنوب وشمأل
وأثوابك اخلع محرما ومصدقا * لدى الستر الا لبسة المتفضل
لدى كعبة قد فاض دمعي لبعدها * على النحر حتى بل دمعي محملي
فيا حادي الآمال سر بي ولا تقل * عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل
فقد حلفت نفسي بذاك وأقسمت * علي وآلت حلفة لم تحلل
فقلت لها لا شك أني طائع * وأنك مهما تأمري القلب يفعل
وكم حملت في أظهر العزم رحلها * فيا عجبا من رحلها المتحمل
وعاتبت العجز الذي عاق عزمها * فقالت لك الويلات انك مرجلي
نبي هدى قد قال للكفر نوره * الا أيها الليل الطويل الا انجلي
تلألؤ را ماقوالها بمعارض * اذا هي نصته ولا بمعطل
لقد نزلت في الارض ملة هديه * نزول اليماني ذي العياب المحمل
اتت مغربا من مشرق وتعرضت * تعرض اثناء الوشاح المفصل
فصارت بلاد الشرق من ريقها بها * بشق وشق عندنا لم يحول
فصلى عليه الله ما لاح بارق * كلمع اليدين في حبي مكلل
نبي عزا الاعداء بين تلائع * وبين اكام بعد ما متأمل
وكم ملك وافاه في زي منجد * بمنجرد قيد الاوابد هيكل
وكم من يمان واضح جاءه اكتسى * بضاف فويق الارض ليس باعزل

ولم تبن حصنا دون حصنهم العدا * ولا اطما الا مشيدا بجندل
فهدت بعضب شيب بعد صقاله * نام راس كان الى صم جندل
وجيش بأقصى الارض ألقى جرانه * وأردف اعجازا وناء بكلكل
يدك الصفا دكا ولو مر بعضه * وأيسره على السبتار ويذبل
دعا النصر والتأييد راياته اسحبي * على اثرنا ذيل مرط مرحل
لواء منير النصل طاو كأنه * منارة ممسى راهب متبتل
كأن دم الاعداء فى عذباته * عصارة حناء بشيب مرجل
صحاب برواهام العداة وكم قروا * صفيف شواء او قدير معجل
وكم اكثروا ماطاب من لحم جزرة * وشحم كهداب الدمقس المفتل
وكم حبر من عبراء لم يبق نبتها * دراكا ولم ينضح بماء فيغسل
حكى طيب ذكراهم ومتركما حوهم * مداك عروس اوصلاية حنظل
لامداح خير الخلق قلبى قد صبا * وليس فؤادى عن هواها بمنسل
فدع من لايام صلحن له صبا * ولا سيما يوم بدارة جلجل
وأصبح عن أم الحويرث مائلا * وجارتها ام الرباب بمأسل
وكن فى مديح المصطفى كمديح * يقلب كفيه بخيط موصل
وأمل به الاخرى ودنياك دع فقد * تمتعت من لهوبها غير معجل
وكن كنبيث للفؤاد منابث * نصيح على تعذاله غير مؤتل
ينادى الهوى ان دنى قد عدا * على بانواع الهموم ليبتلى
فكن لى مجيرا من شياطين شهوة * على حراص لو يسرون مقتلى
وتنشد دنياه اذا ما تدللت * افاطم مهلا بعض هذا التدلل
فان تصلى حبلى بحبل وصلته * وان كنت قد أزمعت صرمى فأجملى
وأحسن بقطع الحبل منك وبته * فسلى ثيابى من ثيابك تنسل
ايا سامعى مدح الرسول تنشقوا * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل
وروضة حسن للنبى محمد * غذاها نمير الماء غير محلل
ويا من أبى الاصغاء ما أنت مهتد * وما ان ارى عنك الغواية تنجلى
فلو مطعلا انشدتها لعطها ارعوت * فألهيتها عن ذى تمائم محول
ولو سمعته عصم طود أمالها * فأنزل منها العصم من كل منزل انتهت
وقد عززت بحازم هذا فى أزهار الرياض وذكرت جملة من نظمه ومن بارع ما وقع له قوله
أدر المدامة فالنسيم مؤرج * والروض مرقوم البرود مدبج
والارض قد لبست برود جمالها * فكأنها هى كاعب تتبرج
والزهر مما ارتاح معطفه الى * اقيا النسيم عمامه متموج
يمشى الاصيل بعسجدى شعاعه * ابدا بوشى صفحة ويدبج
وتروم ايدى الريح تسلب ما اكتسى * فتريده حسنا بما هى تنسج

وكأن منثر النجوم لآلئ * نظمت على صرح من الفيروزج
وسهرت ارقب من سهيل خافقا * منفردا وكأنه قلب الشجي
واستعرت مقل السحاب فأضحكت * منها ثغور مفوّف ومدبج

ولنعد الى ذكر أبي بكر بن جزي فنقول وله تقييد في الفقه على كتاب والده المسمى بالقوانين الفقهية وبرع في الفرائض واحسانه كثير وتقدم قاضيا للجماعة بحضرة غرناطة ثامن شوّال عام ستين وسبعمائة ثم صرف عنها ثم لما توفي الاستاذ الخطيب العالم الشهير أبو سعيد فرج بن لب رحمه الله تعالى وكان خطيب الجامع الاعظم بغرناطة ولي عوضا عنه أستاذا وخطيبا عام اثنين وثمانين وسبعمائة وبقي في الخطابة ثلاثة أعوام ثم توفي وأظن وفاته آخر عام خمسة وثمانين وسبعمائة رحمه الله تعالى وأما أخوه أبو عبد الله محمد فهو الكاتب المجيد أعجوبة الزمان وتوفي بفاس رحمه الله تعالى عام ثمانية وخمسين وسبعمائة وقيل وهو الصواب ان وفاته آخر شوّال من السنة قبلها حسبما ألفيته بخط بعض أكابر الثقات بداره من البيضاء وهي فاس الجديدة قرب مغرب يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شوّال من عام سبعة وخمسين وسبعمائة وكان دفنه يوم الاربعاء بعد صلاة العصر وراء الحائط الشرقي الذي بالجامع الاعظم من المدينة البيضاء وكان مولده في شوّال من عام واحد وعشرين وسبعمائة انتهى قال الامير ابن الاحمر في نثير الجمان أدركته ورأيته وهو من أهل بلدنا غرناطة وكان أبوه أبو القاسم محمد أحد المفتين باعلام الاندلس الطائرة قتيا منها الى طرابلس وقتل شهيدا بطريف بعد أن ابلى بلاء حسنا وأبو عبد الله ابنه هذا كتب بالاندلس في حضرة ابن عم أبينا أمير المسلمين أبي الحجاج يوسف وله فيه أمداح عجيبة ولم يزل كاتبا بالحضرة الاحمدية النصرية الى أن امتحنه أمير المسلمين أبو الحجاج انتهى ويعني ابن الاحمر بهذا الامتحان أنه ضربه بالسياط من غير ذنب اقترفه بل ظلما مبينا هكذا ألفيته في بعض المقيدات ثم قال ابن الاحمر فقوّض الرحال عن الاندلس واستقر بالعدوة فكتب بالحضرة المرينية لامير المسلمين أبي عنان الى أن توفي بها رحمه الله تعالى وكان رحمه الله تعالى طالع في سماء العلوم بدرا مشرقا وسارت براعته مغربا ومشرقا ومما شعره فوق الفرقدين كما أربى نثره على الشعرى والنعايين له باع مديد في التاريخ واللغة والحساب والنحو والبيان والآداب بصير بالفروع والاصول والحديث عارف بالماضي من الشعر والحديث ان نظم انسالك أبا ذؤيب رقته ونصيبا غنصه وشجونه وان كتب اربى على ابن مقلة بخطه وان انشأ رسالة انسالك العماد بحسن مساقها وضبطه وهو رب هذا الشان وفارس هذا الميدان ومع تفننه في الشعر فهو في العلوم تدنيغ ومابلغ أحد من شعراء عصره مبلغه بل سلوا التقدم فيه اليه وألقوا زمام الاعتراف بذلك في يديه ودخلوا تحت راية الادب التي حمل اذ ظهر ساطع براعته ظهور الشمس في الحمل أنشدني لنفسه يمدح أمير المسلمين أبا الحجاج يوسف بن أمير المسلمين أبي الوليد اسمعيل عم أبينا ابن جدنا الرئيس الامير أبي سعيد فرج هذه القصيدة البارعة وحذف منها الراء المهملة

قسما بوضاح السني الوهاج * من تحت مسدول الذوائب داج

ثم قال ابن الاحمر وأنشدني أيضا لنفسه يمدح أمير المؤمنين المتوكل على الله أبا عنان فارس ملك المغرب

ان قلبي لعهدة الصبر ناكث * عن غزال في عقدة السحر نافث
أضرم النار في فؤادي وولى * قائلا لا تخف فاني عابث
ورماني من مقلتيه بسهم * ثم قال اصطبر لثان وثالث
كم عذول أتى يناظر فيه * كان تعذاله على الحب باعث
وعيون آليتها بالتسلي * نقض حسنه بأني حانث
جبر الله صدع قلب عميد * صدعت شمله صروف الحوادث
فهو يهفو الى البروق ويروى * عن نسيم الصبا ضعيف الاحادث
سلبته الاشجان الابقايا * من اماني حبا لهن رثائث
وبكاء على عهود مواض * ملأت صدره هموم حوادث
ليت وجدي اشكو بليلة وجدي * ان داء الغرام ليس بحادث
يا مضيع العهود والله يدري * علمك اني ارتضيت خطة ناكث
عزني حسنك والجمال غرور * وظبا اللحظ في القلوب عوابث
مقل يقتسمن أعشار قلبي * بالرضا مني اقتسام الموارث
كيف عيرت بانتزاحك حالي * وتغيرت لي ولست بحارث
فسرطحي وفرط حبك آلا * آن عينيك بالفتور نوافث
ولذي فارس وحسبك رديا * قول من قال سيد باب البواعث
ملك البأس والندى فهو بالسيف * وبالسيب عائث أو غائث
محرز المجد والثناء فهذا * سائر في الورى وذلك لابث
أوطأ الشهب رجله وترقي * صاعدا في سموه غير ماكث
فبدار تسري وما لحقته * ونجوم خلف القصور لوائث
وله المقربات لا بل هي العقبان من فوقها الليوث الدلاهث
مطلعات من كل نعل هلالا * فاهتدا تجلو دجي كل حادث
ان ترامين فالجبال الرواسي * أو تسابقن فالغيوث الحثائث
والمواضي كأنها قد أعيرت * حدة الذهن منه عند المباحث
هي نار محرقات الاعادي * وهي ماء مطهرات الخبائث
فيردن الوغى ذكورا عطاشا * ثم يصدرن ناهلات طوامث
من معانيه قد رأينا عيانا * كل فضل ينصه من يحادث
خلق كالنسيم مر سحيرا * بالازاهير في البطاح الدمائث
في سبيل الاله يقصي ويدني * ويوالي في ذاته وينا كث
شرف الملك منه سام وحام * ومدت سام وحام ويافث
هاكها من بنات فكري بكرا * ليس يسمو لها من الناس طامث

دار على الاحسان شيدت والتقى * فجزاؤها الحسنى وعقبى الدار
هى ملجأ للواردين ومورد * لابن السبيل وكل ركب سارى
آثار مولانا الخليفة فارس * اكرم بها فى المجد من آثار
لازال منصور اللواء مظفرا * ماضى العزائم سامى المقدار
بنيت على يد عبدهم وخديمها * بهم العلى محمد بن حدار
فى عام أربعة وخمسين انقضت * من بعد سبع مئين فى الاعصار

ومن نظمه قوله مورّيا

وما انسى الاحبة يوم بانوا * تخوض مطيهم بحر الدموع
وقالوا اليوم منزلنا الحنايا * فقلت نعم ولكن من ضلوعى

وقوله مورّيا أيضا

ورب يهـــودى أتى متطببا * ليأخذ ثارات اليهود من الناس
اذا جس نبض المرء أودى بنفسه * سريعا ألم تسمع بفتكة جساس

وقوله

من اى اشجانى التى جنت النوى * أشكو العذاب وهنّ فى تنويع
من وصلى الموقوف أو من هجرى الـ * موصول أو من نومى المقطوع
أو من حديث تولهى وتوامى * خبرا صحيحا ليس بالموضوع
يرويه خدى مسندا عن أدمعى * عـــن مقلتى عن قلبى المصدوع

وأول هذه القصيدة

ذهبت حشاشة قلبى المصدوع * بين السلام ووقفة التوديع

وقد ضمن شطرها الفقيه عبيد شارح الحلية اذ قال من قصيدة مطلعها

اهمى دموعك ساعة التوديع * يا مقلتى ممزوجة بنجيع

بقوله

يوم استقلت عيسهم وترحلوا * ذهبت حشاشة قلبى المصدوع

وقوله

بخدى وجسمى والفؤاد وأدمعى * شهود بهم دعوى الغرام تصحح
ومن عجب أن زكى الناس نقلهم * وكلهم ذو جرحة فيه تقدح
فجسمى ضعيف والفؤاد مخلط * ودمعى مطروح وخدى مجرّح

وقوله

يا محيا كتب الحسن به * أحرفا أبدع فيها وبرع
ميم ثغر ثم نون حاجب * ثم عين هى تتميم البدع
أنا لا اطمع فى وصلك لى * وعلى وجهك مكتوب منع

ثم قال ابن الاحمر ومن انشائه البارع مورّيا بالكتب ورفعها الامير المؤمنين المتوكل على الله أبى عنان فارس رحمه الله تعالى يهنيه بابلال ولده وولى عهده الامير أبى زيان محمد من مرض

الاخبار وتتعطر بنفحة الزهر من شمائلك روضة الازهار وتنلى من محامدك الآيات البينات وتتوالى عليك الالطاف الالهيات من الله سبحانه وفضله والسلام الكريم يعتمد المقام العلى ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى * وللمذكور عدة مقطعات يورّى فيها بأسماء الكتب منها قوله

ظبي هو الكامل فى حسنه * وثغره ابهى من العقد
جماله المدهش لكنما * أخلاقه تحكى صبا نجد

وقوله أيضا

لك الله من خلّ حمانى برقعة * حبتنى من آياتها بالنوادر
رسالة زهر فى الجمال نهاية * ذخيرة نظم أتحفت بالجواهر

وقوله سامحه الله تعالى

قصتى فى الهوى المدونة الكبـ * ـرى وأخبار عشقى المبسوطه
حجتى فى الغرام واضحة اذ * لم تزل مهجتى بوجد منوطه

وتذكرت بالتورية بأسماء الكتب قول الارجانى

لما تألق بارق من ثغره * جادت دموعى بالسحاب الممطر
فكأنّ عقد الدرّ حلّ قلائد الـ * ـعقيان منه على صحاح الجوهرى

وقول لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى

وظبى لاوضاع الجمال مدرّس * عليم بأسرار المحاسن ماهر
أرى جيده نص المحلى وزررت * ثناياه ما ضمت صحاح الجواهر

وقول ابن خاتمة

ومعطر الانفاس يبسم دائما * عن درّ ثغر زانه ترتيب
من لم يشاهد منه عقد جواهر * لم يدر ما التنقيح والتهذيب

وقوله أيضا

سفهنى عاذلى عليه * وقال لى ودّه عليل
فقلت معتلّ أو صحيح * يودعه عينه الخليل

وقوله أيضا

حاز الجمال بصورة قمرية * تجلو عليك مشارق الانوار
وحوى الكمال بصورة عمرية * تتلو عليك مناقب الابرار

وقول الرئيس أبى محمد عبد المهيمن الحضرمى

من اعتدى موطأ اكنافه * صح له التمهيد فى أحواله
وقابل استذكاره بالمنتقى * من رأيه المختار من أعماله
وأوضحت المسالك الحسنى له * تدنى تقصيا قصى آماله
وسار من مشارق الانوار فى * ادنى المدارك أو الى اكماله

ولما وقف على هذه القطعة الفاضل أبو على حسين بن صالح بن أبى دلامة عارضها وزاد ذكر

وأمّا أخوهما القاضي أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم بن جزى فهو الامام العالم العلامة المتبحر رئيس العلوم اللسانية قال في الاحاطة هذا الفاضل قريع بيت نبيه وسلف شهير وأبوة خير وأخوة بليغة وخؤولة أديب حافظ قائم على فن العربية مشارك في فنون لسانية ظارف في الادراك جيد النظم مطواع القريحة باطنه نبل وظاهره غفلة قعد للاقراء بلده عرناطة مبتدئا ومستقلا ثم تقدّم للقضاء بجهات نبيهة على زمن الحداثة أخذ عن والده الاستاذ الشهير الشهيد أبي القاسم أشياء كثيرة وعن القاضي أبي البركات بن الحاج وقاضي الجماعة الشريف السبتي والاستاذ البياني والاستاذ الاعرف أبي سعيد بن لب والشيخ المقري أبي عبد الله بن بيبش وأجازه رئيس الكتاب أبو الحسن بن الجياب وقاضي الجماعة أبو عبد الله أبو بكر وأبو محمد بن سلمون والقاضي ابن شبرين والشيخ أبو حيان وقاضي الجماعة أبو عبد الله المقري وأبو محمد الحضرمي وجماعة آخرون وشعره نبيل الاغراض حسن المقاصد انتهى المقصود منه * وممن أخذ عنه العباس المقري شارح البردة والقاضي أبو بكر بن عاصم وبالاجازة الامام ابن مرزوق الحفيد وغيرهم * وقد عرّف ابن فرحون في الديباج المذهب بأبيه الشهيد أبي القاسم وأخيه القاضي أبي بكر دونه * وعرف ابن الخطيب في الاحاطة بأبيه وأخويه أبي بكر وأبي عبد الله وفيما ذكر من أمرهم كفاية ومما نسبه الوادي آشي لابي محمد عبد الله ابن جزى قوله

يا من أتاني بعده بعد ما * عاملته بالبر واللطف
اني تأملت وقد سرّني * بجملة من سورة الكهف

وله أيضا

لقد قطعت قلبي يا خليلي * بهجر طال منك على العليل
ولكن ما عجيب منك هذا * اذ التقطيع من شأن الخليل

(رجع) الى مشايخ لسان الدين رحمه الله تعالى * (ومنهم) القاضي الاديب جملة الظرف أبو بكر بن شبرين وقد استوفى ترجمته في الاحاطة وذكره أيضا في ترجمة ذي الوزارتين ابن الحكيم بأن قال بعد حكاية قتل ابن الحكيم ما صورته ومن رثاه شيخنا أبو بكر بن شبرين رحمه الله تعالى بقوله

أبو بكر بن شبرين

سقى الله أشلاء كرمن على البلا * وما غض من مقدارها حادث البلا
ومما شجاني أن أهين مكانها * وأهمل قدرما عهدناه مهملا
الا اصنع بها يا دهر ما أنت صانع * فما كنت الاعبدها المتذللا
سفكت دما كان الرقوء نواله * لقد جئتها شنعاء فاضحة الملا
بكفي سبنت أزرق العين مطرق * عدا نغدا في غيه متوغلا
لسم قتيل القوم في يوم عيده * قتيل تبكيه المكارم والعلا
الا ان يوم ابن الحكيم لمثكل * فؤادي فما ينفك ما عشت مثكلا
فقيدناه في يوم أغر محجل * ففي الحشر نلقاه أغر محجلا

وقدس لحدك وابن مثلك فى الدنيا حسنا ووفاء وعالا كما صنع ابن رمرك فى ابن الخطيب مخدومه قاله على بن الخطيب انتهى (ومن أشياخ لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى) الشيخ الاستاذ العلامة العلم الاوحد الصدر المصنف المحدث الافضل الاصلح الاورع الاتقى الاكمل أبو عثمان سعد ابن الشيخ الصالح التقى الفاضل المبرور المرحوم أبى جعفر أحمد بن ليون التجيبى رضى الله تعالى عنه وهو من أكابر الائمة الذين أوغوا جهدهم فى الزهد والعلم والنصح وله تواليف مشهورة منها اختصار بهجة المجالس لابن عبد البر واختصار المرتبة العليا لابن راشد القفصى وكتاب فى الهندسة وكتاب فى الفلاحة وكتاب كمال الحافظ وجمال اللافظ فى الحكم والوصايا والمواعظ وكان مولعا باختصار الكتب وتواليفه تزيد على المائة فيما ذكر وقد وقفت منها بالمغرب على أكثر من عشرين * ومما حكى عن بعض كبراء المغرب انه رأى رجلا طوالا فقال ان حضره لو رآه ابن ليون لاختصره اشارة الى كثرة اختصاره للكتب ومن تواليفه كتاب نفح الزهر فى اختصار روح الشعر وروح الشعر لابن الجلاب الفهرى رحمه الله ومنها كتاب ابداء الديم فى الوصايا والمواعظ والحكم وكتاب الابيات المهذبه فى المعانى المقربه وكتاب نصائح الاحباب وصحائح الآداب أورد فيه مائتى قطعة من شعره تتضمن نصائح متنوعة ولنسمح منها بنبذة فنقول منها فى التحريض على العلم قوله رحمه الله تعالى

زاحم اولى العلم حتى * تعتد منهم حقيقه
ولا يردك عجز * عن أحد أعلى طريقه
فان من جد يعطى * فيما يحب لحوقه

وقوله

شفاء داء العمى حسن السؤال * فاسأل تنل علما وقل لا تبال
واطلب فالاستحياء والكبر من * موانع العلم فما ان ينال

وقوله

علمت شيأ وغابت عنك أشياء * فانظر وحقق فما للعلم احصاء
للعلم قسمان ما تدرى وقولك لا * أدرى ومن يدعى الاحصاء هذاء

وقوله

من لم يكن علمه فى صدره نشبت * بداه عند السؤالات التى ترد
العلم ما أنت فى الحمام تحضره * وما سوى ذلك التكليف والكمد

وقوله

الدرس رأس العلم فاحرص عليه * فكل ذى علم فقير اليه
من ضيع الدرس يرى هاذيا * عند اعتبار الناس ما فى يديه
فعزة العالم من حفظه * كعزة المنفق فيما عليه

وقال رحمه الله تعالى فى غير ما سبق

ثلاث مهلكات لا محاله * هوى نفس يقود الى البطاله

أبو عثمان التجيبى

وأخو الفضل والعفاف غريب * يحمل الذل والجفا والملامه

وقال

دع من يسيء بك الظنون ولا * تحفل به ان كنت ذا همه

من لم يحسن ظنه أبدا * بك فاطرحه تكتفي همه

وقال

نزه لسانك عن قول تعاب به * وارغب بسمعك عن قيل وعن قال

لا تسمع غير الذي يعنيك واطرح الـ * فضول تحيا قرير العين والبال

وقال

كثرة الاصدقاء كثرة غرم * وعناء يعيي وادخال هم

فاغن بالبعض فانعا وتعادل * عنهم في قبيح فعل وذم

وقال

ذل المعاصي ميتة بالها * من ميتة لا ينقضي عارها

عز التقى هو الحياة التي * ذو العقل والهمة يختارها

وقال

لا تسمع يوما صديقك قولا * فيه غض ممن يحب الصديق

ان ير الصديق لا شك منه * لصديق الصديق أيضا فريق

وقال

للجار حق فاعتمد بره * واحمل اذاه مغضيا ساترا

فالله قد وصى به فاغتفر * زلله الباطن والظاهرا

وقال

سالم الناس ما استطعت ودار * أخسر الناس احمق لا يداري

ضرك الناس ضر نفسك يجني * لا يقوم الدخان الا لنار

وقال

النصح عند الناس ذنب فدع * نصح الذي تخاف أن يهجرك

الناس أعداء لنصاحهم * فاترك هديت النصح عين ترك

وقال

تجري الامور على الذي قد قدرا * ما حيلة أبدا ترد مقدرا

فارض الذي يجري القضاء به ولا * تضجر من عدم الرضا أن تضجرا

وقال

أخوك الذي يحميك في الغيب جاهدا * ويستر ما تأتي من السوء والقبح

وينشر ما يرضيك في الناس معلنا * ويعصي ولا يألو من البر والنصح

وقال

لا تصحب الاردى فتردى معه * وربما قد تقتني منزعه

أرح النفس تعش في غبطة * وكل الامر الى الله فقد

وقال

زر من تحب وزره ثم زره ولا * تمل واجعله دأبا موضع الطر
لولا متابعة الانفاس ما بقيت * روح الحياة ولادامت مدى العمر

وقال

لا تتـــرك الحزم في شيء فان به * تمام أمرك في الدنيا وفي الدين
من ضيع الحزم تصحبه الندامة في * أيامـه ويرى ذل المهاوين

وقال

كن اذا زرت حاضر القلب واحذر * أن تمل المزور أو أن تطيلا
لا تثقل على جليس وخفف * ان من خف عد شخصا نبيلا

وقال

من خلا عن حاسد قد * مات في الاحياء ذكره
انما الحاسد كالما * ر لعود طاب نشره
لا عدمنا حاسدا في * نعمة ليست تسره

وقال

حسبك من يعار اذا زللنا * ويغلظ في الكلام متى اسانا
يسر ان اتصفت بكل فضل * ويحزن ان نقصت او انتقصنا
ومن لا يكترث بك لا يبالي * احدت عن الصواب ام اعتدلنا

وقال

لي لمن تخشى اذاه * والقه في باب داره
انما الدنيا مدارا * ة من تخشاه داره

وقال

حسد الحاسد رحمه * لا يرى الا النعمه
انما الحاسد يشكو * حر اكباد وغمه
لا عدمنا حاسدا في * نعمة تكثر همه

وقال

تبديل شخص بشخص * خسران الاثنين جمله
فاشدد يديك على من * عرفت وارفع محله
فان قطع خليل * بعد التواصل زله

وقال

انت بخير ما تركت الظهور * والقال والقيل وطرق الشرور
من خاض بحرا فهو لا بد ان * يبتل ومن يجري يصبه العثور
سلامة المرء اشتغال عما * يهمه لنفسه من امور

تقابلك الوجه جد * اجمل منه المراح

وقال

من كنت تعرفه كن فيه متئدا * يكفيك من خلقه ما انت تعرفه
لا تبغ من احد عرفته أبدا * غير الذى كنت منه قبل تالفه

وقال

حاسب حبيبك كالعدو تدم له * منك المحبة فالتناصف روحها
من كان يغمض فى حقوق صديقه * نقصت مودته وشيب صريحها

وقال

تغافل فى الامور ولا تناقش * فيقطعك القريب وذو المودة
مناقشة الفتى تخفى عليه * وتبدله من الراحات شدة

وقال

ان شئت تعرف نعمة الله التى * اولاك فانظر كل من هو دونكا
لا تنظر الاعلى فتنسى ما الديـ * ـك ومن من الضعفاء يستجدونكا

وقال

شنا أن ترى قبيح سواكا * وتعادى الذى يرى منك ذاكا
لو تناصفت كنت تنكر ما فيـ * ـك وترضى الوصاة من نهاكا

وقال

جرب الناس ما استطعت تجدهم * لا يرى الشخص منهم غير نفسه
فالسعيد السعيد من أخذ العفـ * ـو ودارى جميع أبناء جنسه

وقال

فرط حب الشئ يعمى ويصم * فليكن حبك قصد الامم
نقص عقل أن يعطى حسك الـ * ـحب أو باهيك عن أمر مهم

وقال

سلم وغض احتسابا * فذا هو اليوم أسلم
الحقد نار تجلى * فى القلب جمر تضرم
فاطو اعتراضك واعمل * عن عيب غيرك تسلم

وقال

عدة الكريم عطية * لا مطل فى عدة الكريم
المطل تحريض العدا * ة وذاك من فعل اللئيم
فدع المطال اذا وعد * ت فانه عمل ذميم

وقال

من تناسى ذنوبه قتلته * وابانت عنه الولى الحميا
ذكرك الذنب نفرة عنه تبقى * لك انكار فعله مستديما

واحرص على تخليصها بالذى * تجوبه من قول أو عمل

وقال

سكر الولاية ماله صحو * وكلامها وحرا كهاره و
يهدى الفتى ايام عزتها * فاذا تقضت نابه شحو
فحذار لا تعررك صولتها * وزمانها فشبوتها محو

وقال

دع الجدال ولا تحفل به أبدا * فانه سبب للبغض ما وجدا
سلم تعش سالما من كل متعبة * قرير عين اذا لم تعترض أحدا

وقال

اذا ترى المبتلى اشكر ان نجوت ولا * تشمت به واسئل من ربك العافيه
وخف من ان تبتلى كما ابتلى فترى * كما تراه وما تقيك من واقيه

وقال

العمر ساعات تقضى فلا * تقضها فى السهو والغفلة
واعمل لما أنت له صائر * مادمت من عمرك فى مهلة
ولا تكن تأوى الدنيا وقل * لا بد لا بد من النقلة

وقال

كن رفيقا اذا قدرت حليما * وتعاقل تسلك طريقا قويما
لا تطق الزمان يبقى على من * سره أو يبيل عز اسليما
ان للدهر صولة وانقلابا * وبهذا نعيمه لن يدوما

وقال

من لم يكن ينفع فى الشده * فلا تكن معتمدا وده
لا تعتمد الا اخا حرمة * ان ناب خطب تلقه عده
وخل من يهرأ فى وده * ولا ترى فى معضل جده

وقال

أخوك الذى تلقيه فى كل معضل * يدافع عنك السوء بالمال والعرض
ويستر ما تأتى من القبح دائما * ويشكر ما يرضى وان سؤته يغضى

وقال

لا تنته عما أنت فاعله * وانظر لما تأتيه من ذنب
وابدأ بنفسك فانهها فاذا * تقفو الصواب فأنت دولب

وقال

ليس الصديق الذى يلقاك مبتسما * ولا الذى فى التهانى بالسرور يرى
ان الصديق الذى يولى نصيحته * وان عرت شدة اغنى بما قدرا

وقال

وقال

توسط فى الامور ولا تجاوز * الى الغايات فالغايات عمى
كلا الطرفين مذموم اذا ما * خطرت واخذك المذموم عمى

وقال

عامل بجميع الناس بالحسنى * ان شئت أن تحظى وأن تهنا
ولا تسئ يوما الى أحد * فتجمع الراحة والامنا

وقال

لا تفكر فللامور مدبر * وارض ما يفعل المهيمن واصبر
أنت عبد وحكم مولاك يجرى * بالذى قد قضى عليك وقدر

وقال

اذا رأيت القبيحا * فقل كلاما مليحا
وأغض واستر وسلم * وكن حليما صفوحا
تعش هنيأ وتلقى * برا وشكرا صريحا

وقال

من ينكر الاحسان لا تولِه * ما عشت احسانا فلا خير فيه
السدر فى السماح ما ان له * نفع فدره فهو فعل السفيه

وقال

من لم يكن ينفع فى وده * دعه ولا تقم على عهده
ود بلا نفع عناء بلا * نفع لشئ خادع حده

وقال

در مع الدهر كيفما * دار ان شئت تصحبه
ودع الحذق جانبا * ليس بالحذق تغلبه
وحذار انقلابه * فكثير تقلبه

وقال

من ليس يغنى فى مغيب عنك لا * تحفل به فوداده مدخول
يثنى عليك وأنت معه حاضر * فاذا تغيب يكون عنك غفول

وقال

دع نصح من يعجبه رأيه * ومن يرى يعجبه سعيه
النصح ارشاد فلا توله * الا فتى يحزنه غيه
لا يقبل النصح سوى مهتد * يقوده لرشده هديه

وقال

البخت أفضل ما يؤتى الفتى فاذا * يعوزه البخت لا ينفك يتضح
يكفيك فى البخت تيسير الامور وأن * يكون ما ليس ترضى عنك يندفع

وحذار مما يشق * وحذار من طرق العرد

وقال

سلامة الانسان فى وحدته * وأنسه فيها وفى حرفته
ما بقى اليوم صديق ولا * من ترتجى النصرة فى صحبته
فقرّ فى بيتك تسلم ودع * من ابتلى بالناس فى محنته

وقال

مطاوعة النساء الى الندامه * وتوقع فى المهانة والغرامه
فلا تطع الهوى يهن واعدل * ففى العدل الترضى والسلامه

وقال

كانت مشاورة الاخوان فى زمن * قول المشاور فيهم غير متهم
والآن قد يخدع الذى تشاوره * اشماتا أو حسدا يلقيك فى الندم
فاضرع الى الله فيما أنت تقصده * يهديك للرشد فى الافعال والكلم

وقال

عد عمن يراك تصغر عنه * وتحفظ من قربه وأبنه
ان من لا يراك فى الناس خيرا * منه فالخير فى التحفظ منه

وقال

رزانة المرء تعلى قدره أبدا * وطيشه مسقط له وان شرفا
فاربأ بنفسك من طيش تعاب به * وان تكن حزت معه العلم والشرفا

وقال

الصدق عز فلا تعدل عن الصدق * واحذر من الكذب المذموم فى الخلق
من لازم الصدق هابته الورى وعلا * فالزمه دأبا تفز بالعز والسبق

وقال

ليس التفضل يا أخى أن تحسنا * لاخ يجازى بالجميل من الثنا
ان التفضل أن تجازى من أسا * لك بالجميل وأنت عنه فى غنى

وقال

من واصل اللذات لا بد أن * تعقبه منها السدا مات
خذ من اللذات واترك ولا * تسرف ففى الاسراف آفات

وقال

دع معجبا بنفسه * فى غيه ولبسه
لا يقبل النصح لها * من نخوة رأسه
خله لكيده * ويجمه بنفسه

وقال

عتب الصديق دلالة * منه على صدق الموده

اياك لا تخذل الصديقا * وارع له العهد والحقوقا
تنصره ما قدرت عز * تمهده للعلى طريقا
فلا تسامح به عدوا * وكن له ناصرا حقيقا

وقال

حدث جليسك ما اصغى اليك فان * تراه يعرض فاقطع عنه وانصرف
خفف فقد يضجر الذى تجالسه * طول المقام أو الحديث فى سرف

وقال

جماع الخير فى ترك الظهور * واظهار التواضع والبرور
وفى اضدادها من غير شك * جميع وجوه أنواع الشرور

وقال

محبة الدرهم طبع البشر * فاقنع من المرء عما قد حصر
وقس على نفسك فى بذله * تقف على تحقيق عين الخبر

وقال

لا يلم غيره نفسه كل من قد * عرض النفس أن تهان فذلا
ينظر العاقل الامور ويأبى * أن يرى منه غير ما هو أولى

وقال

اعذر الناس من أتته المضره * من أخ كان يرتجى منه نصره
مثل من غص بالشراب فكان الـ * هلاك فيما رجاه يدفع ضره

وقال

لم تعش سالما مما يقال * من يعترض يعترض فى كل حال
فقد الفتى غافلا عن عيبه * لا يرتضى عند أرباب الكمال

وقال

تواضع المرء ترفيع لرتبته * وكبره ضعة من غير ترفيع
فى نخوة الكبر ذل لا اعتزاز له * وفى التواضع عز غير مدفوع

وقال

اياك لا تشكر فضيلة كل من * تدرى فضيلته فترمى بالحسد
انكارها يجنى عليك تنقصا * ويزيده شرفا ويهلك الكمد

وقال

انصر أخاك ما استطعت فانما * تعتز بالاخوان ما عزوا
من يخذل الاخوان يخذل نفسه * ويهن وما الهوان له عز

وقال

اذا جزاء المرء بسوء من أساء له * فذاك عدل وما فى العدل من زلل
جزاء سيئة بالنص سيئة * لا حيف فى ذاك فى قول ولا عمل

ان الصغير لميت * ما بين أبناء جنسه

وقال

كما تدين أنت ياصاحبي * تدان فاعمل عمل الفاضل
أنت كما أنت نحل الذي * يزين النفس من الباطل
وأين أنت ثم أنت ادردا * حسبك فاحذر زلل العاقل

وقال

مالك ما أنفقته قربة * لله والباقي حساب عليك
فقدم المال ترد آمنا * من بعده وهو ثواب لديك

وقال

دع مدح نفسك ان أردت زكاءها * فمدح نفسك من مقامك تسقط
ما أنت تخفضها يزيد علاؤها * والعكس فانظر أي حالك أحوط

وقال

ذو النقص يصحب مثله * فالشكل يألف شكله
فاصحب أخا الفضل كما * تقفو بفعلك فعله
أما ترى المسك دأبا * يكسب طيبا محمله

وقال

من عيني المرء يبدو ما يكتمه * حتى يكون الذي يرعاه يفهمه
ما يضمر المرء يبدو من شمائله * لناظريه بما يبدو به توسمه

وقال

انما الدنيا خيال * وأمانيها خيال
جهلها سكر ولكن * وصلها ما ان ينال
فتنزه عن هواها * فهوى الدنيا ضلال

وقال

قلما يؤذيك من لا يعرفك * فتحفظ من صديق يألفك
لا تثق بالود ممن تصطفي * كم صديق تصطفيه يتلفك

وقال

لا تضجرن في الامور وارض بما * يقضي به الله فهو مكتتب
ما قدر الله لا مرد له * فما يفيد العناء والتعب

وقال

تنزه عن دنيات الامور * وخذ بالحزم في الامر الخطير
فأشراف الامور لها جمال * وخطر في البهاء وفي الظهور
وفي سفسافها الاشك وهن * وتهوين يشين مدى الدهور

وقال

* (من غصن الاندلس الرطيب) *

حسنك الشئ يغطى قبحه * فتراه حسنا فى كل حال
لايرى المحبوب الا حسنا * كان قبح فيه مع داء وجال
حتم الحب على ذى الحب أن * لايرى المحبوب الا فى كمال

وقال

يحسب الناقص أن الناس قد * غفلوا عن حاله فى ضعته
لا يرى الناقص الا أنه * كامل من نعته فى صفته
غلط المرء يغطى عقله * أن يرى النقص الذى فى جهته

وقال

أيام عمرك هذى * ساعاتها رأس مالك
فاحرص على الخير فيها * قبل أوان ارتحالك
فاعما أنت طيف * تجتاب سبل المهالك

وقال

تجد الناس على النقص ولا * تجد الكامل الا من ومن
زمن الباطل وافى أهله * وكذاك الناس أشباه الزمن

وقال

قل جميلا اذا أردت الكلاما * تجن عزا مهنأ مستداما
ان قول القبيح يورث بغضا * وصغارا عند الورى وملاما

وقال

حسن الظن تعش فى غبطة * ان حسن الظن من أقوى الفطن
من يظن السوء يجزى مثله * قلما يجزى قبيح بحسن

وقال

ان تبع اخوان الصفاء دهم * تحت التراب انتقلوا للقبور
اخوانك اليوم كازمانهم * مشتبهون فى جميع الامور

وقال

ومستقبح من أخ خلة * وفيه معايب تسترذل
كاعمى يخاف على أعور * عثارا وعن نفسه يغفل

وقال

من يبتغ الود من الناس * يبكى لما قالوه بالماسى
اغض عن الناس تنل ودهم * انك لاتغنى عن الناس

وقال

اعيت مع الناس الحيل * وبار فيهم العمل
فى أى وجه أقبلوا * يخيب منهم الامل
فاتر العزلة عنهم * تنج من كل خلل

اغتنم غفلة الزمان وبادر * لذة العيش ما بقيت سليما

امر هذي الحياة أيسر من أن * تقتدي فيه لائما أو ملوما

وقال

لاتغرنك صولة الجاه يوما * أو تظنن أنها تتمادى

صولة الجاه لمح نار ولكن * كل نار لابد تلقى رمادا

وقال

تنح عن الناس مهما استطعت * ولا تك في الناس بالراغب

من اعتمد الناس يشقى ولا * يرى غير منتقد عائب

وقال

لا تقل يوما أنا * فتقاسي محنا

من يعظم نفسه * يلق هوانا وعنا

شر ما يأتي الفتى * مدحه لو فطنا

وقال

الناس اخوان ذي الدنيا وان قبحت * أفعاله وغدا لا يرقب الدينا

يعظمون أخا الدنيا وان عثرت * يوما به أولغوا فيه السكاكينا

وقال

العدل روح به تحيا البلاد كما * هلاكها أبدا بالجور ينحتم

الجور شين به التعمير منقطع * والعدل زين به التمهيد ينتظم

ياقاتل الله أهل الجور كم خربت * بهم بلاد وكم بادت بهم أمم

وقال

اليأس اسلى وأغنى * من نيل ما يتمنى

يسلو أخو اليأس حتى * يهنا ولا يتعنى

لليأس برد فمن لم * يذقه لم يتهنا

وقال

اذا عظمت نفس امرئ صار قدره * حقيرا وحيث احتل فالذل صاحبه

يسود ويعلو ذو التواضع دائما * ويعطى كما يرضى وتقضى مآربه

وقال

ود من يصطفيك للنفع زور * والجميل الذي يريك غرور

انما الود ود من ليس يخشى * فيك من يلوم أو من يضير

وقال

اشكر لمن والاك معروفا * تكن بفضل النفس معروفا

شكر أخي المنة عدل فكن * بالعدل مهما اسطعت موصوفا

من يكفر الاحسان لا بد أن * يلقى عن الاحسان مصروفا

وقال

عظم الناس تنل تعظيمهم * واجتنب تحقيرهم فهو الردى
من يرى الناس بتحقير يكن * عندهم مؤذى حقيرا أبدا
لا يغرنك اهمال امرئ * ربما يؤذى الذباب الاسدا

وقال

حب الرياسة يا له من داء * كم فيه من محن وطول عناء
طلب الرياسة فت أعضاد الورى * وأذاق طعم الذل للكبراء
ان الرياسة دون مرتبة التقى * فاذا اتقيت علوت كل علاء

وقال

لا تركنن الى شر * ان شئت تأمن كل شر
ذهب الدين اذا ركنت لهم أمنت من الضرر
لم يبق الاشامت * أومن يضر اذا قدر

وقال

خل رأى الجهال ما اسطعت واتبع * رأى أهل الحلوم والتجريب
لا تحد عن مشورة فى مهم * فهى مما تحيى حياة القلوب
رأى أهل الصلاح نور يجلى * ظلمة الكرب فى ليالى الخطوب

وقال

لا يرتضى بالدون الا امرؤ * مقصر ذو همة خامله
الموت خير من حياة الفتى * مهتضما ذا رتبة سافله
روح حياة المرء فى عزه * من ذل مات الميتة العاجله

وقال

استغن عمن تشاء * فالله يغنيك عنه
من أمل الناس يشقى * وليس يقمع منه
فان ظفرت بحر * فاحفظ عليه وصنه

وقال

خذ من صديقك قدر ما يعطيكا * لا تبغ أزيد واحذر ان يجفوكا
من يبغ مقدار الذى يحتاجه * من أحبه بقى محبا متروكا
شأن الالى رزقوا الحجا أن يقنعوا * فابغ القناعة انها تغنيكا

وقال

هن اذا عز أخوكا * واخش أن يقرض فيكا
ان من عاد أقوى * منه قد ضل سلوكا
نقص عقل أن تعادى * بشرا لا يتقيكا

وقال

ما عجز الوعد مهما * وعدت فهو الركاء

وقال

ليس الغنى عن كثرة العرض * ان الغنى فى النفس ان ترض

رأس الغنى ترك المطامع عن * زهد بلا ميل ولا غرض

فازهد تعش أغنى البرية فى * عمر بلا هم ولا مضض

وقال

زمن الفضائل قد مضى لسبيله * ولوى بطيب العيش وشك رحيله

وكدت رياح الجد بعد هبوبها * وعلا فريق الهزل بعد خموله

هيهات ما زمن الكرام وما هم * ذهبوا وجد الدهر فى تحويله

وقال

مروءة المرء ثوبه * والعرى فى الناس عيبه

بثوبه المرء يعلو * قدرا ويحفظ قربه

من لم يصن ثوبه لم * يصن وان لاح شيبه

وقال

لا تنصح ما بقيت حب القول * ليس يجنى عليك الا المضره

واطرح ما أتاك منه وجنب * من يرى بالفضول واتق ضره

وقال

ثقيل تراه العين فى العين كالقذى * وكالجبل الراسى على الصدر والقلب

تثير غموم المرء رؤية وجهه * وتشكو جفاه الارض شكوى ذوى الكرب

وقال

أما ترى الاشجار مصفرة * أوراقها كالشمس عند المغيب

ماهى الا صفرة آذنت * بأنها ترحل عما قريب

وقال

كل ما تحب ونشتهى * ودع الطبيب وما يرى

حفظ الغذاء مشقة * ليست ترد مقدرا

كم عدمن محفظ * كم صح من قصرا

كل الحفظ زائد * لا بد مما قدرا

وقال

من كان يأكل ما اشتهى * ويرى مخالفة الطبيب

سيرى مضرة ما أتى * بطرا ويندم عن قريب

ان الحفظ فى الامور * لشيمة الفطن اللبيب

من لم يكن متحفظا * يخطى ويعدم أن يصيب

وقال

وان يكن منه بعد * حـــل لمعاده

وقال

عليك بنفسك لا تشتغل * بشئ سواها وخل الفضول
تعش رائع القلب فى غبطة * فلا من يضر ولا من يقول

وقال

اترك العكر فى الامور ودعها * فبما قدرت تكون الامور
كل فكر وكل رأى وحزم * غير مجد اذا جرى المقدور

وقال

هون عليك خطوب الدهر انها * نهاية والتناهى عنده الفرح
واصبر فان لحسن الصبر عاقبة * بصبحها ظلمة المكروب تنبلج

وقال

احـذر البخل انه شر خلق * يتحلى به وشر طريقه
من يجد غير مسرف فهو فى الما * س موقى تثنى عليه الخليقه

وقال

الذل فى طلب الافادة عزة * فاحرص على نيل الافادة ترشد
ان التعزز فى الذى تحتاجه * كبر وكبر المرء أقبح مقصد

وقال

دع من عرفت ولا تشدد عليه يدا * وداره وتحفظ منه ما بقيا
أما ترى البلد الذى نشأت به * محتقرا كلما اصبحت معتليا
وغيره من بلاد الله قاطبة * يعليك لا سيما ان كنت متقيا

وقال

ينبغى للذى تحلى بعقل * أن يرى كالبازى مدة عمره
بين أيدى الملوك او فى ملاة * حيمة من شرور أبناء دهره

وقال

العزل يضحك ذله * من تيه سلطان الولايه
فاذا وليت فسر على * نهج الدمانة والرعايه
واقصد مداراة الورى * واحذر كيد ذوى السعايه

وقال

لا تقبل الحكم على بلدة * نشأت فيها انه يحقد
رياسة المرء على الاهل والجيران والخلان لا تحمد

وقال

هى الدنيا اذا فكرت فيها * رأيت نعيمها سما نقيعا
فلا تحفل بها واحذر أذاها * فان لسمها قتلا ذريعا

وقال

كن فى زمانك كيف يرضى أهله * لاتعد طورهم ولا تتبدل
فاذا ترى الحمق تحامق معهم و * واذا ترى العقلاء فانتعقل
من لم يكن أبدا كأهل زمانه * يشقى ولا يحظى بنيل مؤمل

وقال

الفاضل اليوم غريب بلا * عون على شئ من الحق
ان غاب لم يحضر وان قال لم * يسمع ولم يؤبه عما يلقى
ما أضيع الفاضل يا ويحه * كأنه ليس من الخلق

وقال وهو آخر أنداء النديم

العز عاقبة التقى * والذل عاقبة الرياسه
فاذا اتقيت علوت فى * أهل الجادة والنفاسه
واذا رأست زلت فى * طرق التخلق والسياسه
فلتختر التقوى ولا * ترأس فتخطئك الكياسه

وكان تاريخ فراغه من كتاب أنداء النديم نصف شعبان عام واحد وثلاثين وسبعمائة (ولنذكر بعض أناشيده التى كان ينشدها أهل مجالسه ببلد قصبة المرية أعادها الله تعالى) فما أنشده رحمه الله تعالى لابى العباس أحمد بن العريف صاحب محاسن المجالس

من لم يشاور عالما بأصوله * فيقينه فى المشكلات ظنون
من أنكر الاشياء دون تيقن * وتثبت فعاند مفتون
الكل تذكار لمن هو عالم * وصوابها بمحالها معجون
والفكر غواص عليها مخرج * والحق فيها لؤلؤ مكنون

وأنشد رحمه الله تعالى من وجادة

أعوذ بالله من أناس * تشيخوا قبل أن يشيخوا
احدودبوا واتحنوا رياء * فاحذرهم انهم فخوخ

وأنشد لنفسه رحمه الله تعالى

أقلل العشرة تغبط * ان من أكثر يسخط
وعليك الصدق واحذر * أن ترى فى القول تشطط
والزم الصمت اذا ما * خفت أن تلحى فتغلط
فعلى الفاضل يلفى * كل مفضول مسلط

وأنشد لنفسه أيضا

جنة العالم لا أد * رى اذا ما احتاج جنه
فاذا ما زلة الجنة بانت فيه جنه
فالزم الجنة تسلم * انما الجنة جنه

وأنشد للحلاج رحمه الله تعالى

وأنشد له أيضا

هيج البين دواعي سقمي * وكسا جسمي ثوب الالم
أيها البين أقلني مرة * فاذا عدت فقد حل دمي
يا خلي الدرع نم في غبطة * ان من فارقته لم ينم
ولقد هاج لقلبي سقما * حب من لو شاء داوى سقمي

وأنشد للمصحفي

صفراء تطرق في الزجاج فان سرت * في الجسم دبت مثل صل لادغ
عبث الزمان بجسمها فتسترت * عن عينه برداء نور سابغ
خفيت على شرابها فكأنما * يجدون ريا من اناء فارغ

وأنشد لابن شهيد

هب من رقدته منكسرا * مسبل للكم مرخ للردا
يمسح النعسة عن عيني رشا * صائد في كل يوم أسدا
شربت أعطافه خمر الصبا * وسقاه الحسن حتى عربدا
رشأ بل غادة ممكورة * عممت صبحا بليل أسودا
احمرت من عضتي في نهدها * ثم عضت حر وجهي عمدا
فأنا المجروح من عضتها * لاشفاني الله منها أبدا

وأنشد لصفوان بن ادريس

حيى الهوى قلبه وأوقد * فهو على أن يموت أوقد
وقال عنه العذول سال * قلده الله ما تقلد
وباللوى شادن عليه * جيد غزال ولحظ فرقد
علله ريقه بخمر * حتى انثنى طرفه فعربد
لا تعجبوا لانهزام طرفي * بجيش أجفانه مؤيد
انا له كالذي تمنى * عبد لعبد وأي عبد
ان بهمات عينه لقتلي * صلى فؤادي على محمد

وأنشد لابي علي ادريس بن اليماني

علقته شادنا صغيرا * وكنت لا أعشق الصغارا
بسفر عن سنة بوجه * صير جنح الدجى نهارا
لم أر من قبل ذا الماء * اضرم فيه الحياء نارا

وأنشد للرمادي أو لابن برد القرطبي

لما بدا في لازورد * ي الحرير وقد بهر
كبرت من فرط الجما * ل وقلت ما هذا البشر
فاجابني لاتنكروا * ثوب السماء على القمر

وأنشد من وجادة

ما ترى عبد أحق * فى أمور توسطا
بل تراه فى أمره * مفرطا او مفرّطا

وأنشد لبعض الادباء

الصبر أولى بوقار الفتى * من قلق يهتك ستر الوقار
من لازم الصبر على حاله * كان على أيامه بالخيار

ولنقتصر من ترجمة ابن ليون على هذا القدر فقد حصلت الاطالة بل ونكتفى من مشايخ لسان الدين بمن ذكرنا ولنورد ما فى الاحاطة فى ترجمة مشيخته وان تكرر مع ما تقدم * ونصه المشيخة قرأت كتاب الله عز وجل على المكتب نسيج وحده فى تحمل القرآن خلق جمله تقوى وصلاحا وخصوصية واتقانا ونغمة وعناية وحفظا وتبحرا فى هذا الفن واطلاعا لغرائبه واستيعابا لمسقطات الاعلام الاستاذ الصالح أبى عبد الله بن عبد المولى العوّاد تكتيبا ثم حفظا ثم تجويدا الى مقرآت أبى عمرو رحمة الله عليهما * ثم نقلنى الى أستاذ الجماعة ومطية الفنون ومفيد الطلبة الشيخ الخطيب المتفنن أبى الحسن على القيجاطى وقرأت عليه القرآن والعربية وهو أول من انتفعت به وقرأت على الخطيب الحسيب الصدر أبى القاسم ابن جزى رحمه الله ولازمت قراءة العربية والفقه والتفسير والمعتمد عليه العربية على الشيخ الاستاذ الخطيب أبى عبد الله بن الفخار البيرى الامام المجمع على امامته فى فن العربية المفتوح عليه من الله حفظا واطلاعا ونقلا وتوجيها بما لا مطمع فيه لسواه وقرأت على قاضى الجماعة الصدر المتفنن أبى عبد الله بن بكر رحمه الله وتأدبت بالشيخ الرئيس صاحب القلم الاعلى الصالح الفاضل أبى الحسن بن الجياب ورويت عن الكثير ممن جمعهم الزمان بهذا القطر من أهل الرواية كالمحدث أبى عبد الله بن جابر وأخيه أبى جعفر والقاضى الشهير الشيخ بقية السلف شيخنا أبى البركات بن الحاج والشيخ المحدث الصالح أبى محمد بن سلمون وأخيه القاضى أبى القاسم سلمون وأبى عمرو ابن الاستاذ أبى جعفر ابن الزبير وله رواية عالية والاستاذ اللغوى أبى عبد الله بن بيش والمحدث الكاتب أبى الحسن التلمسانى المسن والحاج أبى القاسم بن المهنى المالقى والعدل أبى محمد السعدى تحمل عن الامام ابن دقيق العيد والقائد الكاتب ابن ذى الوزارتين أبى بكر بن الحكيم والقاضى المحدث الاديب حلية الظرف أبى بكر بن شبرين والشيخ أبى عبد الله بن عبد الملك والخطيب أبى جعفر الطنجالى والقاضى أبى بكر بن منظور والراوية أبى عبد الله بن حرب الله كلهم من مالقة والقاضى أبى عبد الله المقرى التلمسانى والشريف أبى على حسن بن يوسف والخطيب الرئيس أبى عبد الله بن مرزوق كلهم من تلمسان والمحدث الفاضل الحسيب أبى العباس بن يربوع والرئيس أبى محمد الحضرمى السبتيين والشيخ المقرى أبى محمد ابن أيوب المالقى آخر الرواة عن ابن أبى الاحوص وأبى عثمان بن ليون من أهل المرية والقاضى أبى الحجاج المنتشاقرى من اهل رندة وطائفة كبيرة من المعاصرين تحملا وتدبجا ومن اهل العدوة الغربية والمشرق وافريقية الكثير بالاجازة وأخذت الطب والتعاليم والمنطق وصناعة التعديل عن الامام أبى زكريا بن زهير ولازمته هذا على سبيل الالماع

ولو رغبت في ذكر ما أنشده في شرح هذا التأليف عما وضع له لأتى كلامه في الإحاطة وقد
ذكرت في هذا الباب زيادة في بعض التراجم على ما في الإحاطة على ما اقتضاه الحال إذ
ذلك لا يخلو من فائدة زائدة وحكمة بالخير عائدة ولو لم يكن في هذا الكتاب غير هذا
الباب لكان كافيا لاشتماله على تصوف وحكم وكرامات وآداب ووصايا وإنشادات
وغيرها مما يغني عن جمع الغايات ويشوق إلى الوقوف عليه ذوو الملكة في البيان ولو لم
يشتمل إلا على المدائح النبوية التي فيه لكفت خاصيته والله سبحانه ينفع به بجاه سيدنا محمد صلى
الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وتابعيه وحزبه

(الباب الرابع)

في مخاطبات الملوك والأكابر الموجهة إلى حضرته العلية وثناء غير واحد من أعلام
أهل عصره عليه وتشوف الأماجد من ذوي التأميل إليه وانحلال أقوام أوزار ناشئة
إثمه وكتبهم بعض المؤلفات باسمه وورود بعضهم عند إشارته ورسمه وما ينتمي إلى ذلك
في خطه ووسمه وبعضهم ينتدبه * (اعلم) سلك الله بي وبك الطريق الأقوم الأهدى ووقى
صدور حساد نعمة الترقي أن لسان الدين ذكر في كتبه كالإحاطة ونفاضة الجراب
وغيرهما ما جاءه مخاطبة به الملوك وغيرهم من تجلة وتنويه * ولنذكر بعض ذلك من
كتبه ومن غيرها تتميما للمقصود وإمتاعا للناظرين في هذه العجالة بما فيه
وتنويه * فمن ذلك ما ذكر في الإحاطة من إكرام السلطان أبي زيان المريني ابن الأمير أبي
عبد الرحمن ابن السلطان أبي الحسن له وسرد ما كتب له به من ذلك هذا ظهير إلى برله
أيده الله ونصره وبنى له الفتح المبين ويسر وبعد ما صوره للشيخ الفقيه الأجل الأسنى
الأعز الأحظى الأرفع الأمجد الأسنى الأوحد الأود الأرقى العالم العلم الرئيس
الأعرف المنفرد الأبرع المصنف المجيد الصدر الأحفل الأفضل الأكمل أبي عبد الله
ابن الشيخ الفقيه الوزير الأجل الأسنى الأعز الأرفع الأمجد الأوجه الأود الأحفل
الأفضل الأنسب الأصيل الأكمل المبرور المرحوم أبي محمد بن الخطيب فإنه أيده
الله وصل والإقبال وأبقى عليه ملابس الإنعام والإفضال ورعى له خدمة السلف
الرفيع الجلال وما بذر من مقاصده الحسنة في خدمة أمرنا العالي وأمر في حقه
ما تضمنه من الآلاء الوارفة الظلال السنية الخلال بأن يجدد له بحكم ما تقدم من
الأوامر المتقدم تاريخها المتممة عشرة وخمسمائة دينار من الفضة العشرية في كل شهر
عن مرتب له ولولده الذي لنظر من عني بذلك شرفها الله في كل شهر ومن
حسب ريت الباذ أن يعني له ورفع الاعتراض سائرها فيما تخلف من الأدم والأدوات على
اختلافها من حبوب وشعير وغيره مما يحتاج إليه مضارعها أو غيرها من عسر وطي
وكان وفاء كثيره وحصره وغير ذلك فلا يطالب في شيء من ذلك بمغرم ولا وظيف ولا يوجه
عليه تكليف يحصل له بحكم جميع ما ذكر في كل عام تجديدا تاما واحتراما عاما
أمان بتجديد الأمر وإيصالها وإتمام النعمة وإكمالها من تواريخ الأوامر المذكورة

إلى

الى الآن ومن الآن الى ما يأتى على الدوام واتصال الايام وأن يحمل جانبه فيمن يشركه أو يخدمه محمل الرعى والمحاشاة فى السخر مهما عرضت والوظائف اذا افترضت حتى يتصل له تالد العناية بالطارف وتتضاعف اسباب المنن والعوارف بفضل الله وتحرر له الازواج التى يحرثها بالغة ما بلغت من كل وجيبة وتحاشى من كل مغرم أرضى يه بالتحرير التام بحول الله وعونه ومن وقف على هذا الظهير الكريم فليعمل بمقتضاه وليمض ما أمضاه ان شاء الله وكتب فى العاشر من شهر ربيع الآخر من عام ثلاثة وستين وسبعمائة وكتب فى التاريخ انتهى وقوله وكتب فى التاريخ هو العلامة السلطانية فى ذلك الزمان يكتب بقلم غليظ وبعض ملوك المغرب يكتب عنه العلامة صح فى التاريخ * وقد عرّف لسان الدين فى الاجاطة بهذا السلطان عاصمه محمد بن يعقوب بن عبد الرحمن بن على أمير المسلمين ابن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق أمير المسلمين بالمغرب الى هذا العهد يكنى أبا زيان وصل الله نصره على عدو الدين وأرشده الى سنن الخلفاء المهتدين حاله فاضل سكون مقاد مشتعل بخاصة نفسه قليل الكلام حسن الشكل درب بركض الخيل مفوّض للوزراء عظيم التأنى لاغراضهم ووكل الامور لمن استكفاه منهم استقدم من أرض النصارى بالاندلس وقد فرّ اليهم خوفا على نفسه فسمح به ملك الروم بعد اشتراط واشتطاط فكان وصوله الى مدينة الملك بفاس يوم الاثنين الثانى والعشرين لصفر عام ثلاثة وستين وسبعمائة ودخوله داره مغرب ليلة الجمعة بطالع الثامن من السرطان وبه السعد الاعظم كوكب المشترى من الكواكب السيارة وقد كان الوزير قيم الامر والمثل فى الكفاية والاستطلاع بالعظيمة عمر بن عبد الله بن على اليابانى لما ثار بعمه السلطان أبى سالم رحمه الله وأقام الرسم بأخيه المعتوه المدعو بأبى عمر استدعى هذا المترجم به وقد نازله الامير عبد الحليم ابن عمهم وتوجه عنه رسوله أثناء الحصار لما رأى الامر لا يستقيم من نفسه فتلطف فيه الى طاغية النصارى واستعان بالسلطان أبى عبد الله بن نصر وقد جمعتهما ايالته فتم له اللحاق بالمغرب وانصرف الامير عبد الحليم الى سجلماسة فتملكها وتم الامر للامير أبى زيان يقوم به عنه وزيره ومستدعيه المذكور مصنوعا له فى خدمته أعانه الله تعالى وأصلح حاله وأحوال الخلق على يديه ووفدت عليه من محل الانقطاع بسلا وأنشدته قولى

لمن علم فى هضبة الملك خفاق * افاقت به من غشية الهرج افاق
تقل رياح النصر عنه عمامة * تمد لها أيد وتخضع أعناق
وبيعة شورى أحكم السعد عقدها * وأعمل اجماع عليها واصفاق
قضى عمر فيها بحق محمد * فسجل عهد للوفاء وميثاق
احلما ترى عيناى ام هى يقظة * أعد كافى مشكل الامر مصداق
وفاض لفضل الله فى الارض تبتغى * ومجتمعات لاتريب وأسواق
وسرح ثنيه الكلاءة بالكلا * وفلح لسقى الغيث قام له ساق
وقد كان طيف الحلم لا يعمل الخطا * وللفتنة الدهماء فى الارض اطباق

وما الناس الا مذنب وابن مذنب * ولله ارفاد عليهم وارفاق
ولا ترج في كل الامور سوى الذي * خزائنه ما ضرها قط انفاق
اذا هو أعطى لم يصر منع مانع * وان شدت طيم وعاد وعملاق
عرفت الردى واستأثرت بك للعدا * تخوم بخط الصليب وأعماق
فيسر لليسرى وأحيا بك الورى * وللروع ارعاد عليك وابراق
فجار صنيع الله واردد بشكره * مواهب جود عيشها الدهر دفاق
وأوف لمن أوفى وكاف الذي كفى * فأنت كريم طهرت منك اعراق
وتهنيك يا مولى الملوك خلافة * شجتها تباريح اليك وأشواق
فقد بلغت أقصى المنى بك نفسها * وكم فاز بالوصل المهنا مشتاق
فلا راع منها السرب للدهر رائع * ولا نال مهاجة السعد اخلاق
أمولاي راع الدهر سربي وغالني * فطرفي مذعور وقلبي خفاق
وليس لكسري غير ك اليوم جابر * ولا لي لدى الا عبد لك اعلاق
ولي فيك ود واعتداد غرسته * فراقت به من يانع الحمد أوراق
وقد عيل صبري في ارتقابي حليمة * تحل به للصبر عني أرهاق
وأنت حسام الله والله ناصر * وأنت أمين الله والله رزاق
وأنت الامان المستجار من الردى * اذا راع خطب أو توقع املاق
وأهون ما ترجى لديك شفاعة * اذا لم يكن عزم حثيث وارهاق
ودونكها من دائع الحمد مخلص * له فيك تقييد يروق واطلاق
اذا قال أنصت كل سمع لقوله * فصيح وأنما كل انف فشاق
ودم خافق الاعلام بالنصر كلما * ذهبت لسعي لم يكن فيه اخفاق

وعدت منه ببر كثير واحترام شهير (دخوله غرناطة) لحق بها مغلتا عند القبض على قرابته وبني عمه وتقريبهم الى مصارعهم فكان وصوله في رمضان من عام خمسين وسبعمائة ثم رابه رائب لحق لاجله بصاحب قشتالة وأقام في جملته الى حين استدعائه المتقرر آنفا وهو لهذا العهد أمير المسلمين بالمغرب أعانه الله تعالى على الخير وأطلق به يده وألهمه الى ما يرضى منه بفضله وكرمه انتهت الترجمة * ورأيت على هامش هذا المحل من الاحاطة بخط الخطيب الشهير الامام أبي عبد الله بن مرزوق التلمساني رحمه الله ما صورته توفي يعني السلطان أبا زيان معتالا عام ستة وستين على يد مطاهره الخائن عمر بن عبد الله بن علي الوزير رد الله بغيه وأشاع أنه أفرط في السكر وألقى نفسه في البئر المعروفة برياض الغزلان وبايع لعمه عبد العزيز بن السلطان أبي الحسن فسلطه الله عليه وأخذ حقوق الخلائق على يديه فقتله غيلة بعد أن كان تغلب عليه فأعمل الحيلة في قتله واستمر ملك عبد العزيز ظاهرا طاهرا قد جمع بين المغرب الى أقصاه وبين ملك تلمسان وقد شرد أهلها كل مشرد وعند ما أقبلت الدنيا عليه واستقام ملكه وكاد يلحق ملك أبيه أو يزيد مات رحمه الله تعالى قيل مطعونا وقيل غير ذلك وذلك في حدود أربع وسبعين وولي ولده ثم عزل بابن عمه أبي العباس ابن السلطان أبي سالم

الله بحق وكبير ملوك الارض عن حجة ومعدن الشفقة والحرمة ببرهان وحكمة
أبقاكم الله تعالى عالى الدرجة فى المنعمين وافر الحظ عند جزاء المحسنين وأراكم ثمرة
برّ أبيكم فى البنين وصنع لكم فى عدوّكم الصنع الذى لا يقف عند معتاد وأذاق العذاب
الاليم من أراد فى مثابتكم بالحاد عندكم الذى ملكتم رقه وآويتم غربته وسترتم أهله
وولده وأسنيتم رزقه وجبرتم قلبه يقبّل موطئ الاخمص الكريم من رجلكم الطاهرة
المستوجبة بفضل الله تعالى لموقف النصر الفارعة هضبة العز المعملة الخطو فى مجال
السعد وميسر الحظ ابن الخطيب من شالة التى تأكد عليكم الرعى احترامها وتجدد
برعيكم عهدها واستبشر عليكم دفينها وأشرق بحسناتكم نورها وقد ورد على
العبد الجواب المولوى البرّ الرحيم المنعم المحسن بما يليق بالملك الاصيل والقدر الرفيع
والهمة السامية والعزة القعساء من رعى الدخيل والنصرة للذمام والاهتزاز لبرّ الاب
الكريم فثاب الرجاء وانبعث الامل وقوى العضد وزار اللطف فالحمد لله الذى
أجرى الخير على يدكم الكريمة وأعانكم على رعى ذمام الصالحين المتوسل اليكم أوّلا
بقبورهم ومتعبداتهم وتراب أجداثهم ثم بقبر مولاى ومولاكم ومولى الخلق أجمعين الذى
تسبب فى وجودكم واختصكم بحبه وغمركم بلطفه وحنانه وعلمكم آداب الشريعة وأورثكم
ملك الدنيا وهيأ لكم دعواته بالاستقامة الى ملك الآخرة بعد طول المدى وانفساح
البقاء وفى علومكم المقدسة ما تضمنت الحكايات عن العرب من النصرة عن طائر داست
أفراخه ناقة فى جوار رئيس منهم وما انتهى اليه الامتعاض لذلك مما أهبت فيه الانفس
وهلكت الاموال وقصارى من امتعض لذلك أن يكون كبعض خدامكم من عرب تامسنا
فما الظن بكم وأنتم الكريم ابن الكريم ابن الكريم فيمن لجأ أوّلا الى رحمكم بالاهل والولد
عن حسنة تبرعتم بها وصدقة حملتكم الحرية على ابدائها ثم فيمن حط رحل الاستجارة
بضريح أكرم الخلق عليكم دامع العين خافق القلب واهى الذرعة يغطى بردائه ويستجير
بعليائه كأنى ترامیت عليهم فى الحماة أمام الذعر الذى يذهل العقل ويحجب عن التمييز
فقصر داره ومضجع رقاده ما مر يوم الا وأجهر بعد التلاوة يال يعقوب يال مرين
نسأل الله تعالى أن لا ينقطع عنى معروفكم ولا ينسانى عنايتكم ويستعملنى ما بقيت فى
خدمتكم ويتقبل دعائى فيكم ولحين وصول الجواب الكريم نهضت الى القبر المقدس
ووضعته بازائه وقلت يا مولاى يا كبير الملوك وخليفة الله وبركة بنى مرين صاحب الشهرة
والذكر فى المشرق والمغرب عبدك المنقطع اليك المترامى بين يدى قبرك المتوسل الى
الله ثم الى ولدك بك ابن الخطيب وصله من مولاه ولدك ما يليق بمقامه من رعى وجهك
والتقرب الى الله تعالى برعيك والاشتهار فى مشرق الدنيا ومغربها ببرّك وأنتم من أنتم
من اذا صنع صنيعة كملها واذا منّ منة تممها واذا أبدى يدا أبرزها طاهرة بيضاء
غير معيبة ولا ممنونة ولا منتقضة وأنا بعد تحت ذيل حرمتك وظل دخيلك حتى يتم أملى
ويخلص قصدى وتحف نعمتك بى ويطمئن الى مآلك قلبى ثم قلت للطلبة أيها السادة بينى
وبينكم تلاوة كتاب الله تعالى مدة أيام ومناسبة الحلة وأخوة التآلف بهذا الرباط

المقدس والمسكن بن اظهركم فاسعوا على دعائى باخلاص فى قلوبكم وامدوني فى الدعا
والتوسل الذى رجوان يتقبله الله تعالى ولا تنسوه وحاطب العبد مولانا شاكرا له نعمه
شيدا لصنيعه مسرورا بسوله وبابه من الآمال والمطارح بانه حتى تكمل القصد وتم
الغرض معمورا الوقت بخدمته وهاودعا ردد والله المستعان انتهى • وكان تقدم من
لسان الدين كتاب للسلطان المذكور وكان ما نسخ من كتاب السلطان جوابا له وذلك
بعد رجوع لسان الدين من مراكش واستقرار فى مدينة سلا مرابطا باله مدفن السلاطين
من بنى مرين ومنهم السلطان أبو الحسن والد السلطان ابى سالم المذكور ونص الكتاب
مولاى المرجو لاتمام الصنيعة وصلة النعمة واحراز الفخر ابقاكم الله تعالى تسرب بكم
الآمال فى العز والرضا وعلو الهمة ورعى الوسيلة مقبل موطئ قدمكم المنقطع الى
ربه المولى والدكم ابن الخطيب من الضريح المقدس بشاله وقد حط رحل الرجا فى القبة
المقدسة وتيمم بالتربة الزكية وقد بارا لحمد المولى ابيكم ساعة اثابة فى الوجهة المباركة
وزيارة الرباط المقصود والترب المعظمة وقد عزم ان لا يبرح طوعا فى هذا الجوار الكريم
والمحل المرتجى حتى يبله من مقامكم ما ناسب هذا التطارح على قبر هذا المولى العزيز
على أهل الارض ثم عليكم والناس ساعة فى أمر سهل عليكم لا يجرا سادما ولا اقتحام
خطرا غاهو اعمال لسان وخط بنان وصرف عزم واحرار فخر واجر واطالة ذكر وذلك
أن العبد عرفكم يوم وداعكم انه لم يعكم الى المولى المقدس بلسان المقال ما يحصر
بما نفع الله تعالى فيه ثم نقل عنه لكم بلسان الحال ما سلى عنه من الجواب وقال لى صدر
دولتكم وخالصتكم وخالصة المولى والدكم ٠ ذى الخطيب يعنى ابن مرزوق بين الله ٠ بانى
أملاك بمعاد مقامكم وطول عمركم اسألا والحمد لله عن لا سكر عليه الوفا بهذين
الغرضين وصدر عنكم فى البر والقبول والانعام ما صدر جزاكم الله تعالى جزاء المحسنين
وقد تقدم تعريف مولاى بما كان من ضمام الله تعالى دعا به الى التربة الزكية عنكم حسبما
ادا من حضر ذلك المشهد من خدامكم والعبد الآن يعرض عليكم الجواب وهو أنى
لما رغبت من مخاطبة عزأى من الملأ الكبير والجم الغفير اكتب على التربة الكريم
داعيا مخاطبا وأصعب بأدنى حرمة وحصل والدى على ما وجهه اليه لسان حاله
وبكائى به ستقول لى قل لولا نا والدى وفر عنى المخصوص رضاى وبرى وسرجوى
ورد ملكى وضمان أهلى واكرم صنائعى ووصل عملى أمل عليك وامال الله تعالى أن رجى
عملك وتقبل عليك الدبا دار غرور والآخر خير لمن اتقى وما الناس الاهالك وابن هالك
ولا تعهد الاما قدمت من عمل تقتضى العفو والمغفرة أوشك تحلف الدعا بالرحمة
ومثلك من ذكر فتذكر وعرف فشكر وهذا ابن الخطيب مقدوف على قبرى وبهمى
وسعى الناس الى ربانى وانتدبى وتحدثى وتكلى ودعائى وهاى عمر أمرى الملك وعمر
وجهه فى برى واملى لما اعطف من آمال الناس فلو كنت اولادى حيا ما وسعنى
أن أعمل معه الا ما يليق بى وان ابت لى فيه الكبر واحتقر العظم لكن لما عزت عن جزائه
وكلته اليك وأحلته باحسبك على علك وقد اخبرنى انه ملك المال كبير العيال

ضعيف الجسم قد ظهر في عدم نشاطه أثر السن وأمّل أن ينقطع بجواري ويستتر بدخيلي وحرمتي ويردّ عليه حقه بحرمتي ووجهي ووجوه من صاحبني من سلفي ويعد الله تعالى تحت حرمتك وحرمتي وقد كنت تشوّقت الى استخدامه في الحياة حسبما يعلمه حبيبنا الخالص المحبة وخطيبنا العظيم المزية القديم القربة أبو عبد الله بن مرزوق فاسأله يذكرك واستخبره يخبرك فأنا اليوم أريد أن يكون هذا الرجل حديثي بعد الممات الى أن يلحق بجوار رضوان الله تعالى ورحمته التي وسعت كل شيء وله يا ولدي والنجيب بخدم بابك وينوب عنه في ملازمة بيت كتابك وقد استقر ببابك قراره ونعم بأمرك مرتبه ودثاره ويكون الشيخ خديم الشيخ والشاب خديم الشاب هذه رعيتي منك وحاجتي اليك واعلم أن هذا الحديث لابد له أن يذكر ويتحدث به في الدنيا وبين أيدي الملوك والكبار فافعل ما يبقى لك فخره ويتجدد ذكره وقد أقام مجاور الضريح تاليا كتاب الله تعالى على منتظرا ما يصله منك ويقرؤه على من السعي في خلاص ماله والانتجاح بهذه الوسيلة في جبره واجراء ما يليق بك من الحرمة والكرامة والنعمة فالله الله يا ابراهيم اعمل ما يسمع عني وعنك فيه ولسان الحال أبلغ من لسان المقال انتهى والعبد يا مولاي مقيم تحت حرمته وحرمة سلفه منتظر منكم قضاء حاجته ولتعلموا وتتحققوا أني لو ارتكبت الجرائم ورزأت الاموال وسفكت الدماء وأخذت حسائس الملوك الاعزة من وراء النهر من الططر وخلف البحر من الروم ووراء الصحراء من الحبشة وأمكنهم الله تعالى مني من غير عهد بعد أن بلغهم تذممي بهذا الدخيل ومقامي بين هذه القبور الكريمة ما وسع أحدا منهم من حيث الحياء والحشمة من الاحياء والاموات وايجاب الحقوق التي لا يعملها الكبار للكبار الا الجود الذي لا يتعقبه البخل والعفو الذي لا تفسده المؤاخذة فضلا عن سلطان الاندلس أسعده الله تعالى بموالاتكم فهو فاضل وابن ملوك أفاضل ودولة اكياس ما فيهم من يجهل قدركم وقدر سلفكم لاسيما مولاي والدكم الذي أتوسل به اليكم واليهم فقد كان يتبنى مولاي أبا الحجاج ويشمله بنظره وصارخه بنفسه وأمدّه بأمواله ثم صير الله تعالى ملكه اليكم وأنتم من أنتم ذاتا وقبيلا فقد قرت يا مولاي عين العبد بما رأت في هذا الوطن المراكشي من وفور حشودكم وكثرة جنودكم وترادف أموالكم وعددكم زادكم الله تعالى من فضله ولا شك عند عاقل انكم ان انحلت عروة تأميلكم وأعرضتم عن ذلك الوطن استولت عليه يد عدوه وقد علم نظار حتى بين الملوك الكرام الذين بخصمهم اهم الشيطان وتعلق بثوب ابائك الصالح والد الملوك الكرام مولاي والدكم وشهرة حرمة شالة معروفة حاش لله أن يضيعها أهل الاندلس وما توسل اليهم قط بها الا الآن وما يجهلون الا اعتنام هذه الفضيلة العربية وأملي منكم أن يتعين من بين يديكم خديم بكتاب كريم يتضمن الشفاعة في ردّ ما أخذ لي ويحيي بمثواي مترامياً على قبر والدكم ويقرر ما أرمضكم بسبب هذا الترامي من الضرورة المهمة والوظيفة الكبيرة عليكم وعلى قبيلكم حيث كانوا وتطلبون فيه عادة المكارمة بحل هذه العقدة ومن المعلوم اني لو طلبت بهذه الوسائل من صاحب ما ومعهم بالمطر العقلي الاحفظ الوجه مع هذا القبيل وهذا الوطن فالحياء والحشمة بأبيات العذر عن هذا في كل

عام سبعة وتسعين وثمانمائة فرحم الله تعالى ابن الخطيب العاقل اللبيب وعمر له برحمته
انتهى * ومما خاطب به لسان الدين السلطان أبا سالم في العرس المتقدم قوله

عن باب والدك الرضا لا أبرح * يأسو الزمان لاجل ذا أو يجرح
ضربت خيامي في حماه فصبيتي * تجنى الجميم به وبهمى تسرح
حتى يراعي وجهه في وجهتي * بعناية تشفي الصدور وتشرح
أيسوغ عن مثواه سيري خائبا * ومنابر الدنيا بذكرك تصدح
أنا في حماه وأنت أبصر بالذي * يرضيه منك فوزن عقلك أرجح
في مثلها سيف الحمية ينتضى * في مثلها زند الحفيظة يقدح
وعسى الذي بدأ الجميل يعيده * وعسى الذي سد المذاهب يفتح انتهى

وقد عرف في الاحاطة بالسلطان أبي سالم فقال بعد كلام أملاك المسلمين وحماة الدين
وأمراء المغرب الاقصى من بني مرين غيوث المواهب وليوث العرين ومعتمد الصريخ
وسهام الكافرين حفظ الله تعالى على الاسلام والمسلمين ظلالهم وزين بدور الدنيا
والدين هالاتهم وأبقى الكلمة فيمن اختاره منهم أو من أقاربهم فما عسى أن يطنب اللسان
في مدحهم وأين تقع العبارة وماذا يحصر الوصف الى أن قال وفاته وفي ليلة العشرين
من ذي القعدة من عام اثنين وستين وسبعمائة ثار عليه بدار الملك وبلد الامارة المعروف
بالبلد الجديد من مدينة فاس الخائن الغادر محلله عليها عمر بن عبد الله بن علي نسمة السوء
وجملة الشؤم والمثل المعيد في الجراءة على الله تعالى وقد اهتبل غرة انتقاله الى القصر
السلطاني بالبلد القديم متحولا اليه حذرا من قطع فلكي كان يحذر رمسه استحجل بضعف
نفسه وأعانه على فرض صحة الحكم به وسد الباب في وجهه ودعا الناس الى بيعة
أخيه المعتوه وأصبح حائرا بنفسه يروم ارتجاع أمر ذهب من يده ويطوف بالبلد يلتمس
وجها الى تجاح حيلة فأعياه ذلك ورشقت من معه السهام وفرت عنه الاجناد والوجوه
وأسلمه الدهر وتبرأ منه الجد وعندما جن عليه الليل فر لوجهه وقد التف عليه الوزراء
فسفهت حلومهم وذالت آراؤهم ولو قصدوا به بعض الجبال المنيعة لولوا أوجههم شطر
مظنة الخلاص واتصفوا بابلاغ الاعذار ولكنهم نكلوا عنه ورجعوا ادراجهم وتسللوا
راجعين الى يد غادر الحلة وقد سلبهم الله سبحانه لباس الحياء والرجولية وتأذن الله تعالى
لهم بعد بسوء العاقبة وقصد بعض بيوت البادية وقد فضحه نهار العد واقتفى المتبعة أثره
حتى وقعوا عليه فسيق الى مصرعه وقتل بظاهر البلد ثاني اليوم الذي غدر به فيه جعلها
الله تعالى له شهادة ونعمه فلقد كان بقية البيت وآخر القوم دماثة وحياء وبعدا عن
الشرور وركونا للعافية وأنشدت على قبره الذي ووريت به جثته بالقلعة من ظاهر
المدينة قصيدة أديت فيها بعض حقه

بني الدنيا بني لمع السراب * لدوا للموت وابنوا للخراب

انتهى المقصود من الترجمة وكان يصف لسان الدين بعقربي وجليسي كما سبقت الاشارة اليه
من كلام لسان الدين فيما خاطب به ابن أبي رمانة والله يسدل على الجميع رداء عفوه

سجاياه. وقد تقدم أنه شفع لابن الخطيب عند أهل الأندلس ولذلك قال يخاطبهم

حتى تخلل الله أحباب مهجتي * وعاجلني فقد الصريخ على بعد
فإن عشت أبلغ فيك نفسي عذرها * وإن لم أعش فالله عوضك من بعدي

(وقال الرئيس الأمير الأديب أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر في حق ابن الخطيب ما صورته) هو شاعر الدنيا وعلم المفرد والثنا وكاتب الأرض إلى يوم العرض لا يدافع مدحه في الكتب ولا يجيء بمثاله العقب آخر من تقدم في الماضي وسبق بمثوله ليس بالكهام إذ هو الماضي والأقاطر كلام الكتاب الأول من العصبة كيف كان يقوم بالإفادة صاحب العصبة للبراعة بالبراعة وقد أسكت صائلهم وما جدت بكرهم وأصائلهم للبراعة المسرية بالحلاوة المكية من مفاصل الطلاوة وهو نفيس العدوتين ورئيس الدولتين بالاطلاع على العلوم العقلية والإمتاع بالفهوم النقلية لكن عمل لسانه في الهجاء أشنع وعادة طباعه في ذلك أسرع حتى صدقني وعلى الأولياء أقدم نسب هجو لابن عمي ملك الصقع الأندلسي سلطان ذلك الوطن في الشعر الحسي المعظم في الملوك بالقول الجلي والأسى ثم صعب عنه صحبه النادر الوارد من منبع الطمع غير القادر لأن مثلي لا يليق به إظهار العورات ولا يحمل له تتبع العثرات اتباعا للشرع في تحريم الغيبة وسيرا على الكريمة واتباعا لخطوط العصبة الرغيبة فما ضر لو اشتغل بذنوبه وتأسف على ما فرط من ما الأهوى بذنوبه وقد قال بعض الناس من تعرض للأعراض صار عرضه هدفا لسهام الأعراض انتهى * وقيل هذا في لسان الدين لا يقدح وما زالت الأشراف تهجى وتمدح وعلى قدر صدور ما يحدث وحسنه حسابه الربح فالأولى أن ينشد

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بألف شفيع

*(وممن أثنى على لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى بعض أكابر علماء تلمسان ولم يحضرني الآن اسمه في تأليف عرف فيه بالشيخ العلامة سيدي أبي عبد الله الشريف التلمساني وابنه العالم أبي يحيى وسيدي عبد الله فقال بعد كلام في حق الشريف ما نصه وكان علماء الأندلس أعرف الناس بقدره وأكثرهم تعظيما له حتى إن العالم الشهير لسان الدين بن الخطيب صاحب الإنشاء الحسنة والتآليف البديعة كلما ألف تأليفا بعثه إليه وعرضه عليه وطلب أن يكتب عليه بخطه وكان الشيخ الإمام الصدر المفتي أبو سعيد ابن لب شيخ علماء الأندلس وآخرهم كلما أشكل عليه مسألة كاتبه بها وطلب منه بيان ما أشكل عليه منها انتهى المقصود منه بما نقلته من الكتاب المذكور * (رجع) وكتب لسان الدين بن الخطيب على لسان شيخه الأوحد قاضي الجماعة أبي البركات بن الحاج البلفيقي رحمهما الله تعالى

أيها المعنى الذي * حبه المشهور من مذهبي
أأنسى النوبة منه * طلوعه عشاء من المغربه

ويدل على طي أنه خاطبه بذلك عند قدومه أعني لسان الدين من المغرب إلى الأندلس وأنه

تعالى

تعالى أعلم *(وكان قاضي القضاة برهان الدين الباعوني الشامي) كثير الثناء على لسان الدين رحمه الله تعالى لانه تلقى أخباره من قاضي القضاة ابن خلدون حسبما ذكرناه في غير هذا الموضع وقد رأيت بخطه على هامش بعض تآليف لسان الدين في الانشاء مانصه هذا بليغ الى الغاية انتهى * وكتب اثره بعض أكابر علماء المشرق مانصه هذا خط العلامة قاضي القضاة برهان الدين الباعوني وهو شديد الاعتناء والمدح للمصنف ابن الخطيب الاندلسي معظم له ولانشائه وهو خليق بالتعظيم جدير بمزيد التمجيد والتكريم وكيف لا وهو شاعر مفلق وخطيب مصقع وكاتب مترسل بليغ لولا مافي انشائه من الاكثار الذي لايكاد يخلو من عثار والاطناب الذي يفضي الى الاجتناب والاسهاب الذي يقذ الاهاب ويورث الالتهاب انتهى قلت وهذا الانتقاد غير مسلم فان لسان الدين وان اطنب وأسهب فقد سلك من البلاغة أحسن مذهب ويرحم الله تعالى العلامة البرهان الباعوني المذكور أعلاه اذ كتب بخطه في آخر بعض تآليف لسان الدين في الانشاء ماصورته قال كاتبه ابراهيم بن أحمد الباعوني لطف الله تعالى به الحمد لله على ماألهم من البيان وعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم وقفت على هذا الكتاب من أوله الى آخره وعمت من بحر بلاغته في زاخره وعددته من مناقب مؤلفه ومفاخره فانه برز فيه غاية التبريز وأتى بما هو أحسن من الذهب الابريز لابل بما هو أبهى من الجواهر والنجوم الزواهر وعجبت من تلك الالفاظ المشبهة لسحر الالحاظ ورقة المعاني المحكمة المباني انتهى فانظر أيدك الله تعالى بعين الانصاف الى كلام هذا الفاضل المنصف الكامل وقسه مع كلام ذلك المنتقد المتعصب الناقص الخامل مع أن الكلام الذي تعرض له ذاك بالقدح هو الذي تصدى له الباعوني بالمدح وكل اناء بالذي فيه يرشح وانما يعرف الفضل لاهل الفضل أهل الفضل والامر أجلى من أن يقام عليه دليل وأوضح (رجع) الى ما كنا بصدده وقال الوزير ابن عاصم عند ما أجرى ذكر سلطان ابن الخطيب أمير المسلمين الغني بالله بعد كلام كثير ماصورته محل الحاجة منه وكان هذا السلطان من نيل الاغراض على أكمل ما يكون عليه مثله ممن نزع غرقا في قوس الخلافة وحكى لي شيخنا القاضي أبو العباس الحسني أن كبير ولده الامير أبا الحجاج طلب من الشيخ ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الخطيب أن يطلب من أبيه الغني بالله أن يبادر باعذاره اذ كان قد جاوز سن الاثغار دون اعذار لمكان ما لحق والده من التمحيص وغير ذلك من الحوادث المهمة فأسعده الشيخ بذلك وقال للغني بالله يا مولانا ان سيدي يوسف وكان على طلب اعذاره من مولانا نصره الله على ما يليق بك وبه فقال له الغني بالله حسبي الله ومكث سكتة لطيفة تشعر بفصل الكلام بعضه من بعض ثم قال ونعم الوكيل فعدها الاكياس من مدارك نبله ومحاسن قوله وفعله انتهى قلت هذا من السلطان في حق لسان الدين غاية التبجيل أعني قوله ونعم الوكيل فأين هذا من سماع كلام أعدائه فيه بعد حتى آل أمره الى الحبس بعد ذلك السعد وسقاه دهره بعد الحلاوة مامر ولم يكن قتله الا بتسبب السلطان المذكور كما مر

فلانه لبس ابهاما * العصر والسلطان والزمان

(وقال لسان الدين رحمه الله تعالى) ولما قضى الله عز وجل بالادالة ورجعنا الى أوطاننا من
العدو واستقر عني ما استقر من الانقباض عن الخدمة والتبعة على السلطان والدولة
والتكبر على أعلى رتب الخدمة وتطارحت على السلطان في استنجاز وعد الرحلة ورغبت
في تبرئة الذمة وعرفت عن الاندلس بالجملة خاطبني شيخنا أبو عبد الله بن خاتمة بعد صدر بليغ
من حسن الانشاد وبراعة الاستهلال العامة وله والى هذا يا سيدي ومحل تعظيمي
واجلالي أمتع الله تعالى الوجود بطول بقائكم وضاعف في العز درجات ارتقائكم
فانه من الامر الذي لم يعزب عن رأي المعقول ولا اختلف فيه أرباب المعقول انكم بهذا
القطر شمس أفقها وتاج مفرقها وواسطة سلكها وطراز ملكها وقلادة نحرها
وفريد درها وعماد مجدها المنصوص وعامر ربعها على العموم والخصوص ثم أنتم
مدار أفلاكها وسر سياسة أملاكها وترجمان بيانها ولسان احسانها وطبيب
مارستانها والذي عليه عقد ادارتها وبه قوام امارتها ولديه يحل المشكل واليه يلجأ
في الامر المعضل فلا غرو أن تتعلق بكم الاسماع والابصار وتحدق نحوكم الاذهان
والافكار ويزجر عنكم السانح والبارح ويستنبأ ما تطرف عنه العين وتختلج الجوارح
استشعارا لمرامكم واستطلاعا لطالع اعتزامكم واستكشافا عن مرامي سهامكم
لا سيما مع اقامتكم على جناح خفوق وظهوركم في مطلع بروق واضطراب الظنون فيكم
مع الغروب والشروق حتى تستقر بكم الدار ويلقي عصاه التسيار ولله العذر في ذلك
اذ صدعها بفراقكم لم يندمل وسرورها بلقائكم لم يكمل ولم يبرح بعد جناحها المهيض
ولا جبر ملوها المنقض ولا عري من داجية ليلها النقص ولا استوى نهارها ولا تألف
أنهارها ولا استملت نعماؤها ولا تسدت عمارها فهي كالنائمة والحدث لا يهد
بالتكاثر بعد ترشيش العافية وتشبثكم بالقد السامية فجنابكم عليها وعظم
حرصكم على من لديها لا تسروا الهاعد الجناح بالالحاح ونظرها عما عودت من
طيب المزاح فالله الله بأوجها ابركم عن طرفكم من علاج وأي لخطر بخاطري فيه
وبكم وعنايته بكم ما قال حاشيكم صانه الله تعالى بهذا الوطن من الجفا ثم أذكر
ما بالكم من حسن العهد وكرم الوفا وان الوطن احدى المواطن الاطنا آراي
حمل الاحتما وما تعلق بكم من حرمة أولياء السراية وأود الصفاء فيقف على طي
أنكم لبس العهد أحج وتعرى منكم عن حق أولياتكم أسمح ولي هي أعظم فيه من
مباديكم أو هب واسمح وهب أن الدر لا يحتاج في الاسباب الى شهاد الصدر والبان
والتأويب عن المكان عن مظاهر البلاد والمغاني أليس انه أعلى للمعالي وأبعد
عن مكان البرهان بأنه في تاج الملك أنوشروان والشمس وان كانت أم الانوار وجلا
الابصار مهما أعمى مكانها من الافق قل ان لا ذر أم نهار وكفى علمكم ما ماري
ذوو الارحام وأولو الاحلام مواطن استقرارهم وأماكن قرارهم الا رغمهم
واضطرارهم وانتقال الدار بهم عن دارهم ومن توارث الاندلس بالمغرب أربعون

عبا

عنها الأيكة أو يثرب ما تحت أديمها أشلاء أولياء وعباد وما فوقه مرابط جهاد ومعاقد ألوية في سبيل الله ومضارب أوتاد ثم يتوأولده مثوى أجداده ويجمع له بين طارفه وتلاده أعيد أنظاركم المسددة من رأي قائل وسعي طويل لم يحل منه بطائل فحكم من هذا الإياب السعيد والعود الحميد وهي طويلة قال لسان الدين رحمه الله تعالى فأجبته بقولي

لم في الهوى العذري أو لا تلم * فالعذل لا يدخل أسماعي
شأنك تعنيفي وشأني الهوى * كل امرئ في شأنه ساعي

أهلا بتحفة القادم وريحانة المنادم وذكرا الهوى المتقادم لا يصغر الله مسراك بما أسراك لقد جئت إلي من همومي ليلا وجست رجلا وخيلا ووفيت من صاع الوفاء كيلا وطفت بي الأسف على ما فات فأعملت الالتفات لكيلا فأقسم لو أن الأمر اليوم بيدي أو كانت اللمة السوداء من عددي ما افلت أشراكي المنصوبة لامثالك حول المياه وبين المسالك ولا علمت ما هنالك لكنك طرقت حمى كسعته الغارة الشعواء وغيرت ربعه الأنواء فخمد بعد دار تجاجه وسكت أذين دجاجه وتلاعبت الرياح الهوج فوق تحاجه وطال عهده بالزمن الأول وهل عند رسم دارس من معول وحيا الله ندبا إلى زيارتي ندبك وبآدابه الحكمية أدبك فكان وقد أفادك الأماني كمن أهدى الشماء إلى العليل وهي شيمة بوركت من شيمه وهمة الله تعالى قبلا من لدن المشيمة ومن مثله في صلة رعي وفضل سعي وقول ووعي

قسما بالكواكب الزهر والزهر عاتمه
إنما الفضل ملة * ختمت بابن خاتمه

كساني حلة فضله وقد ذهب زمان التجمل وحملني شكره وكتدي واه عن التحمل ونظرني بالعين الكليلة عن العيب فهلا أجاد التأمل واستطلع طلع ثنى ووالي في مبرة المجرة ثني إنما أشكو بثي ولو ترك القطا ليلا لناما وما حال شمل وتده مفروق وقاعدته فروق وصواع بني أبيه مسروق وقلب قرحه من عضة الدهر دام وجرة حسرته ذات احتدام هذا وقد صارت الصغرى التي كانت الكبرى لمشيب لم يرع ان هجم لما هجم ثم تهال عارضه واسحم

لا تجمعي هجرا على وغربة * فالهجر في تلف الغريب سريع

نظرت فإذا الفص فريسة ظفر وناب والمال أكلة انتهاب والعمر رهن ذهاب واليد صفر من كل اكتساب وسوق المعاد مترامية والله سريع الحساب

ولو نعطى الخيار لما افترقنا * ولكن لا خيار مع الزمان

وهب أن العمر جديد وظل الأمن مديد ورأي الاغتباط بالوطن سديد فما الحجة لنفسي إذا مرت بمطارح جفوتها وملاعب هفوتها ومثاقف قناتها ومطاهر عزاها ومناتها والزمان ولود وزناد الكون غير صلود

وإذا امرؤ لدغته أفعى مرة * تركته حين يجر حبل يفرق

وتماماذهبتم اليه من تخميس القصيدة التى أعجزت وبلغت من البلاغة الغاية التى عزت مساهمتها وأعوزت فلم أكن لاستهدف نبالها لمضاضة الاعجاز واسجل على نفسى بالافلاس والاعواز انتهى * وكتب قبلها قصيدة زائية أجابه بها عن قصيدة رائية التزم فيها ابن جرى ترك الراء لانه كان ألثغ يبدلها غينا رحم الله تعالى الجميع * وقال لسان الدين فى ترجمة ابن خاتمة المذكور انه الصدر المتفنن المشارك القوى الادراك السديد النظر الثاقب الذهن الكثير الاجتهاد الموفور الادوات المعين الطبع الجيد القريحة الذى هو حسنة من حسنات الاندلس أحمد بن على بن خاتمة من أهل المرية الى أن قال ومما خاطبنى به بعد المقام الركاب السلطانى ببلده وأنا صحبته ولقائه اياى بما يلقى به مثله من تأنيس وبر وتودد وترديد

يامن حصلت على الكمال بما رأت * عيناى منه من الجمال الرائع
قمر يروق وفى عطافى برده * ماشئت من كرم ومجد بارع
أشكو اليك من الزمان تحاملا * فى فض شمل لى بقربك جامع
هجم المعاد عليه ضنا باللقا * حتى تقاص مثل برق لامع
فلو انى ذو مذهب لشفاعة * ناديته يامالكى ياشافعى

شكواى الى سيدى ومعظمى أقر الله تعالى بسيادته أعين المجد وأدر بشائره ألسن الحمد شكوى ظمآن صد عن القراح العذب لاول وروده والهيمان رد عن استرواح القرب لمعهود معهوده من زمان هجم على بابعاده على حين اسعاده ودهمنى بفراقه عبثا مارة أفق به واشراقه ثم لم يكفه ما اجترم فى ترويع خياله الزاهر حتى حرم عن تشييع كماله الباهر فقطع عن توفية حقه ومنع من تأدية مستحقه لاجرم انه أنف اشعاع ذكائه من هذه المطالع النائية عن شريف الانارة وبخل بالامتاع بدر كائنه عن هذه المشامع النائية عن لطيف العبارة فراجع أنظاره واسترجع معاره والا فمهدى بغروب الشمس الى الطلوع وان البدر يتصرف بين الاقامة والرجوع فما بال هذا النير الاسعد غرب ثم لم يطلع من الغد ماذاك الاعدوى الايام وعدوانها وشأنها فى تعطيه اساءتها وجبها احسانها وكافيل عادت هيف الى أديانها أستغفر الله أن لا يعد ذلك من المغتفر فى جانب ما أولت من الاثر التى اررى العيان فيها بالاثر وأربى الخبر على الخبر وقد سرت بتشوقات الخواطر وأقرت مستشرفات النواظر بما حوت من ذلكم الكمال الباهر والجمال الباصر الذى قيد خطا الابصار عن التشوف والاستبصار وأخذ بأزمة القلوب عن سبيل كل مأمول ومرغوب وأبى للعين بالتحول عن كمال الرين أو للطرف بالتنقل عن خلال الطرف أو للسمع من مراد بعد ذلكم الاصدار الادبى والايراد أو للقلب من مراد غير تلكم الشيم الراوية من ملابس الكرم فى حلل وابراد وهل هو الا الحسن جمع فى نظام والبدر طالع لتمام وأنواع الفضل ضمها جنس اتفاق والتئام فما يرعى العين منه فى غير مرعى خصيب ولا تستهدف الاذن بغير سهم فى حدق البلاغة مصيب ولا تستطلع النفس سوى مطالع له فى الحسن والاحسان أوفر

الليل بحضرتي أن قلت

دعونا الخطيب أبا البركات * لاكل طعام الوزير الاجل
وقد ضمنا في نداه جنان * به احتفل الحسن حتى كمل
فأعرض عنا لعذر الصيام * وما كل عذر له مستقل
فان الجنان محل الجزاء * وليس الجنان محل العمل

وعند ما فرغنا من الطعام أنشدت الابيات شيخنا أبا البركات فقال لي لو أنشدتنيها وأنتم بعد لم تفرغوا منه لاكان معكم بر ابهذه الابيات والحوالة في ذلك على الله تعالى انتهى * ومن نظم ابن خاتمة المذكور في فران

ورب فران جلا صفحته * لهب الفرن جلاء العسجد
يضرم الدار باحشاء الورى * مثل مايضرم في المستوقد
فكان الوجه منه خبزة * فوقها الشعر كقدر اسود انتهى

وقال لسان الدين رحمه الله تعالى ولما قدمت مالقة آيبا من السفارة الى ملك المغرب محفوفا بفضل الله تعالى وجميل صنعه موفي المآرب مصحبا بالاعانة لقيني على عادته مهنئا يعني أحمد بن صفوان أحد أعلام مالقة وبقية أدبائها وصدور كتابها وأنشدني معيدا في الود ومبديا وصمن غرضا له تعجل قضاءه والحمد لله تعالى

قدمت بما سر النفوس اجتلاؤه * فهنئت ما عم الجميع هناؤه
قدوما بخير وافر وعناية * وعز مشيد بالمعالي بناؤه
ورفعة قدر لايداني محلها * رفيع وان ضاهى السماك اعتلاؤه
عنيت بأمر المسلمين فكلهم * عبيد نجيه قد توالى دعاؤه
بلغت الذي أملته من صلاحهم * فادركت مأمولا عظيما جزاؤه
فيا واحدا أغنت عن الجمع ذاته * وقام بأعباء الامور غناؤه
تشوقك الملك الذي بك فخره * وأنت حقيقا حسنه وبهاؤه
فلازال مزدانا بحليك جوده * ولازال موفورا عليك اصطفاؤه
وخصصت من رب العباد بنعمة * يبلكها تخصيصه واحتفاؤه
وعشت عزيزا في النفوس محببا * يلبي تنجيل وبيز نداؤه
وقد جاءني داعي السرور مؤذنا * لحق هناء فرض عين أداؤه
ولي بعد هذا مأرب متوقف * على فضلك الرحب الجناب قضاؤه
هززت له عطف المطرق راجيا * له النجح فاستعصى وخاب رجاؤه
ولم يدر اني من علاك لمنتض * حساما كفيلا بالنجاح انتضاؤه
يصمم ان هزته كفك للمفصل * ويكفي العنا تصميمه ومضاؤه
فحقق له دامت سعودك حرمتي * لديك برعي مطله والتواؤه
وشارك محمدا خالصا لك حبه * قديما كريما عهده ووفاؤه
وطاول بحوزيك الرأي بحتل زمامه * يصلك جزيلا شكره وثناؤه

صحبة ثمن مسكن اشتريته منه وكان قد أهدانى فرسا عتيقا

جزيت يا ابن رسول الله أفضل ما * جزى الاله شريف البيت يوم جزى
ان أعجز الشكر منى منة ضعفت * عن بعض حقك شكر الله ما عجزا

سيدى أبقى الله شرفك تشهد به الطباع اذا بعدت المعاهد المقدسة والرباع وتعترف به الابصار والاسماع وان جحدت عارضها الاجماع بأى لسان أثنى أم أى الافنان أحصر وأجنى أم أى المقاصد الكريمة أعنى أمطيت جوادك المبارك وأسكنت دارك واوسعت مطلى اصطبارك وهضمت حقك وبوأت جوارك ووصلت للغرباء ايثارك أشهد بأنك الكريم ابن الكريم لا أقف فى تعدادها عند حد الى خير جد فان أعان الدهر على مجاراة وان ترفع كرمك عن مواراة فحاجة نفس قضيت وأحكام آمال امضيت وان اتصل العجز بعين على القذى اغضيت ومناصل عزم ما انتضيت وعلى كل حال فالثناء ذائع والحمد شائع واللسان والحمد لله طائع والله مشتر ما أنت بائع وقد وجهت من يحاول لسيدى ثمن ما سكنته بجده وسفر عنه حده والعقدة بعد التراضى وكمال التقاضى وحمد الصبر وسعة التغاضى وكونه الخصم والقاضى انه هبة سوغها انعامه وأكلة هيأها اطعامه نسأل الله تعالى أن يعلى ذكره ويتولى شكره وينمى ماله ويرفع قدره والولد جاره الغريب الذى برز الى مقارعة الايام عن خبرة قاصره وتجربة غير مجدة على الدهر وناصره قد جعلته وديعة فى كرم جواره ووضعته فى حجر ايثاره فان زاغ فيده العليا فى تبصيره ومؤاخذته بتقصيره ومن نبه مثله نام ومن استنام اليه بهمه اكرم عن اليه استنام وان تشوف سيدى لحال محبه فطالق للدنيا من عقال ورافض أثقال ومؤمل اعتياض بخدمة الله تعالى وانتقال انتهى (وقال) رحمه الله تعالى مما خاطب به صدر الفضلاء الفقيه المعظم أبا القاسم بن رضوان بما يظهر داعيته من فحواه

مرضت فأيامى لديك مريضة * وبرؤك مقرون ببرء اعتلالها
فلا راع تلك الذات للضر رائع * ولا وسمت بالسقم غر حلالها

وردت على من فئتى التى اليها فى معرك الدهر أتحيز وبفضل فصلها فى الاقدار المشتركة أتميز سحاءة سرت وساءت وبلغت من القصدين ماشاءت اطلع بها سيدى صنيعة وده من شكواه على كل عابث فى السويداء موجب اقتحام البيداء مضرم نار الشفقة فى فؤاد لم يبق من صبره الا القليل ولا من افصاح لسانه الا الانين والاليل ونوى مدت لغير ضرورة برشاها الحليل فلا تسأل عن ضنين تطرقت اليد الى رأس ماله أو عابد نوزع متقبل أعماله أو آمل ضويق فى فذالكة آماله لكننى رجحت دليل المفهوم على دليل المنطوق وعارضت القواعد الموحشة بالفروق ورأيت الخط يهر والحمد لله تعالى ويروق واللفظ الحسن تومض فى حبره للمعنى الاصيل بروق فقلت ارتفع الوصب ورد من الصحة المغتصب وآلة الحس والحركة هى العصب واذا أشرق سراج الادراك دل على سلامة سليطه والروح خليط البدن والكل بخليطه وعلى ذلك فلا يقنع بلد احتياطى الا الشرح ففيه يسكن

بصحبتها واظهرت القدر الذى كمنت امنحت من ركبتها أصبحت مسحرة للراوين والسامعين وبت عن اسمى دواوينهم كانسوء عن الاشيب عيون العين ثم ان أمرك باسيدى لايحل وثيق مبرمه ولا يحل نسج محكمه فامتثلته امتثال من لم يجد فى نفسه حرجا من قضائك ورجوت حسن تجاوزك واعضائك أبقاك الله تعالى قطبا لفلك المكارم والمآثر ومصابا لخاتم المحامد والمفاخر والسلام انتهى * والجنان المذكور معربى من مكناسة الزيتون وهو الشيخ الفقيه العدل الاديب الاخبارى المشارك أبو جعفر أحمد بن محمد بن ابراهيم الاوسى الجنان من أهل الطرف والاطلاع والفضيلة كاتب عاقل ناظم ناثر مشارك فى فنون من العلم له تصنيف حسن فى ثلاث مجلدات سماه المنهل المورود فى شرح المقصد المحمود شرح فيه وثائق أبى القاسم الجزيرى المالكى وأربى على غيره بيانا وافادة قال فى مناصفة الجراب وناولنى اياه وأذن لى فى حمله عنه وأنشدنى كثيرا من شعره فمن ذلك ما صدربه رسالة يهنئ بها ناقها من مرض

البس الصحة بردا قشيبا * وارشف النعمة ثغرا شنيبا
واقطف الآمال زهرا نضيرا * واعطف الاقبال غصنا رطيبا
ان يكن ساءك وعك تقضى * تجد الاجر عظيما رحيبا
فانتعش فى دهرنا ذا سرور * يصبح الحاسد منه كئيبا

وقال أيضا لسان الدين فى المناصفة قرأت بالدور الخشبى فى الدار التى نزلت بها بمكناسة الزيتون أبياتا منقشة استحسنتها لسهولتها فاخبرنى انها من نظمه وهى

انظر الى منزل متى نظرت * عيناك يحملك كل مافيه
ينبئ عن روعة لمالكه * وعن ذكاء الحجا لبانيه
يناسب الوشى فى أسافله * مارقم المقش فى أعاليه
كأنه روضة مدبجة * جادلها وابل عيا فيه
وأظهرت للعيون زخرفها * ووافقتها على تجليه
فهو على بهجة تلوح به * ورونق للجمال يبديه
يشهد للساكنين أن لهم * من حمة الخلد مايحاكيه انتهى

قلت قد تذكرت هنا والشئ بالشئ يذكر ما رأيته مكتوبا على دائرة مجرى الماء بمدرسة تلمسان التى بناها أمير المسلمين ابن تاشفين الزيانى وهى من بدائع الدنيا وهو

انظر بعينك بهجتى وسنائى * وبديع اتقانى وحسن بنائى
وبديع شكلى واعتبر فيما ترى * من نشأتى بل من تدفق مائى
جسم لطيف ذائب سيلانه * صاف كذوب الفضة البيضاء
قد حف بى أزهار وشى نمقت * فغدت كمثل الروض غب سماء

وما أنشده بعض أهل العصر فى المغرب بقصد أن يرسم فى الاستار المذهبة المحكمة الصنعة التى جعلها السلطان المنصور أبو العباس الشريف الحسنى رحمه الله تعالى لكى يستر بها النواحى الاربع من القبة الكبيرة بالبديع وتسمى هذه الستور عند أهل المغرب بالحائطى

لازال فى يمن وأمن ماشدت * ورق روض بالسدى ممطور انتهى

وبعضه كتبته بالمعنى من حفظى لطول العهد والعهدة فى هذا الباب ما أنشدنيه لنفسه الوزير أبو فارس عبد العزيز القشتالى المذكور وهى جملة من قصائد كتبت فى المبانى الملوكية المعمورية بالحضرة المراكشية حاطها الله تعالى منها ما كتب خارج القبة الخمسينية أى التى فيها خمسون ذراعا بالعمل وذلك قوله رحمه الله تعالى على لسان القبة

سموت فخر البدر دونى وانحطا * وأصبح قرص الشمس فى أذنى قرطا
وصغت من الاكليل تاجا لمفرقى * ونيطت بى الجوزاء فى عنقى سمطا
ولاحت باطواقى الثريا كأنها * نثير جمان قد تتبعته لقطا
وعديت عن زهر النجوم لأننى * جعلت على كيوان رحلى محطا
وأجريت من فيض السماحة والندى * خليجا على نهر المجرة قد غطى
عقدت عليه الجسر للفخر فارتمت * اليه وفود البحر تعرق ما أنطا
فحصص ما بين الغروس كأنه * وقد رقرقت حصباؤه حية رقطا
حواليه من دوح الرياض حرائد * وعيد تجرد من حمائلها مرطا
اذا أرسلت لدن الفروع وفتحت * جنى الزهر لاح فى ذوائبها وخطا
يرنحها مر النسيم اذا سرى * كما مال نشوان تشرب اسفنطا
يشق رياضا جادها الجود والندى * سواء لديها الغيث أسكب أم أخطا
وسالت بسلسال اللجين حياضه * بحارا غدا عرض البسيط لها شطا
تطلع منها وسط وسطاه دمية * هى الشمس لا تخشى كسوفا ولا غمطا
حكت وحباب الماء فى جنباتها * سنى البدر حل من نجوم السما وسطا
اذا غازلتها الشمس ألقى شعاعها * على جسمها الفضى تبرا مساقطا
توشحت فيها من صفاء أديمها * نقوشا كأن المسك ينقطها نقطا
اذا انسقت بيض القباب قلادة * فانى لها فى الحسن درتها الوسطى
تمكننى بيض الدمى فكأنها * عذارى نضت عنها القلائد والريطا
قدود ولكن زانها الحسن عريها * وأجمل فى تنعيمها النحت والخرطا
نمت صعدا تيجانها فتكسرت * قوارير أفلاكا لسماحها سقطا
فيا لك شأوا بالسعادة آهلا * بأكنافه رحل العلا والهدى حطا
وكعبة مجد شادها العز فابرت * تطوف بمغناها أمانى الورى شوطا
ومسرح غزلان الصريم كأنها * حنايا قسى لا الكثيب ولا السقطا
فلكن به ما طاب لا الاثل والخطا * ووسدن فيه الوشى لا السدر والارطى
تراه من المسك الفتيت مدبرا * اذا مازجته السحب عاد بها خلطا
وان باكرته نسمة لسرى بها * الى كل أنف عرف عنبره قسطا
اقرت له الزهراء والخلد وانتقت * أواوين كسرى الفرس تغبطه غبطا
جنان رواق الحمد فيه مطنب * على خير من يعزى لخير الورى سبطا

وتعاهدته عن الشروح بشائر * يغدو عليها بها المسا ويكور
مادام سرك سعده برتاده * نصر يرف لواؤه المنشور
ومشت به من حاجبا دمسرة * وأدار كاس الانس فيه سمير

وقوله مما كتب بداخل القبة المذكورة

جمال بدائعى سحر العيونا * ورونق منظرى بهر الجفونا
وقد حسدت نقوشى واستطارت * سنى يعشى عيون الناظرينا
وأطلع سمكى الاعلى نجوما * ثواقب لاتغور الدهر حينا
وجوّى من دخان الند ألق * على أرضى العياهب والدجونا
علوت دوائر الافلاك سبعا * لذاك الدهر ما ألفت سكونا
نصعت من الاهلة والحنايا * أساور والخلاخل والبرينا
تكنفنى حياض مائجات * أمامى والشمال أو اليمينا
يقيد حسنها الطرف انبساطا * ويجرى الفلك فيها والسفينا
تدافع نهرها يحوى فلما * تلاقى البحر فى حرى دفينا
ترى شهب السماء بهن غرقى * فتحسبها بها الدر المصونا
وقد نشر الحباب على سماها * لآلئ تزدرى العقد الثمينا
فخرت وحق لى لما اجتبانى * لمجلسه أمير المؤمنينا
هو المنصور حائز خصل سبق * وبانى المجد بنيانا مكينا
وليث وغى اذا زأر امتعاضا * يروع زئيره هندا وصينا
اذا أمت كتائبه الاعادى * بعثن برعبه جيشا كمينا
يدير عليهم من كل حرب * تدقهم رحى أو منجنونا
امام بالمغارب لاح شمسا * بها الشرق اكتسى نورا مبينا
بقيت بذى القصور العز بدرا * تلوح بأفقهن مدى السنينا
تحف بكم عواكف عند بابى * ملائكة كرام كاتبونا
لك البشرى أمير المؤمنين داد * خلوها مع سلام امنينا

وقوله فى بعض المبانى المنصورية

معانى الحسن تظهر فى المعانى * ظهور السحر فى حدق الحسان
مشابه فى صفات الحسن أضحت * تمن بها المعانى للغوانى
بكل عمود صحن من لجين * تكوّن فى استقامة خوط بان
مفصلة القدود مثلثات * مواصلة العناق من التدانى
تردّت سابرىّ الحسن يزرى * بحسن السابرىّ الخسروانى
وتعطو الخيزرانة من دماها * بسالفة القطيع البرهمانى
لمحدك تنتمى لكن نماها * الى صنعاء ماصنع المدان
يدين لك ابن ذى يزن ويعنو * لها غمدان فى أرض اليمان

عقدت حزما ولكن حل بها * لو قدكم الامان مع الاماني
بان بالخلافة آهلات * بها سلو الهدى السبع المثاني
فى الدنيا وساكنها امام * لاهل الارض فاض ودان
منصور مالها فى الارض شبه * وماني الجد للمنصور ثاني

وقوله رحمه الله تعالى مما كتب فى القبة المطلة على الرياض المزينة على القبة الخضرا
من بديع المنصور وكان انشاها فى جمادى الاولى من عام ثمانية وتسعين وتسعمائة

ما كان فى السرور كؤوسا * وارض الندمى أهله وشموسا
واعرج على غرف السما سماؤها * مال الغرائد في جماء حلوسا
واذا طلعت باوجها غير العلا * لا ترتدي غير النجوم جليسا
شرف المنصور زينها لما احتلت * فى على بسط الرياض عروسا
واعجب بالمنصور احمد صنعا * وردا خميلة من بديع حسنا
ملك ارى كل الملوك عمالكا * لعلا والدنيا عامة حبيسا
دامت وجود السعد وهي عوا كف * تصل المفضل لديه والمعروف سا
وهناك يا شرف الخلافة دولة * تلقى براسها طلائع عيسى

وقوله من جملة قصيدة فى غيط ما يتقدم لم استحضر أولها

سلبت عقائلها الخيام العسجد * زهر تحسن طرازها بذهبها
ولقد نساخ فى العلو عما كها * تجرى على الفلك المنير سميسا
وعالى الشهب الزواهر فاغتدى الاكليل بها تاجها اذا صورنا
هذا البديع نسيجه بدائع * أبدعتهن به خيال عربيا
أضحى الغزالة حسنه حسدا لها * ابدت عليها للاصيل شحوبا
وانصب الزهر المنير اذنابه * زهر الرياض به نور عجبا
شيدت مصانعا وصنائعا * اغرت وعدلك للعلا المرؤبا
وبرت فى كل الفخار لغاية * أدركتها وما سبقت لغوبا
فانعم علمك فيه دام مؤيدا * تحيى به من النعم رطيبا
والكها عذرا فكر اهتدت * وجعلت مدخل مهرها الوهوبا
والبست من درر البلاغة عقدها * نقدا زروق عقدها ترتيبا
ورعيتها لما اتكم تمشى على استحياء نرعيها إلولا رغيبا
ماست على شرف لكم موصوفة * لما رأت الله الجلال مهيبا
نعمت الملك بحمدك احمد * لنيلها منك الرضا المرغوبا
دامت لك الدنيا تروق جمالها * والى السامية أمركم مرهوبا
وكلاكم الله العظيم كلاءة * ترعى بها حلالكم وعقبا امين

ومحاسن صاحبنا المذكور فى النظم والنثر يضيق عنها هذا التأليف وكتب إلى بسبب هذه
فى غير هذا الموضع ولما أحس بعزمى على الرحلة الى الحجاز واقتضائى من سلطان المغرب فى

وعدلى بها النجار كتب الىّ من حضرة مراكش وأنا حينئذ بفاس ما صورته بعد سطر الافتتاح

يا نسمة عطست بها أنف الصبا * فتضيخت بعبيرها فنن الربا
هبى على ساحات أحمد وانشرى * شوقى الى لقياه شرحا مطنبا
وصفى له بالمنحنى من أضلعى * قلبا على جمر الغضى متقلبا
بان الاحبة عنه حتى قد توى * منهم وآخر قد نأى وتغيبا
فعساك تسعد يا زمان بقربهم * فأقول أهلا باللقاء ومرحبا

السيادة التى سوّاها الله من طينة الشرف والحسب وغرس دوحتها الطيبة بمعدن العلم الزاكى المحتد والنسب سيادة العالم الذى تمشى تحت علم فتياه العلماء الاعلام وتخضع لفصاحته وبلاغته صيارفة النثر والنظام وحملة الاقلام كلما خط أوكتب واذا استطار بذكره الوفاد سواجع السجع انثالت عليه من كل أوكارها ونسلت من كل حدب وحكت بانسجامها السيل والقطر فى صبب الفقيه العالم العلم والمحصل الذى ساجلت العلماء لتدرك فى مجال الادراك شأوه فلم سيدنا الفقيه الحافظ حامل لواء الفتيا ومالك الملكة فى المنقول والمعقول من غير شرط ولا ثنيا أبو العباس سيدى أحمد بن محمد المقرى أبقاه الله تعالى للعلم يفتض أبكاره ويجنى من روضه اليانع ثماره سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته كتبه المحب الشاكر عن ودّ راسخ العماد ثابت الاوتاد مرهوّ الاغوار والانجاد ولا جديد الا الشوق الذى تحنّ الى لقياكم ركائبه وترتاح وتحوم على مورد الانس بكم حوم ذات الجناح على العذب القراح جمع الله تعالى الارواح المؤتلفة على بساط السرور وأسرّة الهنا وأتاح للنفوس من حسن محاضرتكم قطف المشتهى وهو غض الجنى وقد اتصل بالمحب الودود الرقيم الذى راقت من سواد النقش وبياض الطرس شياته وأرانا معجز أحمد فبهرت آياته وخمأ سقط الزند لما أشرقت من سماء ذكركم آياته وأطربنا بتغريد طيور همزاته على أغصان ألفاته وعوّدنا بالسمع المثانى بنانا اجادت نثر زهراتها على صفحاته ثم مررنا بتصاعيفه بسوق الرقيق فرمنا السلوك على منحاها فعمى علينا الطريق وقلنا واها على سوق ابن نباتة وكساد رقيقها واستلاب البهجة عن نفيس دررها وأنيقها لا كسوق نفق فيها سوق الغزل وعلا كعب الرامح والاعزل وتظاهر على سحر النفوس والالباب هاروت الجد وماروت الهزل وقد ألقينا السلاح وخضنا السلم وتهيأنا للسماحة دوقفنا بساحل اليم وسلمنا لمن استوت به سفينة البلاغة على الجودىّ فأبنا والحمد لله على السلامة بالفهاهة والعىّ وقلنا ما لنا وللانشاء فهو فضل الله يؤتيه من يشاء وعذرا أيها الشيخ عن البيت الذى عطست به انف الصبا فقذفت به البديهة من الفم وشرقت به صدر قناة القلم كما شرقت صدر القناة من الدم وأما ما تحمل الرسول من كلام فى صورة ملام لا بل مدام أترع به من سلاف المحبة كأس وجام فلا وربك ما هى الا نفحة نفحت لا سموم لفحت هززنا بها جذع أدبكم كى يتساقط علينا رطبا جنيا ونهمى ودقه على الربع المحيل من أفكارنا وسميا ووليا بجاد

وأروى وأجاد فيما روى وأحيا في البراع ما كان قد بار يروى وطرس أنامل
الايام تنشر وتطوى أحيانا الله تعالى بقربه ونوالنا رحمته وعرج بأرواحنا
عند الممات الى المحل الاسمى بالفوز من حضرته واهدى السلام المزرى عبق
الختام الى المنتهى الاسعدين الصدرين الامجدين الفذين التوأمين الفاضلين
الصدرين فارسي البراعة واليراعة ورئيسي الجماعة في هذه الصناعة رضيعي لبان
الادب وواسطي عقده ومجلي حلبته المعلى ووارثيه المتنبي ثم غرار ورنده
الكارعين بالبحر الفياض من فرنده وحدة الآسين بالحسن والفضل من رقمه وحده
الكاتب البارع ابى الحسن سيدى على بن احمد الشامى والكاتب اللوذعي أبى عبد الله
سيدى محمد بن الوجدي وأنزلهما الود المستحكم العاقد الصافي المناهل العذب
الموارد فاني قائم بورد الثناء عليكم وعلمتما الذي المقام العلي الامامي الناصري دام
سلطانه وتمهدت أوطار بأوطانه وثبت لكم أن الفقيه المحب الاستاذ سيدى محمد بن
يوسف طلق اللسان بالشكر مادح لي أهل الثناء عن تلكم السادة عما أوليتموه من
بر الاحسان وما تلقيتموه به عند الورود والصدر من البشر والكرامة وجميل
الاحسان والسلام التام معاد عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبه وجب الكتب
اليكم والله سبحانه يرعاكم في يوم الخميس موفى عشرين من محرم الحرام فاتح سنة تسع وعشرين
وألف المحب الودود الشاكر عبد العزيز بن محمد الفشتالي لطف الله تعالى به وبارك فيه
وكرمه انتهى ومن أراد شفاء من أخباره فعليه بكتابي الموسوم بروضة الآس
العاطرة الانفاس في ذكر من لقيته من أعلام مراكش وفاس وقد بلغني وفاته رحمه
الله تعالى في ثاني عشر صفر عام احدى وثلاثين وألف رحمه الله تعالى فلقد كان أوحد عصره حتى ان
سلطان المغرب كان يقول ان الفشتالي نفتخر به على ملوك الارض ويبارى به لسان الدين
ابن الخطيب رحم الله تعالى الجميع والشامي الذي أشار اليه هو من أعيان أهل فاس
وذوي الشرف بها وخطة قدم من الشام على حضرة فاس فشهر بالنسبة الى الشام
وقد لقي وفاته أيضا بعد الثلاثين بعد الالف وقد طال عن الاتيان النابه الى خاطري
منها الوزير سيدي عبد العزيز الفشتالي المذكور رحمه الله تعالى الجميع قوله

عن نوافح عرف أنفاس الصبا • فنماها روض الوداد وأخصبا
ترب جواهر سلكها موج الشعر المضمر بدرا وبعضبا
وربت مشاعر من هوى ذا الدالخى • فغدا بها صب الالوف مشعبا
وربوب أحاديث الغرام بعهده • فسقت فؤادا في هواده وصبا
لاغرو ان طارت حشاشته له • طربا فهذا الغرام كل صبا
لا زلتم والدهر يبسم عن كم • والزهر يحسد في كمالي منصبا انتهى

وليمسك عنان القلم ونرجع الى ما كنا بصدده من شأن لسان الدين بن الخطيب الرفيع
منه بن البلاغة والفصاحة عنان اللسان فنقول والله سبحانه ولي التوفيق والامداد
والمنة بالهداية والاسعاد وقال ابن الصباغ العقيلي كان أبو الحسن بن الجياب رئيس كتاب

الاندلس

الاندلس وهم رؤساء غيرهم واختص به ذو الوزارتين ابو عبد الله بن الخطيب اختصاصا تاما وأورثه رتبته من بعده وعهد بها اليه مشيرا بذلك على من استشاره من أعلام الحجاب عند حضور عمره وتدرّب بدكانه حتى استحق أزمته فأنسى بحسن سياسته شيخه المذكور ونال التي لا فوقها من الحظوة وبعد الصيت وسعادة البخت اتفق له يوما بعد ما عزم النصراني على ورود البلد وضاقت به الصدور فأنشد ابن الجياب بديها بحضر الكتاب

هذا العدوّ قد طغى * وقد تعدّى وبغى

وقال لابن الخطيب أجز أبا عبد الله فأنشده بديها

وأظهر السلم وقد * أسرّ حسوا في ارتغا

فبلغ الرحمن سيف النصر فيه ما ابتغى

وردّه ردّ ثمو * د والفصيل قد رغا

حتى يرى وليمة * لكل مرهوب الثغا

فقال ابن الجياب هكذا والا فلا وعجب الحاضرون من هذه البديهة انتهى

ومما خوطب به لسان الدين قول الفقيه أبي يحيى البلوي المري رحم الله الجميع

عللوني ولو بوعد محال * وصلوني ولو بطيف خيال

واعلموا انني أسير هواكم * لست أنفك دائما عن عقال

فدموعي من بينكم في انسكاب * وفؤادي من هجركم في اشتعال

يا أهيل الحمى كفاني غرامي * لا تزيدوا حسبي بما قد جرى لي

من مجيري من لحظ ريم ظلوم * حالل الهجر بعد طيب الوصال

ناعس الطرف أسهر الجفن مني * طال منه الجفا بطول الليالي

بابلي اللحاظ أصمى فؤادي * ورماه من غنجه بنبال

وكسا الجسم من هواه نحولا * قصده في الورى بذاك انتحالي

ما شدى في الوصال يوما بعطف * مذ روى في الغرام باب اشتغالي

ليس لي منه في الهوى من مجير * غير تاج العلا وقطب الكمال

علم الدين عزه وسناه * ذروة المجد بدر أفق الجلال

هو غيث الندى وبحر العطايا * هو شمس الهدى فريد المعالي

ان وشى في الرقاع بالنقش قلنا * صفحة الطرس حليت باللآلي

أو دجا الخطب فهو فيه شهاب * رأيه الصبح في ظلام الضلال

أو نبا الامر فهو في الامر عضب * صادق العزم عند ضيق المجال

لست تلقى مثاله في زمان * جل في الدهر يا أخي عن مثال

قد نأى بي حبي له عن دياري * لا لجدوى ولا لنيل نوال

لكن اشتقت أن أرى منه وجها * نوره فاضح لنور الهلال

وكما همت فيه ألثم كفا * جاد لي بالنوال قبل السؤال

جاءتك من خجل على قدم الحيا * قد طيبت بشمائل المعطار
وأنت تؤدّى بعض حق واجب * عن نازح الاوطان والاوطار
مدت يد التطفيل نحو علاكم * فتوشحت من حليكم بنضار
فابذل لها فى النقد صفحك انها * تشكو من التقصير فى الاشعار
لازلت فى دعة وعز دائم * ومسرة تترى مع الاعمار

قال لسان الدين فى حق المذكور فى الاحاطة هو محمد بن محمد بن عبد الواحد بن محمد البلوى من أبناء النعم وذوى البيوتات كثير السكون والحياء آل به ذلك أخيرا الى لوثة لم يستفق منها الطف الله به حسن الخط مطبوع الادب سيال الطبع معينه وناب عن بعض القضاة وهو الآن رهين ماذكر تمنى أهله موته والله ولى المعافاة وجرى ذكره فى الاكليل بما نصه من أولى الاتصال بأولى الخلال البارعة والخصال خطا رائقا ونظما عشله لائقا ودعابة يستر شأنجهم وسكونا فى طيه ادراك وتفهم عنى بالدراية والتقييد ومال فى النظم الى بعض التوليد وله اصالة ثبتت فى السر عروقها وتألقت فى سماء المجادة بروقها وتصرف بين النيابة فى الاحكام الشرعيه وبين الشهادات العلمية المرعيه انتهى * ورأيت بخط أبى الحسن على بن لسان الدين على هامش هذا المحل من الاحاطة ماصورته رحمة الله عليه ما أعذب حلاوته وأعظم مروءته وأكرم أصالته وبنو البلوى ذوو حسب وأهل نعيم وتربية ملوكية حياهم الله وبياهم قال ذلك حبيبهم وأخوهم على بن الخطيب انتهى * وقال لسان الدين رحمه الله تعالى عند ذكر الخطيب الرئيس ابى عبد الله محمد بن مرزوق التلمسانى ماصورته ولما قدمت على مدينة فاس فى غرض الرسالة خاطبنى بمنزل الشاطبى على مرحلة منها بمانصه

يا قادما وافى بكل نجاح * أبشر بما تلقاه من أفراح
هذى ذرى ملك الملوك فلذ بها * تنل المنى وتفز بكل سماح
مغنى الامام أبى عنان يممن * تظفر ببحر فى العلا طماح
من قاس جود أبى عنان فى الندى * بسواه قاس البحر بالضحضاح
ملك يفيض على العفاة نواله * قبل السؤال وقبل بسطة راح
فلجود كعب وابن سعدى فى الندى * ذكر محاه عن نداه ماحى
ما ان سمعت ولا رأيت بمثله * من أريحى للندى مرتاح
بسط الامان على الانام وأصبحوا * قد ألحفوا منه بظل جناح
وهمى على العافين سيب نواله * حتى حكى سح الغمام الساحى
فنواله وجلاله وفعاله * فاقت وأعيت ألسن المداح
وبه الدنا أضحت تروق وأصبحت * كل المنى تنقاد بعد جماح
من كان ذا ترح فرؤية وجهه * متلافة الاحزان والاتراح
فانهض أبا عبد الاله تعزعا * تبغيه من أمل ونيل نجاح
لازلت ترتشف الامانى راحة * من راحة المولى بكل صباح

به من جميل اعتقاد مولانا أمير المؤمنين أيده الله في عبده وصدق المخيلة في كرم مجده وهذا هو الجود المحض والفضل الذي شكره هو الفرض وتلك الخلافة المولوية تتصف بصفات من يبدأ بالنوال من قبل الضراعة والسؤال من غير اعتبار للاسباب ولا مجاراة للاعمال نسأل الله تعالى أن يبقي ظلها على الاسلام أوفى الظلال ويبلغها من فضله أقصى الآمال ووصل ما بعثه سيدي صحبتها من الهديه والتحفة الوديه وقبلتها امتثالا واستجليت منها عتقا وجمالا وسيدي في الوقت أنسب لاتخاذ ذلك الجنس واقدر على الاستكثار من اناث البهم والانس وأنا ضعيف القدره غير مستطيع على ذلك الا في الندره فلو رأى سيدي ورأيه سداد وقصده فضل ووداد أن ينقل القضية الى باب العارية من باب الهبة مع وجود الحقوق المترتبة لبسط خاطري وجمعه وعمل في رفع المؤنة على شاكلة حالي معه وقد استصحبت مركوبا يشق على شعره ويناسب مقامي شكله ونجره وسيدي في الاسعاف على الله أجره وهذا أمر عرض وفرض فرض وعلى نظره المعوّل واعتماد اغضائه هو المعقول الاول والسلام على سيدي من معظم قدره وملتزم بره ابن الخطيب في ليلة الاحد السابع والعشرين لذي قعدة خمس وخمسين وسبعمائة والسماء قد جادت بمطر سهرت منه الاجفان وظن أنه طوفان واللحاق في غدها بالباب المولوي مؤمّل بحول الله انتهى * وكتب القاضي أبو القاسم البرجي للسان الدين في غرض الشفاعة لبعض قرابته قوله

أيا سابقا في مجال البراعه * وفارس ميدان أهل البراعه
ومن بدره في سماء المعالي * يزين بوصف الكمال ارتفاعه
عنائك في الفضل من تحته * ومن امرة في ذويه مطاعه
فصاول في معسر حل دين * عليه فأرجاؤه قد أضاعه
٥ وقد كان يبغي لديكم شفيعا * توسط عندكم في شفاعه
على أنه في اقتضاء الوداد * يوفي موازينه أو صواعه
وما هو في سوق تقريظكم * ونشر علاكم مزجى البضاعه

كتبت يا سيدي أدام الله تعالى علاكم وحرس مجدكم الطاهر وسناكم وأنا بين محل معجم وعمل مقحم أتذكر تودني لقائكم حين سمح الدهر باقترابكم فأحجم وأفكر في أن احمي عند ذلك بارجائي عسى أن يكون وفق رجائي أفأنتي المقصود فأرى الحزم في أن أقدم ومن قصها بين يديكم ولان يطالبني مطالبة الغريم وأروم مطاله ولا يبرح ولا يريم والانقياد في زمام طاعته مما توجبه المروه بعدما أوجبه الشارع اذ جعل له حظا في الابوه وقد أعلقته من ذمام علائكم بالحبل المتين وأنزلته من حماكم بربوة ذات قرار ومعين فإن اعرتموه من لحظكم الجميل طرف اهتبال وأقبلتموه من اعتنائكم الجزيل وجه اقبال فقد عاد دهره بعد النفار مواتيا ونزل على أهل المهلب شاتيا ومجدكم كفيل بتبليغ أمله وتوسيع جدله وذلكم يد على معظمكم شكرها وعلى الله أجرها انتهى * والبرجي المذكور هو محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن علي بن ابراهيم الغساني البرجي يكنى أبا القاسم من

أخذ عن رجاله قال في الإحاطة هو فاضل مجمع على فضله صالح الأبوة طاهر النشأة بادي الصيانة والعفة طرف في الخير والحشمة صدر في الأدب نجم المشاركة بادٍ إلى همم جليل القدر جمّ الجلالة حسن الشعر والخط والكتابة فذّ في الإتقان صاع المدى محكم العقل الكثير من الآداب العلمية وتخير دفتر الكتب رحل إلى العدو وأبى حله وتوسل إلى ملكها بمجد الرسم ومقام أبي الشهير وعامر ديوان الشعر والكتابة أمير المسلمين أبي عنان فاشتمل عليه ونوّه به وملأ بالحظوة يديه بعد خطوة وذكر واشتهر واستعمل مع إستيراسال الملك لفصل عقلة حين بكى إلى سلطانه بذلك عنده فذوى عليه وآثر الراحة وجهد في التماس الرحلة الحجازية وسد الكل وقصر الخطو ويسر الخطر فأسعفه سلطانه بعرضه وحمل حمل همه على عاتقه واستصحبه إلى النبي الكريم صلوات الله عليه رسالة من إنشائه وقصيدة من قلمه وكلاهما يتلى في الحجاز سيدنا وورد ولوح بدمع وعرافه البلعة في بيت حمله ولما قضى وطره وأولى أنسه لكه وشاع له الشرف به فاشترى الخطة على سبيل من السداد والنزاهة ثم المولى السلطان أبو سالم حججه أجرا على الرسم المذكور واستحلى المكاتب بصدقه وهو الآن بحاله الموصوفة متحرس بما حرز ذلك الباب السلطاني على تعدد مماثره شعر ثبت في كتاب ساحة الحراب من المساعدة ذكر المدعي الكبير بالمثالة رب لنا مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر من أسند للمتقدمين الشعراء ما نصه وبلا أنه الكاتب الحاج القاضي جملة السذاجة وكرم الخلق وطيب النفس وحسن العناية وابن العلاج واله ساد ونشأ القرآن الصغار إلى حرب السلامة المنتقص عن الصغار العروف عن فصول الدول والعمل جامع المحاسن من عقل رصين وطبع مع أدب شاء وقد صاغ أبو القاسم بن أبي زكريا البرجي فأنشد له على الرسم المذكور هذه القصيدة الفريدة

أصغى إلى الوجد لما جد عاتبه * صبٌّ له شغل عن نصح عاتبه
لم يعط للصبر من بعد الفراق يدا * فضل من طال إرشاداً يخاطبه
لولا الهوى لم يبت حرّان مكتئبا * يغالب الوجد كيما وهو غالبه
مستودع القلب أسرار الغرام وما * عليه أصحابه فالدمع كاتبه
لله عصر بشرقي الحمى سمحت * بالوصل أوقاته لو عاد ذاهبه
يا جيرة أودعوا إذ ودعوا حرقا * تصلى بنار جحيم القلب دائبه
فهل ترى يجمع الأيام ثانية * كعهدنا أو يرد القلب سالبه
ويا أهيل ودادي والنوى قذف * والقرب قد أمّ بعد البين جاذبه
هل ناقض العهد بعد البعد ناقله * وصادع الشمل يوم البين شاعبه
ويا ربوع الحمى لا زلت ناعمة * يبكي عهودك مضنى الجسم ساجبه
يا من لقلب مع الأهوا منعطف * في كل أوب له شوق يجاذبه
يسمو إلى طلب الباقي مرجحه * والنفس بالميل للفاني تطالبه
ونشأة المرء بالمألوف مغصلة * والأنس بالإلف عن الإلف ماذبه

أبكى لعهد الصبا والشيب يضحك بى * بالأرجال سبت جدى ملاعبه
وان ترى كالهوى اشجاه سالفه * ولا كوعد المنى أحلاه كاذبه
وهمة المرء تغليه وترخصه * من عز نفسا لقد عزت مطالبه
ماشان كسب المعالى أو تناولها * بل هان فى ذاك مايلقاه طالبه
لولا سرى الفلك السامى لما ظهرت * آثاره ولما لاحت كواكبه
فى ذمة الله ركب للعلا ركبوا * ظهر السرى فأجابتهم نجائبه
يرمون عرض الفلا بالسير عن غرض * طى السجل اذا ماجد كاتبه
كأنهم فى فؤاد الليل سر هوى * لولا الصرام لما خفت جوانبه
شدوا على اهب الرمضاء وطأتهم * فغاص فى لجة الظلماء راسبه
وكلفوا الليل من طول السرى شططا * فخلفوه وقد شابت ذوائبه
حتى اذا ابصروا الاعلام ماثلة * بجانب الحرم المحمى جانبه
بحيث يأمن من مولاه خائفه * من ذنبه وينال القصد راغبه
فيها وفى طيبة الغراء لى أمل * يصاحب القلب منه مايصاحبه
لم أنس لاأنس أياما بظلهما * سقى ثراه عميم الغيث ساكبه
شوقى اليها وان شط المزار بها * شوق المقيم وقد سارت حبائبه
ان ردها الدهر يوما بعد ما عبثت * فى الشمل منا يداه لا نعاتبه
معاهد شرفت بالمصطفى فلها * من فضله شرف تعلو مراتبه
محمد المجتبى الهادى الشفيع الى * رب العباد أمين الوحى عاقبه
أوفى الورى ذمما أسماهم همما * أعلاهم كرما جلت مناقبه
هو المكمل فى خلق وفى خلق * زكت حلاه كما طابت مناسبه
عناية قبل بدء الخلق سابقة * من أجلها كان آتيه وذاهبه
جاءت تبشر بالرسل الكرام به * كالصبح تبدو تباشيرا كواكبه
أخباره سر علم الاولين وسل * بدير تيماء ما أبداه راهبه
تطابق الكون فى البشرى بمولده * وطبق الارض أعلاما تجاوبه
فالجن تهتف اعلانا هواتفه * والجن تقذف احراقا ثواقبه
ولم تزل عصمة التأييد تكنفه * حتى انجلى الحق وانزاحت شوائبه
سرى وجنح ظلام الليل منسدل * والنجم لا يهتدى فى الافق ساربه
يسمو لكل سماء منه منفرد * عن الانام وجبريل يصاحبه
لمنتهى وقف الروح الامين به * وامتار قربا فلا خلق يقاربه
لقاب قوسين أو أدنى فاعلمت * نفس بمقدار ماأولاه واهبه
أراه أسرار ماقد كان أودعه * فى الخلق والامر باديه وغائبه
وآب والبدر فى بحر الدجى غرق * والصبح لمايؤب للشرق آيبه
وأشرقت بسناه الارض واتبعت * سبل النجاة بما أبدت مذاهبه

لازال ملكك والتأييد يخدمه * تقصى بخصص مناويه قواضبه

ودمت فى نعم تصفو ملابسها * فى ظل عز علا تصفو مشاربه

ثم الصلاة على خير البرية ما * سارت اليه عشتاق ركائبه

ومن شعره ما قيده لى بخطه صاحب قلم الانشاء بالحضرة المرينية الفقيه الرئيس الصدر المتفنن أبو زيد بن خلدون

صحا القلب عما تعلمين فأقلعا * وعطل من تلك المعاهد أربعا

وأصبح لايلوى على حد منزل * ولايتبع الطرف الخلى المودعا

وأضحى من السلوان فى حرز معقل * بعيد عن الايام أن يتصدعا

يرد الجمان النجل عن شرفاته * وان حطت عن كل أجيد أتلعا

عزيز على داعى الغرام انقياده * وكان اذا ناداه للوجد أهطعا

اهاب به للشيب أنصح واعظ * أصاخ له قلبا منيبا ومسمعا

وسافر فى أفق التفكر والحجا * زواهره لاتبرح الدهر طلعا

لعمرى لقد أنضيت عزمى تطلبا * وقضيت عمرى رقبة وتطلعا

وخضت عباب البحر أخضر مزبدا * ودست أديم الارض اغبر أسفعا

وقال حسبما قيده المذكور

نهاه النهى بعد طول التجارب * ولاح له منهج الرشد لاحب

وخاطبه دهره ناصحا * بالسنة الوعظ من كل جانب

وأضحى الى نصحه واعيا * وألغى حديث الامانى الكواذب

وأصبح لاتستبيه الغوانى * ولا تزدريه حظوظ المناصب

ثم قال فى الاحاطة واحسانه كثير فى النثر والنظم والقصار والمطولات واستعمل فى السفارة الى ملك مصر وملك قشتالة وهو الآن قاضى حضرة الملك نسيج وحده فى السلامة والتخصص واجتناب فضول القول والعمل كان الله له انتهى *(وكتب ابن المصنف بهامش ترجمة المذكور من الاحاطة ما صورته سيدى وشيخى علامة المغرب اليوم وحائز رتبه العلية من خطابة وقضاء وعلامة وهو أحق بها الحلاله الجيدة أبقاه الله تعالى قاله محمد على ابن الخطيب انتهى * وكتب على القصيدة الميلادية المتقدمة ما نصه رويتها عنه وسمعتها من لفظه وأجازنى اياها بتلمسان انتهى وكتب على حاشية قصيدته صحا القلب الى آخره ما صورته سمعتها من لفظ سيدى وشقيق روحى الامام العلامة الرئيس أبى زيد بن خلدون بالاندلس امتع الله به تعالى قال ذلك أخوه على بن الخطيب انتهى * وقال فى الاحاطة فى ترجمة ابن زمرك ما صورته وشعره مترام الى هدف الاجادة خفاجى النزعة كلف بالمعانى البديعة والالفاظ الصقيلة غزير المادة فمن ذلك ما خاطبنى به وهى من أول ما نظمه قصيدة مطلعها

أما واصداع النور من مطلع الفجر يقول فيها بعد أبيات

لك الله من فذ الجلالة أوحد * تطاوعه الآمال فى النهى والامر

الخطيب أدرك من العز ما أدرك ثم انقلب عليه مع الدهر وكفر نعمته وهم أشرك وحرك من دواعي قتله ما حرك وكم من صديق للشر ضرك وعقك بعد ما برك وساءك اثر ما سرك ولذا رأيت بخط ابن لسان الدين على هامش قوله في هذه القصيدة ومذ طلال الامن الخ ما صورته هذا مدحه لحاه الله وعلى قوله ولو أني من ذروة العز الخ ما مثاله هكذا اشهادتك لحقه ثم تحولك عنه وكفر نعمته أغرب أحوالك الله انتهى * وكتب بهامش أول ترجمته من الاحاطة ما نصه أتمه الله حريا وعامله بما يستحقه فهذا ترجمه والذي مولاه الذي رفع من قدره فيه ولم يقتله أحد غيره كفانا الله تعالى شر من أحسنا اليه وكتب أيضا تحت هذا ما مثاله هذا الوغد ابن زمرك من شياطين الكتاب ابن حداد بالبيازين قتل أباه بيده أوجعه ضربا فمات من ذلك وهو أخس عباد الله تربية وأحقرهم صورة وأجفاهم شكلا استعمله أبي في الكتابة السلطانية تجميلا ايام تحولنا عن الاندلس معه كل شر وهو كان السبب في قتل أبي مصنف هذا الكتاب الذي رباه وأدبه واستخدمه حسبما هو معروف وكفانا الله شر من أحسنا اليه وأساء الينا انتهى * وقد ألممنا بترجمته في هذا الكتاب في باب تلامذة لسان الدين فلتراجع هنالك * ومما كتب به ابن زمرك المذكور الى لسان الدين بن الخطيب جوابا عن رسالة قوله

حييت صاحا فأحييت ساكن القصبه * واسترجعت أنفسا بالشوق مغتصبه
قضى البيان لها أن لا نظير لها * فأحرزت من معاني حسنه قصبه
ناجت طليح سرى لا يستفيق لها * هدت جوارحه واستوهنت عصبه
حركته على فتك الكلال به * وأذهبت بسرور الملتقى نصبه
واذكرت عهد مهديها على شحط * فعاود القلب من تذكاره وصبه
ما كنت أسمع من دهري بجوهره * لو كان يسمح لي بالقلب من غصبه
سل الدمع الصب من اعدى السحاب بها * وقلبه بجمار الشوق من حصبه
فالله يحفظ مهديها ويشكره * فوجهها بعصاب الحسن قد عصبه
من كان وارث آداب يشعشعها * بالمرض الى في ارث لها عصبه
هو الملاذ ملاذ الناس قاطبة * سبحان من لعباث الخلق قد نصبه

وخاطبه كذلك بقوله

بكفي مولاي رجع جوابه * وما التعاطي المعجزات وماليا
أجيبك للفضل الذي أنت أهله * وأكتب مما قد أودت الاماليا
فأنت الذي طوقتني كل منة * وأحسبت آمالي وأكسبت ماليا
وأنت الذي أعدى الزمان كماله * وصيرت أحرار الزمان مواليا
فلا زلت للفعل الجميل مواصلا * ولا زلت للشكر الجزيل مواليا

وخاطبه كذلك بقوله

طالعتها دون الصباح صباحا * لما جلت غرر البيان صباحا
ولقد رأيت وما رأيت كحسنها * وجها أغر ومبسما وضاحا

الى أن بدا وجه الصباح كأنه * محياك اذ يجلو بغرته الخطوب
وقلت لنفسي استشعر الانس وانتزح * فان تبعد الاجسام لم تبعد القلوب
وسر في ضمان الله حيث توجهت * ركائبك لا تخشى الحوادث أن تنوب

قلت هذه غاية في معناها لولا خروجها عن القواعد في ترتيب قافيتها ومبناها فانظر الى تحوله عن لسان الدين بعد هذه المدائح ونسبته اليه بعد ذلك القبائح والانسان خوان الا النادر من الاخوان ولا حول ولا قوة الا بالله * قال في الاحاطة في ترجمة ابن سلبطور مانصه ومما خاطبني به

تالله ما أوري زناد القلق * سوى بريق لاح لي بالابرق
أيقنت بالحين فلولا نسمة * نجدية منكم تلافت رمقي
لكنت اقضي بتلظي زفرة * وحسرة بين الضلوع تلتقي
فآه من دول النوى وماجنى * على القلوب موقف التفرق
ياحاكي الغصن انثنى متوجا * بالبدر تحت لمة من غسق
الله في نفس معنى اقصدت * من لاعج الشوق بما لم تطق
أني على اكثرها برح الاسى * دع مامضى منها وأدرك مابقي
ولو بالمام خيال في الكرا * ان ساعد الجفن رقيب الارق
فرب زور من خيال زائر * اقر عيني وان لم يصدق
شقيت من برح الاسى لوأن من * أصبح رقي في يديه معتقي
ففي معاناة الليالي عائق * عن التصابي وفنون القلق
وفي ضمان مايعاني المرء من * نوائب الدهر مشيب المفرق
هذا لعمري مع أني لم ابت * منها بشكوى روعة أوفرق
فقد أخذت من خطوب غدرها * بابن الخطيب الامن مما اتقي
فخر الوزارة الذي مامثله * بدر علا في مغرب أومشرق
ومذ أرانيه زماني لم أبل * من صرفه عرعد أو مبرق
لاسيما منذ حططت في حمى * مقامه الامنع رحل أينقي
أيقنت أني في رجائي لم أخب * وأن مسعى بغيتي لم يخفق
ندب له في كل حسن آية * تناسبت في الخلق أو في الخلق
في وجهه صفحة بشران بدت * تبهرجت أنوار شمس الافق
تعشو الابصار في اللألاء ما * عليه من نور الصباح المشرق
كالدهر في استيدائه وبطشه * كالسيف في حد الظبا والرونق
ان بخل الغيث استهلت يده * بوابل من غيث جود غدق
وان وشت صفحة طرس انجلى * ليل دجاها عن سنى مؤتلق
بمثلها من حبرات أخجلت * حواشي الروض خدود المهرق
ما رقق في الآذان اشناف سوى * ملتقطات لفظه المغترق

وتوفي بمراكش عام خمسة وخمسين وسبعمائة رحمه الله تعالى انتهى * وقال لسان الدين كتب الى أبو عبد الله بن راجح التونسي بما يظهر من أبياته وهي

أما والذي لي في حلاك من الحمد * ومالك ملاكي لدي من الرفد
لقد أشعرتني النفس انك معرض * عن المسرف الآتي لفضلك يستجدي
فان زلة مني بدت لك جهرة * فصفحا فما والله أذنبت عن قصد

فراجعته بقولي

أجلك عن عتب يغض من الود * وأكرم وجه العذر منك عن الرد
ولكنني أهدي اليك نصيحتي * وان كنت قد أهديتها ثم لم تجدي
اذا ما قول الانسان جاوز حده * تحولت الاغراض منه الى الضد
فأصبح منه الجد هزلا مذمما * وأصبح منه الهزل في معرض الجد
فما استطعت قبضا للعنان فانه * أحق السجايا بالعلاء وبالمجد

وقال في الاحاطة في حق ابن راجح المذكور ما محصله محمد بن علي بن الحسن بن راجح الشريف الحسني باعترافه ولا تزر وازرة وزر أخرى تونسي أبو عبد الله يعرف بابن راجح صاحب رواية لطيف البنية فاره المركب مطفف مكيال الاطراء جرح في ايجاب الحقوق مترام الى أقصى آماد التوغل سخي اللسان بالثناء ثرثاره مرسل لعنانه في كل المحافل متواضع متودد دمث مطبوع حسن الخلق عذب الفكاهة مخصوص حيث حل من الملوك والامراء بالاثرة ومن دونهم بالمداخلة والصحبة ينظم الشعر ويحاضر بالابيات ويقوم على تاريخ بلده ويثابر على لقاء أهل المعرفة والاخذ عن أولي الرواية قدم الاندلس عام خمسين وسبعمائة مفلتا من الوقيعة بالسلطان أبي الحسن فمهد له سلطانها كنف بره وآواه الى سعة رعيه وتأكدت بيني وبينه صحبة كتبت اليه أول قدومه بما نصه أحدو حذو أبيات ذكر أن شيخنا أبا محمد الحضرمي خاطبه بها

أمن جانب الغربي نفحة بارح * سرت منه أرواح الجوى في الجوارح
قدحت بها زند الغرام وانما * تجافيت في دين السلو لقادح
وما هي الا نسمة حاجرية * رمى الشوق منها كل قلب بقادح
رجحت لها من غير شك كأنما * شمائل أخلاق الشريف ابن راجح
فتى هاشم سبقا الى كل غاية * وصبرا مغار الفتك في كل فادح
أصيل العلا جم السيادة ذكره * طراز نضار في برود المدائح
وفرقان مجد يصدع الشك نوره * حبا الله منه كل صدر بشارح
وفارس ميدان البيان اذا انتضى * صحائفه أنست مضاء الصفائح
رقيق كما راقتك نغمة ساجع * وجزل كما راعتك صولة جارح
اذا ما احتبى مستحضرا في بلاغة * وخوض غمر القول منه بسابح
وقد شرعت في مجمع الحفل نحوه * أسنة حرب للعيون اللوامح
فما ضعضعت منه اصولة صادع * ولا ذهبت منه بحكمة ناصح

فخذها سمي النحر يا خير مرسل * على الخلق اغضاء ستور التسامح
ودم خاطب العلياء احسن خاطب * وأتوق تواق وأطمح طامح

ثم قال لسان الدين توفي يوم الخميس ثالث شعبان سنة خمسة وستين وسبعمائة وقد ناهز السبعين ودفن بروضتنا بباب البيرة واعني شارب الشعر من ثاني مقصه عفا الله تعالى عنا وعنه انتهى * قلت رأيت بخط البدر البشتكي في اختصاره لاحاطة لسان الدين وسماه عرف الاحاطة في هذا المحل مانصه قال كاتبه لو وفق الله تعالى هذا الرجل لم يجب عن مثل تلك الخاتمة بهذا الهذاء ولعل ماني كتاب أبي البركات الذي اسمه شعر من لا شعر له أرذل من هذه الطبقة انتهى وقد أشار لسان الدين لهذا بقوله السابق وأعني شارب الشعر من ثاني مقصه ولله دره من لوذعي زان خاتم البراعة بفصه ولكم له من عبارة وجيزة يقضي بها ما لم يستطع غيره أن يعبر عنه باطنابه فعلى كل من يروم التعبير عما في الضمير أن يتمسك باطنابه * وقال ابن خاتمة حدثني الشريف الاديب أبو عبد الله بن راجح التونسي مقدمه علينا بالمرية قال سجن القاضي أبو عبد الله بن عبد السلام شابا وسيما لحق تعين عليه فأنشدته مداعبا

أقاضي المسلمين حكمت حكما * غدا وجه الزمان له عبوسا
سجنت على الدراهم ذا جمال * ولم تسجنه اذ غصب النفوسا

فأجابني بأن قال اعماشكا لي أرباب الدراهم دون أرباب النفوس انتهى (رجع) الى ماخوطب به لسان الدين رحمه الله تعالى ومما خاطبه به أبو عبد الله العتاب التونسي في بعض الاعياد قوله

بيمن أبي عبد الاله محمد * تيمن هذا القطر وانسجم القطر
أفاض علينا من جزيل عطائه * بحورا تديم المدح ليس له جزر
وآنسنا لما عدمنا مغانيا * اذا ذكرت في القلب ليس لها ذعر
هنيئا بعيد الفطر يا خير ماجد * كريم به تسمو السيادة والفخر
ودمت مدى الايام في ظل نعمة * تطيع لك الدنيا ويعنو لك الدهر

وقال لسان الدين في ترجمة ابن عبد الملك المراكشي ما صورته وخاطبني بقوله

وليت ولاية أحسنت فيها * ليعلم انها شرفت بقدرك
وكم وال أساء فقيل فيه * دني القدر ليس لها بقدرك

وقال أيضا يخاطبني في المعنى

وليت فقيل أحسن خير وال * وفاق مدى مداركها بفضله
وكم وال أساء فقيل فيه * دنا فمحا محاسنها بفعله انتهى

وفي الاحاطة ما محصله ان المذكور محمد بن محمد بن عبد الملك بن سعيد الانصاري الاوسي كان شديد الانقباض محجوب المحاسن تنبو العين عنه جهامة ووحشة ظاهرة وغرابة شكل وفي طي ذلك أدب غض ونفس حرة وحديث ممتع وأبوة كريمة أحد الصابرين على الجهد المتمسكين بأسباب الحشمة الراضين بالخصاصة وأبوه قاضي القضاة نسيج

قوله ثاني مقصه في نسخة ثاني في هذا وفي الآتي اه

أنت الحبيب الذي لم أتخذ بدلا * منه وحاشى لقلبي من تقلبه
يا ابن الخطيب الذي قد فقت كل سني * أزال عن ناظري الظلام غيهبه
مجد الحسين في خلق وفي خلق * أكملت باسمك معنى الحسن فاربه
حمدت أوعدت مالي عن هواك غنى * لا ينقص البدر حسنا في تغيبه
سيان حال التداني والبعاد وهل * لمبصر البدر نيل في ترقبه
يا من أحسن ظني في رضاه وما * ينفك يهدي قبيحا من تعتبه
ان كان ذنبي الهوى فالقلب مني لا * يصغي لسمع ملام من مؤنبه

فأجبته بهذه الرسالة وهي طريفة في معناها يا سيدي الذي اذا رفعت راية ثنائه تلقيتها باليدين واذا قسمت سهام وداده على ذوي اعتقاده كنت صاحب الفريضة والدين دام بقاؤك لطرفة تبديها وغريبة تردفها بأخرى تليها وعقيلة بيان تجليها ونفس أخذ الحزن بكظمها وكلف الدهر بشت نظمها تؤنسها وتسليها لم أزل أشد على بدائعك يد الضنين وأقتني درر كلامك ونفثات أقلامك اقتناء الدر الثمين والايام بلقائك تعد ولا تسعد وفي هذه الايام انثالت على سماؤك بعد قحط وتواترت لدي آلاؤك على شحط وزارتني من عقائل بيانك كل فاتنة الطرف عاطرة العرف رافلة في حلل البيان والطرف لو ضربت بيوتها بالحجاز لاقرت لها العرب العاربة بالاعجاز ماشئت من رصف المبنى ومطاوعة اللفظ لغرض المعنى وطيب الاسلوب والتشبث بالقلوب غير أن سيدي أفرط في التنزل وخلط المخاطبة بالتغزل وراجع الالتفات ورام استدراك ما فات ويرحم الله تعالى شاعر المعرة فلقد أجاد في قوله وأنكر مناجاة الشوق بعد انصرام حوله

أبعد حول تناجي الشوق ناجية * هلا ونحن على عشر من العشر

ولقد تجاوزت في الامد وأنسيت أخبار صاحبك عبد الصمد فأقسم بألفات القدود وهمزات الجفون السود وحامل الارواح مع الالواح بالغدو والرواح لولا بعد مزارك ما أمنت غائلة ما تحت ازارك ثم الى حقيقة الغرض وبحث عن المشكل الذي عرض فنقلات الخواطر انتقال ولكل مقام مقال وتختلف الحوائج باختلاف الاوقات ثم رفع اللبس خبر الثقات * ومنها * وتعرفت ما كان من مراجعة سيدي لحرفة التكتيب والتعليم والحنين الى العهد القديم فسررت باستقامة حاله وفضل ماله وان لاحظ اللاحظ ما قال الجاحظ فاعتراض لا يرد وقياس لا يطرد حبذا والله عيش التأديب فلا بالضنك ولا بالجديب معاهدة الاحسان ومشاهدة الصور الحسان يمينا ان المعلمين لسادة المسلمين واني لانظر منهم كلما خطرت على المكاتب أمراء فوق المراتب من كل مسيطر الدرة متقلب الاسرة متنمر للوارد تنمر الهرة يغدو الى مكتبه كالامير في موكبه حتى اذا استقل في فرشه واستوى على عرشه وترنم بتلاوة قالونه وورشه أظهر للخلق احتقارا وأزرى بالجبال وقارا ورفعت اليه الخصوم ووقف بين يديه الظالم والمظلوم فتقول كسرى في ايوانه والرشيد في أوانه أو الحجاج بين أعوانه فاذا استولى على البدر السرار وتبين للشهر الغرار تحرك الى الخرج تحرك العود الى الفرح

وسكينته حال من أهلها بمكانة مكينه لسهولة جانبه واتضاح مقاصده فى الخير ومذاهبه واشتغل لاول أمره بالتكتيب وبلغ الغاية فى التعليم والترتيب والشباب لم ينصل خضابه ولاسلت للمشيب عصابه وبصره بالمحاسن كامة صبه وشأنه كله هوى ومحبه ولذلك ماخاطبه بعض أوذائه وكلاهما رمى أخابدائه حسبما يأتى خلال هذا القول وفى اثنائه انتهى وذكر نحو ماتقدم ذكره سامح الله الجميع بفضله * وقال لسان الدين فى ترجمة أبى عبدالله محمد بن عبد الرحمن الكرسوطى الفاسى نزيل مالقة ماصورته وأنشدنى وُأنا بمالقة أحاول لوث العمامة وأستعين بالغير على الاحكام لها

أمعمما قمرا تكامل حسنه * أربى على الشمس المنيرة فى البها
لاتلتمس ممن لديك زيادة * فالبدر لايمتار من نور السها انتهى

قال لسان الدين وهو فقيه محدث متكلم ألف كتبا منها الغرر فى تكميل الطرر طرر أبى ابراهيم الاعرج ثم كتاب الدرر فى اختصار الطرر المذكور وتقييدان على الرسالة كبير وصغير ولخص التهذيب لابن بشير وحذف أسانيد المصنفات الثلاثة والترم اسقاط التكرار واستدرك الصحاح الواقعة فى الترمذى على البخارى ومسلم وقيد على مختصر الطليطلى وشرع فى تقييد على قواعد الامام أبى الفضل عياض بن موسى برسم ولدى ويصدر منه الشعر مصدرا لا تكيفه معه العناية وكانت له اليد الطولى فى عبارة الرؤيا ومولده بفاس عام تسعين وستمائة انتهى ملخصا * وقال فى ترجمة أبى عمرو بن الزبير ماصورته ومما خاطبنى به عند ايابى من العدوة فى غرض الرسالة قوله

توالى الشكر للرحمن فرضا * على نعم كست طولا وعرضا
وكم لله من لطف خفى * لامامه الذى قدشا وأمضى
بمقدمك السعيد أتت سعود * تنال بها نعيم الدهر محضا
فيابشرى لاندلس بماقد * به والاك بارينا وأرضى
وبالله من سعود سعيد * قد اقرضك المهيمن فيه قرضا
ورحت بنية أخلصت فيها * فأبت بكل مايغنى ويرضى
وثبت لنصرة الاسلام لما * اليك علمت أن الامر أفضى
لقد أحييت بالتقوى رسوما * كما أرضيت بالتمهيد أرضا
وقمت بسنة المختار فينا * تمهد سنة وتقيم فرضا
ورضت من العلوم الصعب حتى * جنيت ثمارها رطبا وغضا
فرأيك راجح فيما تراه * وعزمك من مواضى الهند أمضى
تدبر أمر مولانا فيلقى الشمسى لديك اتساقا واغتضا
فأعقبنا شفاء وانبساطا * وقدكانت قلوب الناس مرضى
ومن أضحى على ظما وأمسى * يرد ان شاء من نعماك حوضا
أبا عبد الاله اليك أشكو * زمانى حين زاد الفقر عضا
ومن نعماك أستجدى لباسا * تفيض به على الجاه فيضا

وعندى افتقار لا يزال مواصلا * لاكرم مولى جاد أجرا وسيد
ترق بأولاد صغار بكاؤهم * يريد لوقع الحادث المتزيد
وليس لهم الا اليك تطلع * اذا مسهم ضر أليم التعهد
أنلهم أيا مولاى نظرة مشفق * وجد بالرضا وانظر لشمل مبدد
وعامل أخا الكرب الشديد برحمة * وأسعف بغفران الذنوب وأسعد
ولا تنظرن الا افضالك لا الى * جريمة شيخ عن محلك مبعد
وان كنت قد أذنبت انى تائب * فعود لى الفضل الجميل وجدد
بقيت بخير لا يزال وعزة * وعيش هنىء كيف شئت وأسعد
ويبقيك الرحمن للعبد انه * لمثن وداع للمحل المجدد

ثم قال وهو الآن من مسطرى الاعمال على تهور واقتحام كبره من خط لا نهاية وراءه فى الركاكة كما قال المعرى

تمشت وقد جرالمطايا * ولكن بعد ماسبخت ثمالا

وقال فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن على بن عياش بن مشرف الامى انه من أهل الاصالة والحسب ظهرت منه على حداثة السن أبيات ونسب اليه شعر توسل به وتصرف فى الاشراف فحمدت سيرته وكتب الى بقوله

سفرت شموس اليمن والاقبال * وبدت بدور السعد ذات كمال
لقدوم سيدنا الوزير محمد * أعزز به من سيد مفضال
قمر تجلى بين زهر تجتلى * يهدى الفضل الخير لا الاضلال
مرآمننا الاتكثرت ولا انثنى * حفظ الاله الواحد المتعالى
برا وبحرا لا تخاف ملمة * وعدو ذاتك خاف طول نصال
لا يستقر له قرار بعدكم * مما يحل به من الاوجال
والآن ترجع سالما ومبشرا * ببلوغ كل مسرة ومنال

وهى طويلة عطفها متخلف عن الاجادة وهى من مثله مما يستطرف انتهى * وقال فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن محمد العراقى الوادى آشى فاضل الابوة بادى الاستقامة حسن الاخلاق تولى أعمالا كتب الى وقد أبى عملا عرض عليه بقوله

أأصمت ألسنا ثم أنطق بالحلف * وأوقد الصاثم انس بالخلف
وأسلك دهرى ثم أفطر علقما * ويمحق بدرى ثم الحق بالحتف
وعز كم لا كنت بالدل عاملا * ولو أن صعفى ينتهى بى الى الحتف
فان تعملونى فى تصرف عزة * وعدل والا فاحسموا علة الصرف
بقيت ومحب العفو منكم نطالبى * ومحط ثنائى دائما ثانى العطف انتهى

وقال فى ترجمة أبى محمد عبد الله بن ابراهيم الازدى ماصورته وخاطبنى لما وليت خطة الانشاء وعبرها فى أواخر عام تسعة وأربعين وسبعمائة بما نصه

بشاشة نفس أعلنت لمديحها * بتذكار أيام الوصال وطيبها

رعى الله عهدا سوى ما حوى * لاهل الوداد وأهل الهوى
أراهم أمورا حلا وردها * واعطاهم السؤل كالاسوا
ولما حلا الوصل صالوا له * ورامو مأوى وماء روى
وأوردهم سر أسرارهم * ورد الى كل داء دوا
وما أمل طال الا وهى * وما أمل صال الاهوى

وقال معجمة

بث بينى بثنى فيض جفنى * شغفى شفنى فشبت بينى
فتنتنى بغنج ظبى تجنى * تبتغى نقض نيتى تجنى
بزة زينت قضيب تثنى * قضبت بغيتى ففزت بفن
خبت تشتيت بثنى بجفنى * ثقة تنثنى بخيب ظنى

وقال كلمة وكلمة

الهوى شفنى وأهمل جفنى * أدمعا تنثنى دما بتثنى
احور شب حربنى لما * نقض العهد بين طول تجنى
حاكم يتقى ولا ذنب الا * شغف لم يجب لمسعاه ظنى
ماله بنقض العهود فيشجى * ولها بثنى مسهد جفن
لم يجز وصله مت محالا * يقتضى حل بغيتى كل فن

وقال يرثى ديكا فقده ويصف الوجد الذى وجده ويبكى عدم أذانه الى غير ذلك من مستطرف شانه

أودى به الحتف لما جاءه الاجل * ديكا فلا عوض منه ولا بدل
قد كان لى أمل فى أن يعيش ولم * يئست مع الحتف فى بقياه لى أمل
فقدته فلعمرى انها عظة * وبالمواعظ تذرى دمعها المقل
ما كان ابدع مرآه ومنظره * وصوابه كل حين يضرب المثل
كان مطرف وشى فوق ملبسه * عليه من كل حسن باهر حلل
كان اكليل كسرى فوق مفرقه * وتاجه فهو عالى الشكل محتفل
موقت لم يكن يعزى له خطأ * فيما يرتب من ورد ولا خلل
كأن زرقال فيما مر علمه * علم المواقيت عما رتبه الاول
يرسل الليل يحيى بالصراخ فما * يصده كلل عنه ولا ملل
رأيته قد وهت منه القوى فهوى * للارض فعلا يريه الشارب الثمل
لو يفتدى بديوك الارض قل له * ذاك الفداء ولكن فاجأ الاجل
قالوا الدواء ولم يغن الدواء ولم * ينفعه من ذاك ما قالوا وما فعلوا
أملت فيه ثوابا أجر محتسب * ان مات ذلك صح القول والعمل انتهى

وأمره السلطان أبو عبد الله سادس الملوك النصريين وقد نظر الى شلير وقد تردى بالثلج وتعمم وكمل ما أراد من برنه وتمم أن ينظم فى وصفه فقال بديها

أنعشني أن قد أمدتك موقعا • لدى أعظم الاملاك حلا ونائلا
مليك سباه اقه بالخلق الرضا • وأعلى له في المكرمات المنازلا

وهي طويلة ومن نظم ابن رضوان المذكور

تبرأت من حولي اليك وأيقنت • برحماك آمالي أصح يقين
فلا أرهب الايام اذ كنت ملجأ • وحسبي يقيني باليقين يقيني

وكاتبه أبو عثمان وصف صيد من غدير فقال من أبيات

ولرب يوم في حماك شهدته • والسرح ناشرة عليك ظلالها
حيث الغدير يريك من صفحاته • درعا تجيد به الرياح صقالها
والمنشآت به تدير حبائلا • للصيد في حيل تدير حبالها
وتريك اذ يلقى بها اليم الذى • أخفت جوانحه وغاب خلالها
فحسبتها زردا وأن عواليا • تركت به عند الطعان نصالها

وقال فيه أيضا

أبصرت في يوم الغدير عجائبا • جاءت بآيات العجائب مصره
شبكا كالذى شبك دقل ليل بدت • فيه الرواهر للنواظر نيره
فكان ذا زرد تضاعف نسجه • وكان تلك أسنة متكسره

ومما نظمه عن أمر الخلافة المستعينية ليكتب في طرة قبة رياض الغزلان من حضرته

هذا محل المنى بالامن مغمور • من حله فهو بالآمال مجبور
مأوى النعيم به ماشئت من ترف • تهوى محاسنه الولدان والحور
ويطلع الروض منه مصنعا عجبا • يضاحك النور من لالائه النور
ويسطع الزهر من أرجائه أرجا • ينافح المسك نشر منه منشور
مغنى السرور سقاه الله ما حلت • غر الغمام وحلته الاراهير
انظر الى الروض تنظر كل محسنة • مما ارتضاه لرأى العين تحبير
مر النسيم به يبغى القرى فقرى • دراهم النور تبديد وتنثير
وقامت الشمس في حسن الظلال به • ففرقت فوقها منه دنانير
والدوح ناعمة تهتز من طرب • همسا وصوت غناء الطير مجهور
كأنما الطير في افنانها صدحت • بشكر مالكها والفضل مشكور
والنهر شق بساط الروض تحسبه • سيفا ولكنه في السلم مشهور
ينساب للبعة الخضراء أزرقه • كالصم جدانسياب وهو مذعور
هذا مصانع مولانا التى جمعت • شمل السرور وأمر الله مأمور
وهذه القبة الغراء ما نظرت • لشكلها العين الاعز تنظير
ولا يصورها في الفهم ذو فكر • الا ومنه لكل الحسن تصوير
ولا يرام بحصر وصف ما جمعت • من المحاسن الا صد تقصير
فيها المقاصير تحميها مهابته • لله ما جمعت تلك المقاصير

وقال

وبخيل لما دعوه لسكنى * منزل بالجنان ضن بذلك
قال لى محزن بدارى فيه * كل مالى فلست للدار تارك
قلت وفقت للصواب لحاذر * قول خل مرغب فى انتقالك
لاتعرج على الجنان بسكنى * ولتكن ساكنا بحيث مالك

وقال رحمه الله تعالى فى مركب

يارب منشأة عجبت لشأنها * وقد احتوت فى البحر أعجب شان
سكنت بجنبيها عصابة شدة * حلت محل الروح فى الجثمان
فتحركت بارادة معاها * فى جسمها ليست من الحيوان
وجرت كما قد شاءه سكانها * وعلمت أن السر فى السكان

وقال رحمه الله تعالى

وذى خدع دعوه لاشتغال * وماعرفوه غشا من سمين
فأظهر زهده وغنى بمال * وجيش الحرص منه فى كمين
وأقسم لافعلت يمين خب * فياعجبا لحلاف مهين
يعز بيسره ويمين حنث * لما كل باليسار وباليمين

وهو الآن بحاله الموصوفة انتهى * وقال لسان الدين رحمه الله تعالى خاطبنى أبو بكر عبد الرحمن بن عبد الملك مستدعيا الى اعذار ولده بقوله

أريد من سيدى الاعلى تكلفه * الى الوصول الى دارى صباح غد
يزيدنى شرفا منه ويبصرلى * صناعة القاطع الحجام فى ولدى

فأجبته

ياسيدى الاوحد الاسمى ومعتمدى * وذا الوسيلة من أهلى ومن بلدى
دعوت فى يوم الاثنين الصحاب ضحى * وفيه مالبس فى سبت ولا أحد
يوم السلام على المولى وخدمته * فاصفح وان عثرت رجلى فخذ بيدى
والعذر أوضح من نار على علم * فعذ ان غبت عن لوم وعن فند
بقيت فى ظل عيش لانفاد له * مصاحبا غير محصور الى أمد انتهى

وأبو بكر المذكور أصله من باغة ونشأ بلوشة وهو محسوب من الغرناطيين * وفى التاج فى حقه ماصورته مادح هاجى مداهن مداجى أخبث من ناظر من طرف خفى وأعدر من تلبس بشعار وفى الى مكيدة مشوشة الحبائل واغراء يقطع بين الشعوب والقبائل من شيوخ طريقة العمل المتقلبين من أحوالها بين الصحو والثمل المتعللين برسومها حين اختلط المرعى بالهمل وهو ناظم أرجاز ومستعمل حقيقة ومجاز نظم مختصر السيرة فى الالفاظ اليسيرة ونظم رجزا فى الزجر والفال نبه به تلك الطريقة بعد الاغفال انتهى قال ومن شعره

ان الولاية رفعة لكنها * أبدا اذا حققتها تتنقل

غرناطة يكنى أبا سلطان قال فى الاحاطة فى حقه فاضل حى حسن الصورة بادى الحشمة فاضل البيت سريه كتب فى ديوان الاعمال وأتقن وترقى الى الكتابة السلطانية ونظر فى بعض الاعراض العربية ولازم الشيخ أبا بكر عتيق بن مقدم من مشيخة الصوفية بالحضرة وظهرت عليه آثار ذلك فى نظمه ومقاصده فمن نظمه ما أنشده ليلة الميلاد المعظم

القلب يعشق والمدامع تنطق * برح الخفاء فكل عضو منطق
ان كنت أكتم ما أكن من الجوى * فشحوب لونى فى الغرام مصدق
وتذللى عند اللقا وتملقى * ان المحب اذا دنا يتملق
فلكم سترت عن الوجود محبتى * والدمع يفضح ما يسر المطلق
ولكم أموه بالطلول وبالكنى * وأخوض بحر الكتم وهو الاليق
ظهر الحبيب فلست أبصر غيره * فبكل مرئى أرى متحقق
ما فى الوجود تكثر لمكثر * ان المكثر بالاباطل يعلق
فمتى نظرت فأنت موضع نظرتى * ومتى نطقت فما عبرك أنطق
يا سائلى عن بعض كنه صفاته * كل اللسان وكل عنه المنطق
فاسلك مقامات الرجال محققا * ان المحقق شأوه لا يلحق
مزق حجاب الوهم لا تحفل به * فالوهم يستر ما العقول تحقق
واخلص اذا شئت الوصول ولا تسل * فالحر عن طلب المعارف مونق
ان التجلى فى التخلى فاقتصد * ذاك الجناب وبابه لا يغلق
ولتقتبس نار الكليم ولا تخف * والع السوى ان كنت منها تفرق
ومتى تجلى فيك سر جماله * وصعقت خوفا فالمكلم يصعق
دع رتبة التقليد عنك ولا تنه * تلق الذى قيدت وهو المطلق
واقطع حبال علائق وعوائق * ان العوائق بالمكاره تطرق
جرد حسام النفس عن جفن الهوى * ان العوائد بالتجرد تخرق
فاذا فهمت السر منك ولا تبح * فالسيف من بث الحقائق أصدق
بالذوق لا بالعلم يدرك علما * سر بمكنون الكتاب مصدق
وبما أتى عن خير من وطئ الثرى * سر الوجود وغيثه المتدفق
خير الورى وابن الذبيحين الذى * أنواره فى هديها تتألق
من أخبر الانبياء قبل بعثه * ولنصه سر الكتاب يصدق
رفعت له الحجب التى لم ترتفع * الا اليه فكل ستر يخرق
ورقى مقاما قصرت عن كنهه * رتب الوجود وكع عنه السبق
وطئ البساط تدللا وجرى الى * أمد تناهى ما اليه مسبق
انسان عين الكون مطلع سره * قطب الكمال وغيثه المتدفق
سر الوجود ونكتة الدهر الذى * بكمال الوجود بجوده يتعلق
من جاء بالآيات يسطع نورها * والذكر وهو عن الهوى لا ينطق

وأبلغكم غاية المراد ومنتهى التأميل أبى الله أن تمكن المقام بالاندلس بعدكم وأن يكون سكون النفس الا عندكم سر من الكون غريب ومعنى في النشأ كل عجيب أختصر لكم الكلام وأقول بعد التحية والسلام تفاقت الحوادث وتعاظمت الخطوب الكوارث واستأسدت الذئاب الاخابث ونكث الاكثر من ولد سام وحام ويافث فلم يبق الا كاشح باحث أو مكافح عابث وبالبت شعرى من الثالث حينئذ وجهت وجهى للفاطر الباعث ونجوت بنفسى لكن مثني الحرث وقد عبرت البحر كسير الجناح دامى الجراح وانى لارجو الله سبحانه بحسن نيتكم أن يكون الفرج قريبا والصنع عجيبا فعمادى أعان الله على القيام بواجبه هو الركن الذى مازلت أميل على جوانبه ولا تزيدنى الايام الابصيرة فى الاقرار بفضله والاعتداد به وقد وصلنى خطاب سيدى الذى يجلى الشكوك بنور يقينه ونصح النصح اللائق بعلمه ودينه وكأنه اطلع الى الغيب من وراء حجاب فأشار بما أشار به على سارية عمر بن الخطاب ومن العجب انى عملت بمقتضى اشارته قبل بلوغ اشارته فلله ماتضمنه مكتوبكم الكريم من الدر وحرره من الكلام الحر وايم الله لو تجسم لكان ملكا ولو تنسم لكان مسكا ولو قبس لكان شهابا ولو لبس لكان شبابا يحل من علم الله تعالى محل البرء من المريض وأعاد الانس بما تضمنه من التعريض والكلام المزرية بقطع الروض الاريض نقلته عن راحتكم وتحملت أنه مقيم بساحتكم ثم وردت معينه الاصفى وكانت من بركات مواعظه بالمكيال الاوفى وليست بأول أياديكم واحالتكم على الله فهو الذى يجازيكم وبالجملة فالامور بيد الاقدار لا الى المراد والاختيار

وما كل مايرجو النفوس بنافع * ولا كل ماتخشى النفوس بضرار انتهى

قلت أبن هذا الكتاب من الذى قدمناه عنه فى الباب الثانى حين أظلم بينه وبين لسان الدين الجو وعطفه الى مهاجاته ثانى وسفر فى أمره الى العدوة واجتهد فى ضرره بعد أن كان له به القدوة وقد قابله لسان الدين بما أذهب عن جفنه الوسن وأذاقه كاس حق خلع الرسن على أنه عرف به فى الاحاطة أحسن تعريف وشرفه بحلاه أجل تشريف اذ قال ما ملخصه على بن عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن الحسن الجذامى المالقى أبو الحسن ويعرف بالنباهى هذا الفاضل قريع بيت مجادة وجلالة وبقية تعين وأصالة عف النشأة طاهر الثوب مؤثر للوقار والحشمة خاطب للشيخوخة مستعجل للشيمة طاهر الحياء متحرك مع السكون بعيد الغور مرهف الجواب مع الانكماش مقتصد فى الملبس والآلة متظاهر بالسذاجة برىء من الدولة والعهدة يقظ للمعاريض مهتد الى الالحن طرف فى الجود حافظ مقيد طلعة اخبارى قائم على تاريخ بلده شرع فى تكميل ماصنف فيه ملازم للتقييد والتطريف متوغر عن الاجادات والفوائد استفدت منه فى هذا الغرض وغيره كثيرا حسن الخط ناظم ناثر نثره يشف على نظمه ذاكر للكثير استظهر محهوظات منها النوادر للقالى وباهلت به محفوظا مهجورا ومسلكا غفلا مباطلات بسواه نشأ ببلده حر الطعمة فاضل الابوة وقرأ به ثم ولى القضاء بالتماس ثم يلس

وثق بربك لاتيأس تجد فرجا * فلا أمر على عمد من الياس

وقال

فديتك لاتصحب لئيما ولاتكن * معينا له ان اللئيم خؤن
فلا عهد يرعى لا ولا نعمة يرى * ولاسر خل عن عداه يصون

وقال يخاطب أبا القاسم عبدالله بن يوسف بن رضوان

لك الله قلبى فى هواك رهين * وروحى عنى ان رحلت ظعين
ملكت بحكم الفضل كلى خالصا * وملكك للعز الصريح يزين
فهب لى من نطق عقد دار مابه * يترجم سر فى الفؤاد دفين
فقد شمتها من رضاك ملابس * وسح لدينا من نداك معين
أعنت على الدهر الغشوم ولم تزل * بدنياك فى الامر المهم تعين
وقصر من لم تعلم النفس انه * خذول اذا خان الزمان يخون
وانى بحمد الله عنه لفى غنى * وحسبى صبر عن سواك يصون
أبى لى مجد عن كرام ورثته * وقوفا بباب للكريم يهين
ونفس سمت فوق السما كيف همة * وما كل نفس بالهوان تدين
ولما رأت عينى محياك أقسمت * بأنك للفعل الجميل ضمين
وعادلها الانس الذى كان قدمضى * بربة اذ شرخ الشباب خدين
بحيث نشانا لا نبين حلى التقى * وكل بكل عند ذاك ضنين
أماويسى تلك الليالى وطيبها * ووجد غرامى والحديث شجون
وفتيان صدق كالشموس وكالحيا * حديثهم ماشئت عنه يكون
لئن نزحت تلك الديار ووجدنا * عليها له بين الضلوع أنين
اذا مر حين زاده الشوق جدة * وليس يعاب للربوع حنين
وأنى بسلواها وللدين لدعة * أقل اداها للسليم جنون
لقد عنت أيدى الزمان بجمعنا * وحان افتراق لم نخله يحين
وبعد التقينا فى محل تغرب * وكل الذى دون الفراق يهون
فقابلت بالفضل الذى أنت أهله * ومالك فى حسن الصنيع قرين
وغنت وماغابت مكارمك التى * على شكرها الرب العظيم يعين
يمينا لقد أوليتنا منك نعمة * تلذبها عند العيان عيون
ويقصر عنها الوصف اذ هى كلها * لها وجه حر بالحياء مصون
ولما قدمت الآن زاد سرورنا * ومقدمك الاسنى بذاك قمين
لانك أنت الروح منا وكلنا * جسوم فعند البعد كيف نكون
ولو كان قدر الحب فيك لقاؤنا * اليك لكنا باللزوم ندين
ولكن قصدنا راحة المجد جهدنا * فراحته شمل الجميع تصون
هنيأ هنيأ أيها العلم الرضا * بمالك فى طى القلوب كمين

وألبس من صنعاء وشيا منمنما * وحلي من درّ نفائس أعلاق
بأحلى لافواه وأبهى لاعين * وأحلى لالباب وأشهى لعشاق
وأبت بها شهب السماء تبرات * الى تحييني تحية مشتاق
ألاان هذا السحر لاسحر بابل * فقد سحرت قلبي المعنى في راقي
لقد أعجزت شكرى فضائل ماجد * أبرّ بأحساب وأوفى بعشاق
تقاضى دون الشعر مني منهما * رويدك لاتعجل على بارهاق
فلو نثر الصادان من مجدبهما * لانصاف هذا الدين لاذا باملاق
تحدرمام الرفق شيما تقاصرت * خطاه وعاهده بعهود واشفاق
فلا زلت تحيى للمكارم رسمها * وقدرك في أهل العلا والعهى راقي

قال وكتبت اليه في عرض العتاب قصيدة أولها

أدرنا وضوء الافق قد صدع الفضا * مدامة عتب بيننا نقلها الرضا
فلله عينا من رآنا ولنحيا * جنى بآفاق البشاشة أومضا
تهزّ الى عدل الزمان الذي أتى * ويبرأ من جور الزمان الذي مضى
وأ..و كاوم اللفظ باللحظ عاجلا * كذا قدح الصهباء داوى وأمرضا

فراجعني عنها بهذه القصيدة

ألا حبذا ذاك العتاب الذي مضى * وان جرّه واش برور تمضمضا
أغارت له خيل عما ذعرت حمى * ولكنها كانت طلائع للرضا
تألق منه بارق صاب مزنه * على معهد الحب الصميم فروّضا
تلألأ نورا للصداقة حافظا * وان ظن سيفا للقطيعة منتضى
فان سوّد الشيطان منه صحيفة * أتى ملك الرحمى عليها فبيضا
وما كان حب أحكم الصدق عهده * ليرمي بوسواس الوشاة فيرفضا
أعبدودادا زاكى القصد دائما * تخلص من أدرانه فتمحضا
ونية صدق في رضا الله أخلصت * سناها بآفاق البسيطة قد أضا
من الآفك الساعي ليخفي نورها * أيخفى شعاع الشمس قد ملأ الفضا
وكيف يحل المبطلون بافكهم * معاقد حب أحكمتها يد القضا
تعرّض يبغي هدمها فكأنه * لتشييد مبناها الوثيق تعرّضا
وحرّض في تنفيره فكأنما * على البرّ والتسكين والحب حرّضا
وأوقد نارا فهو يصلى بجمرها * يقلب منها القلب في موقد الغضا
أيا واحدى المعدود بالالف وحده * ويا ولدى البرّ الزكى ان ارتضى
بعثت من الدر النفيس قلائدا * على ما ارتضى حكم المحبة واقتضى
نتيجة آداب وطبع مهذب * أطال مداه في البيان وأعرضا
ولا مثل بكر با كرتني آنفا * كرورة خل بعدما كان أعرضا
هي الروضة الغناء أينع زهرها * تناظر حسنا مذهبا ومفضضا

وغير الالفاظ عن وضعها * وصير الايجاد اعداما

فليس في اصلاحه حيلة * ترجى ولو قوبل أعواما

ولم أقف على جواب لسان الدين له عنها والله تعالى أعلم * وولد سعيد المذكور سنة ٦٩٩ (ومما خوطب به لسان الدين) لما تقلد الكتابة العليا قول أبي الحسن على بن محمد بن على بن البناء الوادى آشي رحمه الله تعالى

هو العلاء جرى بالسعد طائره * فكان منك على الآمال ناصره

ولو جرى بك ممتدا الى أمد * لاعجز الشمس ما آبت عساكره

لقد حباه مبيع العز خالقه * بماصل منك لاتحصى مآثره

ولم يزد فخرا لما حاز يعارضه * ولاعلاء مدى الدنيا يفاخره

لله أوصافك الحسنى لقد عجزت * من كل ذى لسن عنها خواطره

هيهات ليس عجيبا عجز ذى لسن * عن وصف بحر رمى بالدر زاخره

هل أنت الا الخطيب بن الخطيب ومن * رأت حلى الدين والدنيا مفاخره

فان يقصر عن الاوصاف ذو أدب * فابدا منك في التقصير عاذره

يا ابن الكرام الالى ماشب طفلهم * الا وللمجد قد شدت مآزره

مهلا عليك فما العلياء قاصية * ولا العلاء بصعب أنت ثائره

ولا المكارم طرسا أنت راقمه * ولا المناقب طرسا أنت ماهره

ماذا على سابق يسرى الى سنن * ان كان من رفقه خل يسايره

مر حيث شئت من العلياء منفردا * فما أمامك سباق تحاذره

أنت الامام لاهل الفخر ان فخروا * أنت البدر الذى عزت أواخره

ما بعد ما حزته من عزة وعلا * شأو يطارد فيه المجد كابره

نادت بك الدولة النصرية محتدها * نداء مستنجد أزرا يوازره

حليتها برداء الستر مرتديا * وصبح يمنك فجر السعد سافره

فالملك يرفل في أبراده مرحا * قد عمت الارض اشراقا بشائره

فاهنأ بها نعمة ما ان يقوم لها * من اللسان ببعض الحق شاكره

وليهنها أنها ألقت مقالدها * الى زكى زكت منه عناصره

فانه بدر تم في مطالعها * قد طبق الارض بالانوار نائره

(وقال لسان الدين) وأهدى الى قاضب حشب جوز وكتب معها

ها كها ضمرا مطايا حسانا * نشأت في الرياض قضبا لدانا

ونوت بين روضة وغدير * مرضعات من النمير لبانا

لابسات من الظلال برودا * دونها القضب رقة وليانا

ثم لما أراد اكرامها الله وسنى لها المنى والامانا

قصدت بابك العلى ابتدارا * ورجت في قبولك الاحسانا

قال فأجبته

ثناء الروض المجود على العهود ابن الخطيب من باب المولى الموجب حقه المتأكد
الفروض الثابت العهود المتقدمة بالود الجامع الرسوم والحدود والفضل المتوارث
عن الآباء والجدود يسلم على مثابتها اسلام متلو على مثلها ان وجد المثل في الثاني ويعوذ
كمالها بالسبع المثاني ويدعو الله تعالى لسلطانها بتشييد المباني وتيسير الاماني
وينهي الى علوم تلك الخلافة الفاروقية المقدسة على شاسب التوحيد المستولية من
مدارك الآمال على الامد البعيد ان مخاطبتها المولوية تاهت على الملوك فارعة العلا
من عمرة الحال والحلى ذهبية الحلى تعبد العز المكين والدنيا والدين وترعى في الاباء
والبنين على مر السنين صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قد حملت من مدحها الكريم
ما أخفي للمملوك من قرة عين ودرة زين جبين الشرف الوضاح ومستوجب الحق
على مثله من الخلق بالسبب الصراح والعرو الاوضاح والارج الفواح فاقتنى درة
العقيق ووجد الروع في جانب الخلافة التقديس وقرا ما قرأه التعظيم والتقديس
وقال يا أيها الملأ انه ألقي الي كتاب كريم وان لم يكن بلقيس أعلى الله تعالى تلك اليد
مطوقة الايادي ومجللة الغمائم والغوادي وأبقاها عامرة النوادي غالبة الاعادي
وجعل سمها السماح ورأيها الرشيد وعلمها الهادي ووصل ما ألطف به رعيها من أشتات
بر بلغت وموارد وصل سوغت أمدتها سعادة المولى بعدد لم يضر معه البحر الهائل
ولا العدو الغائل وأقام أودها عميد الشدائد الملك الماثل لابل الملك الذي له الى الله
الوسائل وحسب الخفي رسالتكم الكريمة لخطابها صان وأكرم وعوذ فتعوذ بها
وتحرم وتولى المملوك تنميق عروضها بانشراح صدره وعلى قدره فوقفت الموقع
الذي لم يقع سواها وأما الخيل فأكرم مثواها وجعلت جنان الصون مأواها ولو
كسيت الربيع المزهر حللا وأوردت في نهر المجرة علا ونهلا وقلدت النجوم العوائم محلا
وجعلت أعطافها بمنديل النسيم وألحفت بأردية الصباح الوسيم وافترشت لمرابطها
الحشايا وانفهمت حبات القلوب بالعشايا لكان بعض ما يجب لحقها الذي لا يجحد
ولا يحجب وماعداها من الرقيق والقيان رعاة ذلك الفريق تكفله الاستحسان والطنب
الاعتقاد وان قصر اللسان تولى الله تعالى تلك الخلافة بالشكر الذي يحسب العطاء
والحفظ الذي يسدل الغطاء والصنع الذي ييسر من مطا الامل الامتطا وأما ما يختص
بالمملوك فقد خصه بقبوله تبرك بتلك المقاصد التي سددها الدين وعقدها الفضل المبين
وأنشد الخلافة التي راق من مجدها الجبين

قلدتني بعرائس أخرجتها * من بحر جودك وهو ملتطم الثبج
ورعيت نسبتها فان سبكة * مما يلائم لونها قطع السبج

والمملوك بهذا الباب المصري أعزه الله تعالى على قدم خدمه وقائم بشكر منة لكم
ونعمه وحاضر في جملة الاولياء بدعائه وحبه ومتوسل في دوام بقاء أيامكم ونصر
أعلامكم الى ربه وان بعد بجسمه لم يبعد بقلبه والسلام الكريم الطيب البر العميم
يخصها دائما متصلا ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى * ومما خوطب به لسان الدين قول

ومعاطاة سلافها ورعا شرست فى المذاكرة أخلاقه اذا بهرجت أعلاقه ونوزع تمسكه بالحجة واعتلاقه * وقال لسان الدين فى ترجمة شعر المذكور انه ضعيف مهزول انتهى
* ومما خوطب به قول أبى الحجاج يوسف بن موسى الجذامى المنتشافرى من أهل رندة ونصه

سما لك فؤادى نيل بشرى وأحيا كا * وحيا دبا داب نفائس حيا كا
بدائع أبدا ها بديع زمانه * فطاب بها يا عاطر الروض ريا كا
أمهديها أودعت قلبى علاقة * وان لم يزل مغرى قديما بعليا كا
اذا ما أشار العصر نحو فريده * فاياك يعنى بالاشارة اياكا
لاعدمنى اقبالك أسنى مؤملى * وهل لمحة فى الدهر الا بلقيا كا
واعقبت اشواقى دراكك التى * وجوب ثناها بالسانى أعيا كا

ووصل هذا النظم بنثر صورته خصصنى أيها المخصوص بمآثر أعيا عدها وحصرها ومكارم طيب ارواح الازاهر عطرها وسارت الركبان بثنائها وشملت الخواطر محبة علائها بفرائدك الانيقه وفوائدك المربية جمالا على أزهار الحديقه ومعارفك التى زكت حقا وحقيقه وهدت الضال عن سبيل الادب منهجه وطريقه وسنى تحفتك أعلى التحف عندى وهو مامول لقائك والتمتع بالتماح سناك الباهر وسنائك على حين امتدت لذلكم اللقاء أشواقى وعظم من فوت استنارتى بنور محياك اشفاقى وتردد لهجى بما يلغنى من معاليك ومعانيك وماشاده فكرك الوقاد من مبانيك وما أهلت به بلاغتك من دارسه وما أصفيت على الزمان من رائق ملابسه وما جمعت من أشتاته وأحييت من أمواته وأيقظت من سناته وما جادبه الزمان من حسناته فلترداد هذه المحاسن من أنبائك وتصرف الالسنة بثنائك علقت النفس من هواها بأشد علاقه وجنحت الى إتيانك جنوح والهة مشتاقه والحوادث الجاريه تصرفها والعوائق الحادثة كلما عطفت أملها اليه لاتحفهابه ولاتعطفها الى أن ساعد الوقت وأسعد البخت بلقائكم فى هذه السفرة الجهاديه وجاد اسعاف الاسعاد من أمنيتى باسنى هديه فلقيتكم لقاء اجل ولمحت أنواركم لمحة على وجل ومحتى فى محاسنكم الرائقه ومعاليكم الفائقه على ما يعلمه ربنا عزوجل وتذكرت عند لقائكم المأمول انشاد قائل يقول

كانت مساءلة الركبان تخبرنى * عن محمد بن خطيب أطيب الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت * أذنى بأحسن مما قدرأى بصرى

قسم لعمرى أقوله وأعتقده وأعتده وأعتمده ولقد بهرت منك المحاسن ونفقت من محاسن وقصر عن شأولك كل بليغ لسن وسقت دطنتك الشاربة الموريه بلاغة كل فطن وشهد لك الزمان أنك وحيده ورئيس عصبته الادبية وفريده فمورك الله فيما أنلت من الفضائل وأوتيت من آيات المعارف التى بهانور الغزالة ضائل ولازلت ترقى فى مراتب المعالى موقى صروف الايام والليالى انتهى وهذا الخطاب جواب من المذكور لكلام خاطبه به لسان الدين نصه

جذبت على فرط المشقة رحلة • أنأت لعيني أهلها وحماكا
وقد كنت بالتذكار في البعد قانعا • فبارح إن هبت نواظر ناكا
فقل لي العتبى عما أتيت به • على حسنها إلا أنه وحماكا

أيها الصدر الذي بعاطفته يباهي ويشرف والعلم الذي بالإضافة إليه يعرف والروض
الذي لم يزل على البعد أزهار الفضة تقتطف دمت تزاحم على موارد سائلك الآمال
وتروي الرواد من أسائلك ما تمنع وتمنح طالما مال الملك المقوس ميلا وحدب
وحرت الطائر الميمون من رفاعك كل سحب فالآن أسمع الشأن وصدق الأثر العيان
وإذ كان الحسام بيد الرجال يرتعش ويحن الظلام ولا ينعش هذا تسليه أضمار كتيبة
وهذا وجيع لبعد أحبته وهذا روعه الأهوال وتصحر تقلبها الأحوال حتى أنه
لا يسمع وشكوى إلى الله تعالى ترفع فلما ورد دوملك البشير وأشار إلى سنه طلوع
المشير تشوقت النفوس المعذبة إلى جلائها وصقالها وإنا نقول إلى حل عقالها
والأنفس الملقية إلى فصل مقالها ثم إن الدهر راجع الفطانة واستدرك ما فاته فلم يسمح
بإسالة الأدمعة ولا تنفس من تسعر ووصل ثغره فأراد أن يهيج الأشواق فالتهبت
وشن غاراتها على الجوانح فانتهبت وأعل القلوب وأمرضها ورمى بعد الصبر فأصاب
غرضها فإن رأيت أن تنفس عن نفس بذ الشوق تحبها وكدر صبابة أنسها وأذهب
روحها وتتحف من آدابك بدرر تنتقى وروضة طيبة الجنى فلست بمدع في سملك
ولا شاك في اشتراكك ولولا ساعد لا ترجح وعوائق أكثرها لا يبرح لساعفت هذه
المبادرة في القدوم عليك والمثول بين يديك فشوقي إلى اجتلاء أنوارك شديد ونسبتي
إلى إلا الزمان حديد انتهى • (ووصف لسان الدين في التاج المحلى أبا الحجاج المذكور
بما صورته) حسنة الدهر الكثيرة الإحسان وتوبة الزمان لما ملم الذنوب ما شئت من أدب
ثابت وفضل تعطر به النسمات وتحلى ونفس كريمة الشمائل والضرائب وقريحة
تدفق بحرها بدرر الغرائب إلى حسبة الله تعالى عول بين القلوب وقرارها وولي
النفوس عن إعذارها ولسان يروح أسرارها ونفس تسعى بدور آماله وحرص على
اقتباس كل ذي علم وأدب ونسب إلى أهل الديانة والعدالة تسمو بين عطار الطلبة
وبرع في الأدب الهمة ورفع الراية وبلغ في الإحسان الغاية وطارت قصائده كل
المطار وتمنى بها راكب الفلك وحادي القطار وتقلد خطة القضاء بلده واستهلت
رياسة الأحكام من أهله وولده وتصف المذاهب بفضل مدة وحسن مقصده ولشيمه
في الوفاء أعلم من الأنس وموانسه عذبه لا تسطعها الأكوس وقد أتت من كلامه
ما تحلى به مراتب المهارق وتحلى طيبه بين المفارق وكتب أشوق إلى لسانه ملمسه
بالحلة من حلل الفتح ليبالغ بل صدا ولا شبه كذا وقد تقدم ذلك لما خاطبه
بهذه الرقعة (جذبت على فرط المشقة رحلة) فذكر لسان الدين ما تقدم إلى آخر •
وقد أورد جملة من مطولاته وغيرها ومقطعاته ولنلخص بعض ذلك فنقول • ومن شعر
أبي الحجاج المذكور مدح المهمة الكريمة النبوية قصدا بالنبي لتسطا الخواطر

الغسانية قوله

لما تناهى الصب فى تشويقه * درر الدموع اعتاضها بعقيقه
متلهف وفؤاده متلهب * كيف البقا بعد احتدام حريقه
متموج بحر الدموع بخده * أنى خلاص يرتجى لغريقه
متجرع صاب النوى من هاجر * ما ان يحن للاعجات مشوقه
يسبى الخواطر حسنه ببديعه * يصبى النفوس جماله بأنيقه
تعبد النواظر اذ يلوح لرامق * لا تنثنى الاحداق عن تحديقه
للبدر لمحته كبشر ضيائه * للمسك نفحته كنشر فتيقه
سكرت خواطر لامحيه كأنهم * شربوا من الصهباء كاس رحيقه
عطشوا لثغر لا سبيل لريقه * الا لمحهم للمع بريقه
ما ضر مولى عاشقوه عبيده * لو رق اشفاقا لحال رقيقه
عنه اصطبارى ما أنا بمطيعه * مثل السلو ولا أنا بمطيقه
سجع الحمام يشوق ترجيع الهوى * فأثار شجو مشوقه بشوقه
وبكت هديلا راعها تفريقه * ويحق أن يبكى أخو تفريقه
وبكاه امثالى أحق لاننى * لم أقض للمولى أكيد حقوقه
وغفلت فى زمن الشباب المنقضى * أقم بنسج بروده بعقوقه
وبدا المشيب وفيه زجر ذوى النهى * لو كنت مزدجرا بجر الشيم بروقه
حسبى ندامة آسف مما جنى * يصل النشيج لوزره بشهيقه
ويرم ما حرم الهوى زمن الصبا * ويروم من مولاه رتق فتوقه
ويردد الشكوى لديه تذللا * على الرضا يحسبه درك لحوقه
فيصح من سكر التصابى سكره * نسخا لحكم صبوحه وغبوقه
لو كنت يممت التقى وصحبته * وسلكت ايثارا سواه طريقه
لافدت منه فوائدا وفرائدا * عرضت نسام لرائج فى سوقه
لله أرباب القلوب فانهم * من حزب من نال الرضا وفريقه
قاموا وقد نام الانام فنورهم * هتك الدجى بضيائه وشروقه
وتأنسوا بحبيبهم واهم به * بشر لصدق الفضل فى تحقيقه
قصرت عنهم عندما سبقوا المدى * ولسابق فضل على مسبوقه
لولا رجاء تلمح من نورهم * يحيى الفؤاد بسيره وطروقه
وتأرج يستاف من أرواحهم * سبب انتعاش الروح طيب خلوقه
لقضيت من جزع بجرائرى التى * من خوفها قلبى حليف خفوقه
ومعى رجاء توسل أعددته * ذخرا لصدمات الزمان وضيقه
حبى ومدحى أحمد الهادى الذى * فوز الانام يصح فى تصديقه
أسمى الورى فى منصب وبمنسب * من هاشم زاكى النجار عريقه

هواكم بقلبى ما للاحكامه نسخ * ومن أجله جفنى عن دمعه يسخو
ومن شأنى ما ان صحت منه نشوتى * سواء به عصر المشيب أو الشرخ
عليه حياتى مذ تمادت وميتتى * وبعثى اذا بالصور ينفخ النفخ
ولى خلد أضحى بنص غرامه * ولا شرك يدنى اليه ولا فخ
فتلك ماوى حب أحييت لوعتى * وماجنح بالاقرار فى حالتى لطخ
وأغدو الى سعدى بكرخ علاقتى * وقصدى قصدى ليس سعدى ولا الكرخ
وناصح كتمى اذ ركت بنانه * يجول عليه من دموع الاسى نضخ
وأرجو تحقيقى هواكم بان أتى * بعهد ولا نقض وعقد ولا فسخ
وما الحب الا ما استقل ثبوته * لمبناه رص فى الجوانح أو رسخ
اذا مسلك لم يستقم بطريقه * سلكت اعتدالا مثل ما يسلك الرخ
بدا لضميرى من سنا كم تلمح * فح لعقل لم يطر عندها فخ
على عود ذا اللمح ما زلت نادبا * كما تندب الورقاء فارقها الفرخ
يدى بأياديكم وقلبى شاغل * فمن شكرتى نسج ومن املى نسخ

وقال

اليك تحن العيس والنعماء * فهم وهى فى أشواقهم شركاء
تحب بركاب تخب وصولها * لارض بها بادسنى وسناء
فأنفاسها ما ان تنى صعداؤها * وأنفسهم من فوقها سعداء
هم وعلى الحواد على السويداء هم * وأشباه مثلى مدنفون بطاء
فعدت ودونى للحبيب ترحلوا * وما قاعد والراحلون سواء
له وعليه حب قلبى وأدمعى * وقد صح لى حب وسح بكاء
بطيبة هل أرضى وتبدو سماؤها * وان تك أرضا فالحبيب سماء
شذا نفحها واللمح منها كأنه * ذكاء عبير والضياء ذكاء
فيا حاديا عنى ولا ركب حاديا * عمانى بعد البعد عنك عناء
بسلع فسل عما أقاسى من الهوى * وسل بقباء اذ يلوح قباء
وفى عالج منى بقلبى لاعج * فهل لى علاج عنده وشفاء
وفى الرقمتين أرقم الشوق لادغ * ودرياقه أن لو يباح لقاء
أماكن تمكين وأرض بها الرضا * وأرجاء فيها للمشوق رجاء

وقال

أدب الفتى فى أن يرى متيقظا * لأوامر من ربه ونواهى
فاذا تمسك بالهوى يهوى به * والحبل منه لمن تيقن واهى

وقال

يامن بدنياه ظل فى لجج * حقق بان النجاة فى الشاطى
تطمع فى ادراك الفلاح وقد * أضعت ما قبله من أشراط

الريحانه آيه من آيات الله سبحانه لوجه أدبه طلاقه وللسانه ذلاقه وللقلوب به علاقه
وفي خطه غلاقه يعرفها من عرف اصطلاحه بمطالعته ويفتح له باب فهمها بتكرير
مراجعته وليتأمل الناظر اليه والمتشوف عليه ما فيه من الجواهر والنجوم الزواهر بل
الآيات البواهر وليسبح الله تعالى تعجبا من قدرته جل وعلا ومواهبه التي عذب ماؤها
الغمر وحلا وليقل عند تأمل درّه العظيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم اه وقوله رحمه الله تعالى وفي خطه غلاقه ليس المراد به الا صعوبة الخط المغربي
على أهل المشرق حسبما يعلم مما بعده والا فان خط لسان الدين رحمه الله تعالى محمود عند
المغاربة ولنقتصر من هذا الغرض على ما ذكر فان تتبعه يطول اذ هو بحر لا ساحل له *
وكان لسان الدين رحمه الله تعالى مؤثرا لقضاء حاجة من أمّله وقصد بابه وأمّله سواء كان
من أوذائه أو من أعدائه وقد ذكر الوزير الرئيس الكاتب أبو يحيى بن عاصم رحمه الله
تعالى عنه في ذلك حكاية في أثناء كلام رأيت أن أذكر جملته لما اشتمل عليه من الفائدة وهو
أنه ذكر في ترجمة شمس العصر من ملوك بني نصر من كتابه المسمى بالروض الاريض
في اسم السلطان الذي كان ابن الخطيب وزيره وهو الغني بالله محمد بن يوسف بن اسمعيل بن
فرج بن نصر الخزرجي بعد كلام ما صورته كان قد جرى عليه التمحيص الذي أزعجه عن
وطنه الى الدار البيضاء بالمغرب من ايالة بني مرين فأفادته الحكمة والتجربة هذه السيرة
التي وقف شيوخنا على حقيقتها وانتهجوا واضح طريقتها وبلغتنا منقولة بألسنة
صدقهم معبرا عنها في عرف التخاطب بالعادة فلم يكن الوزير الكيس والرئيس المجتهد
يجريان من الاستقامة على قانون ولا يطردان من الصواب على اسلوب الا بالمحافظة على
مارسم من القواعد والمطابقة لما ثبت من العوائد وكان ذوو النبل من هذه الطبقة
وأولو الحذق من أرباب هذه المهن السياسية يتعجبون من صحة اختباره لما رسم وجودة
تمييزه للمقاصد ويرون المفسدة في الخروج عنها ضربة لازب وان الاستمرار على مراسمها
آكد واجب فيتحرونها بالالتزام كما تتحرى السنن ويتوخونها بالاقامة كما تتوخى
الفرائض وسواء تبادر اليهم معناها ففهموه أو خفي عليهم وجه رسمها فجهلوه حدثني
شيخنا القاضي أبو العباس أحمد بن أبي القاسم الحسني أن الرئيس أبا عبد الله بن زمرك
دخل على الشيخ ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الخطيب يستأذنه في جملة مسائل مما يتوقف
عادة على اذن الوزير وكان معظمها فيما يرجع الى مصلحة الرئيس أبي عبد الله بن زمرك
قال الشريف فأمضاها كلها ما عدا واحدة منها تضمنت نقض عادة مستمرة فقال له
ذو الوزارتين بن الخطيب لا والله يا رئيس أبا عبد الله لا آذن في هذا انما استقمنا في هذه
الدار بحفظ العوائد ثم قال صاحب الروض فلما تأذن الله تعالى للدولة بالاضطراب
واستحكم الوهن بتمكن الاسباب عدل عن تلك القواعد الراسخة واستخف بتلك
القواس الثابتة فنشأ من المفاسد ما أعوز رقعه وتعدد وتره وشفعه واستحكم ضرره
حتى لم يمكن دفعه وتعذر فيه الدواء الذي يرجى نفعه وكان قد صحبه من الملتمسين آماله
وأنجح بإذن الله تعالى أقواله وأفعاله فكان يجري الامر على رسم من السياسة واضح

ونظر في الآراء السديد راجح ثم عقبه من المدة سماح لا يعارضه الى عام الغاية المطاولة من
شموله وتمكن مقتضى الايراد السلطانية في فروعه واصوله انتهى كلام ابن عاصم .
وقد جرى ذكره فلا بأس أن نلم بشئ من أحواله لان أهل الاندلس كانوا يسمونه ابن الخطيب
الثاني فنقول هو الامام العلامة الوزير الرئيس الكاتب الجليل البارع الخطيب الجامع
الكامل الشاعر المفلق النابغة جماعة رؤساء الاندلس بالاستحقاق ومالك زمام البراعة
بالاستغراق ابو يحيى محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عاصم القيسي الاندلسي
الغرناطي قاضي الجماعة بها كان رحمه الله تعالى من اكابر فقهائها وعلمائها ووزرائها
اخذ عن الامام الحافظ أبي الحسن بن سمعت والامام القاضي أبي القاسم بن سراج
والشيخ الراوية ابي عبد الله المنتوري والامام أبي عبد الله البياني وغيرهم ومن تآليفه
شرح تحفة والده وذكر فيه انه ولي القضاء سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة ومنها كتاب جنة
الرضا في التسليم لما قدر الله تعالى وقضى وكتاب الروض الاريض في تراجم ذوي
السيوف والاقلام والقريض كأنه ذيل به احاطة لسان الدين بن الخطيب وله غير ذلك
وقد اطلت الكلام في ترجمته من كتابي أزهار الرياض في أخبار عياض وما يناسبها مما يحصل
للنفس به ارتياح وللعقل ارتياض وقد قال فيه السخاوي انه الاستاذ العالم الصدر
المفتي القاضي رئيس الكتاب وقد دون انشاءه وسمع الآداب انتهى وقد تقدم بعض
كلامه في مواضع ومن بديع نثره الذي سلك فيه مسلك ابن الخطيب رحمه الله تعالى قوله من
كلام جالب جلبته في ازهار الرياض واقتصرت هنا على قوله بعد الخطبة الطويلة ما صورته
أما بعد فان الله على كل شئ قدير وانه بعباده لخبير بصير وهو ولي اهل بيته وأخلص
طويته نعم المولى ونعم النصير بيده الرفع والخفض والبسط والقبض والرشد والغي
والنشر والطي والمنح والمنع والضر والنفع والمد والجزر والارزاق والآجال
والمسر والمساء والاحسان والاساءة والادبار والاقبال والمحنة والمحبوب اذا قضى
أمرا فانما يقول له كن فيكون وهو القائل على الحقيقة وتعالى الله عما يقول الآفكون
وهو المتكفل بان يظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون والذي احوال الوقت
الداعية الذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد وغير خفي فهم قوله تعالى ان الله
يفعل ما يشاء وان الله يحكم ما يريد بينما الدسوت عامرة والولاة آمرة والعقائد مجموعة
والدعوة مسموعة والامة طائعة والاخوة متوافقة طائعة وإذا بالعقيدة قد تكدرت
والجماعة قد تفرقت الى أن قال والسعيد من اتعظ بغيره ولا يريد القوم من الامر احتفالا
الله تعالى يمن على من يشاء بخير وبينما الفرقة حاصلة والقطيعة فاصلة والضرر واصله
والخلل في اسباب والوطن في تباب والخلاف يعم رعية ما بات والقلوب شتى في قوم
أحزاب والطاعة تعلل لعصم الوطن وحقيقته ولحظة الملابس على حقيقته والحكم
بكلمته وقوع الحسن أن نادى الله يجمع شمله وتلمه على رغم الشيطان وزعمه واذا
بالقلوب قد ائتلفت والمشاجر قد اجتمعت بعدما اختلفت والاهواء بالالفة قد اقترنت بالله
الله تعالى وارتقبت والمصير عائد الى الله تعالى قد استهلت في اصلاح الحالة التي ساءت

والسب

ما ألقت الحرب أوزارها وأدت الفرقة النافرة مزارها وبلت الالفة الدينية أوارها وأرضعت العصمة الشرعية آثارها ورفعت الوحشة الناشبة أظفارها أعذارها وأرضت الخلافة العلائية أنصارها وغضت الفئة المتعرضة أبصارها وأصلح الله تعالى أسرارها فجمعت الاوطان بالطاعه والتزمت نصيحة الدين بأقصى الاستطاعه وتسابقت الى لزوم السنة والجماعه وألقت الى الامامة العلائية يد التسليم والضراعه فتطلق نباتهم وأحمدت نياتهم وأسعدت آمالهم وارتضيت أعمالهم وكملت مطالبهم وتممت مآربهم وقضيت حاجاتهم واستمعت مناجاتهم وألسنتهم بالدعاء قد انطلقت ووجوههم في الخلوص قد صدقت وقلوبهم على جمع الكلمة قد اتفقت وأكفهم بهذه الامامة العلائية قد اعتلقت وكانت الادالة في الوقت على عدو الدين قد ظهرت وبرقت الى أن قال وكفت القدرة القاهره والعزة الباهره من عدوان الطاغية غوائل باعزاز دين الله الموعود بظهوره على الدين كله فواتح وأوائل ومعلوم بالضرورة أن الله تعالى لطيف بعباده حجا شهد بذلك برهان الوجود وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها دليل على ما سوّغ من الكرم والجود انتهى المقصود منه وهو كلام بليغ ومن أراد جملته فعليه بأزهار الرياض * ومن نظم ابن عاصم المذكور قوله مخاطبا شيخه قاضي الجماعة أبا القاسم بن سراج وقد طلب الاجتماع به زمن فتنة فظن أنه يستخبره عن سرّ من أسرار السلطان فأعذره معتذرا ولم يصدق الظن

وديتك لا تسأل عن السر كاتبا * فتلقاه في حال من الرشد عاطل
وتضطره اما لحالة خائن * أمانته أو خائض في الاباطل
ولا فرق عندي بين قاض وكاتب * وشى داسرّ أو قضى ذا باطل

ومن بديع ما نظم في مدح الرئيس أبي يحيى بن عاصم المذكور قول العلامة ابن الازرق رحمه الله تعالى

خضعت لمعطفه الغصون الميس * وربا فهام بمقلتيه النرجس
ذو مبسم زهر الربا في كسبه * متنافس عن طيبه متنفس
ومورّد من ورده أو ناره * يتنعم القلب العميد وييأس
فالورد فيه من دموعي يرتوي * والنار فيه من ضلوعي تقبس
كملت محاسنه فقد ناضر * ولواحظ نجل وثغر ألعس
صعب التعطف بالغرام حبيته * فالحب يحيي والتعطف يحبس
غرس التشوق ثم أغرى الوجد بي * فالوجد يغري والتشوق يغرس
ما كنت أشقى لو ظللت بجنة * من وصله تحيا لديها الانفس
ألحاظه ورضابه وعذاره * حور بها أو كوثر أو سندس
ولسال أنس قد أمنت بهن من * واش ينم ومن رقيب يحرس
أطلعت شمس الراح فيها فاهتدى * عاش السنا في الدجى ومغلس
صفراء كالعقيان في الالوان * للندمان كالشهبان منها الاكؤس

(ومن انشاء الرئيس ابن عاصم المذكور ما كتب به يخاطب الكاتب أبا القاسم بن طركاط
وهو القاضي حفظ الله تعالى كمالك وأنجح آمالك اذا لم يعطه العدل من كلا جانبيه سبيل
معوج ومذهب لا يوافق عليه مناظر ولا ينصره محتج كما انه اذا احاطه العدل جادة للنجاة
وسبب في حصول رحمة الله تعالى المرتجاة وسوق النفاق بضاعة العبد المزجاة وأجل
العدل ما تحلى به في نفسه الحكم وجرى على مقتضى ما شهدت به الآراء المشهورة
والحكم حتى يكون عن البغي رادعا وبالقسط صادعا ولانف الانفة من الاذعان
للحق جادعا وأنت أجلك الله تعالى على سعة اطلاعك وشدة ساعد قيامك بالطريقة
واضطلاعك ممن لا ينبه على ما ينبغي ولا يرد على طلبته من الانصاف المبتغي فلك
في الطريقة القاضوية التبريز وأنت اذا كان غيرك الشبه الذهب الابريز ولعلية عدلك
الموشحة بالنزاهة والتطرير وليتني كنت لمطهرك الحكمي حاضرا ولاعلام القضاة
بآرائك المرتضاة مباصرا والوازع قد عزس بالخصوم وجعل المتصدي للاذن في محل
المخصوم وأنت حفظك الله تعالى قد قذفت من غلظ الحجاب بالمقام المعصوم ومثلت من سعة
المنزل في الفضل والطول كالشهر المصوم والباب قد سد وداعي الشفاعة قد رد
والميقات للاذن قد حد ومطلب الاجرة المتعارفة قد بلغ الاشد حتى اذا قضى الواجب
وأذن في دخول الخصمين الحاجب وأولج السابقين الى الحد الذي لا يعدونه وحفر
اعباؤه من تعداه أو وقف دونه وقد حصل بالحظ واللحظ التساوي وأنتج المطالب
الاربعة هذا اللازم المساوي ومجلسك قد ربح وقاره برضوى ومجتلاك قد فضح نوره
البدر الاضوا وقد امترت عن سوى الناس القضاة بمراسم لا تليق بجماتهم معاردها
وتميزت عنهم بملابس تعج عجا من جذامهم مطارفها بحيث تحقق خلع النعلين حذا
لا يقصا ويطواه ونسد في بعض الاوقات الباب سدا الا ترفع بالمحابر كواه وتفصل بين
الخصمين أحيانا بالنية دون الكلام ولكل امرئ ما نواه وهذه أعانك الله تعالى مكملات
من العدل في الحكم وقف عياض دون تحقيق مناطها وأعيت ابن رشد فلم يهتد لبيانه
ولا تحصيل الاستنباطها فما بال النازحة عنك حسا ومعنى النازلة من تقاضي دينك بمنزلة
المطاول المعنى المعتقلة من ملك رقك بحيث أقصاها الاعج الشوق المعذبة من الصبابة
فيك بما شئت عزه عن الطرق تتنفس الصعداء مما تشاهده منك من مبتدعات الجور وتردد
البكاء على ضياع ما استعار الحسن لصفاتها من النجد والغور وتقضي العجب مما تسمع من
عدلك الذي لم تجتل لمحة من نوره ومن حلمك الذي أشقاها لم تحضر لك طوره وتستصوب
أنظار النحاة في منع التهيئة والقطع في العامل وتستجلب اصطلاح العروضيين في المديد
والبسيط دون الطويل والكامل فهلا راجعت فيها النظر وأنجزت لها الوعد المنتظر
وكشفت من عيونها وعامستها واجتليت من جبينها الوضاح ما أخجل بدورا مشرقة
وأهلة ولم تحوجها الى أن ينطق قرينها الروحاني بالشعر على لسانها ولسانك ولم تضطرها
في هذه المعاملة الى ما لا ترتضيه من كفران احسانك والعذر أظهر والبرهان أبهر
وخلافك في العالم أشهر وأنت ان لم يكن ما يعصم الله تعالى منه لمقتضى الطبيعة أقهر وقد

أدرجت لك في طي هذا ما اتصل الي يدك وطمحت في تومل وعدك متشطر مثل أطفال الطوى بالطواف وعموما سنوى من الخطابا المطالب ان شاء الله تعالى والله تعالى يصل سعادته ويحفظ مجادته ومعادا السلام من الشاكر الذاكر ابن عاصم رحمه الله تعالى في اوائل ذي الحجة عام خمسة وأربعين وثمانمائة انتهى وهو مما أذكر في أزهار الرياض ❊ ولنذكر هنا الظهير الذي حليته فيها مقدم المذكور للنظر في أمور الله بها وعرفهم ونصه

هذا ظهير كريم المنا تجب الظهار بشرفا عليا ونصيرت المنا بريحانا حلنا وراث المناخر فلا دونها وعرب الكبار الذي انخرت بهم الاقلام والمحابر اخصاصا مولويا ❊ فهو وان تكاثرت المرسومات وتعددت وتوالت المنشورات وتجددت اكرم من سوم عم في الاعتماد نظرا خطيرا واحكم في التفويض امرا كبيرا وارم في الاختصاص عرما أساء اعتمد عطور الا رر واخص عشور الذي بلما التي بالمعرب من لم يزل بالتعظيم حقيقا وبالاكبار خليقا وبالاجلال حريا ❊ فهو من لم يزل في الشهر سابقا هادلم يزل بالهدى ناطقا مليح لم يزل بالبلاغة دريا ❊ عظيم لم يزل في النفوس معظما علم لم يزل في الاعلام مقدما كريم لم يزل في الكرام سخيا ❊ اصطفت منه مجاول الملك على العقد النفيس وحلت به المسورة في الكنف المحوط والحرم الامين فكان في مسكا الامور هاديا وفي ميدان المراشد حريا ❊ فاني مقاماته تبلغ مقامات الاخلاص والى من به تنتهي مراتب الاختصاص فمن جاز سهلا ورتب حملا وسرف بدنا ❊ واستكمل همما واستعمل طبا راستحدم سرفا فلله ما أعلى قدر هذا الشرف الجامع بين المتلد والمطرف الساري في الفصل أمدا اقصا ❊ الحال من الاصطفا مظهرا الا ارفع من العلا منبرا الصاعد من العز كرسيا ❊ ساد الفضل ارثا ونصيبا واستوفى الكمال سماوقسما سا ارجه كالروض لولم تكن الروض ذابلا وهذا نور كالبدر لولم تكن البدر آفلا ومجد علوه كالشهاب لولم تكن الشهاب خفيا ❊ هذا شرف الملك الذي اصطفاه وكمل له من التقريب ورفا وأحله من ارالمكين وتن باختصاصه بالمكان المكين فسمى في ميدان التفويض وحيا وراى من الابطار الحمد ما رأى مبادئ الحق اماما علما من حامي الدين بعلامتها هاديا من الواجب سراطا سويا ❊ فما التمهد صرفا سندا مشهورا للعدل قولا وبدا مقرما للعزم سيما ورايا ❊ فالله تعالى يصل امام هذا الملك الذي طلع في سماء بدر اودونه البدور وصدرا طويه الصدور سعد الاعمال الانام في ماسه ونصرا يعتني به تسل الجهاد فلا زال باسه على الفتح مقتديا ❊ ويوالي له عزا يدود عن حرم الدين ويحمد نأييدا يسمى في أعيان الكفر حدث سيفه تطفيا ❊ امر به من سوما عزيزا لا تبلغ المرسومات الى مداه ولا يبدى نارا الاختصاص مثل ما أبدا عبد الله أمير المسلمين محمد الغالب بالله أيده الله تعالى بمامه ونصر أعلامه وشكر انعامه ونشر مرامه لامام الائمة وعلم الاعلام وعماد ذوي العقول والاحلام وبركة حملة السيوف والاقلام وقدوة رجال الدين وعلماء الاسلام الشيخ المسمى أبي عمي ابن كبير العلماء شهير العظماء حجة الاكابر والاعيان مصباح البلاغة والبيان

قاضي القضاة وامامهم أوحد الجلة وطود شمامهم الشيخ الفقيه أبي بكر بن عاصم أبقاه الله تعالى ومناطق الشكر له فصيحة اللسان ومواهب الملك به معهودة الاحسان وقلائد الايادي منه متقادة بجيد كل انسان قد تقرر والمفاخر لا تنسب الا اليها والفضائل لا تعتبر الا بمن يشيد أركانها ويبنيها والكمال لا يصفي شربه الامل يؤمن سربه ان هذا العلم الكبير الذي لا يفي بوصفه التعبير علما بآثاره يقتدى وبانظاره يهتدى وباشارته يستشهد وبآدابه يسترشد اذ لا أمد علا الا وقد تخطاه ولا مركب سهل الا وقد تمطاه ولا شارقة هدى الا وقد جلاها ولا ابنة فخر الا وقد حلاها ولا نعمة الا وقد أسداها ولا سومة الا وقد أبداها لماله في دار الملك من الخصوصية العظمى والمكانة التي تسوغ النعما والرتب التي تسمو العيون الى مرتقاها وتستقبلها النفوس بالتعظيم وتتلقاها حيث سر الملك مكتوم وقرطاسه مختوم وأمره محتوم والاقلام قد روضت الطروس وهي ذاوية وقسمت الارزاق وهي طاوية شقت ألسنتها فنطقت وقطت أرجلها فسبقت ويبست فأثمرت انعاما ونكست فأظهرت قواما وخطت فأعطت وكتبت فوهبت ومشقت ففرقت وأبرمت فانعمت فكم بسرت الحبر وعقرت الهزبر وشنفت المسامع وكيفت المطامع وأقلت فيما ارتفع من المواضع وأحلت لما امتنع من المراضع فهي تنجز النعم وتجحز النقم وتبث المذاهب وتحث المواهب وتروض المراد وتنهض المراد وتحرس الاكناف وتغرس الاشراف مصيخة لنداء هذا العماد الاعلى طامحة لمكانه الذي سما واستعلى فيما يلى عليها من البيان الذي يقر له بالتفضيل الملك الضليل ويشهد له بالاحسان لسان حسان ويحكم له بيرى القوس حبيب بن أوس ويهيم بمحاسن الاساليب عنده شاعر كنده ويستمطر سحبه الغزيرة فصيح المعرة الى منشور تربل الفقر فقره وتدر الرزق دره لو أنهى الى قس اياد لشكر في الصنيعة أياديه واستمطر سحبه وغواديه أو بلغ الى سحبان لسحره وما فارقه عشيته ولا سحره ولو رآه الصابي لابدى اليه من صبوته ما أبدى أو سمعه ابن عباد لكان له عبدا أو بلغ بديع الزمان لهجر بدائعه واستنزر بضائعه أو أتحف به البستي لاتخذه بستانا أو عرض على عبد الحميد لاحمد من صوبه هتانا فاعظم به من عال لا ترقى ثنيته ولا تحاز مزيته ولا يرجم أفقه ولا يكتم حقه ولا يسام له عن اكتساب الحمد فاطر ولا ينقاس به في الفضل مناظر وهل تقاس الاجادل بالبغاث أو الحقائق بالاضغاث الا ان بيته هو البيت الذي طلع في أفقه كل كوكب وقاد عمن ونجم به للعلوم انتقاء وانتقاد وترامى به للمدارك ذكاء واتقاد وأعظم بهم أعلاما وصدورا وأهلة وبدورا خلدت ذكرهم الدواوين المسطره وسرت في محامدهم الانفاس المعطره الى أن نشأ في سمائهم هذا الاوحد الذي شهرة فضله لا تجحد فكان قرهم الازهر ونيرهم الاطهر وواسطة عقدهم الانفس ونتيجة مجدهم الاقعس فابعد في المناقب آماده ورفع الفخر وأقام عماده وبنى على تلك الاساس المشيده وجرى لادراك تلك الغايات البعيده فسبق وجلى وشنف بذكره المسامع وحلى ورفع المشكل ببيانه وحرر الملتبس ببرهانه الى أن أحله قضاء

عليه ونشره وغدا وفرائد المآثر لديه موجبة مكنونه واصبح للمفاخر مالكا لما أتى به
مدونه وخصه فيه بالنظر المطلق الشروط اللازم للتفويض ملازمة الشرط للمشروط
المستكمل الفروع والاصول المستوفي الاجناس والفصول في الامور التي تختص
باعلام القضاة الاكابر وكتاب القضاة ذوي الاقلام والمحابر وشيوخ العلم وخطباء المنابر
وسائر ارباب الاقلام القاطن منهم والعابر بالحضرة العليه وجميع البلاد النصريه
تولى الله تعالى جميع ذلك بعهده وستره ووصل لديه ما تعود من شفع اللطف ووتره يحوط
مراتبهم التي قطفت من روضات اغراس الحكم وجنيت ويراعي امورهم التي أقيمت على
العوائد وبنيت وحقوقهم التي حطت لهم في المجالس السلطانية ورعيت ويحل كل
واحد منهم في منزلته التي تليق ومرتبته التي هو بها خليق على ما يقتضي ما يعلم من
أدواتهم ويخبر من تباين ذواتهم ويرشح كل واحد الى ما استحقه ويؤتي كل ذي حق
حقه اعتمادا على اغراضه التي عدلت وصدحت على أفنان من الافواه طيور الشكر
وهدلت واستنادا في ذلك الى آرائه وتفويضاته في هذا الشأن بين خلصاء الملك وظهرائه
وذلك على مقتضى ما كان عليه أعلام الرياسة الذين سبقوا وانتهضوا بمهمهم واستقلوا
كالشيخ الرئيس الصالح أبي الحسن بن الجياب والشيخ ذي الوزارتين أبي عبد الله بن
الخطيب رحمهما الله تعالى فليقم أبقاه الله تعالى بهذه الاعمال التي سمت واعتزت ومالت
بها أعطاف العدل واهتزت وسار بها الخبر حثيث السرى وصارم الحق مشدود
العرى وعلى جميع القضاة الامضياء والعلماء الارضياء والخطباء الاولياء والمقربين
الاذكياء وحملة الاقلام الاحظياء أن يعتمدوا هذا الولي العماد في كل ما يرجع الى
عوائدهم ويختص في دار الملك من مرتباتهم وفوائدهم وما يتعلق بولاياتهم وأمنياتهم
ويليق بمقاصدهم ونياتهم فهو الذي يسوغهم المشارب ويبلغهم المآرب ويستقبل
العلي بالعلي والعاطل بالحلي والمشكل بالجلي والمفرق بالتاج والمقدمة بالانتاج
وعلى ذلك فهذا المنشور الكريم قد أقرهم على ولاياتهم وأبقاهم ووقاهم من حط المراتب
ما رقاهم فليجروا على ما هم بسبيله وليهتدوا برشد هذا الاعتناء ودليله وكتب
في صفر عام سبعة وخمسين وثمانمائة انتهى * قلت واعتنائي به لوجوه أحدها ما يتعلق
بلسان الدين اذ وقعت الاشارة الى مرتبته في آخره والثاني ما اشتمل عليه من الانشاء
الغريب والثالث معرفة حال الرئيس أبي يحيى بن عاصم وتمكنه من الرياسة لانا بنينا
هذا الكتاب على ذكر ما يناسبه من أنباء أهل المغرب لكون أهل هذه البلاد المشرقية
ليس لهم بها اعتناء والرابع ان بعض أكابر شيوخنا ممن ألف في طبقات المالكية لما عرف
بأبي يحيى ذكره في نحو أسطر عشرة وقال هذا الذي حضرني من التعريف به والخامس ان
ابن عاصم المذكور كما قاله الوادي آشي وغيره كان يدعى في الاندلس بابن الخطيب الثاني
ويعنون بذلك البلاغة والبراعة والرياسة والسياسة * (رجع) الى أخبار لسان الدين
فنقول وأما كتب التآليف باسم لسان الدين رحمه الله تعالى فقد قال في الاحاطة لما جرى
ذكر ذلك ما صورته وأما ما رفع الي من الموضوعات العلميه والوسائل الادبيه والرسائل

لجراسه لما لقيت في المشرق من العدو ومالا إليه يسند مصادر عن الاعلام وعز
الإسلام ورؤساء النار والظلام ثم تستوعب الاقصاء ويتحرى فيه تيسير
الاستقصاء وربما سمي هذا الكتاب كتاب الإحاطة فيه كثيرا ومطولا أيضا ودرا نشرا
سري في أسماء الاحبا وإني إلى الاسادة أكرم الانبيا غفر الله تعالى لي ولما لنا كل
أولاني وأنا بمسروره وأقرأ الاعراب بعروره أهون عن الاسمع وإن أرتع الكل
الطلب لا أردع الأيام تغاور عما نصلت وكمل انتهى * وقد قدم في رحلة إلى أبي عبد الله
محمد بن عبد الرحمن الكرسوطي الفاسي نزيل مالقة وصاحب التآليف المفيدة أنه ألف
مسندا على قواعد الإمام القاضي أبي الفضل عياض رحمه الله تعالى رسم ولد لسان الدين
ابن الخطيب رحمه الله تعالى وكذلك غير واحد من أهل عصر يعدو بالنظم والنثر
وهي بـه الله سبحانه وتعالى في عباد إذا السلطان سرى على الوأما شو فيها والله سبحانه
وإلى ولي المكافأة لا إله غيره ولا مأمول سوا

تم طبع الجزء الثالث بعون الملك عن عماله الحوادث من
كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب
وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب
وكان تمام طبعه وحسن عمله

م

ويليه الجزء الرابع أوله الباب الخامس

هذا الجزء ناقص الكمل